س

الجزو الثامن

ومنهم من يلمزك بكسر الميم وقرئ بضمها اي يعيبك سرا • وقرئ يُلمّزك ويلامزك مبالغة في الصدقات اي في شأنها وقسمتها فان اعطوا منها بيان لفساد لمزهم • وانه لا منشأ له سوى حرصهم على حطام الدنيا اي ان اعطوا منها قدر ما يريدون رضوا بما وقع من القسمة واستحسنوها وان لم يعطوا منها ذلك المقدار اذا هم يسخطون اي يفاجئون السخط • واذا نائبة مناب فاء الجزاء • قيل نزلت الآية في ابي الجواظ المنافق حيث قال الا ترون الى صاحبكم يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل • وقيل في ابن ذي الخويصرة واسمه حرقوص بن زهير التميمي رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم ويلك ان لم اعدل فمن يعدل • وقيل هم المؤلفة قلوبهم والاول هو الاظهر ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله اي ما اعطاهم الرسول صلى الله عليه وسلم من الصدقات طيبي النفوس به وان قل • وذكر الله عز وجل للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم كان بامره سبحانه وتعالى وقالوا حسبنا الله اي كفانا فضله وصنعه بنا وما قسمه لنا سيؤتينا الله من فضله ورسوله بعد هذا حسبما نرجو ونؤمل انا الى الله راغبون في ان يخولنا فضله • والآية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف بناء على ظهوره اي لكان خيرا لهم انما الصدقات شروع في تحقيق حقية ما صنعه الرسول صلى الله عليه وسلم من القسمة ببيان المصارف • ورد لمقالة القالة في ذلك • وحسم لاطماعهم الفارغة المبنية على زعمهم الفاسد ببيان انهم بمعزل من الاستحقاق • اي جنس الصدقات المشتملة على الانواع المختلفة للفقراء والمساكين اي مخصوصة بهؤلاء الاصناف الثمانية الآتية لا تتجاوزهم الى غيرهم كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم فما للذين لا علاقة بينها وبينهم يقولون فيها ما يقولون وما سوغهم ان يتكلموا فيها وفي قاسمها • والفقير من له ادنى شيء والمسكين من لا شيء له هو المروي عن ابي حنيفة رحمه الله • وقد قيل على العكس ولكل منهما وجه يدل عليه ابو السعو

ومنهم من يلمزك بضم الميم وكسرها من لمز اذا عاب اي يعيبك ويطعن عليك في الصدقات نزلت فيمن طعن على النبي صلى الله عليه وسلم في قسمة الصدقات والغنائم فقال اعدل يا رسول الله وهو ابن ذي الخويصرة التميمي فقال صلى الله عليه وسلم ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل • فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله ائذن لي ان اضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم دعه حتى لا يقال يقتل محمد اصحابه فان اعطوا منها اي من الصدقات رضوا بالقسمة وان لم يعطوا منها لحكمة يعلمها الله ورسوله اذا هم يسخطون اي فاجؤا السخط • واذا للمفاجأة بمعنى الفاء للجزاء والعامل فيها يسخطون • والحكمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه فوصفهم الله تعالى بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح اهله ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله من العطية والرزق وقالوا حسبنا الله اي كافينا الله وعليه ثقتنا سيؤتينا الله اي يعطينا من فضله اي من رزقه ورسوله من الغنيمة اكثر مما آتانا اليوم اذا كان عنده سعة انا الى الله راغبون اي الى رحمته راجعون فيغنينا عن الصدقات • وجواب لو محذوف وهو لكان خيرا لهم من الطعن عليك • ثم بين مصارف الصدقات بالاختصاص ليخرج اللامزين بالنبي صلى الله عليه وسلم على استحقاقها بقوله انما الصدقات للفقراء وهم الذين لهم ادنى شيء من المال والمساكين الذين لا شيء لهم • وابو حنيفة يمكن التغيير فيعطي الشافعي منها من ليس له كفاية سنة ويمنع ابو حنيفة عمن يملك مائتي درهم من العيون

T. C.
..LLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
..İP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 163/5

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
وكفى عبده ١١٧٥

۲۲۶

○ واعطاء النائرة بين القبيلتين وان كانوا اغنياء وفي سبيل الله اي فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل اي المسافر
المنقطع عن ماله • وتكرير الظرف في الاخيرين للايذان بزيادة فضلهما في الاستحقاق • او لما ذكر من ايرادهما بعنوان
غير مصحح للمالكية والاختصاص • فهذه مصارف الصدقات • فللمتصدق ان يدفع صدقته الى كل واحد منهم • وان
يقتصر على صنف منهم لان اللام لبيان انهم مصارف لا يخرج عنهم لا لاثبات الاستحقاق • وقد روي ذلك عن عمر
وابن عباس وحذيفة رضي الله عنهم • وعند الشافعي رحمه الله لا يجوز الا ان يصرف الى ثلاثة من تلك الاصناف فريضة
من الله مصدر مؤكد لما دل عليه صدر الآية اي فرض لهم الصدقات فريضة • ونقل عن سيبويه انه منصوب بفعله مقدرا
اي فرض الله ذلك فريضة • او حال من الضمير المستكن في قوله للفقراء اي انما الصدقات كائنة لهم حال كونها فريضة اي
مفروضة والله عليم باحوال الناس ومراتب استحقاقهم حكيم لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة من الامور الحسنة التي من
جملتها سوق الحقوق الى مستحقيها

والعاملين عليها وهم الذين يحثون الصدقات من اهلها فيعطون على قدر عمالتهم
وان كانوا اغنياء لا على قدر حاجتهم • وقيل لهم الثمن والمؤلفة قلوبهم وهم الذين يتالف قلوبهم
ليقوي على الايمان بالاعطاء منها • وقيل من يتقي شره من الكفار رؤساء في كل قبيلة • منهم ابو سفيان والاقرع بن
حابس فيعطيهم الامام ما يراه منها وفي الرقاب عطف على الفقراء • وانما عدل عن اللام الى في هنا ايذانا بان الاربعة
الاخيرة ارسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للظرفية اي وفي فكها من الكتابة او من الاسر
او من الرق وهم مكاتبون • او الاسارى من الكفار او المسلمين المأسورين في ايدي الكفار فتبتاع الرقاب
من الصدقات فتعتق عند مالك رحمه الله والغارمين وهم الذين عليهم ديون لغير فساد ولا وفاء عندهم
فيعطون على قدر الوفاء بديونهم • وقيل هم الذين استدانوا في اصلاح ذات البين • او في عمل الخير • او للانفاق
على عيالهم من غير اسراف لعدم كفاية ما في ايديهم فيعطون ما يوفون ذلك مع غناهم وفي سبيل الله وهم الذين
خرجوا للجهاد فيعطون منها ما يستعانون به في غزوهم من زاد وحمولة وسلاح مع غناهم وابن السبيل والمراد به
المسافر من سفر اباحه فيعطون منها ما ينقطع به سفرهم ان لم يكن معهم ذلك وان كان لهم في البلد المنتقل اليه
مال الغناء فريضة من الله نصب على الحال من الضمير في الفقراء وموضع الخبر اي ثابتة لهم مفروضة • ويجوز ان يكون
مصدرا مؤكدا الفعل محذوف اي فرضت الصدقات فريضة لهذه الاصناف الثمانية لحكمة اقتضتها في ذلك الزمان •
فالشافعي اوجب صرفها الى الاصناف على السوية وان انعدم صنف منها رد نصيبه على الموجودين • واقل ما يجزي
عنده ثلاثة من كل صنف • وقد اجاز ابو حنيفة رحمه الله صرفها الى البعض دون بعض ويجيز صرفها الى فرد من صنف واحد
والله عليم يعلم من يستحقها وممن لا يستحقها حكيم يحكم بقسمتها وبين اهلها لحكمة علمها   من العيون

يوم الخميس ... ربيع الاول ١٧

والعاملين عليها السعاة في جمع الصدقات وقبضها وانما قال عليها لتضمين معنى القيام كانه قيل القائمين على مصالحها وكل من
يبعث معهم من عون لا يستغني عنه فهم مثلهم لانه يحبس الناس عليهم والمؤلفة قلوبهم وهم كانوا اصنافا ثلثة صنف
كان النبي صلى الله عليه وسلم يتالفهم ليسلموا • وصنف يعطيهم لدفع شرهم • وصنف كانوا اسلموا وفي اسلامهم ضعف
فيزيد بذلك تقريرا على الاسلام كل ذلك كان جائزا منه صلى الله عليه وسلم لاعلاء كلمة الله تعالى لان الجهاد يكون تارة
بالسنان وتارة بالبيان وتارة بالاحسان • واختلف في انقطاع هذا الصنف بعزة الاسلام وظهوره وفي الرقاب
اي وللصرف في الرقاب بان يعان المكاتب بشيء منها على اداء النجوم • وقيل بان يبتاع الرقاب فيعتق • وقيل
بان يفدى الاسارى • والعدول من اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق في الجهة لا للرقاب • او للايذان
بانهم احق بها واقوى استحقاقا لان في للظرفية • اي هم مواضع التي يوضع فيها لما فيها من الفك والانقاذ من الرق
والقوم والاسر وحفظ بيضة الاسلام والتخليص من الاشراف على الهلاك والغارمين الذين تدينوا لانفسهم
في غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء • او لاصلاح ذات البين بتحمل الحمالات وان كانوا اغنياء لقوله صلى الله عليه وسلم لا تحل
الصدقة لغني الا لخمسة • لغاز في سبيل الله
او لغارم • او رجل اشتراها بماله • او رجل
له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى
المسكين للغني ولعامل عليها وفي سبيل الله اي
وللصرف في الجهاد بالانفاق على المتطوعة
وابتياع الكراع والسلاح • وقيل في بناء
القنطرة والمصانع واعادة تجار لانه
من نوع آخر وابن السبيل آخره عن سبيل الله
مع انه من قبيل ما سبق رعاية لنظام الكلام
لان فات ابن السبيل مناسبة ان يذكر بعد السبيل
والمراد منه المسافر والمنقطع من ماله • فريضة من الله
وابن السبيل كالعلم فلذلك لم يجمع
مصدر مؤكد لان معنى قوله تعالى انما الصدقات
للفقراء فرض الصدقات لهم • او حال من
الضمير في قوله للفقراء • وقرئ فريضة اي
تلك فريضة والله عليم بمواضع الاستحقاق
حكيم يضع الاشياء مواضعها   ابن كمال

والعاملين عليها هم السعاة الذين يقبضونها والمؤلفة قلوبهم على الاسلام
اشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم على ان يسلموا
وقوم منهم اسلموا فيعطيهم تقريبا لهم على الاسلام وفي الرقاب
هم المكاتبون يعانون منها والغارمين الذين ركبتهم الديون وفي
سبيل الله فقراء الغزاة او الحجيج المنقطع بهم وابن السبيل المسافر
المنقطع عن ماله • وعدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة للايذان
بانهم ارسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء
فنبه على انهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها
وتكرير في في قوله في سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب
والغارمين • وانما وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ليدل بكون
هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على انهم ليسوا منهم
حسما لاطماعهم واشعارا بانهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما
تعلقهم على التكلم فيها ولمز قاسمها • وسهم المؤلفة سقط باجماع الصحابة في
صدر خلافة ابي بكر رضي الله عنهم لان الله تعالى اعز الاسلام واغنى عنهم و
الحكم متى ثبت معقولا لمعنى خاص ينتهي وينتفي بذهاب ذلك المعنى
فريضة من الله في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء
معناه فرض الله الصدقات لهم والله عليم بالمصلحة حكيم   المدارك

والعاملين عليها اي الساعين في جمعها وتحصيلها
والمؤلفة قلوبهم هم اصناف • فمنهم اشراف
من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتالفهم ليسلموا فرضخ لهم • ومنهم قوم
اسلموا ونياتهم ضعيفة فيؤلف قلوبهم
باجزال العطاء كعيينة بن حصين والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس • ومنهم من يترقب باعطائهم اسلام
نظرائهم ولعل الصنف الاول كان يعطيهم الرسول صلى الله عليه وسلم من خمس الخمس الذي هو خالص ماله • وقد عد
منهم من يتالف عليه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكوة • وقد سقط سهم هؤلاء بالاجماع لما ان ذلك كان
لتكثير سواد الاسلام • فلما اعزه الله تعالى وعلا واعلى كلمته استغني عن ذلك وفي الرقاب اي وللصرف في فك الرقاب
بان يعان المكاتبون بشيء منها على اداء نجومهم • وقيل بان يبتاع منها الرقاب فتعتق • وقيل بان يفدى الاسارى •
واياما كان فالعدول عن اللام لعدم ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية والاختصاص كالذين من قبلهم • او للايذان بعدم
قرار ملكهم فيما اعطوا كما في الوجهين الاولين • او لعدم ثبوته رأسا كما في الوجه الاخير • او للاشعار برسوخهم في استحقاق
الصدقة لما ان في للظرفية المنبئة عن احاطتهم بها وكونهم محلها ومركزها والغارمين اي الذين تدينوا لانفسهم
في غير معصية اذا لم يكن لهم نصاب فاضل عن ديونهم وكذلك عند الشافعي رحمه الله من غرم لاصلاح ذات البين ○

ومنهم اى ومن المنافقين الذين يؤذون النبي روي ان جماعة منهم ذموه عليه السلام وبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليك انما هو اذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فتأذى ونحن نأتيه فنعتذر فيسمع عذرنا ايضا فيرضى وهذا ما ذكره بقوله ويقولون هو اذن الاذن من قبل كل شئ سمعه وصدق بشئ لا ينكره فان الاذن الذي هو جارحة السماع كذلك اي ليس فيه وراء الاسماع تمييز الحق من الباطل ارادوا به ذمه عليه السلام فما ذكر من قبيل التشبيه والغرض المبالغة في الذم واما اطلاق العين على الجاسوس فمن قبيل المجاز العقلي كاطلاق العدل على العادل والغرض المبالغة في المدح فانه هذا من ذمهم كان النبي صلى الله عليه وسلم يستمع الى كلام كل من يحدثه لكرمه وحسن خلقه فظن اولئك انه سلامة قلبه وغفلته ولعدا من قال عابه انهم بما هو آية غاية كرمه وعلامة حسن شيمته قال عليه السلام المؤمن غر كريم فطن والمنافق خب لئيم قل اذن خير لكم اضافة الاذن الى خير للمبالغة كقولك رجل صدق تريد وصفه بالجودة والصلاح كانه مطبوع منه ولا يتبين الآية نحو خاتم فضة او تخصص

ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن الاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد سمى بالجارحة التي هي آلة السماع كان جملته اذن سامعة وايذاؤهم له هو قولهم فيه هو اذن قصدوا به المذمة وانه من اهل سلامة القلوب والغرة ففسره الله تعالى بما هو مدح له وثناء عليه فقال قل اذن خير لكم كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يريد هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ثم فسر كونه اذن خير بانه يؤمن بالله اى يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين ويقبل للمؤمنين الخلص من المهاجرين والانصار وعدى فعل الايمان بالباء الى الله لانه قصد به التصديق بالله الذي هو ضد الكفر به والى المؤمنين باللام لانه قصد به السماع من المؤمنين وان يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده الا ترى الى قوله تعالى وما انت بمؤمن لنا كيف ينبو عن الباء ورحمة بالعطف على اذن ورحمة حمزة عطف على خير اى هو اذن خير واذن رحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله للذين آمنوا منكم اى وهو رحمة للذين آمنوا اى لمن اظهر الايمان ايها المنافقون حيث يقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين او وهو رحمة للمؤمنين حيث استنقذهم من الكفر الى الايمان ويشفع لهم في الآخرة بايمانهم في الدنيا

ذلك الوصف اراد الوصف بالخيرية كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن او اذن في الخير وما يجب سماعه وقبوله لا في كل شئ على الوجه الذي ذمتموه به والدليل عليه قراءة ورحمة بالجر اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله وقرئ اذن خير لكم برفعهما منونين على ان خير صفة له او خبر ثان او كلاهما خبر لمبتدأ محذوف اى هو اذن هو خير لكم وهذه القراءة معناه ان كان كما تقولون فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء خلتكم ثم فسره بقوله يؤمن بالله اى يصدق به لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين اى يسلم لهم ما يقولون فالاختلاف في التعدية للاختلاف في المعنى ورحمة اى وهو رحمة اريد المبالغة في رحمته لهم فسلك مسلك رجل عدل للذين آمنوا منكم اى اظهروا الايمان منكم حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه عليه السلام ليس يقبل قولهم جهلا بحالهم بل تقبل رحمة او رفقا بهم وقرئ ورحمة بالنصب تعليلا لما تعتد من جهة المعنى فان اذن خير لكم في معنى ياذن لكم رحمة ابن الكمال

ومنهم الذين يؤذون النبي نزلت في فرقة من المنافقين قالوا في حقه صلى الله عليه وسلم ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ذلك فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم نأتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول انما محمد اذن سامعة وذلك قوله عز وجل ويقولون هو اذن اى يسمع كل ما قيل من غير ان يتدبر فيه ويميز بين ما لا يليق به وانما قالوه لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يواجههم بسوء ما صنعوا ويصفح عنهم حلما وكرما فحملوه على سلامة القلب وقالوا ما قالوا قل اذن خير لكم من قبيل رجل صدق في الدلالة على المبالغة في الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يكون المراد اذن في الخير والحق وفيما ينبغي سماعه وقبوله لا في غير ذلك كما يدل عليه قراءة رحمة بالجر عطفا عليه اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله وقرئ اذن بسكون الذال فيهما وقرئ اذن خير على انه صفة او خبر ثان وقوله عز وجل يؤمن بالله تفسير لكونه اذن خير لكم اي يصدق بالله تعالى لما قام عنده من الادلة الموجبة له وكون ذلك خيرا للمخاطبين كما انه خير للعالمين مما لا يخفى ويؤمن للمؤمنين

ويؤمن للمؤمنين اى يصدقهم لما علم فيهم من الخلوص واللام مزيدة للتفرقة بين الايمان المشهور وبين الايمان بمعنى التسليم والتصديق كما في قوله تعالى انؤمن لك الخ وقوله تعالى فما آمن لموسى ورحمة عطف على اذن خير اى وهو رحمة بطريق اطلاق المصدر على الفاعل للمبالغة للذين آمنوا منكم اي للذين اظهروا الايمان منكم حيث يقبله منهم لكن لا تصديقا لهم في ذلك بل رفقا بهم وترحما عليهم ولا يكشف اسرارهم ولا يهتك استارهم واسناد الايمان اليهم بصيغة الفعل بعد نسبته الى المؤمنين بصيغة الفاعل المنبئة عن الرسوخ والاستمرار للايذان بان ايمانهم امر حادث ما له من قرار وقرئ بالنصب على انها علة لفعل دل عليه اذن خير اى ياذن لكم رحمة ابو السعود

ومنهم الذين يؤذون النبي نزل في جماعة من المنافقين كالجلاس بن سويد ووداعة بن ثابت ومخشي بن حويلد كانوا يعيبون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لا تفعلوا مثله عسى ان يبلغه الخبر فيغير بكم فقال الجلاس نقول ما شئنا ونأتيه ونحلف فانه يصدقنا لانه اذن سامعة يسمى الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد بالجارحة التي هي آلة السماع كان جملته اذن سامعة فيؤذونه ويقولون هو اذن بضمتين وبسكون الذال اى يسمع كل قيل ويقبله فامر الله تعالى نبيه بان يقول قل اذن خير بالاضافة اى هو اذن صلاح ونعمة لكم فلا يكشف سركم ولا يفضحكم ولا يكافئكم على سوء فعلكم كما يفعل بالمشركين او هو مبالغ في الخير فيسمع قول الخير خاصة يؤمن بالله اى يصدقه في مقالته بالاخلاص فلذا عدى الايمان هنا باللام فهو تعريض لهم ولا يسمعها بالقبول منكم فالمراد من الايمان الاول نقيض الكفر فلذا عدى بالباء ومن الثاني التسامع والقبول ولذا عدى باللام كقوله تعالى وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين فهذا تعريض لهم قوله ورحمة بالرفع عطف على اذن وبالجر عطف على خير اى هو اذن خير ورحمة للذين آمنوا منكم في السر من العيوب

ومنهم اى من المنافقين جذام بن خالد واياس بن قيس وسماك بن يزيد وعبيد بن مالك الذين يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم بالطعن والشتم ويقولون بعضهم لبعض هو اذن يسمع منا ويصدقنا اذا قلنا لم ما قلنا فيك شيئا قل لهم يا محمد اذن خير لكم يؤمن بالله يصدق قول الله ويؤمن للمؤمنين ويصدق قول المؤمنين المخلصين ورحمة من العذاب للذين آمنوا منكم في السر والعلانية من تفسير الفاضل الكرماني

بالباء ويؤمن للمؤمنين اى يصدق المخلصين في مقالتهم بقبولها وتسليمها ولا يصدق مقالتكم بتسليمها لكم ولذا عدى الايمان هنا باللام صح صح

والذين يؤذون رسول الله بما نقل عنهم من قولهم هو أذن ونحوه • وفي صيغة الاستقبال المشعرة بترتب
الوعيد على الاستمرار على ما هم عليه إشعار بقبول توبتهم كما أفصح عنه قوله تعالى فيما سيأتي فإن يتوبوا يك
خيرا لهم عما يجترئون عليه من أذيته صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه بناء الحكم على الموصول لهم عذاب أليم
وهذا اعتراض مسوق من قبله عز وجل على نهج الوعيد غير داخل تحت الخطاب • وفي تكرير الإسناد
بإثبات العذاب الأليم لهم ثم جعل الجملة خبرا للموصول ما لا يخفى من المبالغة وإيراده صلى الله عليه وسلم
بعنوان الرسالة مضافا إلى الاسم الجليل لغاية التعظيم والتنبيه على أن أذيته راجعة إلى جنابه عز وجل
موجبة لكمال السخط والغضب يحلفون بالله لكم الخطاب للمؤمنين خاصة وكان المنافقون يتكلمون
بالمطاعن ثم يأتونهم فيعتذرون إليهم ويؤكدون معاذيرهم بالأيمان ليعذروهم ويرضوا عنهم •
أي يحلفون لكم أنهم ما قالوا ما نقل إليهم مما يورث أذاة النبي صلى الله عليه وسلم • وأما التخلف عن
الجهاد فليس بداخل في هذا الاعتذار ليرضوكم بذلك وإفراد إرضائهم بالتعليل مع عمدة أغراضهم
إرضاء الرسول صلى الله عليه وسلم • وقد قبل صلى الله عليه وسلم ذلك منهم ولم يكذبهم للإيذان
بأن ذلك بمعزل من أن يكون وسيلة إلى إرضائه صلى الله عليه وسلم وأنه صلى الله عليه وسلم إنما لم يكذبهم
رفقا بهم وسترا لعيوبهم لا عن رضى بما فعلوا كما أشير إليه والله ورسوله أحق أن يرضوه أي أحق بالإرضاء
ولا يتسنى ذلك إلا بالطاعة والمتابعة وإيفاء حقوقه صلى الله عليه وسلم في باب الإجلال والإعظام مشهدا
ومغيبا • وأما ما أتوا به من الأيمان الفاجرة فإنما يرضى بها من انحصر طريق علمه في الأخبار إلى أن يجيء الحق ويزهق
الباطل • والجملة نصب على الحالية من ضمير يحلفون • أي يحلفون لكم لإرضائكم والحال أن الله ورسوله أحق بالإرضاء
منكم • أي يعرضون عما يهمهم ويجديهم ويشتغلون بما لا يعنيهم • وإفراد الضمير في يرضوه • إما للإيذان
بأن رضاه صلى الله عليه وسلم مندرج تحت رضاه سبحانه وإرضاءه صلى الله عليه وسلم إرضاء له تعالى لقوله تعالى
من يطع الرسول فقد أطاع الله • وإما لأنه مستعار لاسم الإشارة الذي يشار به إلى الواحد والمتعدد
بتأويل المذكور كما في قول رؤبة • فيها خطوط من سواد وبلق • كأنه في الجلد توليع البهق • أي كأن ذلك •
لا يقال أي حاجة إلى الاستعارة بعد التأويل المذكور • لأنا نقول لولا الاستعارة لم يتسن التأويل لما أن الضمير
لا يتعرض إلا لذات ما يرجع إليه من غير تعرض لوصف من أوصافه التي من جملتها المذكورية وإنما المتعرض
لها اسم الإشارة • وإما لأنه عائد إلى رسوله والكلام جملتان حذف خبر الأولى لدلالة خبر الثانية عليه كما ذهب
إليه سيبويه • ومنه قول من قال نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف • أو إلى الله على أن
المذكور خبر الجملة الأولى وخبر الثانية محذوف كما هو رأي المبرد إن كانوا مؤمنين جوابه محذوف تعويلا على
دلالة ما سبق عليه أي إن كانوا مؤمنين فليرضوا الله ورسوله بما ذكر فإنهما أحق بالإرضاء ألم يعلموا أي أولئك المنافقون
والاستفهام للتوبيخ على ما أقدموا عليه من العظيمة مع علمهم بسوء عاقبتها • وقرئ بالتاء على الالتفات
لزيادة التقريع والتوبيخ • أي ألم يعلموا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من فنون القوارع و
الإنذارات أنه أي الشأن من يحادد الله ورسوله المحادة من الحد كالمشاقة من الشق والمعاداة من العدوة
بمعنى الجانب فإن كل واحد من المتعاديين مباشر كل من الأفعال المذكورة في حد غير حد صاحبه ومن شرطية جوابها قوله تعالى
فأن له نار جهنم على أنه خبر محذوف أي فحق أن له نار جهنم • وقرئ بكسر الهمزة والجملة الشرطية في محل الرفع على أنها خبر
لأن وهي مع خبرها سادة مسد مفعولي يعلموا • وقيل المعنى فله وأن تكرير للأولى تأكيدا لطول العهد لا من باب
التأكيد اللفظي المانع للأولى من العمل ودخول الفاء كما في قول من قال لقد علم الحي اليمانون أنني إذا قلت
أما بعد أني خطيبها • وقد جوز أن يكون فأن له مقطوعا على أنه وجواب الشرط محذوفا • تقديره ألم يعلموا
أنه من يحادد الله ورسوله يهلك فأن له الخ ورد بأن ذلك إنما يجوز عند كون الشرط ماضيا أو مضارعا مجزوما
بلم خالدا فيها حال مقدرة من الضمير المجرور إن اعتبر في الظرف ابتداء الاستقرار وحدوثه • وإن اعتبر مطلق
الاستقرار فالأمر ظاهر ذلك إشارة إلى ما ذكر من العذاب الخالد بذلك إيذانا ببعد درجته في الهول والفظاعة

الخزي العظيم الخزي الذل والهوان المقارن للفضيحة والندامة وهي ثمرات نفاقهم حيث يفتضحون
على رؤوس الأشهاد بظهورها ولحوق العذاب الخاص بهم والجملة تذييل لما سبق يحذر المنافقون أن
تنزل عليهم في شأنهم فإن ما نزل في حقهم نازل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم من الأسرار الخفية
فضلا عما كانوا يظهرونه فيما بينهم من أقاويل الكفر والنفاق • ومعنى تنبئتها إياهم بما في قلوبهم مع
أنه معلوم لهم وأن المحذور عندهم اطلاع المؤمنين على أسرارهم لا اطلاع أنفسهم عليها أنها تذيع
ما كانوا يخفونه من أسرارهم فتنتشر فيما بين الناس فيسمعونها من أفواه الرجال مذاعة
فكأنها تخبرهم بها • أو المراد بالتنبئة المبالغة في كون السورة مشتملة على أسرارهم كأنها تعلم من أحوالهم
الباطنة ما لا يعلمونه فتنبئهم بها وتنعى عليهم قبائحهم • وقيل معنى يحذر ليحذر • وقيل الضمائر
الأولان للمؤمنين والثالث للمنافقين ولا يبالي بالتفكيك عند ظهور الأمر بعود المعنى إليه
أي يحذر المنافقون أن تنزل على المؤمنين سورة تخبرهم بما في قلوب المنافقين وتهتك عليهم أستارهم
قال أبو مسلم كان إظهار الحذر منهم بطريق الاستهزاء فإنهم كانوا إذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يذكر كل شيء ويقول إنه بطريق الوحي يكذبونه ويستهزئون به ولذلك قيل قل استهزءوا أي افعلوا
الاستهزاء وهو أمر تهديد إن الله مخرج أي من القوة إلى الفعل • أو من الكمون إلى البروز ما تحذرون
أي ما تحذرونه من إنزال السورة ومن مخازيكم ومثالبكم المستكنة في قلوبكم الفاضحة لكم على ملأ الناس
والتأكيد لرد إنكارهم بذلك لا لدفع ترددهم في وقوع المحذور إذ ليس حذرهم بطريق الحقيقة

ابو السعود افندی

والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم اظهار ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيم وايذان بان ايذاء الذي هذا شانه يوجب استحقاقهم العذاب الاليم يحلفون بالله لكم الخطاب للمؤمنين ليرضوكم اي يحلفون على معاذير عند الاعتذار اليكم في التخلف عن الجهاد والتكلم بالمطاعن والايذاء لتعذروهم وترضوا عنهم والله ورسوله احق ان يرضوه ذكر الله تمهيد للتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وبيان ان ارضائه ارضاء الله تعالى اى ورسول الله تعالى احق بالارضاء بالطاعة والموافقة ان كانوا مؤمنين كما يزعمون لان الايمان يقتضي ابتغاء مرضاة الله تعالى ولو بسخط من سواه الم يعلموا استفهام بمعنى التوبيخ انه اى الشان من يحادد الله ورسوله المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق لان المتخالفين كل منهما في حد • وذكر الله هنا ايضا تمهيد فان له نار جهنم خالدا فيها على حذف الخبر اى فحق ان له • تكرير ان للتاكيد • قيل يجوز ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك فيكون فان له نار جهنم في موضع نصب • وهذا الذي قدره لا يصح لانهم نصوا على انه اذا حذف الجواب لدلالة الكلام عليه كان فعل الشرط ماضيا في اللفظ او مضارعا مجزوما وقالوا من كلامهم انت ظالم ان فعلت ولا يجوز ان تفعل

وههنا حذف جواب الشرط وفعل الشرط ليس ماضي اللفظ ولا مضارعا مجزوما وذلك ان جاء في كلامهم فمخصوص بالضرورة وايضا فتجد الكلام تاما دون تقدير هذا الجواب ذلك الهلاك الدائم الخزي العظيم الخزي الهوان بما يستحيى منه يحذر المنافقون خبر عن حذرهم وقيل هو بمعنى الامر اي ليحذر المنافقون ان تنزل عليهم على المنافقين والنازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انهم مقروء ومحتج به عليهم سورة تنبئهم تخبرهم بما في قلوبهم لم يكن ذلك الاخبار لاعلام المخبر به بل للاعلام انه لا يخفى على الله تعالى ولا يخفيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • وفيه هتك استارهم واظهار اسرارهم للمؤمنين • ولا يخفى ما في هذا المعنى من شدة الالتيام بين اجزاء الكلام واعتبار لطيف يناسب المقام بلا التزام لانتشار الضماير • ثم ان ما ذكر على تقدير الامر ظاهر واما على تقدير الخبر فنقول لكثرة ما كان يطلع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم عليه كانوا يحذرون ذلك وحيث باطنهم وشدة كفرهم كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم ويستهزؤون به وذلك قوله قل استهزؤا صيغة امر وهو للتهديد ودليله ان الله مخرج من الكمون اي البروز ما تحذرون اي ما تحذرونه من نزول السورة في اظهار

والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم في الدارين يحلفون بالله لكم ليرضوكم الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن • او يتخلفون عن الجهاد ثم ياتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين اي ان كنتم مؤمنين كما تزعمون • فاحق من ارضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق • وانما وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضى الله ورضى رسوله فكانا في حكم شيء واحد كقولك احسان زيد واجماله رفعني • او والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك الم يعلموا انه ان الامر والشان من يحادد الله ورسوله يجاوز الحد بالخلاف • وهي مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق فان له على حذف الخبر اي فحق ان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون خبر بمعنى الامر اى ليحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنزل بالتخفيف مكي وبصري تنبئهم بما في قلوبهم من الكفر والنفاق • والضماير للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم • او الاولان للمؤمنين والثالث للمنافقين وصح ذلك لان المعنى تعود اليه قل استهزؤا امر تهديد ان الله مخرج ما تحذرون مظهر ما كنتم تحذرونه اى تحذرون اظهاره من نفاقكم • و كانوا يحذرون ان يفضحهم الله بالوحي فيهم وفي استهزائهم بالاسلام واهله حتى قال بعضهم وددت اني قدمت فجلدت مائة وانه لا ينزل فينا شيء يفضحنا انتهى المدارك

قوله تعالى يحلفون بالله لكم ليرضوكم قال قتادة والسدي اجتمع ناس من المنافقين فيهم جلاس بن سويد ووديعة بن ثابت فوقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام من الانصار يقال عامر بن قيس فحقروه وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام قال والله ان ما يقول محمد حق وانتم شر من الحمير ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره فدعاهم وسالهم فحلفوا ان عامرا كذاب وحلف عامر انهم كذبة فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو يقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل الله تعالى هذه الاية • وقال مقاتل والكلبي نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون ويحلفون فانزل الله تعالى يحلفون بالله لكم

والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم اي وجيع دائم ثم اتوا رسول الله وحلفوا على صدق نيتهم فكذبهم الله تعالى بقوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم والخطاب للمسلمين اي انهم يعتذرون اليكم بحلفهم لترضوا عنهم والله ورسوله احق ان يرضوه والهاء للنبي صلى الله عليه وسلم وحده • وفيه حذف تخفيفا • تقديره فالله احق ان يرضوه ورسوله احق ان يرضوه • او الهاء لله لان رضاء الله رضاء نبيه فلذا وحد الضمير • وانما لم يثن تعظيما لله تعالى • روي ان خطيبا قال في خطبته عند النبي صلى الله عليه وسلم من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن عصاهما فقد غوى فقال صلى الله عليه وسلم بئس الخطيب انت قوله ان كانوا مؤمنين اى مصدقين بقلوبهم في السر • شرط محذوف الجزاء بدلالة احق قبله اي فهو احق ان يرضوه قوله الم يعلموا نزل حين كانوا يستهزؤون الاسلام واهله ويحذرون ان يفضحهم الله بالوحي فيهم تهديدا لهم اي الم تعرفوا انه اي ان الشان من يحادد الله ورسوله اي يخالف امر الله وامر رسوله فيما بينهم • شرط جزاؤه فان بالفتح مع ما بعدها في محل الرفع خبر مبتدا محذوف اى فجزاؤه ان له نار جهنم خالدا فيها حال مقدرة من ضمير له في معنى الجمع ذلك اى عذابه في نار جهنم الخزي العظيم يوم القيمة على رؤس الاشهاد يحذر المنافقون ان تنزل عليهم اي على المؤمنين سورة تنبئهم اي تخبر المؤمنين بما في قلوبهم اي قلوب المنافقين يعني ما يضمرون من النفاق فيفضحون وهم مع ذلك لا يخلون عن الاستهزاء قل استهزؤا بالقرآن والاسلام والمسلمين ان الله مخرج اى مظهر ما تحذرون من اظهار النفاق من العيوب

ولئن سألتهم ليقولن انما روي ان ركب المنافقين مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر فنزلت فما ذكر من السؤال والجواب كان مع بعضهم الا انه اسند الى الكل لاتحادهم في المنشاء انما كنا نخوض ونلعب الخوض في الاصل دخول القدم فيما كان مايعا من الماء والطين ثم كثر حتى صار في كل دخول فيه اذى وتلوث قل اباالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون تقرير للاستهزاء وتوبيخ لهم على استهزائهم لمن يجب تعظيمه ولا يصح الاستهزاء به لان ايلاء المستهزأ به حرف الاستفهام انما يصح بعد وقوع الاستهزاء فلم يعبأ باعتذارهم للعلم بكذبهم في ذلك • وذكر الله تمهيد لتعظيم اياته والتنبيه على استهزائها راجع الى الله تعالى لا تعتذروا لا تشتغلوا باعذاركم فانها معلومة الكذب لا ينفعكم بعد ظهور اسراركم قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بالاستهزاء والايذاء بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم

اي بين وقت من الاوقات

ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاطلع الله تعالى نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا كذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر ولئن سألتهم وقلت لهم لم قلتم ذلك لقالوا انما كنا نخوض ونلعب قل يا محمد اباالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون لم يعبأ باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كانهم معترفون باستهزائهم وبانه موجود فيهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد ثبوت الاستهزاء لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم قد اظهرتم كفركم باستهزائكم بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم بتوبتهم واخلاصهم الايمان بعد النفاق نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير تائبين منه او ان يعف تعذب طائفة غير عاصم المنافقون والمنافقات الرجال المنافقون كانوا ثلثمائة والنساء المنافقات مائة وسبعون بعضهم من بعض اي كانهم نفس واحدة • وفيه نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم ويحلفون بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم • ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال يامرون بالمنكر بالكفر والعصيان وينهون عن المعروف عن الطاعة والايمان ويقبضون ايديهم شحا بالمبار والصدقات والانفاق في سبيل الله تعالى نسوا الله تركوا امره واغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من فضله ورحمته ان المنافقين هم الفاسقون هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير • وكفى المسلم زاجرا ان يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف به المنافقون حين بالغ في ذمهم انتهى

المدارك

لتوبتهم واخلاصهم او لاجتنابهم عما كانوا يفعلونه من الايذاء والاستهزاء نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين بكونهم مجرمين مصرين على النفاق وما كانوا عليه المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اي جنس واحد كابعاض الشيء الواحد غير داخل لجنس المؤمنين تعريض بانهم ليسوا من المؤمنين وتكذيب لهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله تعالى وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه ببيان منافاة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يامرون بالمنكر بالكفر والمعاصي و ينهون عن المعروف اي الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم قبض اليد عبارة عن الشح اي يمتنعون عن الانفاق في سبيل الخير نسوا الله فنسيهم النسيان في الاول كناية عن الترك والمراد ترك طاعته وفي الثانية مجاز عنه ترتيبا على الكناية • والمراد ترك رحمتهم وانما يعبر بالنسيان عن الترك مبالغة اذ ابلغ وجوه الترك هو الترك الذي يقترن به النسيان ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد و الخروج عن دائرة الخير والمبالغة في ذمهم بالفسق وجعل غاية في التمرد والعتو • والفاروق الاعظم بينهم وبين المسلمين تنفير للمسلمين عنه

ابن الكمال

ولئن سألتهم عما قالوا ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي انه صلى الله عليه وسلم كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه ركب من المنافقين يستهزءون بالقران وبالرسول صلى الله عليه وسلم ويقولون انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح حصون الشام وقصورها هيهات هيهات فاطلع الله تعالى نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شيء مما نخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل غير ملتفت الى اعتذارهم ناعيا عليهم جنايتهم ممثلا لهم منزلة المعترف بوقوع الاستهزاء موبخا لهم على اخطائهم موقع الاستهزاء اباالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون حيث عقب حرف التقرير بالمستهزأ به ولا يستقيم ذلك الا بعد تحقق الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا بالاعتذارات وهو عبارة عن محاشاة الذنب فانه معلوم الكذب بين البطلان قد كفرتم اظهرتم الكفر بايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم له ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء • وقرئ يعف على اسناد الفعل الى الله سبحانه وتعالى وقرئ على البناء للمفعول مسندا الى الظرف بتذكير الفعل وتانيثه ايضا ذهابا الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة نعذب بنون العظمة • وقرئ بالياء على البناء للفاعل وبالتاء على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على الاجرام وهم غير التائبين • او مباشرين له وهم غير المجتنبين • قال محمد بن اسحق الذي عفي عنه رجل واحد هو يحيى بن حمير الاشجعي لما نزلت هذه الاية تاب عن نفاقه وقال اللهم اني لا ازال اسمع اية تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة فما احد من المسلمين الا عرف مصرعه غيره المنافقون والمنافقات التعرض لاحوال الاناث للايذان بكمال عراقتهم في الكفر والنفاق بعضهم من بعض اي متشابهون في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد بالشخص • وقيل اريد به نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله تعالى وما هم منكم وقوله تعالى يامرون بالمنكر اي بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف اي عن الايمان والطاعة • استيناف مقرر لمضمون ما سبق ومفصح عن مضادة حالهم لحال المؤمنين • او خبر ثان ويقبضون ايديهم اي عن المبرات والانفاق في سبيل الله فان قبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله وخذلهم • والتعبير عنه بالنسيان للمشاكلة ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسق الذي هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ عن كل خير • والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير كما في قوله تعالى وعد الله المنافقين الخ

ابو السعود

ولئن سألتهم يا محمد اي المستهزئين بالقران وبك ما هذا الكلام الذي تحدثوا به وذلك حين ساروا الى غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا بين يديه يقولون انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ما قالوا فقال احبسوا الركب فجاءهم فقال قلتم كذا وكذا قالوا يا نبي الله ما كنا في شيء من امرك ولا من امر اصحابك ولكنا كنا في شيء مما يخوض الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر فقال تعالى ولئن سألتهم من استهزائهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب اي نتحدث ونقطع الطريق كراكبي السفر قل يا محمد لهم اباالله واياته اي القران ورسوله كنتم تستهزءون ثم اعتذروا عن فعلهم القبيح فقال تعالى لا تعتذروا اي لا تظهروا عذركم الكاذب فانه لا ينفعكم بعد ظهور سركم فقد كفرتم في السر بعد ايمانكم في العلانية قيل فيه دليل على ان الجد واللعب في اظهار كلمة الكفر سواء ان نعف عن طائفة منكم بالتوبة وبترك الاستهزاء بالاخلاص نعذب طائفة في الدنيا او في الاخرة بانهم كانوا مجرمين اي بسبب كونهم مجرمين اي مشهورين مصرين به • وقرئ بالنون في الفعلين وكسر الذال ونصب طائفة مفعولا وبالياء في الاول والتاء في الثاني مجهولين ورفع طائفة لاسناد الفعل اليه المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض في الدين والنفاق لا في دين الاسلام بالاخلاص لتكذيبهم ايات الله ورسوله في السر وحلفهم بالله كذبا انهم لمنكم ثم بين اثار نفاقهم بقوله يامرون بالمنكر اي بالمعصية والكفر وينهون عن المعروف اي عن الطاعة والايمان عكس شان المخلص ويقبضون ايديهم اي يمسكون ايديهم عن الانفاق في سبيل الله نسوا الله اي غفلوا عن ذكره وتركوا طاعته فنسيهم الله من هدايته ورحمته فتحيروا وخذلوا ان المنافقين هم الفاسقون اي الخارجون عن الاسلام اصلا وفرعا

من العيون

فلا حاجة الى التقدير ... طرهم

٢

وعد الله المنافقين والمنافقات التفصيل بين الجنسين منهم للاهتمام بشأنهم لأن الكلام في ذمهم والكفار اي المجاهرين بالكفر بقرينة المقابلة وهي لا تخلو عن الدلالة على انهم جنس آخر نار جهنم خالدين فيها حال عن مفعول وعد فانه كناية عن وقوع العذاب كأنه قيل يعذبهم بنار جهنم خالدين فيها هي حسبهم اشارة الى عظم عذابها وانه لا مزيد عليه اي حسبهم عقابا وعذابا اذ لا شيء ابلغ منه ولعنهم الله طردهم واهانهم مع التعذيب وقرنهم بالشياطين الملاعين في التبعيد ففيه بيان عذابهم الروحاني ولهم عذاب اي ولهم نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم لعذاب النار كالذين اي انتم مثل الذين من قبلكم او فعلتم مثل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة منعة وبطشا واكثر اموالا واولادا اي كانوا اشد منكم واقدر فاذا كنتم في سوء العاقبة مثلهم وهم في القوة والمنعة دونهم فما يؤمنكم ان يصيبكم من العقوبة مثل ما اصابهم وعن وجه انه بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فقد وهم فاستمتعوا بخلاقهم الخلاق النصيب من الخلق بمعنى التقدير وهو ما خلق للانسان اي قدر له من خير كما سمي نصيبا لانه نصب له واثبت وتقديمه على التشبيه المذكور بقوله فاستمتعتم

وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود فيها هي النار حسبهم فيه دلالة على عظم عذابها وانه بحيث لا يزاد عليه ولعنهم الله واهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين ولهم عذاب مقيم دائم معهم في العاجلة لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه ابدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم • الكاف في كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم محلها الرفع اي انتم مثل الذين من قبلكم • او النصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو انكم استمتعتم بخلاقكم كما استمتعوا بخلاقهم اي تلذذوا بملاذ الدنيا والخلاق النصيب مشتق من الخلق وهو التقدير اي ما خلق للانسان يعني قدر من خير وخضتم في الباطل كالذي خاضوا كالفوج الذي خاضوا • او كالخوض الذي خاضوا • او الخوض الدخول في الباطل واللهو • وان قلت فاستمتعوا بخلاقهم • وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه ليذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة • ثم تشبيه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة في مقابلة قوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة واولئك هم الخاسرون اسمى المدارك

بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم تمهيد لذمهم بذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا واشتغالهم بها وذهولهم بلذاتها العاجلة عن التفكر في امر الآخرة والنظر في العاقبة وطلب الفلاح وتحصيل اللذات الباقية لتقرير سوء حالهم وسماجة فعلهم في انفسهم ثم تيقظوا وتيقظوا قبح ما هم فيه • لكن الاستمتاع تشبيههم بهم واقتفاء آثارهم في طلب المتعة وهو فعل ما فيه اللذة من المآكل والمشارب والمناكح وخضتم اي دخلتم في الباطل كالذي خاضوا اي كالذين خاضوا الذي اسم ناقص يعبر به عن الواحد والجمع اولئك الذين رضوا من آخرتهم بدنياهم حبطت بطلت اعمالهم في الدنيا والآخرة اما في الآخرة فلانه لا ثواب لهم ولا نجاة من العذاب واما في الدنيا فلانهم قصدوا بذلك توهين الاسلام وقهر اهله فابطل الله تعالى كيدهم وخيب آمالهم وعلو انفسهم واولئك هم الخاسرون ذهب اموالهم فيما ضرهم ولم ينفعهم ولو ذهب فيما لا يضرهم ولا ينفعهم كان خسرانا فكيف ذهب فيما يضرهم ولا ينفعهم اشارة الى الاولين عبر عنهم المستمتعين ليعلم المشبهون بهم ان استمتاعهم في الدنيا والآخرة وتبكيتهم سبب لحبط اعمالهم وضرائهم الطلق فيرتدعوا ابن الكمال

وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار اي المجاهرين نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود فيها هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم الله اي ابعدهم من رحمته واهانهم • وفي اظهار الاسم الجليل من الايذان بشدة السخط ما لا يخفى ولهم عذاب مقيم اي نوع من العذاب غير عذاب النار دائم لا ينقطع ابدا • او لهم عذاب مقيم معهم في الدنيا لا ينفك عنهم وهو ما يقاسونه من تعب النفاق الذي هم منه في بلية دائمة لا يأمنون ساعة من خوف الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم كالذين من قبلكم • التفات من الغيبة الى الخطاب للتشديد • والكاف في محل الرفع على الخبرية اي انتم مثل الذين من قبلكم من الامم المهلكة او في حيز النصب بفعل مقدر اي فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا تفسير وبيان لتشبيههم بهم وتمثيل لحالهم بحالهم فاستمتعوا وتمتعوا • وفي صيغة الاستفعال ما ليس في التفعل من الاستزادة والاستدامة في التمتع بخلاقهم بنصيبهم من ملاذ الدنيا • واشتقاقه من الخلاق بمعنى التقدير وهو المقدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم

فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي استمتاعا كاستمتاع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم الخسيسة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العواقب الحقة واللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم اياهم واقتفائهم اثرهم وخضتم اي دخلتم في الباطل كالذي خاضوا اي كالذين او كالفوج الذي • او كالخوض الذي خاضوه اولئك اشارة الى المتصفين بالاوصاف المعدودة من المشبهين والمشبه بهم لا الى الفريق الاخير فقط فان ذلك يقتضي ان يكون حبوط اعمال المشبهين وخسرانهم مفهومين ضمنا لا صريحا ويؤدي الى خلو تلوين الخطاب عن الفائدة اذ الظاهر حينئذ اولئكم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يصلح للخطاب اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الافعال الذميمة حبطت اعمالهم ليس المراد بها اعمالهم المعدودة كما يعرب به التعبير عنهم باسم الاشارة فان غائلتها غنية عن البيان بل اعمالهم التي كانوا يستحقون بها اجورا حسنة لو قارنت الايمان اي ضاعت وبطلت بالكلية ولم يترتب عليها اثر في الدنيا والآخرة بطريق المثوبة والكرامة اما في الآخرة فظاهر واما في الدنيا فلان ما يترتب على اعمالهم فيها من الصحة والسعة وغير ذلك حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ليس ترتبه عليها على طريقة المثوبة والكرامة بل بطريق الاستدراج واولئك اي الموصوفون بحبوط الاعمال في الدارين هم الخاسرون الكاملون في الخسران في الدارين الجامعون لمباديه واسبابه طرا فانه قد ذهب رؤس اموالهم التي هي اعمالهم فيما ضرهم ولم ينفعهم قط ولو انها ذهبت فيما لا يضرهم ولا ينفعهم لكفى خسرانا • وايراد اسم الاشارة في الموضعين للاشعار بعلية الاوصاف المشار اليها للحبوط والخسران ابو السعود افندي

وعد الله المنافقين من الرجال والمنافقات من النساء والكفار من الفريقين نار جهنم خالدين فيها اي مقدرين الخلود في النار هي حسبهم اي كافيتهم جزاء لكفرهم ولعنهم الله اي طردهم من رحمته في الدنيا والآخرة لاهانتهم مع التعذيب ولحقهم بالشياطين لان الكفر مؤثر في السر والعلانية ولهم عذاب مقيم في الدنيا لا ينفك عنهم من تعب النفاق والخوف من المسلمين ومن الفضاحة بنزول الآيات للاطلاع على اسرارهم • او نوع عذاب في الآخرة سوى الصلي في النار كالذين خبر مبتدأ محذوف نزل ذما للاولين بحالهم القبيح من الكفار وتبعا للمخاطبين بهم في مثل حالهم اي انتم ايها المنافقون مثل الذين من قبلكم من بني اسرائيل • ويجوز ان يكون الكاف منصوبا محلا مفعولا لفعل مقدر اي فعلتم بنبيكم مثل الذين فعلوا قبلكم بانبيائهم كانوا اشد منكم قوة اي منعة وعساكرا واكثر اموالا واولادا فلم ينفعهم منفعتهم واموالهم واولادهم من عذاب الله شيئا فكذلك لا ينفعكم جمعكم واموالكم واولادكم فاستمتعوا اي انتفع من تقدمكم بخلاقهم اي بنصيبهم الذي اوتوا في الدنيا من الحظوظ الفانية بدل حظوظ الباقية فاستمتعتم ايضا بخلاقكم اي بنصيبكم الذي اوتيتم في الدنيا من الحظوظ الفانية ورضيتم بها وقطعتم النظر عن العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة كما استمتع اي كاستمتاع الذين من قبلكم من الامم الماضية بخلاقهم اي بنصيبهم من الدنيا استغناء عن نصيب الآخرة وانما ذكر قوله تعالى فاستمتعوا بخلاقهم اولا مع ان هذا التشبيه يغني عنه لانه اراد ان ينبه المخاطبين على خساسة امر الاستمتاع قبل التشبيه لكي يرضوا بالله ويرجعوا عما هم فيه فيؤمنوا وخضتم اي شرعتم في الباطل من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآياته كالذي خاضوا اريد به الجنس فاستعمل في معنى الجمع كقوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون او الذي كالمصدرية وهو نادر اي كخوضهم في الباطل نحو على الذي احسن اي على احسانه اولئك اي اهل هذه الصفة حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة اي بطل حسناتهم بسبب تلك الصفة واولئك هم الخاسرون اي المغبونون في الآخرة لانه ما ربحت تجارتهم [illegible]

هي حسبهم كافيهم جزاء على كفرهم ولعنهم الله ابعدهم الله من رحمته ولهم عذاب مقيم دائم كالذين من قبلكم اي فعلتم كفعل الذين من قبلكم بالعدول عن امر الله فلعنتم كما لعنوا كانوا اشد منكم قوة بطشا ومنعة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم فتمتعوا وانتفعوا بخلاقهم بنصيبهم من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا به عوضا عن الآخرة فاستمتعتم بخلاقكم ايها المنافقون والكافرون وسلكتم سبيلهم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم في الباطل والكذب على الله وتكذيب رسله والاستهزاء بالمؤمنين كالذي خاضوا اي كما خاضوا وقيل كالذي يعني كالذين

معالم

الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم الاستفهام للتقرير والتحذير والنبأ الخبر الذي له شأن قوم نوح اغرقوا بالطوفان
وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم هلك نمرود ببعوض وكذا اصحابه واصحاب مدين
اهلكوا بالرجفة على ما صرح في سورة الاعراف والذين اهلكوا بالنار يوم الظلة هم اصحاب الايكة من قوم شعيب
عليه السلام لم يقل وقوم شعيب لان كثيرا منهم امنوا عليه السلام وبمثل هذا عدل فيما سبق عن قوم هود
وقوم صالح عليهما السلام الى عاد وثمود والمؤتفكات الايتفاك الانقلاب والمراد كل ما اهلك من المكذبين
المتمردين كما يقال انقلبت عليه الدنيا ويدخل فيهم دخولا اوليا قوم نوح عليه السلام ولو اريد بها قوم لوط عليه السلام
خاصة لكان حقها ان يذكر قبل اصحاب مدين اتتهم رسلهم بالبينات الضمير لكل ما تقدم ذكره من الامم
فما كان الله ليظلمهم اي لم يكن من عادته العقوبة بلا جرم ● ولما تبين هذا مما تقدم صدره باداة التفريع
وهو كما يكون باعتبار الوجود يكون باعتبار الظهور ولكن كانوا انفسهم يظلمون بايقاعها فيما يوجب العقوبة
وتقديم المفعول يفيد التخصيص والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ذكر في مقابلة المنافقين و
المنافقات المخلصون والمخلصات ● وفي العبارة المذكورة اشارة الى ان حق الايمان الاخلاص ●

والعوذ ان ذكورهم واناثهم يتوالون على الدين
ويتناصرون ويتعاونون حتى ان
الرجل يخرج الى الجهاد وامرأته تنهى
السابة ويخرج النساء مع الرجال
ايضا فتتداوين الجرحى ويعالجن
المرضى ويصلحن الطعام ويحملن الماء
وغير ذلك من المهمات ● واختيار
كلمة التبعيض ثمه لشدة الارتباط
فيما بينهم وقوة اتفاقهم على الكفر والنفاق
واختيار عبارة الولاية هنا للاشارة
الى ان حق الاخوة الايمانية الموالاة
في المصالح الدينية وان كان بينهم معاداة
في المصالح الدنيوية يامرون بالمعروف
التعريف في الموضعين
للجنس وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة فهم يذكرون
الله تعالى ويؤتون الزكوة فلا يقبضون
ايديهم ● والتعريفان هنا للعهد
ولو حمل على الجنس نظرا الى ان المدح
بالنوافل ابلغ اذ من يقيم النافلة
احرى باقامة الفرض لكان له وجه ●
ويطيعون الله ورسوله في الاوامر والنواهي
اولئك سيرحمهم الله السين مؤكدة للوعد
مهلية لكون النفوس تتشوق برجائه و
فضله تعالى زعيم بالانجاز ان الله عزيز
اي قوي غالب قادر على قهر اعدائه
واعزاز اوليائه حكيم بجميع الوجوه
الاشياء مواضعها فخص النقمة بالمنافقين

ثم ذكر نبأ من قبلهم فقال الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم
نوح وهو بدل من الذين وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين
وهو قوم شعيب والمؤتفكات مدائن قوم لوط وائتفاكهن
انقلاب احوالهن عن الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات فما
كان الله ليظلمهم فما صح منه ان يظلمهم باهلاكهم لانه حكيم فلا يعاقبهم
بغير جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفر وتكذيب الرسل
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض في التناصر والتراحم
يامرون بالمعروف بالطاعة والايمان وينهون عن المنكر عن
الشرك والعصيان ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة و
يطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله السين
مفيدة وجوب الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد
في سانتقم منك يوما ان الله عزيز غالب على كل شيء قادر عليه
فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم واضع كلا الى موضعه
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة
تطيب فيها العيش ● وعن الحسن رحمه الله قصورا من اللؤلؤ و
الياقوت الاحمر والزبرجد في جنات عدن وهو علم بدليل قوله
جنات عدن التي وعد الرحمن وقد عرفت ان الذي والتي
وضعا لوصف المعارف بالجمل وهي مدينة في الجنة ورضوان من الله
اكبر وشيء من رضوان الله اكبر من ذلك لان رضاه سبب كل فوز
وسعادة ذلك اشارة الى ما وعدوا الى الرضوان هو الفوز العظيم
وحده دون ما يعده الناس فوزا انتهى

والكفار والرحمة باعدائهم على حسب استحقاقاتهم فليستعذبوا بكلا الامرين فهو من ثمة وعد المنافقين
على وجه يتضمن وعد المؤمنين وعد الله المؤمنين والمؤمنات ففيه انتقال من التضمين والكناية الى التصريح
اهتماما لامر البشارة جنات اي السكون والقرار فيها تجري من تحتها الانهار لما كان الموعود قرارهم فيها صح
ان يكون قوله خالدين فيها حالا عنه بلا تاويل ومساكن طيبة تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش ٥

في جنات عدن مقام موقف لما روى ابو الدرداء
٥ وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله تعالى التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها
غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء ● وهذا البناء في تعميم الوعد لسائر المؤمنين لان الموعود لهم ما
في حوله من الجنات ● قال ابن مسعود رضي الله عنه عدن هي بطنان الجنة وسرتها ● ولا يجوز ان يراد به معناه
اللغوي وهو الاقامة والخلود لما فيه من التكرار في اعتبار معنى واحد وعدهم اولا بالرحمة المطلقة اجمالا
ثم فصلها وفسرها بما هو ابهى الاماكن التي يعرفونها من جنات تجري من تحتها الانهار ● وذكرها للتعظيم ليميل
اليها طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ● ثم زاد عليه دفع وهم ما يغص به العيش وهو زوال تلك النعمة ثم وصفها ● واما زيادة
بانه محفوف بطيب العيش متراع عن شوائب الكدورات التي لا يخلو عن شيء منها اماكن الدنيا ويكون سكون الجنتين في قبل
قوله في جنات عدن فليرفع وهم ان يكون تلك المساكن خارجة عن الجنات ويكون سكون افرده بالذكر ونونه تعظيما في شانه
الدخول في الجنة ثم وعدهم بما هو اكبر مما تقدم ذكره فقال ورضوان من الله اكبر ● وموجب كل قربة وكرامة
اي وشيء من رضوان الله اكبر من ذلك كله لان رضاه تعالى سبب كل فوز وسعادة وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك
روي ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى
فيقول انا اعطيتكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ● وفيه اخراج ما عدا الرضوان المذكور عن حد
ذلك اشارة الى جميع ما وعدهم ● وقيل الى الرضوان خاصة لتعظيمه هو الفوز العظيم لا ما يعده الناس في الدنيا فوزا لانه يفنى
الفوز العظيم فانه صريح في دخوله في حد الفوز المذكور
ويتغير دونه وينتقص ويتكدر بخلافه انتهى كلامه

الم يأتهم اي المنافقين نبأ الذين من قبلهم اي خبرهم الذي له شان وهو ما فعلوا وما فعل بهم ● والاستفهام للتقرير
والتحذير قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات قريات قوم لوط
ائتفكت بهم اي انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل ● وقيل قريات المكذبين وائتفاكهن
انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات استيناف لبيان نبائهم فما كان الله ليظلمهم الفاء للعطف
على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام اي فكذبوهم فاهلكهم الله فما ظلمهم بذلك ● والمراد ما عليه النظم
الكريم للمبالغة في تنزيه ساحة السبحان عن الظلم ● اي ما صح وما استقام له ان يظلمهم ولكنهم ظلموا انفسهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون للدلالة على استمرار ظلمهم حيث لم يزالوا
والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في قوله عز وجل مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى
تعرضوا للعقاب بالكفر والتكذيب ● وتقديم المفعول لمجرد الاهتمام به وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير
قصر المطلوبية عليهم على راي من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما في قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم
يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض بيان لحسن حال المؤمنين والمؤمنات حالا ومآلا اثر بيان قبح
حال اضدادهم عاجلا وآجلا ● والتعبير عن نسبة هؤلاء بعضهم الى بعض بالولاية وعن نسبة اولئك بمن الاتصالية
للايذان بان نسبة هؤلاء بطريق القرابة الدينية المبنية على المعاقدة المستتبعة للآثار من المعونة والنصرة
وغير ذلك ونسبة اولئك بمقتضى الطبيعة والعادة يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر اي جنس المعروف

والمنكر المنطمين لكل خير وشر ويقيمون الصلوة فلا يزالون يذكرون الله سبحانه فهو في مقابلة ما سبق من قوله تعالى نسوا الله ويؤتون الزكوة بمقابلة قوله تعالى ويقبضون ايديهم ويطيعون الله ورسوله اي في كل امر ونهي وهو بمقابلة وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة اولئك اشارة الى المؤمنين والمؤمنات باعتبار اتصافهم بما سلف من الصفات الفاضلة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الفضل ● اي اولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة سيرحمهم الله اي يفيض عليهم آثار رحمته من التأييد والنصرة البتة ● فان السين مؤكدة للوقوع كما في قولك سانتقم منك ان الله عزيز تعليل للوعد اي قوي قادر على اعزاز اوليائه وقهر اعدائه حكيم يبني احكامه على اساس الحكمة الداعية الى ايصال الحقوق من النعمة والنقمة الى مستحقها من اهل الطاعة واهل المعصية ● وهذا وعد للمؤمنين متضمن لوعيد المنافقين كما ان ما سبق في شأن المنافقين من قوله تعالى فنسيهم وعيد لهم متضمن لوعد المؤمنين فان منع لطفه تعالى عنهم لطف في حق المؤمنين وعد الله المؤمنين والمؤمنات تفصيل لآثار رحمته الاخروية اثر ذكر رحمته الدنيوية ● والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بعلية وصف الايمان لحصول ما تعلق به الوعد وعدم التعرض لذكر ما مر من الامر بالمعروف وغيره ذلك للايذان بانه من لوازمه ومستتبعاته ● اي وعدهم وعدا شاملا لكل احد منهم على اختلاف طبقاتهم في مراتب الفضل جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها فان كل احد منهم فائز بها لا محالة ومساكن طيبة اي وعد كلا وكيفا بعض الخواص الكمل منهم منازل تستطيبها النفوس ● او يطيب فيها العيش ● في الخبر انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن هي ابهى اماكن الجنات واسناها ● عن النبي صلى الله عليه وسلم عدن دار الله لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله سبحانه طوبى لمن دخلك ● وعن ابن عمر رضي الله عنه ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج وله خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد ● وعن ابن مسعود رضي الله عنه هي بطنان الجنة وسرتها قعدته على هذا علم ● وقيل هو بمعناه اللغوي اعني الاقامة والخلود ● فمرجع العطف الى اختلاف الوصف وتغايره ● فكأنه وصفه اولا بانه من جنس ما هو اشرف الاماكن المعروفة عندهم من الجنات ذات الانهار الجارية ليميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ● ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا يكاد يخلو عنها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ● ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم ما هو اعلى من ذلك كله فقال ورضوان من الله اي وشيء يسير من رضوانه تعالى اكبر اذ عليه يدور فوز كل خير وسعادة وبه يناط نيل كل شرف وسيادة ولعل عدم نظمه في سلك الوعد مع عزته في نفسه لانه متحقق في ضمن كل موعود ولانه مستمر في الدارين ● وروي انه تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اشارة الى ما سبق ذكره وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته في العظم والفخامة هو الفوز العظيم دون ما يعده الناس فوزا من حظوظ الدنيا فانها مع قطع النظر عن فنائها وتغيرها وتنغصها وتكدرها ليست بالنسبة الى ادنى شيء من نعيم الآخرة بمثابة جناح البعوض ● قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء ● ونعم ما قال من قال تالله لو كانت الدنيا باجمعها تبقى علينا ويأتي رزقها رغدا ما كان من حق حر ان يذل بها فكيف وهي متاع يضمحل غدا

ابو السعود

الم يأتهم اي الم يصل اهل مكة نبأ الذين من قبلهم اي خبر المتقدمين من الامم الكفرة باخبار القراء لهم عند تكذيبهم الرسل كيف فعلنا بهم من التعذيب والاهلاك قوم نوح بالجر بدل من الذين اي اهلكناهم بالاغراق لتكذيب نوح وعاد اي وقوم عاد بالريح العقيم لتكذيب هود وثمود اي وقوم ثمود بصيحة جبريل لتكذيب صالح وقوم ابراهيم وهم قوم نمرود بن كنعان بالبعوض الذي اضعف الخلق بسبب عتوه وتجبره على الخلق لتكذيب ابراهيم عم واصحاب مدين اي وقوم شعيب بعذاب يوم الظلة لتكذيب شعيب عم والمؤتفكات اي مداين قوم لوط بجعلنا عاليها سافلها وامطرنا الحجارة عليها لتكذيب لوط جمع مؤتفكة اي المكذبة ● وقيل بمعنى المنقلبة اي المتقلبة اتتهم رسلهم بالبينات اي بالحجج الواضحة على صدقهم فكذبوهم ● او بالآيات الظاهرة من الامر والنهي فتركوا طاعة الله واتبعوا اهواءهم فاهلكناهم فما كان الله ليظلمهم اي ليهلكهم بغير ذنب ولكن كانوا انفسهم يظلمون بتكذيب رسله وترك طاعته ● ثم اخبر عن حسن حال المؤمنين في الدنيا والآخرة في حال مقابلة حال المنافقين فقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض اي بسبب او على دينه في الدين والاعانة يأمرون بالمعروف اي بالايمان واتباع محمد صلى الله عليه وسلم في الشريعة وينهون عن المنكر اي بالشرك والمعصية ويقيمون الصلوة اي يتمونها في اوقاتها ويؤتون الزكوة اي يؤدونها على من يستحقها ويطيعون الله ورسوله في الفرائض والسنن اولئك اهل هذه الصفة سيرحمهم الله بالامن من عذاب النار والادخال في الجنة ان الله عزيز بالانتقام ان لم يطعه ورسوله حكيم يحكم بحكمته للمؤمنين بالجنة وللكافرين بالنار فهو واضع كلا في موضعه بحسب الاستحقاقات ثم صرح وعين بذلك اياهم في دار الكرامة لتقرعني نفوسهم الى ما وعد واقرهم بالطاعة والفيض فقال وعد الله المؤمنين والمؤمنات اي من الرجال والنساء جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة اي منازل طاهرة تطيب فيها النفوس ● وهي القصور من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر في جنات عدن علم لدار الله التي لم ترها عين ولم تسمعها اذن ولم يخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون عليهم السلام والصديقون رضي الله عنهم والشهداء رحمهم الله يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ● وقيل علم لنهر جناته على حافاته ورضوان من الله اي من رضاء الله اكبر اي اعظم من ذلك كله ذلك اي الرضوان او ما وعدهم من الثواب والنعيم هو الفوز العظيم اي الظفر الكبير الذي لا ينال الا برضاه الاكبر دون ما يعده الناس فوزا ● ثم امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يستعمل الغلظة على الكفار والمنافقين فامكن منها فقال

يا ايها النبي جاهد الكفار

الاية

يا ايها النبي جاهد الكفار اي المجاهرين منهم بالسيف والمنافقين بالحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تأخذ
بهم رأفة قال عطا نسخت هذه الاية كل شيء من العفو والصفح وماواهم جهنم جملة مستأنفة لبيان آجل امرهم
اثر بيان عاجله • وقيل حالية وبئس المصير تذييل لما قبله والمخصوص بالذم محذوف يحلفون بالله ما قالوا
استيناف لبيان ما صدر عنهم من الجرائم الموجبة لما مر من الامر بالجهاد والغلظة عليهم ودخول جهنم • روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فسمعه
من كان منهم معه صلى الله عليه وسلم فقال الجلاس بن سويد منهم لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين
خلفناهم وهم ساداتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله
ان محمدا لصادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر فحلف بالله ما قال
فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزلت • وايثار
صيغة الاستقبال في يحلفون لاستحضار الصورة • او للدلالة على تكرر الحلف • وصيغة الجمع في قالوا
مع ان القائل هو الجلاس للايذان بان بقيتهم برضاهم بقوله صاروا بمنزلة القائل ولقد قالوا كلمة الكفر هي ما
حكي انفا والجملة مع ما عطف عليها اعتراض وكفروا بعد اسلامهم اي واظهروا ما في قلوبهم من الكفر بعد اظهار
الاسلام وهموا بما لم ينالوا هو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه توافق خمسة عشر منهم على
ان يدفعوه عن راحلته اذا تسنم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر اخذا بخطام
راحلته يقودها وحذيفة بن اليمان خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل
وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم
المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس • وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي سلول
وان لم يرض به رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا وما انكروا وما عابوا او وجدوا ما يورث نقمتهم
الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله سبحانه وتعالى وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة في غاية ما يكون من ضنك العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل
للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى • والاستثناء
مفرغ من اعم المفاعيل او من اعم العلل اي وما انكروا شيئا من الاشياء الا اغناء الله تعالى اياهم او
ما انكروا ما انكروا لعلة من العلل الا لاغناء الله اياهم فان يتوبوا عما هم عليه من الكفر والنفاق
يك خيرا لهم في الدارين قيل لما تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي
التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وان يتولوا اي استمروا على ما كانوا
عليه من التولي والاعراض عن الدين او اعرضوا عن التوبة بعد هذا العرض يعذبهم الله عذابا اليما
في الدنيا بالقتل والاسر والنهب وغير ذلك من فنون العقوبات والاخرة بالنار وغيرها من افانين
العقاب وما لهم في الارض مع سعتها وتباعد اقطارها وكثرة اهلها المصححة لوجدان ما نفي بقوله
عز وجل من ولي ولا نصير ينقذهم من العذاب بالشفاعة او المدافعة

ابو السعود

يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واقامة الحدود عليهم واغلظ عليهم اي شدد على الفريقين جميعا
في المنطق ولا تحابهم وماواهم اي منزلهم ومقرهم جهنم وبئس المصير اي المرجع الذي صاروا اليه في العاقبة
ثم بين للنبي صلى الله عليه وسلم سوء معاملتهم وخبث نياتهم بقوله يحلفون بالله ما قالوا اي لم يقولوا كلمة الكفر
نزل حين خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ذات يوم فذكر المنافقين وسماهم رجسا
فقال الجلاس لئن كان محمد صادقا فيما يقول لنحن شر من الحمير فسمع عامر بن قيس فقال اجل والله ان
محمدا الصادق وانتم شر من الحمير فاخبر بذلك رسول الله فقال الجلاس لقد كذب عامر علي وحلف انه
ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على نبيك تصديقا للصادق وتكذيبا للكاذب فقال النبي
صلى الله عليه وسلم والمسلمون امين فنزل جبريل قبل ان يتفرقوا وقال يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا

ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم اي اظهروا الكفر بعد اظهارهم الاسلام وهموا بما لم ينالوا اي وقصدوا بما
لم يصلوا ان يفعلوه وهو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة عند رجوعه من تبوك فانه توافق خمسة عشر رجلا
من المنافقين ان يقتلوه في مضيق من جبل وقد اخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها
فبيناهم كذلك اذا سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون بعمائمهم فقال
اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا فدفعهم الله بذلك عنه تعالى وما نقموا اي ما عابوا وما طعنوا على محمد والمؤمنين
الا ان اغناهم الله اي الا بسبب ان وسع الله ورسوله عليهم من فضله اي من رزقه وكان اهل المدينة في شدة
وضيق من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة استغنوا فقال تعالى
فان يتوبوا من نفاقهم يك خيرا لهم من الاقامة عليه • قيل لما نزلت هذه الاية تاب الجلاس وحسنت توبته
وقتل مولى له خطأ فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الفا فاستغنى بذلك وان يتولوا اي ابوا
عن التوبة يعذبهم عذابا اليما في الدنيا بالقتل واظهار شرهم والاخرة بالنار وما لهم في الارض من ولي اي
قريب ينفعهم ولا نصير اي مانع يمنعهم من العذاب من العيون واختلفوا في صفة جهاد المنافقين قال ابن مسعود رض
يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والقتال والمنافقين واغلظ عليهم اي عبوس • وقال ابن عباس رض
بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه • وقال لا تلق المنافق الا بوجه مكفهر
باللسان وترك الرفق • وقيل بتغليظ الكلام • وقيل باقامة الحدود عليهم وماواهم في الاخرة جهنم قال عطاء نسخت هذه الاية
كل شيء من العفو والصفح يحلفون بالله ما قالوا الاية قال ابن عباس رض كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل حجرة فقال
انه سيأتيكم انسان فينظر اليكم بعيني الشيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبثوا ان طلع رجل ازرق فدعاه رسول الله صلى الله

يا ايها النبي جاهد الكفار المجاهرين بالقتل والسبي والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود • وتقديم الكفار لان جهادهم اهم وانهم
يكونه باللسان اولا وبالسنان ثانيا • وجهاد المنافقين باللسان فقط واغلظ عليهم في الجهادين • قال عطاء نسخت هذه الآية
كل شيء من العفو والصفح وماويهم جهنم عطفه بالواو دلالة على ان المذكور بعض ما اعد لهم فانه بعضه ثم عطف
عليه ما ذكر • ولا يخفى ما فيه من التهويل وبئس المصير هو يحلفون بالله ما قالوا روي انه اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا
حقا لنحن اشر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته
ولقد قالوا كلمة الكفر هي كل لفظة ترجع الى الطعن في الدين • او في الرسول صلى الله عليه وسلم وكفروا بعد اسلامهم اي اظهروا
الكفر بعد ما اظهروا الاسلام وهموا بما لم ينالوا وهو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند مرجعه من تبوك وما نقموا
وما انكروا او ما وجدوا ما يورث نقمتهم الا
الفتك

يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في
المجادلين جميعا ولا تحابهم • وكل من وقف منه على فساد في العقيدة
فهذا الحكم ثابت فيه • يجاهد بالحجة ويستعمل معه الغلظة ما امكن
منها وماويهم جهنم وبئس المصير جهنم • اقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب
المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم الجلاس بن سويد
فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين
خلفناهم وهم سادتنا لنحن شر من الحمير • فقال عامر بن قيس
الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا صادق وانت شر من الحمار
وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر فحلف بالله ما قال
فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق
الصادق وتكذيب الكاذب فنزل يحلفون بالله ما قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر يعني ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر
من الحمير • او هي استهزاؤهم فقال الجلاس يا رسول الله والله
لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته و
كفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهارهم الاسلام •
وفيه دلالة على ان الايمان والاسلام واحد لانه قال وكفروا
بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا من قتل محمد صلى الله عليه وسلم
او قتل عامر لرده على الجلاس • وقيل ارادوا ان يتوجوا
ابن ابي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا و
ما انكروا وما عابوا اي المنافقون الا ان اغناهم الله ورسوله
من فضله وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش
لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بديته اثني عشر الفا فاستغنى فان يتوبوا عن النفاق يك التوب خيرا لهم
وان يتولوا يصروا على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة بالقتل والنار وما لهم في الارض من
ولي ولا نصير ينجيهم من العذاب انتهى المدارك

اي وما انقموا الا ما حقه ان يشكر وذلك
انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة في ضنك من العيش لا يركبون
الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم
ورسوله من فضله الضمير لله تعالى وتوسيط
ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم لان التوسط
في وصول الفضل المذكور منه تعالى
فان يتوبوا يك خيرا لهم الضمير في يك
للتوب وهذا افساح منه تعالى ورفق بهم
حيث فتح لهم باب التوبة بعد ارتكاب
تلك الجرائم العظيمة وهذا هو الذي حمل
الجلاس على التوبة وان يتولوا بالاصرار على
النفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا
بالقتل وفي الآخرة بالنار وما لهم في الارض
من ولي ولا نصير ينجيهم من العذاب باللطف
او بالعنف • وانما افرد الارض بالذكر تخصيصا
لما هو المحتمل بالنفي وهذا ابلغ من ذكر السماء
معها والتصريح بنفي الولي والنصير فيه ايضا

الا ان اغناهم الله استثناء مفرغ من اعم
المفاعيل او العلل وعلى الاخير يكون الكلام
على طريقة قول النابغة • ولا عيب فيهم غير
ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

اي كان
من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو ان خمسة عشر من المنافقين تواثقوا
عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته
الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار

حاباه نفعه ومال اليه
حاباه في البيع
محاباة
وهي من الحباء
العطاء

ان يتصدوا

او في ذكره ولا ياخذ
لبيان اجل امرهم
الله ما قالوا
روي
تخلف فسمعه
اخواننا الذين
اجل والله
الله ما قال
الايمان
وقالوا
ما اظهار
على
الابل

وسلم فقال علام يشتمني انت واصحابك فانطلق الرجل فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما قالوا فانزل الله تعالى هذه
الآية • وقال الكلبي نزلت في جلاس بن سويد الكاتب الى قوله وانت شر من الحمير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المدينة اتاه عامر بن قيس فاخبره بما قاله الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله علي فامرهما رسول الله ان يحلفا عند المنبر
بعد العصر فحلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب عامر ثم قام عامر فحلف بالله الذي لا اله الا هو لقد قاله
وما كذبت عليه ثم رفع يديه الى السماء فقال اللهم انزل على نبيك الصادق منا الصدق فقال صلى الله عليه وسلم
والمؤمنون آمين فنزل جبرئيل قبل ان يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ فان يتوبوا يك خيرا لهم فقام الجلاس وقال
صدق عامر وقد قلته وانا استغفر الله واتوب اليه فتاب وحسنت توبته من المعالم

ومنهم اي ومن المنافقين من عاهد الله لئن آتانا من فضله قال الضحاك هم نبتل بن الحرث وجد بن قيس ومعتب بن قشير وثعلبة بن حاطب وفيهم نزلت الاية • روي انه قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرأاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال صلى الله عليه وسلم ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر رض فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر رض فلم يقبلها ثم جاء الى عثمان رض فلم يقبلها فهلك في زمن خلافة عثمان رض

ومنهم من عاهد الله روي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه فقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما تنمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال ما هذه الا جزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت في ثعلبة فجاء بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على نفسه فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان رضي الله عنه لئن آتانا من فضله اي المال لنصدقن لنخرجن الصدقة والاصل لنتصدقن ولكن التاء ادغمت في الصاد لقربها منها ولنكونن من الصالحين باخراج الصدقة فلما آتاهم من فضله اعطاهم الله تعالى المال ونالوا مناهم بخلوا به منعوا حق الله تعالى ولم يفوا بالعهد وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون مصرون على الاعراض فاعقبهم نفاقا في قلوبهم فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه الى يوم يلقونه اي جزاء فعلهم فهو يوم القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق

انتهى المدارك

ولنكونن من الصالحين قال ابن عباس رض يريد الحج ليلائم المعطوف عليه اعني لنصدقن اشارة الى الزكوة فيحسن ترتيبها على ايتاء المال المشار اليه بقوله لئن آتانا من فضله ومن ههنا قالوا الصلاح في المال بعد الصدقة النفقة في الحج والغزو فلما آتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق الله تعالى منه وتولوا عن طاعة الله تعالى وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم اي فعلهم ذلك من البخل والتولي نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان السبب فيه والظاهر انه الضمير لله تعالى اي فجعل عاقبة فعلهم ذلك نفاقا ثابتا في قلوبهم الى يوم يلقونه دل على موتهم على النفاق ولذلك لم يقبل الخلفاء زكوة ثعلبة والضمير لله تعالى ويوم لقائه وقت الجزاء والابتداء من وقت الموت او لفعلهم والاعمال تجسم وتحصل الملاقاة حقيقة على ما ورد في الاحاديث الصحيحة وانما لم يقل الى ان يموتوا تنبيها على انه يوم الجزاء ابتداؤه من وقت الموت ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوا الله تعالى من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب بجوز استعارة اسمه له فيه وعيد بالعذاب وتهديد بالعقاب ثم عقبه تاكيدا للوعيد بقوله الم يعلموا الاية الى آخره

ومنهم بيان لقبائح بعض آخر منهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن لنؤتين الزكوة وغيرها من الصدقات ولنكونن من الصالحين قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الحج • وقرئ بالنون الخفيفة فيهما • نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة قليل تؤدي حقه خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق نبيا لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرأاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي وذلك قوله تعالى فلما آتاهم من فضله بخلوا به اي منعوا حق الله تعالى منه وتولوا اي اعرضوا عن طاعة الله تعالى فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين نزلت فجاءه ثعلبة بالصدقة فقال صلى الله عليه وسلم ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في خلافة عثمان رضي الله عنه • وقيل نزلت فيه وفي سهل بن الحرث وجد بن قيس ومعتب بن قشير والاول هو الاشهر وهم معرضون جملة معترضة اي وهم قوم عادتهم الاعراض • او حالية اي تولوا باجرامهم وهم معرضون بقلوبهم فاعقبهم اي جعل الله تعالى عاقبة فعلهم ذلك نفاقا راسخا في قلوبهم الى يوم يلقونه الى يوم موتهم الذي يلقون الله تعالى عنده • او يلقون فيه جزاء عملهم وهو يوم القيمة • وقيل فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم ولا يلايمه قوله عز وجل بما اخلفوا الله ما وعدوه اي بسبب اخلافهم ما وعدوه تعالى من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون اي وبكونهم مستمرين على الكذب في جميع المقالات التي من جملتها وعدهم المذكور • وتخصيص الكذب به يؤدي الى تخلية الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل عن المزية فان سببية الاعقاب المذكور بالاخلاف والكذب يقضي باسناده الى الله عز وجل اذ لا معنى لكونهما سببين لاعقاب البخل النفاق • والتحقيق انه لما كانت الفاء الدالة على الترتيب والتفريع منبئة عن ترتب اعقاب النفاق المخلد على افعالهم الحكية عنهم من المعاهدة بالتصدق والصلاح والبخل والتولي والاعراض وفيها ما لا دخل له في الترتيب المذكور كالمعاهدة ازيح ما في ذلك من الابهام بتعيين ما هو المدار في ذلك والله تعالى اعلم • وقرئ بتشديد الذال الم يعلموا الخ ابو السعود

ومنهم من عاهد الله نزل في شأن حاطب بن ابي بلتعة وكان له مال كثير بالشام فحلف بالله لئن آتانا اي اعطانا من فضله المال الذي بالشام لنصدقن اي لنؤدين حق الله ولنكونن من الصالحين اي ولنعملن عمل اهل الصلاح به فلما آتاهم من فضله بخلوا به اي منعوا حق الله منه وتولوا اي اعرضوا عما عاهدوا وهم معرضون عن الوفاء بما قالوا فاعقبهم اي اورثهم البخل او جعل الله البخل في عاقبتهم نفاقا ثابتا في قلوبهم فلا يؤمنون الى يوم يلقونه وهو يوم القيمة بما اخلفوا الله اي بخلفهم ما وعدوه وبما كانوا يكذبون في حلفهم بانهم يتصدقون • قال صلى الله عليه وسلم آية المنافق ثلثة اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان • وفي رواية واذا عاهد غدر • وقد ذكر الثلثة في هذه الاية • وقيل نزلت الاية في شأن ثعلبة بن حاطب حين جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله لي ان يرزقني مالا فقال صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه • ثم قال يا رسول الله ادع لي ان يرزقني مالا فوالله ولئن آتاني مالا لاؤدين كل ذي حق حقه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما تنمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة اي يا هلاكه له فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين اي لاخذ الصدقات فقال ما هذه الا جزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي فلما رجعا الى المدينة قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت الاية فجاء ثعلبة بالصدقة فقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى منعني ان اقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهكذا في خلافة عثمان رضي الله عنه

من العيون

والذين لا يجدون الا جهدهم عطف على المطوعين اى ويلمزون الذين لا يجدون الا طاقتهم • وقرئ بفتح
الجيم وهو مصدر جهد فى الامر اذا بالغ فيه • وقيل هو بالضم الطاقة وبالفتح المشقة فيسخرون منهم عطف
على يلمزون اى يهزؤن بهم والمراد بهم الفريق الاخير سخر الله منهم اخبار بمجازاته تعالى اياهم على ما فعلوا
من السخرية والتعبير عنها بذلك للمشاكلة ولهم اى ثابت لهم عذاب اليم التنوين للتهويل والتفخيم • و
الم يعلموا استفهام لتقرير عناد المنافقين يتعلق بقوله لئن آتانا من ايراد الجملة الاسمية للدلالة على
فضله اى الم يعرفوا ان الله يعلم سرهم وهو ما اسروا من النفاق والعزم على الخلاف الاستمرار ابو السعود
ما وعدوه ونجويهم وهو ما يتناجون به فيما بينهم من الطاعن فى الدين والفتك بالنبى صلى الله عليه وسلم
حين هموا به على العقبة وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها عن مستحقها وان الله علام الغيوب
يعلم سر كل شئ وما يضمرونه فى قلوبهم قوله الذين يلمزون جاز ان ينتصب ويرفع على الذم اى هم
الذين يعيبون المطوعين اى المتبرعين من المؤمنين فى الصدقات يتعلق بيلمزون والمراد
عبد الله بن عوف جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم باربعة الاف درهم صدقة حين حث
الناس على التصدق عند الخروج الى غزوة تبوك والذين اى ويعيبون الذين لا يجدون
الا جهدهم اى قدرتهم الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة قيل جاء ابن قيس بصاع من
تمر وجاء عاصم بن عدى بسبعين وسقا من تمر فجاء كل واحد منهم بقدر طاقته وكان
نفر من المنافقين جلوسا فيسخرون منهم اى من المؤمنين قوله سخر الله منهم خبر غير دعاء اى جازاهم
بجزاء سخريتهم ولهم عذاب اليم اى مؤلم لا ينقطع لعدم رجوعهم من سوء فعلهم من العيوب

ما اسروه من النفاق والعزم على
الم يعلموا اى المنافقين وقرئ بالتاء الفوقانية على الالتفات ان الله يعلم سرهم ونجويهم
الخلاف فى الوعد وما يتناجون به فيما بينهم من الطاعن فى الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها وان الله علام الغيوب
فلا يخفى عليه شئ من ذلك الذين يلمزون محله النصب او الرفع على المدح او الجر على البدل من الضمير فى سرهم ونجويهم • والكلام قد تم
نفسير فى هذا الوقت المطوعين المتطوعين من المؤمنين فى الصدقات روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة
فجاء عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه باربعة الاف درهم وامسك مثلها فبارك له الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اعطاه و
فيما امسكه • وتصدق عاصم بن عدى بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصارى بصاع تمر فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وما تصدق ابو عقيل الا ليذكر مع
الاكابر او ليذكر بنفسه ليعطى من الصدقات والله غنى عن صاعه فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم وقرئ بالفتح
وهو مصدر جهد فى الامر اذا بالغ فيه و
حمل على نفسه المشقة فيه • وقيل بالضم

الم يعلموا يعنى المنافقين ان الله يعلم سرهم ما اسروه من النفاق
بالعزم على الخلاف ما وعدوه ونجويهم وما يتناجون به فيما بينهم
من الطاعن فى الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها
وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه شئ الذين محله النصب او
الرفع على الذم والجر على البدل من الضمير فى سرهم ونجويهم
يلمزون المطوعين يعيبون المتبرعين من المؤمنين فى
الصدقات يتعلق بيلمزون روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم
وقال كان لى ثمانية الاف فاقرضت ربى اربعة وامسكت اربعة
لعيالى فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما
امسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن
على ثمانين الفا وتصدق عاصم بمائة وسق من تمر والذين
عطف على المطوعين لا يجدون الا جهدهم طاقتهم وعن نافع
جهدهم وهما واحد • وقيل الجهد الطاقة والجهد المشقة •
وجاء ابو عقيل بصاع من تمر فقال بت ليلتى اجر بالجرير
على صاعين فتركت صاعا لعيالى وجئت بصاع فلمزهم
المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء • واما
صاع ابى عقيل فالله غنى عنه فيسخرون منهم فيستهزؤن
سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم وهو خبر غير دعاء ولهم عذاب اليم

الطاقة وبالفتح المشقة فيسخرون منهم
اى يهزؤن بهم سخر الله منهم قدم بيانه
وتغيير الله يستهزئ بهم من سورة البقرة
ولهم عذاب اليم تنكير العذاب للتعظيم و
معلوم ان العذاب لا يخلو عن الم فالتوصيف
انما يفيد اذا قصد به المبالغة وتقدير الجار
والجرور لمحافظة الفاصلة
الم يعلموا اى المنافقون او من عاهد الله تعالى
وقرئ بالتاء الفوقانية خطابا للمؤمنين
فالهمزة على الاول للانكار والتوبيخ والتهديد
اى الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم اى
ما اسروا به فى انفسهم وما تناجوا به فيما بينهم
من المطاعن وتسمية الصدقة جزية وغير ذلك
مما لا خير فيه • وسر تقديم السر على النجوى
سيظهر فى قوله سبحانه وسنردون الى عالم
الغيب والشهادة وان الله علام الغيوب
فلا يخفى عليه شئ من الاشياء حتى اجترؤا
على ما اجترؤا عليه من العظائم • واظهار
اسم الجلالة فى الموقعين لالقاء الروعة و
تربية المهابة • وفى ايراد العلم المتعلق
بسرهم ونجواهم بصيغة الفعل الدال على
الحدوث والتجدد والعلم المتعلق بالغيوب
الكثيرة الدائمة بصيغة الاسم الدال على
الدوام والمبالغة من الفخامة والجزالة ما لا يخفى وعلى الثانى لتقرير علم المؤمنين بذلك وتنبيههم على انه تعالى مؤاخذهم
ونجازيهم بما علم من اعمالهم الذين يلمزون نصب او رفع على الذم ويجوز جره على البدلية من الضمير فى سرهم ونجواهم • وقرئ
بضم الميم وهى لغة اى يعيبون المطوعين حال من المطوعين وقوله تعالى فى الصدقات
متعلق بيلمزون • روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث الناس على الصدقة فاتى عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقية
من ذهب وقيل باربعة الاف درهم وقال كان لى ثمانية الاف فاقرضت ربى اربعة وامسكت لعيالى اربعة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضر رابعة نسائه عن ربع الثمن
على ثمانين الفا • وتصدق عاصم بن عدى بمائة وسق من تمر • وجاء ابو عقيل الانصارى بصاع من تمر فقال بت ليلى
اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالى وجئت بصاع فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات
فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع
ابى عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا
اى استقى الماء بالحبل
على اجرة صاعين

استغفر لهم او لا تستغفر لهم اراد الخبر عن تسوية الاستغفار وتركه في امتناع الغفران كما نص عليه في قوله فلن يغفر الله لهم • وفائدة الامر به وبتركه ان يمتحن فيعلم تيقينا انه لا يتفاوت في الحالين عدم الغفران ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي انه سأل عبد الله بن عبد الله بن ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا مخلصا ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه صلى الله عليه وسلم فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير كما شاع استعمال السبعة على جملة ما هو الاصول من كسور العدد فكأنها العدد باسره ذلك اشارة الى امتناع الغفران وعدم تأثير الاستغفار في حقهم بانهم كفروا بالله ورسوله يعني ان ذلك لعدم قبولهم له بسبب كفرهم وتمردهم في الفسق والعصيان لا لمنع ولا لتقصير

والله لا يهدي قد مر انه من قبيل تذييل ولما سأل عبد الله بن عبد الله بن ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لابيه في مرضه نزل استغفر لهم او لا تستغفر لهم قد مر ان هذا الامر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير وليس على التحديد والغاية اذ لو استغفر لهم مدة حيوته لن يغفر لهم لانهم كفار والله سبحانه وتعالى لا يغفر من كفر به • والمعنى وان بالغت في الاستغفار فلن يغفر الله لهم • وقد وردت الاخبار بذكر السبعين وكلها يدل على الكثرة لا على التحديد والغاية • ووجه تخصيص السبعين من بين سائر الاعداد ان العدد قليل وكثير فالقليل ما دون الثلث والكثير الثلث فما فوقه وادنى الكثير الثلثة وليس لاقصاه غاية • والعدد ايضا نوعان شفع ووتر واول الاشفاع اثنان واول الاوتار ثلثة والواحد ليس بعدد • والسبعة اول الجمع الكثير من النوعين لان فيها اوتارا ثلثة واشفاعا ثلثة والعشرة كمال الحساب لان ما جاوز العشرة فهو اضافة للآحاد الى العشرة كقولك اثنا عشر وثلثة عشر الى عشرين والعشرون تكرير العشرة مرتين والثلثون تكريرها ثلث مرات وكذلك الى مائة والسبعون يجمع الكثير والنوع والكثرة منه من العدد وكمال الحساب والكثرة منه فصار السبعون ادنى الكثير من العدد من كل وجه ولا غاية لاقصاه فجاز ان يكون تخصيص السبعين لهذا المعنى والله اعلم ذلك اشارة الى اليأس من المغفرة بانهم كفروا بالله ورسوله ولا غفران للكافر والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الايمان ما داموا مختارين للكفر والطغيان

انتهى

وهذا كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقطع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول صلى الله عليه وسلم في استغفاره وهو عدم يأسه صلى الله عليه وسلم عن ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم • ابن الكمال •

استغفر لهم او لا تستغفر لهم اخبار باستواء الامرين الاستغفار لهم وتركه في استحالة المغفرة • وتصويره بصورة الامر للمبالغة في بيان استوائهما كانه صلى الله عليه وسلم امر بامتحان الحال بان يستغفر تارة ويتركه اخرى ليظهر له جلية الامر كما مر في قوله عز وجل قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم بيان لاستحالة المغفرة بعد المبالغة في الاستغفار اثر بيان الاستواء بينه وبين عدمه • روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم محافظة على ما هو الاصل من مراتب الاعداد حدود معينة يخالف حكم كل منها حكم ما فوقها ان الله قد رخص لي فسأزيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم • وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة في مطلق التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكأنها العدد باسره • وقيل هي اكمل الاعداد لجمعها معانيها • ولان الستة عدد تام لتعادل اجزائها الصحيحة اذ نصفها ثلثة وثلثها اثنان وسدسها واحد وجملتها ستة • وهي مع الواحد سبعة فكانت كاملة •

او لا مرتبة بعد التمام الا الكمال • ثم السبعون غاية الكمال اذ الآحاد غايتها العشرات والسبعمائة غاية الغايات

ذلك اشارة الى امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار اي ذلك الامتناع ليس لعدم الاعتداد بالاستغفار بل بانهم اي بسبب انهم كفروا بالله ورسوله كفرا متجاوزا عن الحد كما يلوح به وصفهم بالفسق في قوله عز وعلا والله لا يهدي القوم الفاسقين فان الفسق في كل شيء عبارة عن التمرد والتجاوز عن حدوده اي لا يهديهم هداية موصلة الى المقصد البتة لمخالفة ذلك للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع واما الهداية بمعنى الدلالة على ما يوصل اليه فهي متحققة لا محالة ولكنهم بسوء اختيارهم لم يقبلوها فوقعوا فيما وقعوا • وهو تذييل مؤكد لما قبله من الحكم فان مغفرة الكافر انما هي بالاقلاع عن الكفر والاقبال الى الحق والمنهمك فيه المطبوع عليه بمعزل من ذلك • وفيه تنبيه على عذر النبي صلى الله عليه وسلم في استغفاره لهم وهو عدم يأسه عن ايمانهم حيث لم يعلم انهم مطبوعون على الغي والضلال اذ الممنوع هو الاستغفار لهم بعد تبين حالهم كما يتلى من قوله عز وجل ما كان للنبي والذين آمنوا الآية • ابو السعود افندي •

استغفر لهم او لا تستغفر لهم نزل حين جاء نفر منهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله استغفر لنا فقال الله تعالى لنفي الغفران عنهم • وفيهما معنى الشرط واو بينهما لافادة التسوية كانه قيل لا يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم • استغفر لهم هو امر في معنى الخبر وكذا لا تستغفر لهم نهي في معنى الخبر • او للتسوية يعني ان شئت استغفر لهم وان شئت لا تستغفر لهم اي للمنافقين ان تستغفر لهم سبعين مرة نصب سبعين على انه مصدر اذ العدد بعد ذكر الفعل يقع موقع المصدر نحو ضربته عشرين ضربة وانما ذكر هذا العدد حسما لطمعهم عن المغفرة على عادة العرب لانه مثل لغاية الكثرة عندهم يعني بالغت في الاستغفار فلن يغفر الله لهم ذلك اي عدم غفرانه لهم بانهم بسبب انهم كفروا بالله ورسوله في السر الذي هو نقيض الايمان والله لا يهدي القوم الفاسقين اي الذين يضمرون الكفر في قلوبهم بدل الايمان • من العيون •

واعلم ان اخراج المال لطلب مرضاة الله تعالى قد يكون واجبا كما في الزكوات وسائر الانفاقات الواجبة • وقد يكون نافلة وهو المراد من هذه الآية • ثم الآتي بالصدقة النافلة قد يكون غنيا فيأتي بالكثير كعبد الرحمن بن عوف وعثمان رضي الله عنه • وقد يكون فقيرا فيأتي بالقليل وهو جهد المقل ولا تفاوت بين البابين في استحقاق الثواب لان المقصود من الاعمال الظاهرة كيفية النية واعتبار حال الداعي والصوارف وقد يكون القليل الذي يأتي به الفقير اكثر موقعا عند الله من الكثير الذي يأتي به الغني • ثم ان الجهال من المنافقين ما كان يتجاوز نظرهم عن ظاهر الامور فعيروا ذلك الفقير الذي جاء بالصدقة القليلة وذلك التعيير يحتمل وجوها • احدها ان يقولوا انه فقير يحتاج اليه فكيف يتصدق به الا ان هذا من موجبات الفضيلة كما قال تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة • وثانيها ان يقولوا اي اثر لهذا القليل وهذا جهل لان الرجل لما لم يقدر على الكثير فاذا جاء بالقليل فقد بذل كل ما قدر عليه وهو اعظم موقعا عند الله تعالى من غيره لانه قطع تعلق قلبه عما كان في يده من الدنيا واكتفى بالتوكل الى المولى العلي الاعلى • وثالثها ان يقولوا هذا الفقير انما جاء بهذا القليل ليضم نفسه الى الاكابر من الناس في هذا المنصب وهذا ايضا جهل لان سعي الانسان في ان يضم نفسه الى اهل الخير والدين خير له من ان يسعى في ان يضم نفسه الى اهل الكسل والبطالة • كذا في تفسير الكبير •

وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله إيثاراً للدعة والخفض على طاعة الله تعالى فقط بل
مع ما في قلوبهم من الكفر والنفاق فإن إيثار أحد الأمرين قد يتحقق بأدنى رجحان منه من غير أن
يبلغ الآخر مرتبة الكراهة • وإنما أوثر ما عليه النظم الكريم على أن يقال وكرهوا أن يخرجوا إلى الغزو إيذاناً
بأن الجهاد في سبيل الله مع كونه من أجل الرغائب وأشرف المطالب التي يجب أن يتنافس فيها المتنافسون
قد كرهوه كما فرحوا بأقبح القبائح الذي هو القعود خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا أي لإخوانهم
تثبيتاً لهم على التخلف والقعود وتواصياً فيما بينهم بالشر والفساد • أو للمؤمنين تثبيطاً لهم عن الجهاد ونهياً
عن المعروف وإظهاراً لبعض العلل الداعية لهم إلى ما فرحوا به من القعود • فقد جمعوا تلك الخلال من
خصال الكفر والضلال • الفرح بالقعود وكراهية الجهاد ونهي الغير عن ذلك لا تنفروا في الحر فإنه لا تستطاع
شدته قل رداً عليهم وتجهيلاً لهم نار جهنم التي ستدخلونها بما فعلتم أشد حراً مما تحذرونه من الحر المعهود
وتحذرونه الناس منه فما لكم لا تحذرونها وتعرضون أنفسكم لها بإيثار القعود على النفير لو كانوا يفقهون
اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى غير داخل تحت القول المأمور به مؤكد لمضمونه • وجواب
لو إما مقدر أي لو كانوا يفقهون أنها كذلك أو كيف هي • أو أن مآلهم إليها لما فعلوا ما فعلوا • أو لتأثروا
بهذا الإلزام • وإما غير منوي على أن لو لمجرد التمني المنبئ عن امتناع تحقق مدخولها أي لو كانوا من
أهل الفطانة والفقه كما في قوله تعالى قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر
عن قوم لا يؤمنون
فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً إخبار عن عاجل أمرهم وآجله من الضحك القليل
والبكاء الطويل المؤدي إليهم أعمالهم السيئة التي من جملتها ما ذكر من الفرح • والفاء لسببية ما سبق للإخبار
بما ذكر من الضحك والبكاء لا لنفسهما إذ لا يتصور السببية في الأول أصلاً • وقليلاً وكثيراً منصوبان
على المصدرية • أو الظرفية أي ضحكاً قليلاً وبكاء كثيراً • أو زماناً قليلاً وزماناً كثيراً • وإخراجه في صورة الأمر
للدلالة على تحتم وقوع المخبر به فإن أمر الآمر المطاع مما لا يكاد يتخلف عنه المأمور به خلا أن المقصود
إفادته في الأول هو وصف القلة فقط وفي الثاني وصف الكثرة مع الموصوف • يروى أن
أهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم • ويجوز أن يكون الضحك
كناية عن الفرح والبكاء عن الغم • وأن تكون القلة عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام جزاء بما كانوا
يكسبون من فنون المعاصي • والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي
ما داموا في الدنيا • وجزاء مفعول له للفعل الثاني أي ليبكوا جزاء • أو مصدر حذف ناصبه
أي يجزون بما ذكر من البكاء الكثير جزاء بما كسبوا من المعاصي المذكورة فإن رجعك الله الفاء لتفريع الأمر
الآتي على ما بين من أمرهم والفعل من الرجع المتعدي دون الرجوع اللازم أي فإن ردك الله تعالى
إلى طائفة منهم أي إلى المنافقين من المتخلفين في المدينة فإن تخلف بعضهم إنما كان لعذر عائق
مع الإسلام • أو إلى من بقي من المنافقين المتخلفين بأن ذهب بعضهم بالموت • أو بالغيبة عن
البلد • أو بأن لم يستأذن البعض • عن قتادة أنهم كانوا اثني عشر رجلاً • قيل فيهم ما قيل فاستأذنوك
للخروج معك إلى غزوة أخرى بعد غزوتك هذه فقل إخراجاً لهم عن ديوان الغزاة وإبعاداً لمحلهم من
محفل صحبتك لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً من الأعداء وهو إخبار في معنى النهي للمبالغة
وقد وقع كذلك إنكم رضيتم بالقعود تعليل لما سلف أي لأنكم رضيتم بالقعود أي عن الغزو وفرحتم بذلك أول مرة هي غزوة
تبوك فاقعدوا الفاء لتفريع الأمر بالقعود بطريق العقوبة على ما صدر عنهم من الرضى بالقعود
أي إذ رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا من بعد مع الخالفين أي المتخلفين الذين ديدنهم القعود
والتخلف دائماً • وقرئ الخلفين على القصر فكأن محو أساميهم عن دفتر المجاهدين ولزهم في قرن الخالفين
عقوبة لهم أي عقوبة • وتذكير اسم التفضيل المضاف إلى المؤنث هو الأكثر الدائر على الألسنة فإنك
لا تكاد تسمع قائلاً يقول هي كبرى امرأة أو أولى مرة أبو السعود أفندي
فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً الفاء للتسبب • والضحك حال تفتح وانبساط يظهر في وجه الإنسان عن تعجب
مع فرح والبكاء حال النظر في الوجد عن غم مع جري الدموع على الخد • والأمر في الموضعين للتكوين • ومجيئه
على صيغة المضارع لأن كون تلك الحال في الاستقبال • وقيل إخبار عما يؤول إليه حالهم في الدنيا
والآخرة • أخرجه على صيغة الأمر للدلالة على أنه حتم واجب ومبناه على أن يكون الإخراج المذكور أقوى

أقوى من إبقاء الإخبار على صيغته • ولا يخفى ضعفه كيف وما عليه الجمهور وهو
المشهور أن إخراج الأمر على صيغة الإخبار أقوى من إبقائه على حاله • ويجوز أن
يكون المراد من الضحك والبكاء فرط السرور والغم ومن القلة العدم ومن الكثرة الأبد
جزاء بما كانوا يكسبون من أنواع المعاصي ويندرج فيه معصيتهم السابقة ذكره اندراجاً
أولياً ففيه تقدير وتعيين لما دل عليه الفاء السببية • والكسب اجتلاب الحظ
بما هو أحسن الأسباب فلا ينتظم ترك الواجب • والمعهود أنما يعتبر إذا لم يعارض
منطوق فانتقض آخر • والجمع بين كان وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي
واعتبارها يناسب الإخبار عن الجزاء الدائم فإن رجعك الله إلى طائفة الفاء
للتفريع على ما تقدم • ورجع متعد من الرجع بمعنى الرد • والطائفة الجماعة
التي من شأنها أن تطوف ولهذا لا يقال في جماعة الحجارة طائفة والمراد الجماعة
المتخلفون وإنما قال منهم لأن كلهم لم يكن منافقين • أو لأن فيهم من تاب
أو مات كان تقول الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطيبة بطيب الخاطر وحسن الاختيار
وأما وصوله إلى زمرة المنافقين فقد كان بكراهة واضطرار • فأورد صيغة
المتعدي على اللازم للإشعار بهذه الدقيقة الأنيقة فاستأذنوك الاستئذان
طلب الإذن وهو رفع التبعة في الفعل أو الترك • وأصله أن يكون بقول رب
بالإذن • والفاء فصيحة عاطفة على مقدر تقديره ثم أرادوا الخروج إلى غزوة أخرى
للخروج أي معك • والخروج في الأصل الانتقال عن محيط فقل جواب شرط لن تخرجوا
نهي عن خروجهم معه صلى الله عليه وسلم إلى الغزاة • أخرجه على صيغة الإخبار
للدلالة على وقوع الامتثال عنهم بالاضطرار وعدم قدرتهم على المخالفة أبداً الأبد
الزمان المستقبل من غير انتهاء الحد ونظيره في الماضي قط ولن تقاتلوا معي عدواً
الأول لإسقاطهم عن ديوان الغزاة خاصة وهذا لإسقاطهم عن ديوان المجاهدين
مطلقاً إنكم رضيتم بالقعود تعليل للنهي المذكور وكان إسقاطهم عن العنوانين المذكورين
إنما عقوبة لهم على التخلف بالاختيار بلا كره واضطرار لا على التخلف مطلقاً فأشار
إلى هذا إلى بعبارة الرضاء أول مرة هي الخرجة إلى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين
من النساء والصبيان وسائر من لا يليق بالجهاد من أصحاب الأعذار • ابن الكمال

فرح المخلفون الذين لم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك ● المخلف المتروك خلف من مضى ● والفرح انشراح الصدر بلذة عاجلة بمقعدهم اي بقعودهم عن الغزو في المدينة عند خروجه صلى الله عليه خلاف رسول الله نصب على الظرف اي خلفه يقال اقام خلاف الحي اي بعد ارتحالهم ● ويعضده قراءة ابي حيوة خلف رسول الله او على المصدر اي خالفوا رسول الله خلافا نحو قوله تعالى فضرب الرقاب اي اضربوا ضربا ● وقيل هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه عليه السلام ويجوز ان يكون حالا او مفعولا له اي مخالفين له او للمخالفة وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم ايثارا للموجود الفاني على الموعود الباقي وانفسهم ترجيحا للدعة على طاعة الله تعالى في سبيل الله اي في طريق الغزاة والاضافة الى الله للتشريف والتنبيه على ان الغزاة المحمود ما كان خالصا لله تعالى ● وفي ذكر حالهم هذه في معرض

فرح المخلفون المنافقون الذين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك والذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان بمقعدهم بقعودهم عن الغزو خلاف رسول الله مخالفة له ● وهو مفعول له ● او حال اي قعدوا لمخالفته او مخالفين له وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اي لم يفعلوا ما فعله المؤمنون من بذل اموالهم وارواحهم في سبيل الله وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الايمان وداعي الايقان وقالوا لا تنفروا في الحر قال بعضهم لبعض او قالوا للمؤمنين قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل ○ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا اي فيضحكون قليلا على فرحهم بتخلفهم في الدنيا ويبكون كثيرا جزاء في العقبى الا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره ● يروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقا لهم دمع ولا يكتحلون بنوم جزاء بما كانوا يكسبون من النفاق فان رجعك الله اي ردك من تبوك وانما قال الى طائفة منهم لان منهم من تاب من النفاق ومنهم من هلك فاستاذنوك للخروج الى غزوة بعد غزوة تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ويكون ابدا حرم وعلي وابو بكر ولن تقاتلوا معي عدوا معي حفص انكم رضيتم بالقعود اول مرة اول ما دعيتم الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين مع من تخلف بعذر

القدح تعريض لحال الباذلين اموالهم وانفسهم في سبيل الله تعالى المتحملين للمشاق لوجه الله تعالى بالمدح وقالوا حذف المقول له للتعميم اي قالوا لكل من لا يوقع وقدروا على اغوائه واضلاله لا تنفروا في الحر في وقته اي لا تخرجوا للغزو فانه وقع في شدة الحر لا يؤمن فيه معه قلة المياه وهلاك الظهور و الضعف عن المشي فعاب الله تعالى هذا من قولهم وهددهم عليه بالنار بقوله قل نار جهنم اشد حرا اقيمت عليهم الحجة بان قيل لهم فاذا كنتم تجزعون من حر الغيظ فنار جهنم اشد حرا فاحرى ان تجزعوا منها ● وذكره في سياق الوعيد لهم يتضمن الدلالة على ان حالتهم هذه موجبة للتعذيب بنار جهنم لو كانوا يفقهون الفقه الفهم بالفطنة اي لو كان لهم فهم وفطنة لما رغبوا عن طاعة الله تعالى لما فيها من التعب وهو سبب الرغبة فيها لان الاجر للعمل بقدر المشقة فيه قال صلى الله عليه وسلم افضل الاعمال احمزها ● وانما قيل استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل وانما قال فلا ينبغي سببه ايثار يفقهون على يعلمون ابو السعود

فرح المخلفون اي الذين خلفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالاذن لهم في القعود عند استيذانهم ● او خلفهم الله تعالى بتثبيطه اياهم لما علم في ذلك من الحكمة الخفية ● او خلفهم كسلهم ● او نفاقهم بمقعدهم متعلق بفرح اي بقعودهم وتخلفهم عن الغزو خلاف رسول الله في غزوة تبوك اي خلفه وبعد خروجه حيث خرج ولم يخرجوا ● يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم طعنوا ولم يظعن ● ويؤيده قراءة من قرا خلف رسول الله ● فانتصابه على انه ظرف لمقعدهم اذ لا فائدة في تقييد فرحهم بذلك ● وقيل هو بمعنى المخالفة ويعضده قراءة من قرا خلف رسول الله بضم الخاء ● فانتصابه على انه مفعول له ● والعامل اما فرح اي فرحوا لاجل مخالفته صلى الله عليه وسلم بالقعود واما مقعدهم اي فرحوا بقعودهم لاجل مخالفته عم ● او على انه حال اي احد المذكورين اي فرحوا مخالفين له عم بالقعود ● او فرحوا بالقعود مخالفين له عم

فرح المخلفون اي رضي المتخلفون عن الغزو ● نزل اخبارا عن حال المنافقين الذين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتخلف عن الخروج الى الجهاد واذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك فرضوا ضاحكين مسرة بمقعدهم اي بقعودهم خلاف رسول الله نصبه ظرف اي بعد ذهابه ● او بمعنى المخالفة فنصبه مفعول له لمخالفته ● او حال اي مخالفين وكرهوا ان يجاهدوا كما فعل المؤمنون باموالهم وانفسهم في سبيل الله وقالوا اي قال بعضهم لبعض لا تنفروا اي لا تخرجوا الى الجهاد في الحر فانه شديد قل نار جهنم اشد حرا من حر تبوك لو كانوا يفقهون اي يعلمون ذلك ● وهذا استجهال لهم لان من صان نفسه من مشقة ساعة فوقع بذلك في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل قوله فليضحكوا قليلا تهديد وتوبيخ لهم بصيغة الامر اي ليضحكوا قليلا في الدنيا وليبكوا كثيرا اي ويبكون كثيرا في الاخرة جزاء اي عقوبة لهم بما كانوا يكسبون من الكفر والنفاق ● وانما اخرجها في صورة الامر ليدل على انه واجب الثبوت لا يكون غيره ● روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يرسل البكاء على اهل النار فيبكون حتى ينقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى في وجوههم كهيئة الاخدود ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم فان رجعك الله اي ردك من غزوتك هذه الى طائفة منهم من المخلفين من غزوة تبوك فاستاذنوك للخروج معك الى غزوة تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا اي الغزو ولن تقاتلوا معي عدوا ولو كان اعتذارهم صحيحا وعلله بقوله انكم رضيتم بالقعود اول مرة بالتخلف عن غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين اي مع النساء والصبيان واصحاب الاعذار من القعود

ولا تصل على احد منهم مات هذه فضيحة لهم بعد الوفاة وما ذكر قبلها خزي لهم في حالة الحيوة • قال قتادة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن ابي سلول في مرض موته وكان دعاه فسأله ان يصلي عليه ويقوم على قبره ويكفنه قميصه ففعل ذلك فنزلت الآية • وعن عمر رضي الله عنه انه قال لما توفي عبد الله بن ابي سلول دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اتصلي على عدو الله القائل يوم كذا وكذا والقائل يوم كذا وكذا وعددت ايامه الخبيثة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى عليه ثم مشى معه وقام على حفرته حتى دفن وانصرف فوالله ما لبث الا يسيرا حتى نزل ولا تصل على احد منهم مات الآية فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها على منافق ولا قام على قبره • وانما قال مات والمراد الاستقبال لانه كائن لا محالة وقوله ابدا منصوب بتصلي وبه صارت الآية محكية لا بمات كما توهمه من قال فانه احيا الكافر للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحي ولم يرد انه على التقدير المذكور ايضا لا حاجة الى التوجيه المزبور بل لا وجه له لان الحيوة في البرزخ لا تنافي استمرار الموت الواقع في الدنيا ولا تقم على قبره القبر حفرة يدفن فيها الميت • والمراد من القيام عليه معناه الحقيقي وهو نوع اكرام • وقيل اريد به المباشرة باسباب دفنه ومواراته • وعلى هذا يراد بالقبر معناه المصدري ويندرج فيه التكفين فلا يتمشى ما قيل انما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلوة عليه لان الضنة بالقميص كانت مخلا بالكرم • ولانه كان مكافاة لالباسه العباس رضي قميصه حين اسر ببدر على ان ما ذكر لا يصلح تعليلا لعدم النهي عنه لما عرفت ان نزول الآية المذكورة بعد الصلوة والتكفين فيكون النهي على تقدير وروده عن العود الى مثله وفي بعض الروايات انه قيل له صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اتلبس عدو الله قميصك قال صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان يسلم بقميصي الف من بني الخزرج وكان كذلك انهم كفروا بالله ورسوله تعليل للنهي على سبيل الاستيناف وماتوا وهم فاسقون اي قد كفروا واصروا عليه حتى ماتوا على الفسق اي الخروج عن الطاعة • قال الامام ابو منصور سمى الله تعالى الكفار والمنافقين فاسقين في آياته وان كان اسم الكافر والمنافق ابلغ في الذم من اسم الفاسق لان اسم الفاسق يأنف منه كل ذي دين فانه خروج عما يدين به فاخبر الله تعالى انهم مع تدينهم بالباطل فاسقون في معاملاتهم خارجون عن دياناتهم مستوجبون للمذمة بتلك الجهة ايضا

ولا تصل على احد منهم من المنافقين يعني صلوة الجنازة • روي ان ابن عبد الله بن ابي وكان مؤمنا سأل ان يكفن النبي صلى الله عليه وسلم اباه في قميصه ويصلي عليه فقبل فاعترض عمر رضي الله عنه في ذلك فقال صلى الله عليه وسلم ذلك لا ينفعه وكنت ارجو ان يؤمن به الف من قومه فتركه لما رأوه يطلب التبرك بثوب النبي صلى الله عليه وسلم من الخزرج مات صفة لاحد ابدا ظرف لتصل • وكان صلى الله عليه وسلم اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فقيل ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي اي انهم ليسوا باهل للصلوة عليهم لانهم كفروا بالله ورسوله ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون التكرير للمبالغة والتأكيد وان يعلو بال من المخاطب لا ينساه وان يعتقد ان يكون مهم ولان كل آية في فرقة غير الفرقة الاخرى • المدارك •

ولا تعجبك اموالهم واولادهم قد مر التفسير ومعنى التكرير المبالغة في التأكيد والتقرير والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والقلوب مرتبطة بهما والنفوس مقتبطة عليهما وانما عطف هنا بالواو دون الفاء لعدم صحة التفريع على ما تقدم بخلاف ما سبق فان للتفريع ثمه وجها على ما بين هناك انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا لا تحسبن ان تمكين اهل النفاق من تنفيذ مرادهم وتكثير اموالهم واولادهم استدراج معروف من الله تعالى اليهم او اسباغ انعام منه لديه عليهم انما ذلك مكر بهم واستدراج لهم وامهال لا اهمال والله قدير متعال اي اكمال • ولا تصل على احد منهم صفة لاحد • وانما جيء بصيغة الماضي تنبيها على تحقق الوقوع لا محالة ابدا متعلق بالنهي اي لا تدع ولا تستغفر لهم ابدا ولا تقم على قبره اي لا تقف عليه للدفن • او للزيارة والدعاء • روي انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رئيس النفاق عبد الله بن ابي بن سلول بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتيه فلما دخل عليه قال صلى الله عليه وسلم اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله ان يكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه

وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة

فلما مات دعاه ابنه وكان مؤمنا صالحا فاجابه صلى الله عليه وسلم تسلية له ومراعاة لجانبه وارسل اليه قميصه يكفن فيه فلما هم بالصلوة او صلى نزلت • وعن عمر رضي الله عنه انه قال لما هلك عبد الله بن ابي ووضعناه ليصلي عليه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اتصلي على عدو الله القائل يوم كذا كذا وكذا والقائل يوم كذا وكذا وعددت ايامه الخبيثة فتبسم صلى الله عليه وسلم وصلى عليه ثم مشى معه وقام على حفرته حتى دفن فوالله ما لبث الا يسيرا حتى نزل ولا تصل على احد الخ فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك على منافق ولا قام على قبره • وانما لم ينه عن التكفين بقميصه عم لان الضنة بالقميص كانت مخلة بالكرم على انه كان مكافاة لقميصه الذي كان البسه العباس رضي الله عنه حين اسر ببدر والخبر مشهور انهم كفروا بالله ورسوله تعليل للنهي على معنى ان الاستغفار للميت والوقوف على قبره انما يكون لاستصلاحه وذلك مستحيل في حقهم لانهم استمروا على الكفر بالله ورسوله مدة حياتهم وماتوا وهم فاسقون اي متمردون في الكفر خارجون عن حدوده كما بين من معنى الفسق ولا تعجبك اموالهم واولادهم تكرير لما سبق وتقرير لمضمونه بالاخبار بوقوعه • ويجوز ان يكون هذا في حق فريق غير الفريق الاول • وتقديم الاموال في امثال هذه المواقع على الاولاد مع كونهم اعز منها اما لعموم مساس الحاجة اليها بحسب الذات وبحسب الافراد والاوقات فانها مما لا بد منه لكل احد من الآباء والامهات والاولاد في كل وقت وحين حتى ان من له اولاد ولا مال له فهو واولاده في ضيق ونكال واما الاولاد فانما يرغب فيهم من بلغ مبلغ الابوة واما لان المال مناط لبقاء النفس والاولاد لبقاء النوع واما لانها اقدم في الوجود من الاولاد لان الاجزاء المنوية انما تحصل من الاغذية كما سيأتي في سورة الكهف انما يريد الله بما متعهم به من الاموال والاولاد ان يعذبهم بها في الدنيا بسبب معاناتهم المشاق ومكابدتهم الشدائد في شأنها وتزهق انفسهم وهم كافرون اي فيموتوا كافرين باشتغالهم بالتمتع بها والالتهاء عن النظر والتدبر في العواقب • ابو السعود افندي رحمه الله

ولا تصل على احد منهم مات ابدا ظرف لقوله لا تصل ومات صفة احد • نزل حين طلب عبد الله بن ابي بن سلول عند حضور الموت له ان يصلي النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات وان يقوم على قبره ويكفنه في القميص الذي يلي جلده فقبل كله فقال عمر رض اتصلي على عدو الله وتعطيه قميصك وهو كافر منافق فقال صلى الله عليه وسلم يا عمر ما يغنيه قميصي وصلوتي من عذاب الله ولكن ارجو ان يسلم به الف رجل لما يرون من تبركه به • روي انه اسلم الف من الخزرج لما رأوه طلب ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم للتبرك به وقالوا لولا عرفه حقا لما تبرك بقميصه نهيا للنبي عم ان يفعل ذلك كله اي ولا تصل يا محمد ابدا على من يموت من المنافقين ولا تقم على قبره للدفن وكان يقوموا على قبرهم ويستغفر لهم الى ان يدفنوا وعلل النهي بقوله تعالى انهم كفروا بالله ورسوله في السر وماتوا وهم فاسقون بالنفاق • من العيون •

وقيل اراد ان يصلي عليه فجذبه جبرئيل • فان قلت كيف جازت له تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع سبق له وذلك ان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اخذ اسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله قميصه قطب

وفي تفسير الكبير واما دفع القميص اليه فذكروا فيه وجوها الاول ان العباس عم رسول الله لما اخذ اسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طويلا فكساه عبد الله قميصه والثاني ان المشركين قالوا له يوم الحديبية انا لا ننقاد لمحمد ولكن ننقاد لك فقال ان لي في رسول الله اسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك والثالث ان الله سبحانه وتعالى امره ان لا يرد سائلا بقوله واما السائل فلا تنهر فلما طلب القميص منه دفعه اليه لهذا المعنى الرابع ان منع القميص لا يليق باهل الكرم الخامس ان ابن عبد الله كان من الصالحين فالرسول اكرمه لمكان ابنه السادس لعل الله تعالى اوحى اليه انك اذا دفعت قميصك اليه صار ذلك حاملا لالف نفر من المنافقين على الدخول في الاسلام ففعل ذلك لذلك لهذا الغرض وروي انهم لما شاهدوا ذلك اسلم الف من المنافقين السابع ان الرحمة والرأفة كانت غالبة عليه كما قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين • وقال فبما رحمة من الله لنت لهم • فامتنع من الصلوة عليه رعاية لامر الله تعالى ودفع اليه قميصه اظهارا للرحمة والرأفة انتهى

وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يقال اعذرت الى فلان اى تكلفت بالعذر فعذرني اى قبل عذري واعتذرت اليه اى اتيت العذر الصحيح على امري وعذرت بالتشديد اى اتيت بما هو في صورة العذر ولا عذر لي فيه حقيقة والاية قد قرئت بالتخفيف وهو قراءة ابن عباس رض • وبالتشديد وهو قراءة سائر الناس • فبالتخفيف من اعذر وبالتشديد من اعتذر على ادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين • اخبار عن قوم اتوا بالعذر الصحيح فعذروا وبالتشديد من عذر اخبار عن اعراب تكلفوا بالعذر ولا عذر لهم فلم يعذروا • وفي الاية نعتهم • وجملته ان ينزل السورة في الجهاد وصار الناس على اصناف منافقوا اهل المدينة وقد ذكرهم في قوله استاذنك اولوا الطول منهم والخالصون وذكرهم في قوله تعالى والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم • واعراب اهل البادية ممن لهم عذر حقيقة او لا عذر لهم وذكرهم الله تعالى في هذه الاية على القسمين واخرون من الاعراب تخلفوا من غير استيذان وذكرهم في قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان ودليله قراءة ابي رضي الله كذبوا الله بالتشديد سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب وانما قال الذين كفروا منهم لان منهم من اعتذر لتسامه لا للكفر عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار وقوم اخرون من ضعفاء المسلمين لم يكن لهم عذر تخلفوا واستعانوا وذكرهم في قوله تعالى ليس على الضعفاء الذين لا قوة لهم بسبب كبر سن او زمانة او عرج او عمي او غير ذلك ولا على المرضى الذين بهم علة يرجى زوالها لا انه لا طاقة بهم في الحال ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم حرج اثم في التاخر

وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وهو من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى • وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما فعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين وهم يعتذرون بالباطل • قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فأذن لنا في التخلف وقعد الذين كذبوا الله ورسوله هم منافقو الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار ليس على الضعفاء الهرمي والزمنى ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون هم الفقراء من مزينة وجهينة وبني عذرة حرج اثم وضيق في التاخر اذا نصحوا لله ورسوله بان امنوا في السر والعلن واطاعوا كما يفعل الناصح بصاحبه ما على المحسنين المعذورين الناصحين من سبيل اى لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم والله غفور يغفر تخلفهم رحيم بهم

اذا نصحوا لله ورسوله النصح لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم الايمان بهما وطاعتهما في السر والعلن والقيام بما يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح قولا وفعلا كما يفعل الناصح لمن ينصحه و يندرج فيه انه اذا كان لا ما قيل انهم لم يثبطوا غيرهم من المؤمنين ولا اصحا عن الخروج ولم يوهموا ان قعودهم كان لجواز التخلف لكل من اراده بل بينوا سبب تخلفهم وحرضوا القادرين عليه وكانوا باهليهم عند خروجهم واسباب من خلفوهم بالمعونة ما على المحسنين من سبيل اى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل • انما وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على انهم موصوفون بصفة تنافي العتاب فيفيد المدح والتعليل والله غفور رحيم للمسيء فكيف للمحسن

وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم شروع في بيان احوال منافقي الاعراب اثر بيان احوال منافقي اهل المدينة والمعذرون من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد • وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل و لا عذر له • او المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين وهم المعتذرون بالباطل • وقرئ المعذرون من الاعذار وهو الاجتهاد في العذر والاحتشاد فيه • قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فأذن لنا في التخلف • وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهالينا ومواشينا فقال صلى الله عليه وسلم سيغنيني الله تعالى عنكم • وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله تعالى • وعن قتادة اعتذروا بالكذب • وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين ادغامها في الطاء والزاي والصاد في المطوعين وازكى واصدق • وقيل اريد بهم المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون اي الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا واظهروا انهم كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان والطاعة سيصيب الذين كفروا منهم اى من الاعراب ومن المعتذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والاسر في الدنيا والنار في الاخرة ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كمزينة وجهينة وبني عذرة حرج اثم في التخلف اذا نصحوا لله ورسوله وهو عبارة عن الايمان بهما والطاعة لهما في السر والعلن

ووفى لهما في الاسرار والقراء والحب فيهما والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه ما على المحسنين من سبيل استئناف مقرر لمضمون ما سبق اى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل • ومن مزيدة للتاكيد ووضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انتظامهم بنصحهم لله ورسوله في سلك المحسنين • او تعليل لنفي الحرج عنهم اى ما على جنس المحسنين من سبيل وهم من جملتهم والله غفور رحيم تذييل مؤيد لمضمون ما ذكر مشير الى ان بهم حاجة الى المغفرة وان كان تخلفهم بعذر ابو السعود

وجاء المعذرون اى الذين يعتذرون ولا عذر لهم من عذر في الشيء اذا قصر فيه وهؤلاء قوم من الاعراب كاسد وغطفان جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان لنا عيالا وبنا جهدا فأذن لنا في التخلف ليؤذن لهم فيه فاتوا بالعذر الكاذب وبالغوا فيه وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم المنافقون من الاعراب الذين لم يجيئوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعتذروا فظهر بذلك انهم كاذبون في ادعائهم الايمان ثم بين حال الفريقين بقوله سيصيب الذين كفروا منهم اى من الاعراب عذاب اليم اى وجيع في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار • ثم بين حال القاعدين بالعذر الصحيح بقوله ليس على الضعفاء اى الشيخ الكبير السن والزمن ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون في الجهاد حرج اى اثم في تخلفهم • قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة اذا نصحوا لله ورسوله اى اخلصوا الايمان واطاعوا امرهما بالاخلاص ما على المحسنين اى ليس للمعذورين الناصحين من سبيل اى طريق الى العقوبة او الى العيب للعاتب عليهم لان تخلفهم بالعذر والله غفور لهم تخلفهم عن الغزو مع سبقهم رحيم بهم بالاثابة فيه تفاسير العيون

والناصح الخالص والنصح اخلاص العمل من الغش • يقال نصح الشيء اذا خلص ونصح له في القول اخلصه له قال صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة ثلاثا قالوا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم • قال العلماء النصيحة لله اخلاص الاعتقاد في الوحدانية ووصفه بصفات الالهية وتنزيهه عما لا يليق به تعالى والرغبة في محابه والبعد عن ساخطه • والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته والتزام طاعته في امره ونهيه وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه وتوقيره ومحبته ومحبة آله وتعظيم سنته واحياؤها بعد موته بالبحث عنها والتفقه فيها والذب عنها ونشرها والدعاء اليها والتخلق باخلاقه الكريمة • والنصح لكتاب الله تعالى قراءته والتفقه فيه والذب عنه وتعليمه واكرامه والتخلق به • والنصح لائمة المسلمين ترك الخروج عليهم وارشادهم الى الحق وتنبيههم فيما اغفلوه من امور المسلمين ولزوم طاعتهم والقيام بواجب حقهم • والنصح لعامة المسلمين ترك معاداتهم وارشادهم وحب الصالحين منهم والدعاء لجميعهم وارادة الخير لكافتهم اسهل

وجاء اليك يا محمد المعذرون مخففة من كان له عذر من الاعراب من بني غفار وان قرئت المعذرون مشددة يعني من لم يكن له عذر ليؤذن لهم لكي يأذن لهم رسول الله بالتخلف عن غزوة تبوك وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في السر وقال تخلفوا الله ورسوله في السر فالجهاد بغير عذر سيصيب الذين كفروا منهم من المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه عذاب اليم كرماني

ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء اى ولا حرج ايضا على الاصحاب الذين لا يستطيعون المشي ويحتاجون الى المركب وجاؤك يسألون ان تعطيهم مراكب تحملهم عليها • يقال حمل الامير فلانا اذا اعطاه مركبا قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد كقوله او جاؤكم حصرت صدورهم اى اذا ما اتوك قائلا لا اجد ما احملكم عليه تولوا جواب اذا • ويجوز ان يكون جوابا لسؤال مقدر كانه قيل فما حالهم اذا اجابهم الرسول قيل تولوا ويكون جواب اذا قوله قلت واعينهم تفيض الفيض هو السيلان عن الامتلاء من الدمع من للبيان كما في قولك افديك من رجل • قيل محل الجار والمجرور النصب على التمييز ورد بان التمييز الذي اصله فاعل لا يجوز جره بمن اصل الكلام يفيض دمعها فعدل الى ما ذكر ليكون ابلغ كان العين كلها دمع فياض حزنا مفعول له او حال او مصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا اى لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون في مغزاهم • فيه دلالة على انهم مندرجون تحت قوله ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج •

ويجوز ان يكون قوله ولا على الذين

ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم لتعطيهم الحمولة قلت حال من الكاف في اتوك وقد قبله مضمرة اى اذا ما اتوك قائلا لا اجد ما احملكم عليه تولوا هو جواب اذا واعينهم تفيض من الدمع اى تسيل وهو ابلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كانها كلها دمع فائض • ومن للبيان كقولك افديك من رجل • ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز • ويجوز ان يكون قلت لا اجد استينافا كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين فقيل قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض حزنا مفعول له الا يجدوا ما ينفقون لئلا يجدوا ما ينفقون • ومحله نصب على انه مفعول له وناصبه حزنا والمستحملون ابو موسى الاشعري واصحابه او البكاؤون وهم ستة نفر من الانصار انما السبيل على الذين يستاذنونك في التخلف وهم اغنياء وقوله رضوا استيناف كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بان يكونوا مع الخوالف اي بالانتظام في جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون المدارك

حال معطوفا على المحسنين عطف الخاص على العام ويجوز هذا قوله انما السبيل معرفا بالالف واللام اذ عاد على النكرة وكلمة انما ليست للحصر بل هي للمبالغة فيما يريد تقريره كما في قولك انما الشجاع على الذين السبيل قد توصل بعلى وبالى غيران وصلها بعلى تقتضي صفة المتوصل اليه وقلة منعة فلذلك حسنت في هذه الآية يستاذنونك وهم اغنياء واجدوه الاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم استيناف كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بالضعة والدناءة والانتظام في سلك الخوالف ايثارا للدعة • وقد ذكر بيان سبب الاستيذان مع الغنى وهو ان رضاءهم بالرخاوة والطبع على قلوبهم بالخذلان حتى غفلوا وجهلوا وخامة عاقبتهم فهم لا يعلمون مغبته فقد حصر المعذورين في التخلف في ثلثة اقسام الذين فقدوا الاستطاعة البدنية والذين عدموا الاستطاعة المالية والذين استحملوه فلم يجد ما يحملهم عليه اسى كالك

ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على المحسنين كما يؤذن به قوله عز وجل فيما سياتي انما السبيل الآية • وقيل عطف على الضعفاء • وهم البكاؤون سبعة من الانصار • معقل بن يسار • وصخر بن خنساء • وعبد الله بن كعب • وسالم بن عمير • وثعلبة بن غنمة • وعبد الله بن مغفل • وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال صلى الله عليه وسلم لا اجد فتولوا وهم يبكون • وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد ونعمان • وقيل ابو موسى الاشعري واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد وما عامة لما سالوه صلى الله عليه وسلم وغيره مما يحمل عليه عادة • وفي ايثار لا اجد على ليس عندي من تلطيف الكلام وتطييب قلوب السائلين ما لا يخفى كانه عليه السلام يطلب ما سالوه على الاستمرار فلا يجده تولوا جواب اذا واعينهم تفيض اي تسيل بشدة من الدمع اي دمعا فان

فان من البيانية مع مجرورها في حيز النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لافادته ان العين بعينها صارت دمعا فياضا • والجملة حالية وقوله عز اسمه حزنا نصب على العلية • او الحالية او المصدرية لفعل دل عليه ما قبله اى يفيض للحزن حزنا فان الحزن يسند الى العين مجازا كالفيض او تولوا له او حزني • او يحزنهم حزنا فيكون هذه الجملة حالا من الضمير في تفيض الا يجدوا على حذف لام متعلقه بحزنا او تفيض اى لئلا يجدوا ما ينفقون في شراء ما يحتاجون اليه اذ لم يجدوه عندك انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستاذنونك في التخلف وهم اغنياء واجدون لاهبة الغزو مع سلامتهم رضوا استيناف تعليلي لما سبق كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بان يكونوا مع الخوالف الذين شانهم الضعة والدناءة وطبع الله على قلوبهم اى خذلهم فغفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون ابدا غائلة ما رضوا به وما يستتبعه اجلا كما لم يعلموا بخساسة شانه عاجلا ابو السعود

ولا على الذين اذا ما اتوك اى ولا حرج على الذين اذا جاؤك لتحملهم على الجهاد معك قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا اى انصرفوا عنك واعينهم تفيض اى تسيل من الدمع من فيه للبيان وهو في المعنى نصب على التمييز اى تفيض دمعا حزنا مفعول له اى للحزن قوله الا يجدوا اى لانهم لم يجدوا ما ينفقون في الجهاد يتعلق بحزنا • قيل هم ستة نفر من الانصار • وقيل ابو موسى الاشعري مع اصحابه جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم وطلبوا ما يحملهم عليه ليغزوا معه فلم يكن عنده ذلك فرجعوا باكين فقال تعالى ليس العقوبة على هؤلاء سبيل انما السبيل الى العقوبة على الذين يستاذنونك في التخلف وهم اغنياء اى ذو سعة للخروج رضوا بان يكونوا مع الخوالف بالمدينة وطبع الله على قلوبهم اى ختم بقهره فهم لا يعلمون ثواب الخروج وعقاب التخلف ثم اخبر عن اعتذارهم الكاذب وامر بجوابه بقوله يعتذرون اليكم

من العيون

يعتذرون اليكم في التخلف خطاب للصحابة رضي الله عنهم اذا رجعتم اليهم من هذا السفر قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة
لن نؤمن لكم علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر فلا يعاتب فاذا لم يصدق يترك الاعتذار
قد نبأنا الله من اخباركم علة لانتفاء التصديق اي اعلمنا بالوحي الى نبيه عليه السلام بعض اخباركم وهو
ما في ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم رؤية العمل في مثل هذا المقام يكون كناية عن فعل الرأي فاستحقه العاقل
اي سيرى الله تعالى أتنيبون الى الله وتتوبون ام تثبتون على الكفر وتصرون عليه ● ففيه وعيد بالاساءة في الدنيا
ووعد بالاحسان فيها وتقديم عملكم على قوله ورسوله للفصل بين الرؤيتين تنبيها على ان الثاني على حقيقته والمراد
موجبها وهو الفضاحة على تقدير الثبات على الكفر ولا يخفى انه في غاية الايجاز والفصاحة ● ثم ان في عبارة الترديد
اشارة الى الامهال لتدارك الانابة ● ففي كلامه استمالة على الطف وجه ● واما قلنا ان ما ذكر من الوعد والوعيد
في الدنيا لان قوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة وعد ووعيد في الآخرة ● وفيه تدارك لما عسى ان يذهب اليه
الوهم من قوله وسيرى الله الخ مما لا يليق بشأنه تعالى من الحاجة الى الرؤية وسبق عمله ببعض الاشياء بالغفلة عنه
وهنا وضع عالم الغيب والشهادة موضع الضمير ●

يعتذرون اليكم يقيمون لانفسهم عذرا باطلا اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالباطل لن نؤمن لكم
لن نصدقكم وهو علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر
ان يصدق فيما يعتذر به قد نبأنا الله من اخباركم فيه
علة لانتفاء تصديقهم لانه تعالى اذا اوحى الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الاعلام باخبارهم وما في ضمائرهم لم يتهم
مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى الله عملكم و
رسوله أتنيبون ام تثبتون على كفركم ثم تردون
الى عالم الغيب والشهادة اي تردون اليه وهو عالم كل
سر وعلانية فينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم على حسب ذلك
سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم لتتركوهم
ولا توبخوهم فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبتهم انهم رجس
تعليل لترك معاتبتهم اي ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم
لانهم ارجاس لا سبيل الى تطهيرهم ومأواهم جهنم ومصيرهم النار
يعني وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا
يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم اي غرضهم بالحلف بالله طلب
رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى
عن القوم الفاسقين اي فان رضاكم وحده لا ينفعهم اذا كان
الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وانما قيل
ذلك لئلا يتوهم ان رضى المؤمنين يقتضي رضى الله عنهم اسهل المدارك
جزاء بما كانوا يكسبون مصدر مؤكد او مفعول له او حال من جهنم يحلفون لكم حذف
هنا المحلوف به والتبيب فيما تقدم اكتفاء بذكره مرة كما في قوله تعالى اذا اقسموا ليصرمنها مصبحين ● وقوله تعالى واقسموا بالله
جهد ايمانهم لترضوا عنهم اي غرضهم من الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم في دنياهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن
القوم الفاسقين اي فان رضاءكم لا ينفعهم اذا كان الله تعالى ساخطا عليهم لان سخط الله تعالى يورثهم عقوبته عاجلا

اي لا يخفى عليه خافية مما في قلوبكم
ولا بادية مما يظهر على السنتكم و
جوارحكم فيجازيكم به فينبئكم على رؤوس
الاشهاد بما كنتم تعملون تشهيرا لحالهم
وتقريرا لوبالهم وتذكيرا لما ذهب
عن خيالهم ومآلهم على ما افتضح عنه في
موضع آخر بقوله فينبئهم بما عملوا
احصاه الله ونسوه فيتمنون
عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم
به من الخزي والعار سيحلفون بالله
لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم لما
ذكر انه يصيبنهم الاعتذار اخبر
انهم سيؤكدون ذلك الاعتذار
الكاذب بالحلف بالله وان سبب الحلف
طلبتهم ان يعرضوا عنهم اعراض صفح
فلا يلوموهم ولا توبخوهم فاعرضوا
عنهم اي فاجيبوا الى طلبتهم ● وفي
تعليل الاعراض عنهم بقوله انهم رجس
دلالة على انه اعراض مقت اي
مستقذروه بما انطوى عليه من
النفاق فيجب مباعدتهم واجتنابهم
كما قال في الآية الاخرى رجس من عمل
الشيطان فاجتنبوه ● وهذا اولى مما قيل
لا ينفع فيهم التأنيب فان المقصود
منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء
ارجاس لا يقبل التطهير لان قوله
ومأواهم جهنم يفيد هذا المعنى اي انهم
ارجاس من اهل النار لا يجدي فيهم
التوبيخ والافادة خير من الاعادة ●
اللهم الا ان يقال انه تعليل اخر اي وكفتهم
جهنم عتابا وتوبيخا فلا يتكلفوا في عتابهم

يعتذرون اي يعتذر المنافقون عن تخلفهم
ثم اخبر عن اعتذارهم الكاذب وامر بجوابه بقوله يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل يا محمد لا تعتذروا الينا بانه ليس لكم عذر
الخروج الى الغزو معك اليكم اذا رجعتم من الغزو اليهم قل يا محمد لا تعتذروا الينا بانه ليس لكم عذر في تخلفكم عن الغزو
فيه فالجملة علة لانتفاء تصديقهم الينا لن نؤمن لكم اي لن نصدقكم ان لكم عذرا في تخلفكم عن الغزو
فيه فالجملة علة لانتفاء تصديقهم لان
قد نبأنا الله من اخباركم اي اخبرنا عنكم بانه ليس لكم عذر فيه فالجملة علة لانتفاء تصديقهم في معاذيرهم
الاعلام عن سوء ضمائرهم وفساد عملهم بالوحي الى رسول الله يوجب عدم تصديقهم في معاذيرهم
لان الاعلام عن سوء ضمائرهم وفساد عملهم بالوحي الى رسول الله يوجب عدم تصديقهم في معاذيرهم
وسيرى الله عملكم في المستقبل اترجعون عن نفاقكم ام تثبتون عليه ورسوله والمؤمنون اي
وسيراه نبيه وكل من آمن به ثم تردون اي ترجعون بعد الموت الى عالم الغيب والشهادة اي الى
من يعلم ما غاب من السر عن الخلق وما شاهدوه من العلانية فينبئكم اي يخبركم بما كنتم تعملون
من الخير والشر في الدنيا فيجازيكم على حسب ذلك ثم قال تعالى سيحلفون لكم اي بطلب
رضاكم اذا انقلبتم اي اذا رجعتم من الغزو لتعرضوا عنهم اي لتجاوزوا عن معاتبتهم فاعرضوا
عنهم فتجاوزوا عن معاتبتهم لان العتاب لا يصلحهم ولا ينفع فيهم انهم رجس لانهم نجس
لا سبيل لكم الى تطهيرهم قيل هم كانوا ثمانين رجلا منافقين فلما قدم النبي صلى الله عليه
وسلم المدينة قال لاصحابه لا تجالسوهم ولا تكلموهم ومأواهم اي مستقرهم في الآخرة جهنم جزاء بما
كانوا يكسبون من النفاق وعمل الكفر ● ثم جاء عبد الله بن ابي منهم الى النبي صلى الله عليه وسلم يحلف
ان لا يتخلف عن الغزو ابدا فقال الله تعالى يحلفون لكم لترضوا عنهم اي غرضهم بالحلف
طلب رضاكم لينفعهم في الدنيا فان ترضوا اي ان رضي انت يا محمد والمؤمنون عنهم

عقوبة الدنيا والآخرة ورضاكم لا يستلزم رضاه • والعدول عن الضمير إلى الظاهر للتسجيل عليهم بالفسق للدلالة على أن
سخطه تعالى عليهم مسبب عن فسقهم فلا يحصل رضاه ما داموا فاسقين • وعلى أن الحكم عام وإن كان سبب الورود
خاصًا فإن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب • والمراد نهيهم عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم لما ذكر
حلفهم فيما سبق لأجل الإعراض جاء الأمر بالإعراض هنا لأنه تتنوع بسبب الأغراض فيكون على مقتضى الحكمة ولا كذلك
الرضا • وقد ذكر هنا الحلف لأجل الرضاء وأبرز النهي عنه في صورة الشرطية أي أخرجه مخرج المتردد فيه
لأنه من الأمور القلبية بخلاف الإعراض فإنه محسوس مشاهد وجعل جوابه انتفاء رضي الله عنهم فصار
رضى المؤمنين أبعد شيء من الوقوع لأن اللائق بهم أن لا يرضون عمن لا يرضى الله عنهم • [illegible]

يعتذرون إليكم استئناف لبيان ما يتصدون له عند القفول إليهم • روي أنهم كانوا بضعة وثمانين رجلا
فلما رجع صلى الله عليه وسلم وأصحابه فإنهم كانوا يعتذرون إليهم أيضًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط أي
يعتذرون إليكم في التخلف إذا رجعتم من الغزو منتهين إليهم وإنما لم يقل إلى المدينة إيذانًا بأن مدار
الاعتذار هو الرجوع إليهم لا الرجوع إلى المدينة فلعل منهم من بادر إلى الاعتذار قبل الرجوع إليها قل
تخصيص هذا الخطاب برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تعميمه فيما سبق لأصحابه أيضًا لما أن الجواب وظيفته
صلى الله عليه وسلم وأما اعتذارهم فكان شاملا للكل حين شمول الرجوع لهم لا تعتذروا أي لا تفعلوا الاعتذار
كقوله تعالى أحيا وأمات ولا تكلفون • أو لا تعتذروا بما عندكم من المعاذير • وأما التعرض لعنوان كذبه
فلا يساعده قوله تعالى لن نؤمن لكم أي لن نصدقكم في ذلك أبدا فإنه استئناف تعليلي للنهي مبني على سؤال
من قبلهم متفرع على ادعاء الصدق في الاعتذار كأنهم قالوا لم لا نعتذر فقيل لأنا لا نصدقكم أبدا
فيكون عبثًا إذ لا يترتب عليه غرض المعتذر وقوله عز وجل قد نبأنا الله من أخباركم تعليل لانتفاء التصديق
أي أعلمنا بالوحي بعض أخباركم المنافية للتصديق مما يشرعون من الشر والفساد وأضمرتم في ضمائركم
وهذا نبوة للأفراد في معرض الاعتذار من الأكاذيب • وجمع ضمير المتكلم في الموضعين للمبالغة في حسم
أطماعهم من التصديق رأسًا ببيان عدم رواج اعتذارهم عند أحد من المؤمنين أصلا فإن تصديق
البعض لهم ربما يطمعهم في تصديق الرسول أيضًا صلى الله عليه وسلم بواسطة المصدقين • وللإيذان
بافتضاحهم بين المؤمنين كافة وسيرى الله عملكم فيما سيأتي أتتوبون إليه تعالى عما أنتم فيه من النفاق
أم تثبتون • وكأنه استتابة وإمهال للتوبة • وتقديم مفعول الرؤية على ما عطف على فاعله
من قوله ورسوله للإيذان باختلاف حال الرؤيتين وتفاوتهما • وللإشعار بأن مدار الوعيد هو علمه
عز وجل بأعمالهم ثم تردون يوم القيامة إلى عالم الغيب والشهادة للجزاء بما ظهر منكم من الأعمال • ووضع المظهر
موضع المضمر لتشديد الوعيد فإن علمه سبحانه وتعالى بجميع أعمالهم الظاهرة والباطنة وإحاطته بأحوالهم
البارزة والكامنة مما يوجب الزجر العظيم فينبئكم عند ردكم إليه ووقوفكم بين يديه بما كنتم تعملون
أي بما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الأعمال السيئة السابقة واللاحقة على أن ما موصولة والعائد إليها محذوف •
أو بعملكم المستمر على أنها مصدرية والمراد بالتنبئة بذلك المجازاة به وإيثارها عليها لمراعاة ما سبق من قوله تعالى
قد نبأنا الله الخ فإن المنبأ به الأخبار المتعلقة بأعمالهم وللإيذان بأنهم كانوا عالمين في الدنيا بحقيقة أعمالهم
وإنما يعلمون يومئذ سيحلفون بالله لكم تأكيد لمعاذيرهم الكاذبة وتقرير لها • والسين للتأكيد والمحلوف عليه
محذوف يدل عليه الكلام وهو ما اعتذروا به من الأكاذيب • والجملة بدل من يعتذرون وبيان له إذا
انقلبتم أي انصرفتم من الغزو إليهم ومعنى الانقلاب هو الرجوع والانصراف مع زيادة معنى الوصول
والاستيلاء وفائدة تقييد حلفهم به للإيذان بأنه ليس لدفع ما خاطبهم النبي صلى الله عليه وسلم به من
قوله تعالى لا تعتذروا الخ بل هو أمر مبتدأ لتعرضوا عنهم وتصفحوا صفح رضا فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم
كما يفصح عنه قوله تعالى لترضوا عنهم فأعرضوا عنهم لكن لا إعراض رضا كما هو طلبتهم بل إعراض اجتناب
ومقت كما يعرب عنه قوله عز وجل إنهم رجس فإنه صريح في أن المراد بالإعراض عنهم إما الاجتناب
عنهم لما فيهم من الرجس الروحاني وإما ترك استصلاحهم بترك المعاتبة لأن المقصود بها التطهير
بالحمل على الإنابة وهؤلاء أرجاس لا تقبل التطهير فلا يتعرض لهم بها وقوله عز وعلا ومأواهم جهنم إما من
تمام التعليل فإن كونهم من أهل النار من دواعي الاجتناب عنهم وموجبات ترك استصلاحهم باللوم

فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين بالنفاق والكفر والمعصية • وفي هذه الآية دفع وهم من
يتوهم أن رضاء المؤمنين يقتضي رضاء الله تعالى المعنى أن رضاء المؤمنين لا ينفعهم إذا
كان الله تعالى ساخطًا عليهم • ثم أخبر تعالى عن حال البدو وكان أكثر المنافقين منهم بقوله
الأعراب الخ
من العيون

الأعراب سكان البوادي أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر لأنهم كانوا في البوادي ولا محالة أن خوفهم هناك أقل من خوف من أتى المدينة فألسنتهم لكفرها أطلق ونفاقهم أشق إزالة لقساوة قلبهم وأجدر أن لا يعلموا وأحق بأن لا يعلموا لبعدهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيبتهم عن مجالسه وقلة ما يرد عليهم من مواعظ القرآن حدود ما أنزل الله على رسوله من الأوامر والنواهي لقوله تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها • وقوله تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها والله عليم بحال كل واحد من أهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا • ذكر العلم بعد العمل أبلغ وعدا ووعيدا وأكثر إشارة وتهديدا ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق يصرف في سبيل الله ويتصدق مغرما غرامة وخسرانا أي يجعله مقصده ولا يرى فيه غير ذلك إذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وإنما ينفق رياء أو تقية • وأصل الغرم الدين ومنه تعوذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من المغرم والمأثم ولكن كثر استعماله فيما يؤديه الإنسان مما لا يلزمه بحقه • وفي لفظه معنى اللزوم ومنه قوله تعالى إن عذابها كان غراما ويتربص بكم الدوائر الدائرة في الأصل مصدر سمي به العاقبة أو اسم فاعل من دار يدور سمي به عقبة الزمان لا مخلص عنها فهي تحيط الشخص كما يحيط الدائر • ويحتمل أن يؤخذ من دور الزمان أي ينتظر لكم ما يأتي به الأيام ويدور به من النوائب لينقلب الأمر عليكم فيتخلصوا من الإنفاق عليهم دائرة السوء دعاء عليهم بنحو ما يتربصوا به معترض كقوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم • والسوء بالفتح وهو ذم للدائرة أضيف إليه كقولك رجل سوء لأن من دارت إليه ذمها بالسوء • وقرئ بضم السين قيل بالفتح المصدر وبالضم الاسم • وقال أبو علي معنى الدائرة تقتضي معنى السوء فإنما هي إضافة بيان وتأكيد كما قالوا شمس النهار ولحيا رأسه • ولا يقال رجل سوء إلا بفتح السين ولهذا لم يختلف القراءة في فتح السين في قوله تعالى ما كان أبوك امرأ سوء والله سميع لما يقولون عند الإنفاق عليم بما يضمرونه

عن النفاق أي كله

الأعراب أهل البدو أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وبعدهم عن العلم والعلماء وأجدر أن لا يعلموا وأحق بأن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله يعني حدود الدين وما أنزل الله من الشرائع والأحكام • ومنه قوله صلى الله عليه وسلم إن الجفاء والقسوة في الفدادين أي الأكرة لأنهم يفدون أي يصيحون في حروثهم • والفديد الصياح والله عليم بأحوالهم حكيم في إمهالهم ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق أي يتصدق مغرما غرامة وخسرانا لأنه لا ينفق إلا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله تعالى وابتغاء المثوبة عنده ويتربص بكم الدوائر أي دوائر الزمان وتبدل الأحوال بدور الأيام ليذهب غلبتكم عليه فيتخلص من إعطاء الصدقة عليهم دائرة السوء أي عليهم تدور المصائب والحروب التي يتوقعون وقوعها في المسلمين • السوء مكي وأبو عمرو وهو العذاب • والسوء بالفتح ذم للدائرة كقولك رجل سوء في مقابلة قولك رجل صدق والله سميع لما يقولونه إذا توجهت عليهم الصدقة عليم بما يضمرونه • المدارك

الأعراب هي صيغة جمع وليست بجمع للعرب قاله سيبويه لئلا يلزم كون الجمع أخص من الواحد فإن العرب هو هذا الجيل الخاص سواء سكن البوادي أم القرى

وأما الأعراب فلا يطلق إلا على من يسكن البوادي ولهذا نسب إلى الأعراب على لفظه • فقيل أعرابي • وقال أهل اللغة رجل عربي وجمعه العرب كما يقال مجوسي ويهودي • ثم يحذف ياء النسب في الجمع فيقال المجوس واليهود ورجل أعرابي ويجمع على الأعراب والأعاريب أي أصحاب البدو أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر لجفائهم وقسوة قلوبهم وتوحشهم ونشأتهم في معزل من مشاهدة العلماء ومفاوضتهم • وهذا من باب وصف الجنس بوصف بعض أفراده كما في قوله تعالى وكان الإنسان كفورا • إذ ليس كلهم كما ذكر على ما ستحيط به خبرا وأجدر أن لا يعلموا أي أحق وأخلق بأن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله لبعدهم عن مجلسه صلى الله عليه وسلم وحرمانهم من مشاهدة معجزاته ومعاينة ما ينزل عليه من الشرائع في تضاعيف الكتاب والسنة والله عليم بأحوال كل من أهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من العقاب والثواب ومن الأعراب شروع في بيان تشعب جنس الأعراب إلى فريقين وعدم انحصارهم على الفريق المذكور كما يتراءى من ظاهر النظم الكريم وشرح لبعض مثالب هؤلاء المتفرعة على الكفر والنفاق بعد بيان تماديهم فيهما • وحمل الأعراب على الفريق المذكور خاصة وإن ساعده كون من يحكي حاله بعضا منهم وهم الذين يتكلفون الإنفاق من أهل النفاق دون فقرائهم • أو أعراب أسد وغطفان وتميم كما قيل لكن لا يساعده ما سيأتي من قوله تعالى ومن الأعراب من يؤمن إلخ فإن أولئك ليسوا من هؤلاء قطعا وإنما هم من الجنس أي ومن جنس الأعراب الذي نعت بنعت بعض أفراده من يتخذ ما ينفق من المال أي يعد ما يصرفه في سبيل الله ويتصدق به صورة مغرما أي غرامة وخسرانا لازما إذ لا ينفقه احتسابا ٥

باللوم والعتاب أما تعليل مستقل أي وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا أنتم في ذلك جزاء ونصب على أنه مصدر مؤكد لفعل مقدر من لفظه وقع حالا أي يجزون جزاء • أو لتقفون الجملة السابقة فإنها مفيدة لمعنى المجازاة قطعا كأنه قيل يجزون جزاء بما كانوا يكسبون في الدنيا من فنون السيئات • أو على أنه مفعول له يحلفون لكم بدل مما سبق وعدم ذكر المحلوف به لظهوره أي يحلفون به تعالى لترضوا عنهم بحلفهم وتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فإن ترضوا عنهم حسبما راموا وساعدتموهم في ذلك فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين أي فإن رضاكم عنهم لا يجديهم نفعا لأن الله تعالى ساخط عليهم ولا أثر لرضاكم عند سخطه سبحانه وتعالى • ووضع الفاسقين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالخروج عن الطاعة المستوجب لما حل بهم من السخط • وللإيذان بشمول الحكم لمن شاركهم في ذلك • والمراد به نهي المخاطبين عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم الكاذبة على أبلغ وجه وآكده فإن الرضى عمن لا يرضى عنه الله تعالى مما لا يكاد يصدر عن المؤمن • وقيل إنما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم أن رضى المؤمنين من دواعي رضى الله تعالى • قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقا فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم • وقيل جاء عبد الله بن أبي يحلف أن لا يتخلف عنه أبدا

٥ احتسابا ورجاء لثواب الله تعالى ليكون له مغنما • وإنما ينفقه رياء وتقية فهي غرامة محضة • أبو السعود

وما في صيغة الاتخاذ من معنى الاختيار والانتفاع بما يتخذ إنما هي باعتبار غرض المنفق من الرياء والتقية لا باعتبار ذات النفقة أعني كونها غرامة ويتربص بكم الدوائر أصل الدائرة ما يحيط بالشيء والمراد بها ما لا محيص عنه من مصائب الدهر أي ينتظر بكم دوائر الدهر ونوبه ودوله ليذهب غلبتكم عليه فيتخلص مما ابتلي به عليهم دائرة السوء دعاء عليهم بنحو ما أرادوا بالمؤمنين على نهج الاعتراض كقوله تعالى غلت أيديهم بعد قول اليهود ما قالوا • والسوء مصدر ثم أطلق على كل ضرر وشر • وأضيف إليه الدائرة ذما كما يقال رجل سوء لأن من دارت عليه يذمها • وهي من باب إضافة الموصوف إلى صفته فوصفت في الأصل بالمصدر مبالغة ثم أضيفت إلى صفتها كقوله تعالى ما كان أبوك امرأ سوء • وقيل معنى الدائرة يقتضي معنى السوء فإنما هي إضافة بيان وتأكيد كما قالوا شمس النهار ولحيا رأسه • وقرئ بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والله سميع بما يقولونه عند الإنفاق مما لا خير عليم بما يضمرونه من الأمور الفاسدة التي من جملتها أن يتربصوا بكم الدوائر • وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى

أبو السعود أفندي

الأعراب أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر لقساوة قلوبهم وتوحشهم وبعدهم عن سماع القرآن والسنن وصحبة العلماء العاملين لله كغطفان وأسد وتميم وأجدر أي هم أولى وأحق أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله أي أحكام الله في كتابه وشرائعه يعني هم أحق بجهلها ومنه قوله عليه السلام إن الجفاء والقسوة في الفدادين والله عليم تعلم حال كل أحد من أهل الوبر والمدر حكيم بعقاب مسيئهم وثواب محسنهم ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق في الجهاد مغرما أي غرما وخسرانا لا يحتسب فيه أجرا وثوابا لأنه يعطي الإخوة من المسلمين ورياء لا لوجه الله ويتربص بكم الدوائر أي ينتظر بكم دوائر الموت والهلاك قيل الدوائر دوائر الزمان وصروفه التي تأتي الإنسان مرة بالخير ومرة بالشر قال الله تعالى عليهم دائرة السوء أي عليهم عاقبة الهلاك • وهو دعاء معترض دعي عليهم بمثل ما دعوا به • وقرئ بضم السوء وهو العذاب • وبالفتح وهو ذم الدائرة • وأجمع القراء على فتح سين امرأة سوء وقوم سوء لأنه ليس فيه معنى العذاب ليضم بل هو ضد قولك رجل صدق والله سميع بما يقولون إذا توجهت الصدقة عليهم عليم بحالهم وهلاكهم وهم الجد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما • قيل غطفان وأسد وتميم •

قرأ ابن كثير وأبو عمرو دائرة السوء بضم السين • والباقون بفتحها • وقال الكسائي من ضم السين أراد بالسوء البلاء والشدة وهو إضافة • ومن فتح السين جعل السوء نعتا للدائرة فيكون كقولك رجل سوء وامرأة سوء • من العيون

ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر لما ذكر من يتخذ ما ينفق مغرما ذكر مقابله وهو من يتخذ ما ينفق مغنما
وذكر هنا الاصل الذي يترتب عليه انفاق المال في القربات وهو الايمان بالله تعالى واليوم الاخر اذ جزاء ما ينفق انما
يظهر ثوابه الدائم في الاخرة وقد اكتفى ثمة بذكر سجية الكفر وهو اتخاذ ما ينفق مغرما والتربص بالمؤمنين
الدوائر ويتخذ اي يجعل مقصدا ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ عند الله صفتها او ظرف
ليتخذ وصلوات الرسول سبب صلواته لانه صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن
للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس ان يصلي عليه كما عليه السلام اللهم صل على آل ابي اوفى لانه
منصبه فله ان يتفضل به على غيره اقيم المسبب مقام السبب في الموضعين لقوة الاستلزام وشدة التشوق
الى اللازم الا انها قربة لهم شهادة من الله تعالى للمتصدق بصحة ما اعتقده على ابلغ الوجوه من التاكيد بالاستيناف
والاداتين المفيدين للتحقيق وثبات الامر وتمكنه وتنكير قربة للتعظيم والضمير لنفقتهم سيدخلهم الله في رحمته
تصديق لرجائهم بما في السين من تحقيق الوعد باحاطة الرحمة عليهم وما اقوى دلالة هذا الكلام
على رضى الله تعالى عن المتصدقين وان الصدقة
من الله تعالى بمكان اذا خلصت النية من
صاحبها ان الله غفور رحيم استيناف
لتقرير ما وعدهم والسابقون الاولون
من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين
وقيل هم الذين شهدوا بدرا والانصار
اهل بيعة العقبة اولى وكانوا سبعة
نفر واهل العقبة الثانية وكانوا
سبعين والذين اسلموا حين قدم عليهم
ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ
بالرفع عطفا على السابقون والذين
اتبعوهم اللاحقون بالسابقين من
القبلتين والذين اتبعوهم بالايمان و
الطاعة الى يوم القيمة باحسان باخلاص
قال تعالى بلى من اسلم وجهه لله وهو
محسن رضي الله عنهم لطاعتهم واعمالهم
ورضوا عنه لما افاض عليهم نعمه الدينية
والدنيوية واعد لهم جنات تجري
تحتها الانهار وقرئ من تحتها خالدين
فيها ابدا ذلك الفوز العظيم تقدم تفسيره
ومن الاعراب اي من جنسهم ١ باكالك
على الاطلاق من يؤمن بالله واليوم الاخر
ويتخذ اي ياخذ لنفسه على وجه الاصطفاء
والادخار ما ينفق اي ينفعه في سبيل
الله تعالى قربات اي ذرايع اليها وللايذان
بما بينهما من كمال الاختصاص جعل كانه
نفس القربات والجمع باعتبار انواع القربات
او افرادها وهي ثاني مفعولي يتخذ
وقوله عز وجل عند الله صفتها او ظرف ليتخذ
وصلوات الرسول اي وسائل اليها فانه صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته

ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق
في الجهاد والصدقات قربات اسبابا للقربة عند الله وهي مفعول
ثان ليتخذ وصلوات الرسول اي دعائه لانه صلى الله عليه وسلم كان
يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله صلى الله عليه وسلم
اللهم صل على آل ابي اوفى الا انها اي ان النفقة او صلوات الرسول
قربة لهم قربة قراءة نافع وهذا شهادة من الله تعالى للمتصدقين بصحة ما
اعتقدوا من كون نفقتهم قربات وصلوات وتصديق لرجائهم
على طريق الاستيناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين
بثبات الامر وتمكنه وكذلك سيدخلهم الله في رحمته جنته و
ما في السين من تحقيق الوعد وما ادل هذا الكلام على رضى الله
تعالى عن المتصدقين وان الصدقة منه تعالى بمكان اذا خلصت
من صاحبها ان الله غفور يستر العيب الخلل رحيم يقبل جهد المقل
والسابقون مبتدأ الاولون صفة لهم من المهاجرين تبيين لهم
وهم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا وبيعة
الرضوان والانصار عطف على المهاجرين اي ومن الانصار وهم اهل
بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية
وكانوا سبعين والذين اتبعوهم باحسان من المهاجرين والانصار فكانوا
سائر الصحابة وقيل هم الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة
والخبر رضي الله عنهم باعمالهم الحسنة ورضوا عنه لما افاض عليهم من
نعمه الدينية والدنيوية واعد لهم عطف على رضي جنات تجري تحتها
الانهار من تحتها مكي خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم اسهى المدارك

كما فعله صلى الله عليه وسلم حين قال اللهم صل على آل ابي اوفى فان ذلك منصبه فله ان يتفضل به من يشاء والتعرض
لوصف الايمان بالله واليوم الاخر في الفريق الاخير مع ان مساق الكلام لبيان
الفرق بين الفريقين في شأن اتخاذ ما ينفقانه حالا ومآلا وان ذكر اتخاذه
ذريعة الى القربات هلا
بالخير والبركة ويستغفر لهم ولذلك سن
للمصدق ان يدعو للمتصدق

والسابقون الاولون اختلفوا فيهم فمنهم من قال الذين سبقوا الى الهجرة والنصرة وهم قدماء الصحابة وكلمة من تبعيضية
وقال اخرون انه تبيين اول جميع الصحابة موصوفون بكونهم سابقين اولين بالنسبة الى سائر المسلمين فمن تبيينية
فعلى هذا حمل الذين اتبعوهم باحسان على الذين لم يدركوا النبي صلى الله عليه وسلم او سلكوا سبيل الصحابة في الايمان
والهجرة والنصرة الى يوم القيمة اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم اوحي اليه وهو ابن اربعين في مكة فبايعه جماعة
من الناس فتعدى عليهم كفار قريش فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى ارض الحبشة وملكها وهو النجاشي
فخرجوا وهم نحو من ثمانين رجلا في رجب من السنة الخامسة من النبوة وهي الهجرة الاولى وفي سنة احدى عشرة
من النبوة والعقبة الثانية في السنة الثانية عشرة ولما انصرف اهل العقبة الثانية الى المدينة بعث معهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير ليفقه اهلها ويقرئهم القرآن فاسلم خلق كثير ثم هاجر صلى الله
عليه وسلم اليها في السنة الرابعة عشرة وهي الهجرة الثانية واما تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة
فهو في اليوم الثاني من شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا من مقامه بالمدينة وفي هذه السنة وقعت غزوة
بدر الكبرى في شهر رمضان في السابع عشر وكانت عمرة الحديبية في سنة الهجرة وفيها بيعة الرضوان فقد
ظهر ان بيعة الرضوان كانت بعد الهجرتين قطب

اعلم ان اسبق الناس الى الهجرة ابو بكر رضي الله عنه لانه كان في خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم مصاحبا له في كل مسكن
وموضع فكان نصيبه من هذا المنصب اعلى من نصيب غيره وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه وان كان من المهاجرين
الا انه انما هاجر بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا ننكر انه انما بقي في المدينة لمهمات الرسول صلى الله عليه وسلم
الا ان السبق الى الهجرة انما حصل لابي بكر رضي الله عنه فكان نصيب ابي بكر من هذه الفضيلة اوفر اذا ثبت هذا صار
ابو بكر محكوما عليه بانه رضي الله عنه ورضي هو عن الله تعالى وذلك في اعلى الدرجات من الفضل واذا ثبت
هذا وجب ان يكون ابو بكر اماما حقا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لو كانت امامته باطلة لاستحق
اللعن والمقت وذلك ينافي حصول مثل هذا التعظيم فصارت هذه الاية من ادل الدلائل على فضل ابي بكر وعمر
وعلى صحة امامتهما من تفسير الكبير للامام العلامة كحل الافاضل الفخر الرازي رحمه الله
عيون

الى القربات والصلوات مغنٍ عن التصريح بذلك لكمال العناية بايمانهم وببيان اتصافهم به وزيادة الاعتناء
بتحقيق الفرق بين الفريقين من اول الامر • واما الفريق الاول فاتصافهم بالكفر والنفاق معلوم من سياق
النظم الكريم صريحا الا انها قربة لهم شهادة لهم من جناب الله تعالى بصحة ما اعتقدوه وتصديق لرجائهم •
والضمير لما ينفق والتانيث باعتبار الخبر مع ما مر من تعدده باحد الوجهين • والتنكير للتفخيم المغني عن الجمع
اي قربة عظيمة لا يكتنه كنهها • وفي ايراد الجملة اسمية وتصديرها بحرفي التنبيه والتحقيق من الجزالة
ما لا يخفى • والاقتصار على بيان كونها قربة لهم لانها الغاية القصوى وصلوات الرسول من ذرائعها
وقوله تعالى سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة رحمته الواسعة بهم وتفسير للقربة كما ان قوله تعالى
والله سميع عليم وعيد للاولين عقيب الدعاء عليهم والسين للدلالة على تحقق ذلك وتقرره البتة
وقوله ان الله غفور رحيم تعليل لتحقق الوعد على نهج الاستئناف التحقيقي • قيل هذا في عبد الله ذي البجادين
وقومه • وقيل في بني مقرن من مزينة • وقيل في اسلم وغفار وجهينة • وروى ابو هريرة انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اسلم وغفار وجهينة ومزينة خير عند الله يوم القيمة من تميم واسد بن خزيمة وهوازن
وغطفان • والسابقون الاولون من المهاجرين بيان لفضائل اشراف المسلمين اثر بيان فضيلة طائفة منهم والمراد بهم
الذين صلوا الى القبلتين • او الذين شهدوا بدرا • او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى
وكانوا سبعة نفر • واهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين رجلا والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة
مصعب بن عمير • وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اي ملتبسين به والمراد به
كل خصلة حسنة وهم اللاحقون بالسابقين من الفريقين على ان من تبعيضية • او الذين اتبعوهم بالايمان
والطاعة الى يوم القيمة • فالمراد بالسابقين جميع المهاجرين والانصار ومن بيانية رضي الله عنهم خبر للمبتدا
اي رضي عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوه من رضاه المستتبع لجميع المطالب طرا
واعد لهم في الاخرة جنات تجري تحتها الانهار وقرئ من تحتها كما في سائر المواضع خالدين فيها ابدا من غير انتهاء
ذلك الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه • وما في اسم الاشارة من معنى البعد لبيان بعد منزلتهم في مراتب الفضل
وعظم الدرجة من مؤمني الاعراب

او العود

ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر وهم مزينة وجهينة وبنو مقرن
ويتخذ ما ينفق في الجهاد قربات عند الله نصبه مفعول ثان ليتخذ وعند الله ظرفه • جمع قربة
وهي ما يتقرب به الى الله • اي يجعل ما ينفقه في سبيله سببا لحصول القربات اليه تعالى وصلوات الرسول
اي وسببا لحصول الدعوات من الرسول صلى الله عليه وسلم واستغفاره لهم لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان
يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم الا انها قربة لهم بضم الراء واسكانها اي اعلموا ان نفقاتهم في سبيل الله
تقرب وفضيلة لهم عند الله تعالى حقا وهو شهادة من الله تعالى للمتصدق بصحة ما اعتقده من كون نفقاته
قربات وصلوات مع حرفي التنبيه المصدر وحرف التحقيق المؤكد المؤذنين بثبات الامر وتمكنه سيدخلهم الله
في رحمته اي في جنته ان الله غفور لذنوبهم رحيم بتكرمتهم فيها والسابقون مبتدا والخبر الاولون
اي السابقون الى الجنة هم الاولون الى الهجرة • او الذين صلوا الى القبلتين من المهاجرين والانصار او اهل
بيعة الرضوان منهم في الحديبية وهم اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر • واهل العقبة الثانية
وكانوا سبعين • او اهل بدر • او كل من صحب النبي صلى الله عليه وسلم • واول من اسلم كابي بكر وعلي
وخديجة من الاحرار وزيد بن حارثة من العبيد فلهم السبق على غيرهم رضوان الله عليهم اجمعين • قوله
والذين بالواو عطف على الاولون اي والسابقون الى الجنة ايضا هم الذين اتبعوهم على دينهم باحسان
اي باخلاصهم وهم بقية المهاجرين والانصار • او جميع من استن بهم الى قيام الساعة • قيل السابقون
مبتدا والخبر رضي الله عنهم باعمالهم الحسنة ورضوا عنه اي عن امر الله تعالى بافاضته عليهم نعم الدنيا والاخرة
واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار بحذف من ونصب تحت لنزع الخافض وباثبات من كما في مصاحف
اهل مكة خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم اي الثواب الوافر ثم اخبر عن حال المنافقين القاعدين حول المدينة
بقوله وممن حولكم الخ

من العيون

نحن نعلمهم تقرير لما سبق من مهارتهم في فن النفاق اى لا يقف على سرائرهم المركوزة في ضمائرهم الا من لا تخفى عليه خافية لما هم عليه من شدة الاهتمام بابطان الكفر واظهار الاخلاص • وفي تعليق العلم بهم مع ان المقصود بيان تعلقه بحالهم ما مرّ في تعليق نفيه بهم وقوله تعالى سنعذبهم وعيد لهم وتحقيق لعذابهم حسبما علم الله تعالى فيهم من موجباته والسين للتاكيد مرتين عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق • اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني اما القتل واما عذاب القبر • او الاول هو القتل والثاني عذاب القبر • او الاول اخذ الزكوة لما انهم يعدونها مغرما بحتا والثاني نهك الابدان واتعابها بالطاعات الفارغة عن الثواب • ولعل تكرير عذابهم لما فيهم من الكفر المشفوع بالنفاق او النفاق المؤكد بالتمرد فيه • ويجوز ان يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين اى كرة بعد اخرى ثم يردون يوم القيمة الى عذاب عظيم هو عذاب النار • وفي تغيير السبك باسناد عذابهم السابق الى نون العظمة حسب اسناد ما قبله من العلم واسناد ردهم الى العذاب اللاحق الى انفسهم ايذان باختلافهما حالا وان الاول خاص بهم وقوعا وزمانا يتولاه سبحانه وتعالى والثاني شامل لعامة الكفرة وقوعا وزمانا وان اختلفت طبقات عذابهم • ابو السعود

ثم اخبر عن حال المنافقين القاعدين حول المدينة بقوله تعالى

وممن حولكم من الاعراب منافقون وهم جهينة وغفار واسلم واشجع وعن حال المنافقين القاعدين حول المدينة بقوله ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم الخبر للمبتداء بعده ويجوز ان يكون خبر مبتداء محذوف اى ومن اهل المدينة قوم مردوا اى استمروا على النفاق وعتوا واتقنه يعنى استحكم نفاقهم فلا يرجعون عنه الى الاخلاص بالتوبة لا تعلمهم بسبب ايمانهم باللسان نحن نعلمهم بما يبطنون في سويداء قلوبهم من النفاق لا نشك فيه اذ لا يخفى علينا السر والعلانية ونعرف حالهم سنعذبهم مرتين الاولى اخراجهم من المسجد باسمائهم يوم الجمعة والثانية عذاب القبر • وقيل القحط والقتل • وقيل بما يصيبهم في الدنيا والاخرة من المصائب والشدائد ثم يردون الى عذاب عظيم بان يخلدون في عذاب جهنم وهو اعظم من كل عذاب

من العيون

وممن حولكم اى حول بلدكم وهي المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم • او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق اى دربوا فيه ومرنوا عليه وتجاوزوا فيه وهو يستعمل في الشر لا في الخير • ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينهما وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتداء لبيان تمرنهم وتمهرهم في النفاق لا تعرفهم باعيانهم بيان لقوله مردوا على النفاق اى بلغوا من مهارتهم فيه الى ان خفي حالهم عليك مع كمال فطنتك وصدق فراستك لتنوقهم في توقي مواضع التهم نحن نعلمهم تاكيد للبيان لا فادة تقديم الضمير التخصيص اى لا يعلمهم الا الله وحده ولا يطلع على سرهم غيره لشدة ابطانهم الكفر واظهار الاخلاص • وحمل مردوا على الاستيناف ابلغ وانسب لهذه المبالغة سنعذبهم فيه تحقيق لعذابهم بموجب علمه مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان • ويحتمل ان لا يراد به شفع الواحد بل يكون المعنى على التكثير كقوله ثم ارجع البصر كرتين اى كرة بعد كرة ثم يردون الى عذاب عظيم اى عذاب النار في دار القرار • اسماعيل •

وممن حولكم يعني حول بلدتكم وهي المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة واسلم واشجع وغفار وكانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على خبر المبتداء الذي هو ممن حولكم والمبتداء منافقون ويجوز ان يكون جملة معطوفة على المبتداء والخبر اى قد ثبت ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق اى تمهروا فيه على ان مردوا صفة موصوف محذوف • وعلى الوجه الاول لا يخلو من ان يكون كلاما مبتداء او صفة للمنافقون فصل بينه وبينها بمعطوف على خبره ودل على تمرنهم فيه بقوله لا تعلمهم اى يخفون عليك مع فطنتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما تشكك في امرهم ثم قال نحن نعلمهم اي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين سنعذبهم مرتين هما القتل وعذاب القبر • او الفضيحة وعذاب القبر • او اخذ الصدقات من اموالهم ونهك ابدانهم ثم يردون الى عذاب عظيم اى عذاب النار • اسماعيل مدارك •

وممن حولكم من الاعراب شروع في بيان احوال منافقي اهل المدينة ومن حولها من الاعراب بعد بيان حال اهل البادية منهم اى ممن حول بلدتكم منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم عطف مفرد على مفرد وقوله تعالى مردوا على النفاق اما جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مسوقة لبيان غلوهم في النفاق اثر بيان اتصافهم به • واما صفة للمبتداء المذكور فصل بينها وبينه بما عطف على خبره • واما صفة لمحذوف اقيمت هي مقامه وهو مبتداء خبره من اهل المدينة كما في قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا • والجملة عطف على الجملة السابقة اى ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق اى تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه غير ان مرد لا يكاد يستعمل الا في الشر • فالتمرد على الوجهين الاولين شامل للفريقين حسب شمول النفاق وعلى الوجه الاخير خاص بمنافقي اهل المدينة وهو الاظهر ولا تنسب بذكر منافقي اهل البادية اولا ثم ذكر منافقي الاعراب المجاورين للمدينة • ثم ذكر منافقي اهلها والله اعلم وقوله عز شانه لا تعلمهم بيان لتمردهم اى لا تعرفهم انت لكن لا باعيانهم واسمائهم وانسابهم بل بعنوان نفاقهم يعني انهم بلغوا من المهارة في النفاق والتنوق في مراعاة التقية والتحامي عن مواقع التهم الى ان يخفى عليك حالهم مع ما انت عليه من علو الكعب وسمو الطبقة في كمال الفطنة وصدق الفراسة • وفي تعليق نفي العلم بهم مع انه متعلق بحالهم مبالغة في ذلك وايماء الى ان ما هم فيه من صفة النفاق لعراقتهم ورسوخهم فيها صارت بمنزلة ذاتياتهم او مشخصاتهم بحيث لا يعد من لا يعلمهم بتلك الصفة عالما بهم • وحمل عدم علمه صلى الله عليه وسلم باعيانهم على عدم علمه صلى الله عليه وسلم بعد مجيء هذا البيان على انه صلى الله عليه وسلم يعلم ان فيهم منافقين لكن لا يعلمهم باعيانهم مع كونه خلاف الظاهر عاري عما ذكر من المبالغة وقوله تعالى نحن نعلمهم

وآخرون اعترفوا بذنوبهم اى لم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة من تخلفهم واعترفوا بتقصيرهم ومخالفتهم نادمين وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سوارى المسجد لما بلغهم ما نزل من المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا الا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب وآخر سيئا هو التخلف وموافقة اهل النفاق • والواو في الخلط ابلغ من الباء لدلالتها على كون كل منهما مخلوطا ومخلوطا به بخلاف الباء لافادتها ان يكون احدهما مخلوطا والآخر مخلوطا به • ويجوز ان يكون بمعنى الباء والمفعول محذوف وعملا بدل منه من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما عسى الله ان يتوب عليهم اى يقبل توبتهم وهى مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم قال الكلبى عسى من الله واجب اى هو الطماع الكريم اجاب ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب و يتفضل عليه • قال بعض العلماء المسيء منا الى مخلوق اذا خافه لم يخلصه من ذلك الا شيئان الانكار والفرار • والمسيء في حق الله تعالى لا ينجيه الا شيئان الاقرار والقرار • قال قائلهم اقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزنا واعلم بان جحود الذنب ذنبان • انتهى كلامه •

وآخرون اى قوم آخرون سوى المذكورين اعترفوا بذنوبهم اى لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على انفسهم بانهم بئس ما فعلوا نادمين وكانوا عشرة • فسبعة منهم لما بلغهم ما نزل في المتخلفين اوثقوا على انفسهم على سوارى المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التى خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزل خذ من اموالهم صدقة خلطوا عملا صالحا خروجا الى الجهاد وآخر سيئا تخلفا عنه او التوبة والاثم وهو من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما اى شاة بدرهم فالواو بمعنى الباء لان الواو للجمع والباء للالصاق فتناسبا او المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر فكل واحد منهما مخلوط و مخلوط به كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه بخلاف قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته بالواو فقد جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم و لم يذكر توبتهم لانه ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة • انتهى كلام المدارك

وآخرون بيان لحال طائفة من المسلمين ضعيفة الهمم في امور الدين وهو عطف على منافقون اى ومنهم يعنى وممن حولكم ومن اهل المدينة قوم آخرون اعترفوا بذنوبهم التى هى تخلفهم عن الغزو وايثار الدعة عليه والرضى بسوء جوار المنافقين وندموا على ذلك ولم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة ولم يخفوا ما صدر عنهم من الاعمال السيئة كما فعله من اعتاد اخفاء ما فيه وابراز ما ينافيه من المنافقين الذين اعتذروا بما لا خير فيه من المعاذير المؤكدة بالايمان الفاجرة حسب ديدنهم المألوف وهم رهط من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سوارى المسجد عندما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين حسب عادته الكريمة ورآهم كذلك فسأل عن شأنهم فقيل انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال صلى الله عليه وسلم وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت خلطوا عملا صالحا هو ما سبق منهم من الاعمال الصالحة والخروج الى المغازى السابقة وغيرها وما لحق من الاعتراف بذنوبهم في التخلف عن هذه المرة وتذممهم وندامتهم على ذلك • وتخصيصه بالاعتراف لا يناسب الخلط لاسيما على وجه يؤذن بتوارد المختلطين وكون كل منهما مخلوطا ومخلوطا به كما يؤذن به تبديل الواو بالباء في قوله تعالى وآخر سيئا فان قولك خلطت الماء باللبن يقتضي ايراد الماء على اللبن دون العكس وقولك خلطت الماء واللبن معناه ايقاع الخلط بينهما من غير دلالة على اختصاص احدهما بكونه مخلوطا والآخر بكونه مخلوطا به وترك تلك الدلالة للدلالة على جعل كل منهما متصفا بالوصفين جميعا وذلك فيما نحن فيه لورود كل من العملين على الآخر مرة بعد اخرى والمراد بالعمل

والمراد بالعمل السيئ ما صدر عنهم من الاعمال السيئة اولا وآخرا • وعن الكلبى التوبة والاثم • وقيل الواو بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم عسى الله ان يتوب عليهم اى يقبل توبتهم المفهومة من اعترافهم بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل عليه وهو تعليل لما يفيده كلمة عسى من وجوب القبول فانها للاطماع الذى هو من اكرم الاكرمين ايجاب واى ايجاب • ابو السعود •

وآخرون اعترفوا بذنوبهم مبتدأ وصفة وخبره خلطوا عملا صالحا وهو توبتهم واعتذارهم الصحيح وآخر سيئا عطف على عملا فيكون من قبيل خلطت الماء واللبن اى خلطت كل واحد منهما بالآخر • ويجوز ان يجعل الواو بمعنى الباء ليظهر المخلوط به الذى يقتضيه الخلط والآخر السيئ هو تخلفهم عن الغزو وهم اوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وابو لبابة • قيل ربط هو نفسه بعمود المسجد ثم قال والله لا احل نفسى منه حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلنى فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فحله بيده ثم قال يا رسول الله ان من توبتى ان اهجر دار قومى التى اصبت الذنب فيها وان انخلع من مالى كله واجعله صدقة لله ولرسوله فقال صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث يا ابا لبابة وفى قوله اعترفوا بذنوبهم اشارة الى طلب التوبة فقال الله تعالى عسى الله ان يتوب عليهم وفى ذكر عسى من الله تعالى دلالة على وجوب ان يتجاوز الله عنهم ان الله غفور رحيم يغفر ذنوب التائبين ويرحمهم بقبولهم بالمحبة ثم جاؤا باموالهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه اموالنا فخذها وتصدق بها فانا تخلفنا عنك بسببها فاستكره الاخذ منها لانه ما امر به فنزل خذ من اموالهم ا ه

من العيون

ان الله هو يقبل التوبة الصحيحة الخالصة عن عباده المخلصين فيها ويتجاوز عن سيئاتهم كما يفصح عنه كلمة عن ● والمراد بهم اما اولئك التائبون ووضع المظهر موضع المضمر للاشعار بعلية العبادة لقبولها واما كافة العباد وهم داخلون في ذلك دخولا اوليا ويأخذ الصدقات اي يقبل صدقاتهم على ان اللام عوض عن المضاف اليه اي جنس الصدقات المندرج تحته صدقاتهم اندراجا اوليا اي هو الذي يتولى قبول التوبة واخذ الصدقات وما يتعلق بها من التطهير والتزكية وان كنت انت المباشر لها ظاهرا ● وفيه من تقرير ما ذكر ورفع شان النبي صلى الله عليه وسلم على نهج قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ما لا يخفى وان الله هو التواب الرحيم تاكيد لما عطف عليه وزيادة تقرير لما يقرره مع زيادة معنى ليس فيه اي الم يعلموا انه المختص المستاثر ببلوغ الغاية القصوى من قبول التوبة والرحمة وان ذلك سنة مستمرة له وشان دائم ● والجملتان في حيز النصب بيعلموا ايسد كل واحدة منهما مسد مفعوليه ● واما الغير التائبين من المؤمنين فقد روي انهم قالوا لما تيب على الاولين هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت اي الم يعلموا ما للتائبين من الخصال الداعية الى الترحم والتقريب والانتظام في سلك المؤمنين والتلقي بحسن القبول والمجالسة فهو ترغيب لهم في التوبة والصدقة ابو السعود

خذ من اموالهم صدقة تطهرهم هي الصدقة المفروضة وكان هذا ابتداء الفرض وتزكيهم بها اي تصلح بها اعمالهم كالزكوة تصلح الاعمال للقبول وصل عليهم اي ادع لهم واستغفر لهم ان صلاتك مفردا وجمعا اي ان دعواتك عليهم سكن لهم اي طمانينة لهم لانهم يوقنون ان الله قد قبل منهم الصدقة والتوبة والله سميع لاعترافهم بذنوبهم عليم بما في ضمائرهم من الغم والندم قيل السنة للمتصدق ان يدعو لصاحب الصدقة اذا اخذها قال الشافعي رحمه الله احب الي ان يقول آجرك الله فيما اعطيت وجعله طهورا وبارك لك فيما ابقيت الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا تابوا عن الشرك والمعاصي توبة معروفة بالصحة ويأخذ الصدقات اي ويقبلها اذا تصدقوا بخلوص النية فما منعهم عن التوبة والتصدق قيل ان الصدقة يقع في يد الله قبل ان يقع في يد السائل يعني تقبلها ويضاعف كما يربي احدكم فصيله حتى يكون اللقمة مثل احد وفي رواية فيربيها وان الله هو التواب الرحيم عطف على مفعول يعلموا اي الم يعلموا انه التجاوز عن الذنوب بالتوبة لمن تاب الرحيم له بادخاله جنته من العيوب ●

واختلفوا في اعداد هؤلاء التائبين روى ابن عباس رضي الله عنهما انه كان عشرة منهم ابو لبابة ● وروى عطية انهم كانوا خمسة احدهم ابو لبابة ● وقيل ثمانية وقيل سبعة وكانوا جميعا احدهم ابو لبابة وقال قوم نزلت في ابي لبابة خاصة واختلفوا في ذنبه قال مجاهد نزلت في ابي لبابة حين قال لقريظة ان نزلتم على حكمه فهو الذبح واشار الى حلقه ● وقال الزهري نزلت في تخلفه عن غزوة تبوك فربط نفسه بسارية وقال والله لا احل نفسي ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت الى ان يتوب الله علي فمكث سبعة ايام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله تعالى عليه فقيل له قد تيب عليك قال والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فحله بيده ثم قال ابو لبابة يا رسول الله ان من توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي كله صدقة الى الله تعالى والى رسوله قال يجزيك يا ابا لبابة الثلث ● قالوا جميعا فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث اموالهم وترك الثلثين لان الله تعالى قال خذ من اموالهم ولم يقل اموالهم قال الحسن وقتادة هؤلاء سوى الثلاثة الذين خلفوا معالم التنزيل

خذ من اموالهم صدقة ● روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال صلى الله عليه وسلم ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت خذ من اموالهم صدقة تطهرهم لتطهرهم عن الذنوب او حب المال المؤدي بهم الى مثله صفة لصدقة والتاء للخطاب او لغيبة المؤنث ● وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره ● وقرئ تطهرهم بالجزم جوابا للامر ولم تقرأ وتزكيهم الا باثبات الياء والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه ● او الانماء والبركة في المال بالصدقة وصل عليهم واعطف عليهم وترحم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلاتك سكن لهم يسكن اليها نفوسهم وتطمئن قلوبهم بان الله تعالى قبل توبتهم ● وجمع لتعدد المدعو لهم والله سميع يسمع اعترافهم بذنوبهم عليم بما في ضمائرهم من الغم والندم صدق التوبة الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد التخصيص بهما ان الله هو يقبل التوبة اذا صحت لا رسوله ولا غيره عن عباده تعديته يقبل بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات اذا صدرت عن خلوص النية ● واخذها مجاز عن قبولها ● وقبولها كناية عن اعطاء الثواب في مقابلتها كما هو شان الكريم وان الله هو التواب الرحيم وان من شانه قبول توبة التائبين مرة بعد اخرى والتفضل عليهم بالتجاوز عما وقع بين التوبتين ● والواو للعطف على مقدر كانه قيل ان الله هو البر الكريم تعليل للكناية المذكورة وحذف اداة التعليل معانه قياسي وتقديمه على ما ذكر في تعليل قبول التوبة للتقريب بين التعليل والمعلل مهما امكن فتامل ابن كمال

خذ من اموالهم صدقة كفارة لذنوبهم ● وقيل هي الزكوة تطهرهم عن الذنوب وهو صفة لصدقة ● والتاء للخطاب ● او لغيبة المؤنث والتاء في وتزكيهم بها للخطاب لا محالة بها بالصدقة والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه ● او بمعنى الانماء والبركة في المال وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا اخذها ان صلاتك صلوتك كوفي غير ابي بكر ● قيل الصلوة اكثر من الصلوات لانها للجنس سكن لهم يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بان الله تعالى قد تاب عليهم والله سميع لدعائك او يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم الم يعلموا المراد المتوب عليهم اي الم يعلموا قبل ان يتاب عليهم ويقبل صدقاتهم ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت ويأخذ الصدقات ويقبلها اذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص اي ان ذلك ليس الى رسول الله انما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها اليه وان الله هو التواب كثير قبول التوبة الرحيم يعفو لحوبة ●

خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك نتصدق بها وطهرنا فقال صلى الله عليه وسلم ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت ● فليست هي الصدقة المفروضة لكونها ماموراً بها ولما روي انه عليه السلام اخذ منهم الثلث وترك لهم الثلثين فوقع ذلك بيانا لما في صدقة من الاجمال وانما هي كفارة لذنوبهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل تطهرهم اي عما تلطخوا به من اوضار التخلف ● والتاء للخطاب والفعل مجزوم على انه جواب للامر ● وقرئ بالرفع على انه حال من ضمير المخاطب في خذ ● او صفة لصدقة والتاء للخطاب ● او للصدقة والعائد على الاول محذوف ثقة بما بعده ● وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتزكيهم بها باثبات الياء وهو خبر لمبتدا محذوف والجملة حال من الضمير في الامر او في جوابه اي وانت تزكيهم بها اي تنمي بتلك الصدقة حسناتهم الى مراتب المخلصين ● او اموالهم او تبالغ في تطهيرهم هذا على قراءة الجزم في تطهرهم واما على قراءة الرفع فسواء جعل التاء للخطاب او للصدقة على الوجهين فالثانية عطف على الاولى حالا وصفة من غير حاجة الى تقدير المبتدا لتوجيه دخول الواو في الجملة الحالية وصل عليهم اي واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلاتك وقرئ صلواتك مراعاة لتعدد المدعو لهم سكن لهم تسكن نفوسهم اليها وتطمئن قلوبهم بها ويثقون بانه سبحانه قبل توبتهم ● والجملة تعليل للامر بالصلوة عليهم والله سميع يسمع ما صدر عنهم من الاعتراف بالذنب والتوبة والدعاء عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم ومن الاخلاص في التوبة والدعاء او سميع يجيب دعاءك لهم عليم بما تقتضيه الحكمة ● والجملة حينئذ تذييل للتعليل مقرر لمضمونه وعلى الاول تذييل لما سبق من الآيتين محقق لما فيهما الم يعلموا وقرئ بالتاء والضمير للتائبين فهو تحقيق لما سبق من قبول توبتهم وتطهير الصدقة وتزكيتها لهم وتقرير لذلك وتوطين لقلوبهم ببيان ان المتولي لقبول توبتهم واخذ صدقاتهم هو الله سبحانه وان اسناد الاخذ والتطهير والتزكية اليه صلى الله عليه وسلم اي الم يعلم اولئك التائبون ان الله هو يقبل التوبة ●

وقل اعملوا ما شئتم ظاهره امر وباطنه وعد ووعيد والخطاب للجميع فسيرى الله عملكم خيرا كان او شرا وقدم بيانه ورسوله
والمؤمنون في الخبر لو ان رجلا عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائنا ما كان وستردون الى عالم الغيب والشهادة
قدم بيانه • وانما اتى ههنا بذلك من حرف التقريب لان كل ات قريب ولان الرد عند الموت وهو محتمل في كل ان والا لما
مقام التحذير فلا يناسبه اداة التسويف فينبئكم بما كنتم تعملون وعد في حق المحسن ووعيد في حق المسيء واخرون
من المتخلفين مرجون قرئ بالهمز من ارجأته وبغير الهمز من ارجيته ومعناه موخرون اي موقوف امرهم لامر الله
اي الى الله تعالى في شانهم اما يعذبهم اي ان اصروا ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا • والترديد لنا ولدفع وهم
ان يكون له تعالى قال والله عليم باعمالهم ونياتهم حكيم فيما يفعل بهم • ويدخل فيه امر التاخير دخولا اوليا •
وقرئ غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصحابه رضي الله عنهم ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما راوا ذلك اخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله تعالى
وقل اعملوا زيادة ترغيب لهم في العمل الصالح الذي من جملته التوبة وللاولين في الثبات على ما هم عليه •
اي قل لهم بعد ما بان لهم شان التوبة اعملوا ما تشاؤون من الاعمال فظاهره ترخيص وتخيير وباطنه ترغيب وترهيب
وقوله تعالى فسيرى الله عملكم اي خيرا كان او شرا تعليل لما قبله وتاكيد للترغيب والترهيب والسين للتاكيد ورسوله
عطف على الاسم الجليل • وتاخيره عن المفعول
للاشعار بما بين الرؤيتين من التفاوت
والمؤمنون • في الخبر لو ان رجلا عمل في
صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس
كائنا ما كان والمعنى ان اعمالكم غير خافية
عليهم كما رايتم وتبين لكم • ثم ان كان
المراد بالرؤية معناها الحقيقي فالامر ظاهر
وان اريد بها مالها من الجزاء خيرا او شرا
فهو خاص بالدنيوي من اظهار المدح والثناء
والذكر الجميل والاعزاز ونحو ذلك من الاجزية
واضدادها وستردون اي بعد الموت
الى عالم الغيب والشهادة في وضع الظاهر
موضع المضمر من تهويل الامر وتربية
المهابة ما لا يخفى • ووجه تقديم الغيب في
الذكر لسعة عالمه وزيادة خطره على
الشهادة غني عن البيان • وقيل ان
الموجودات الغائبة عن الحواس علل او
كالعلل للموجودات المحسوسة والعلم
بالعلل علة للعلم بالمعلومات فوجب
سبق العلم بالغيب على العلم بالشهادة •
وعن ابن عباس رضي الله عنهما الغيب ما يسرونه
من الاعمال والشهادة ما يظهرونه كقوله
تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون •
فالتقديم حينئذ لتحقيق ان نسبة علمه
المحيط بالسر والعلن واحد على ابلغ
وجه واكده بايهام ان علمه تعالى
بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه كيف
لا وعلمه سبحانه بمعلوماته منزه عن ان يكون

وقل لهؤلاء التائبين اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون
اي فان عملكم خيرا كان او شرا لا يخفى على الله تعالى وعباده كما رايتم
وتبين لكم • او غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي
انه لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين كانوا معنا
بالامس لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت • وقوله فيه
الله وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة
وستردون الى عالم الغيب والشهادة ما يشاهدونه فينبئكم
بما كنتم تعملون تنبيه تذكير ومجازاة واخرون مرجون
لامر الله بغير همز مدني وكوفي غير ابي بكر مرجئون غيرهم
من ارجيته وارجاته اذا اخرته • ومنه المرجئة اي
فاخرون من المتخلفين موقوفون الى ان يظهر امر الله فيهم اما يعذبهم
ان اصروا ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا وهم ثلثة كعب بن
مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع • ثلثة تخلفوا عن غزوة
تبوك وهم الذين ذكروا في قوله وعلى الثلثة الذين خلفوا والله عليم
بارجائهم حكيم في ارجائهم • واما للشك وهو راجع الى العباد
اي خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة • روي انه صلى الله عليه وسلم
امر اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ذلك ابو لبابة
من شد انفسهم على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احدا
لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى الله واخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله

بطريق حصول الصورة بل تجرد كل شيء وتحققه في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال
بين الامور البارزة والكامنة واما للايذان بان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو
او مباديه القريبة او البعيدة مضمر قبل ذلك في القلب فتعلق علمه تعالى به في حالته الاولى متقدم على تعلقه
به في حالته الثانية فينبئكم عقيب الرد الذي هو عبارة عن الامر الممتد الى يوم القيمة بما كنتم تعملون

بما كنتم تعملون قبل ذلك في الدنيا والمراد بالتنبئة بذلك الجزاء بحسبه ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو وعد
ووعيد واخرون عطف على اخرون قبله اي ومن المتخلفين من اهل المدينة ومن حولها من الاعراب قوم اخرون
غير المعترفين المذكورين مرجون وقرئ مرجئون من ارجيته وارجاته اي اخرته ومنه المرجئة الذين
لا يقطعون بقبول التوبة لامر الله في شانهم قال ابن عباس رضي الله عنهما هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع
وهلال بن امية لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار
الغم والجزع والندم على ما فعلوا فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى اصحابه عن ان يسلموا عليهم
ويكلموهم وكانوا من اصحاب بدر فجعوهم والناس في شانهم على اختلاف فمن قائل هلكوا وقائل عسى الله
ان يغفر لهم فصاروا عندهم مرجئين لامره تعالى اما يعذبهم ان بقوا على ما هم عليه من الحال • وقيل ان
اصروا على النفاق وليس بذاك فان المذكورين ليسوا من المنافقين واما يتوب عليهم ان خلصت
نيتهم وصحت توبتهم • والجملة حال في محل النصب على الحالية اي منهم هؤلاء. اما معذبين واما متوبا
عليهم • وقيل اخرون مبتدا ومرجون صفته وهذه الجملة خبره والله عليم باحوالهم حكيم فيما فعل بهم من
الارجاء وما بعده • وقرئ والله غفور رحيم • اي العفو

وقل لهم يا محمد اعملوا خيرا فسيرى الله عملكم ويجازيكم به ويراه رسوله والمؤمنون ويشهدون لكم
يوم القيمة فلا تغفلوا عن التوبة وعمل الخير • وفيه تهديد لهم وتحذير عن عاقبة الاصرار على
الكفر وعمل الشر واكد ذلك بقوله وستردون الى عالم الغيب والشهادة الذي لا يعزب
عنه شيء في الارض ولا في السماء بالبعث يوم القيمة فينبئكم اي يخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا
واخرون مرجون بالهمزة وغيره من ارجاته وارجيته اذا اخرته مبتدا وخبر اي وقوم اخرون
من المتخلفين التائبين مؤخرون عن قبول توبتهم يعني لم يتبين توبتهم ان تابوا والله عليم
باحوالهم حكيم يحكم بما يشاء فيهم من العفو

وَلِيَ هارباً الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآتٍ بجنود ومخرج محمداً واصحابه من المدينة فبنوا مسجداً الى جنب مسجد قباء، وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه صلى الله عليه وسلم اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي فقال لهم انطلقوا الى المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة وهلك ابو عامر الفاسق بالشام بقنسرين وهو موضع بينها وبين حلب مسيرة يوم وكفرا تقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين الذين كانوا يصلون في مسجد قباء مجتمعين فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا ويختلف كلمتهم وارصادا اعدادا وانتظارا وترقبا لمن حارب الله ورسوله وهو الراهب الفاسق اي لاجله حتى يجيء فيصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل متعلق باتخذوا اي اتخذوه من ان ينافقوا بالتخلف حيث كانوا بنوه قبل غزوة تبوك • او بحارب اي حاربهما قبل اتخاذ هذا المسجد وليحلفن ان اردنا اي ما اردنا ببنائه هذا المسجد الا الخصلة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله تعالى والتوسعة على المصلين او الارادة الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم ذلك ابو السعود

والذين اتخذوا مسجدا ضرارا بواو العطف وتركها مبتدأ وخبره محذوف معناه يعذبون قيل وهو يعذبون نزل في جماعة من المنافقين كانوا اثني عشر رجلا وهم بنو غنم بن عوف بعدما بنى اخوتهم بنو عمرو بن عوف مسجد قباء ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مسجدهم ليصلي فيه بهم تبركا فاتى صلى الله عليه وسلم وصلى فحسدتهم اخوتهم وقالوا نحن نبني ايضا مسجدا وندعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصلي فيه بنا كما صلى بهم ثم يصلي بنا فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام وكان النبي صلى الله عليه وسلم سماه فاسقا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لهم لا تقولوا له راهب ولكن قولوا الفاسق لانه قد آمن به مرتين ثم رجع وكان لام فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذنوه في بناء المسجد تعللا لئلا يعسر عليهم الى الصلوة مع النبي صلى الله عليه وسلم فاذن لهم في ذلك وغرضهم تفريق الجماعة من مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والايقاع بين المؤمنين وتقوية نفاقهم فقال تعالى اظهارا لنفاقهم والذين اتخذوا اي القوم الذين بنوا مسجدا ضرارا مضرة للمؤمنين وكفرا اي واظهارا للكفر الخفي في قلوبهم وتفريقا بين المؤمنين مسجد قبا، يعني لكي يصلي بعضهم في مسجدهم وبعضهم مسجد قبا، فيختلف كلمتهم وارصادا اي انتظارا لمن حارب الله ورسوله اي لمنافق كان يقاتل النبي صلى الله عليه وسلم حتى هزم يوم حنين من قبل متعلق بحارب على هذا المعنى لا باتخذوا يعني هم يعذبون بالنار بسبب مسجدهم الذي بنوه من قبل اي قبل بناء مسجد الضرار وهو الراهب يعني اعدوه لاجله فاذا قدم من الشام يؤمهم يثبت لهم الفضل على اخوتهم ويظهر بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتقوى نفاقهم وكفرهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه فمات كافرا في الشام فلما ظهر نفاقهم حلفوا يحلفون ما اردنا ببنائه الا خيرا فنزل وليحلفن ان اردنا ببناء المسجد الا الفعلة الحسنى وهي ان لا تفوتنا الصلوة بالجماعة وليرجع الراهب فيسلم ويصلي بنا فنذكر الله تعالى فيه والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم • قيل كل مسجد بني مباهاة او رياء وسمعة او لغرض غير وجه الله تعالى او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار • ثم انهم طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج الى غزوة تبوك ان يأتي ويصلي بهم ليتبركوا بصلاته فقال صلى الله عليه وسلم انا على جناح سفر فاذا قدمنا ان شاء الله صلينا لكم فيه فنزل لا تقم فيه ابدا للصلوة فيه ثم قال لمسجد اسس اي اصل على التقوى مبتدأ اي على التوحيد و لوجه الله لا على النفاق من اول يوم من ايام وجوده احق خبر اي اولى واجدر ان تقوم اي بقيامك للصلاة فيه وهو مسجد رسول الله او مسجد قبا، فيه رجال يحبون ان يتطهروا اي يتوضأوا بالماء او يتطهروا من الذنوب بالتوبة والعمل الصالح والله يحب المطهرين اي المتطهرين بالماء او بالتوبة • روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الانصار ان الله قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء والغائط قالوا نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فقرأ عليهم فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين فهم اول من استنجى بالماء ثم استن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالماء من العقوبة

والذين اتخذوا مسجدا عطف على آخرون • او نصب على الذم • او رفع مبتدأ خبره محذوف وهم الذين اتخذوا • او مبتدأ، خبر محذوف اي فيمن وصفنا الذين اتخذوا • والواو عاطفة الجملة على الجملة • وقرئ بغير واو • فاتخذوا يكون بدلا من قوله وآخرون • وان يكون خبر مبتدأ محذوف • او مبتدأ محذوف الخبر • فاتخذوا ههنا تعدى لواحد كما في قوله اتخذت بيتا اي عملته وضرارا اي مضارة مفعول لاجله على ما ذكر طرائق ذمه لاصناف المنافقين اول ما ذكرنا منهم حتى بالغ في الشر حتى ابتنى جمعا للمنافقين مسجدا ما شاء وقيده من الشر وسموه مسجدا وكفرا تقوية للكفر الذي يضمرونه • روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام وتفريقا بين المؤمنين المجتمعين على الصلوة في مسجد قبا لانهم ارادوا ان يتفرقوا عنه ويختلف كلمتهم وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل • يعني ابا عامر الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين انهزم مع هوازن وهرب الى الشام ليأتي من قيصر بجنود ويحاربهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا ورسوله ذكر الله تعالى تمهيد لتعظيم امر محاربته عليه السلام من قبل متعلق بحارب • او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روي انه بني قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت فدعا جماعة منهم الوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة وليحلفن ان اردنا الا الحسنى • اي ما • والذين اتخذوا مسجدا عطف على ما سبق اي ومنهم الذين • او نصب على الذم • وقرئ بغير واو لانها قصة على حالها ضرارا اي مضارة للمؤمنين وانتصابه على انه مفعول له • او مفعول ثان لاتخذوا • او على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر منصوب على الحالية اي يضارون بذلك ضرارا • او على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا من ضمير اتخذوا اي مضارين للمؤمنين • روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا، بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فيصلي بهم في مسجدهم فلما فعله صلى الله عليه وسلم حسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب ايضا اذا قدم من الشام وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقد كان قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يفعل ذلك الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يومئذ ○

والذين اتخذوا مسجدا تقديره ومنهم الذين اتخذوا • الذين بغير واو مدني وشامي • وهو مبتدأ خبره محذوف اي جازيناهم • روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبا وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة ونحن نحب ان تصلي فيه فقال اني على جناح سفر واذا قدمنا من تبوك ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت فقال لوحشي قاتل حمزة ومعن بن عدي وغيرهما انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام ضرارا مفعول له وكذا ما بعده اي مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قبا، وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا بين المؤمنين لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قبا فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم وارصادا اي واعدادا لاجل من حارب الله ورسوله

وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى • او الا ارادة الحسنى وهي الصلوة والذكر والتوسعة على المصلين فانهم قد قالوا لما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما اتموا بناءه انا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم لا تقم فيه ابدا اي لا تقم للصلوة كما في قوله صلى الله عليه وسلم من قام في رمضان وقامه لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اسس لاحياء دين الله تعالى واظهار شريعته التي لا تقوم الا بالتقوى الا من اتقى الله تعالى قال ابو سعيد الخدري اختلف رجل من بني خدرة ورجل من بني عمرو بن فقال الخدري هو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وقال الآخر هو مسجد قبا فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه فقال صلى الله عليه وسلم هو مسجدي هذا وقال القرطبي حديث صحيح من اول يوم من ايام وجوده وقيل هو مسجد قبا لانه اوفق للقصة والاول هو الوجه لانه لا تنظر مع الخبر ولانه اوفق لقوله احق ان تقوم فيه اولى بان تصلي فيه فان الصلوة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى على الاطلاق ولا كذلك الصلوة في مسجد قبا واعتبار الاضافة الى مسجد الضرار يأباه ظاهر صيغة التفصيل كما لا يخفى فيه رجال التنكير للتعظيم يحبون ان يتطهروا

من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله تعالى • وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها • استيناف تعليلي يتضمن الاشارة الى ان صلاح جماعة من اسباب ترجيح الصلوة في مسجدهم والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه • وروي انه صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الانصار رأيت الله اثنى عليكم بالطهور فماذا تفعلون عند الغائط فقالوا نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين اي كما له قوله من قبل متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روي انهم بنوا قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن ان اردنا الا الحسنى فاه

وهو الراهب اعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقيل كل مسجد بني مباهاة او رياء او سمعة او لغرض سوى ابتغاء وجه الله تعالى او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار من قبل متعلق بحارب اي من قبل بناء المسجد يعني يوم الخندق وليحلفن كاذبين ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى وهو الصلوة وذكر الله تعالى والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد اسس على التقوى اللام للابتداء واسس نعت له وهو مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء • او مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة من اول يوم من ايام وجوده قيل القياس فيه منذ لانه لابتداء الغاية في الزمان ومن لابتداء الغاية في المكان احق ان تقوم فيه مصليا فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقفوا على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال صلى الله عليه وسلم اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم رجال يحبون ان يتطهروا • قيل هو عام في التطهر عن النجاسات كلها • وقيل هو التطهر من الذنوب بالتوبة • ومعنى محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء • ومعنى محبة الله تعالى اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب لمحبوبه انتهى المدارك

لا تقم للصلوة فيه في ذلك المسجد حسبما دعوك اليه ابدا لمسجد اسس اي بني اصله على التقوى يعني مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء وهي يوم الاثنين والثلثا والاربعا والخميس وخرج يوم الجمعة • وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة • وعن ابي سعيد رضي الله عنه سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصباء فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة • واللام اما للابتداء او للقسم المحذوف اي والله لمسجد اسس على التقوى وعلى التقديرين فمسجد مبتداء وما بعده صفته وقوله تعالى من اول يوم اي من ايام تأسيسه متعلق باسس وقوله احق ان تقوم فيه اي للصلوة وذكر الله تعالى خبره وقوله تعالى فيه رجال جملة مستأنفة مبنية لاحقيته لقيامه صلى الله عليه وسلم فيه من جهة الحال بعد بيان احقيته له من حيث المحل • او صفة اخرى للمبتدا • او حال من الضمير في فيه وعلى كل حال ففيه تحقيق وتقرير لاستحقاق القيام فيه • والمراد بكونه احق نفي كونه حقيقا به اذ لا استحقاق في مسجد الضرار رأسا وانما عبر عنه بصيغة التفصيل لفضله وكماله في نفسه • او لا افضلية في الاستحقاق المتناول لما يكون باعتبار زعم الباني ومن يشايعه في الاعتقاد وهو الانسب بما سيأتي • وقيل من اول يوم من ايام وجوده ولا يخفى ما في الكتاب من المبالغة يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال الذميمة لمرضاة الله سبحانه وتعالى وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين اي يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه • قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعاده فقال عمر رضي يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال صلى الله عليه وسلم اترضون بالقضاء قالوا نعم قال صلى الله عليه وسلم اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله تعالى قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم فيه رجال يحبون ان يتطهروا • وقرئ ان يطهروا بالادغام • وقيل هو عام في التطهر عن النجاسات كلها وكانوا يتبعون الماء اثر البول • وعن الحسن رضه هو التطهر عن الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم • اعوذ بالله من العود •

والذين اتخذوا قرأ اهل المدينة والشام الذين اتخذوا بلا واو وكذلك هو في مصاحفهم وقرأ الآخرون بالواو والذين اتخذوا مسجدا ضرارا نزلت هذه الآية في جماعة من المنافقين بنوا مسجدا يضارون به مسجد قباء • وكانوا اثني عشر رجلا من اهل النفاق • وديعة بن ثابت • وخذام بن خالد ومن داره اخرج هذا المسجد • وثعلبة بن حاطب • وجارية بن عمرو • وابناه مجمع وزيد • ومعتب بن قشير • وعباد بن حنيف اخو سهل بن حنيف • وغيرهم بنوا هذا المسجد ضرارا يعني مضارة للمؤمنين وكفرا بالله ورسوله وتفريقا بين المؤمنين لانهم كانوا جميعا يصلون في مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيؤدي ذلك الى الاختلاف وافتراق الكلمة وكان يصلي بهم مجمع بن جارية فلما فرغوا اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب ان تأتينا وتصلي فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله اتيناكم فصلينا لكم فيه وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل اي انتظارا واعدادا لمن حارب الله وهو ابو عامر الراهب وكان ابو عامر هذا رجلا منهم وهو ابو حنظلة غسيل الملائكة وكان قد ترهب في الجاهلية وتنصر ولبس المسوح فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما هذا الذي جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم عليه السلام قال ابو عامر فانا عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لست عليها قال بلى ولكنك ادخلت في الحنيفية ما ليس منها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت ولكني جئت بها نقية فقال ابو عامر امات الله الكاذب منا طريدا وحيدا غريبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين وسماه ابو عامر الفاسق

فلما كان يوم أحد قال أبو عامر لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يئس وخرج هاربا إلى الشام فأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح وابنوا مسجدا فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآت بجند من الروم فأخرج محمدا وأصحابه فبنوا مسجد الضرار إلى جنب مسجد قبا. فذلك قوله تعالى وإرصادا لمن حارب الله ورسوله معالم

والهار الهائر المتصدع المشرف إلى السقوط من هار يهور ويهار • أو هار يهير قدمت لامه على عينه فصار كغاز ورام وقيل حذفت عينه اعتباطا أي بغير موجب فجرى وجوه الإعراب على لامه مثل ما بنوا عليه أمر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس بما ذكر • ثم رشح بانهياره **فانهار به في نار جهنم** في النار ووضع مقابلة الرضوان تنبيها على أن تأسيس ذلك على أمر يحفظه من النار ويوصله إلى الرضوان ومقتضياته التي أدناها الجنة وتأسيس هذا على ما هو بصدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم مصيرهم إليها لا محالة وقرئ جرف بسكون الراء **والله لا يهدي القوم الظالمين** أي لا تفهيم أما الواضعين للأشياء في غير مواضعها أي لا يرشدهم إلى ما فيه نجاتهم وصلاحهم إرشادا موصلا له لا محالة وأما الدلالة على ما يرشدهم البيان أسترشدوا به فهو متحقق بلا اشتباه • أبو السعود •

أفمن أسس بنيانه بالنصب مفعول المعلوم وبالرفع فاعل المجهول • الاستفهام فيه لنفي الاستواء بين الإخلاص والرياء أي أمن أصل بنيان دينه **على تقوى** بلا تنوين لأنه فعلى لا ينصرف وبالتنوين إلحاقا بجعفر فالألف للإلحاق لا للتأنيث كتترى على قراءة الترتيب • أي على قاعدة قوية من الله وهي تقوى الله وتوحيده **ورضوان** أي ورضا منه **خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف** بضم الراء وسكونها أي ثغر جانب وادي منحرف أصله بجريان الماء فيه • وصفة **جرف هار** أي متصدع مائل إلى السقوط • أصله هاير فقلبت إلى هارئ فصار كغاز وقاض وهي كناية عن أضعف القواعد الذي أسس عليه البنيان **فانهار به** أي سقط معه من هار يهور أو يهير إذا سقط **في نار جهنم** ومعنى قوله فانهار به في نار جهنم أنه لما جعل الجرف الهار عبارة عن الباطل مجازا قال فانهار به بمعنى فطاح به الباطل وهو الكفر في قعر جهنم **والله لا يهدي القوم الظالمين** لنفسهم بكفرهم ونفاقهم • روي أنه صلى الله عليه وسلم أرسل بعد رجوعه من تبوك وحشيا جماعة فحرقوا مسجدهم وهدموه وتفرق أهله وجعل مكانه كناسة تلقى فيها الجيف قيل خرجت بقعة من مسجد الضرار في الدخان يخرج منه • من العيون •

قرأ نافع وابن عامر أسس بضم الهمزة وكسر السين بنيانه رفع فيهما جميعا على غير تسمية الفاعل وقرأ الآخرون بفتح الهمزة والسين والنون على تسمية الفاعل **على تقوى من الله ورضوان خير** أي على طلب التقوى ورضى الله خير قوله **على شفا جرف** قرأ ابو عمرو وابو بكر وحمزة جرف ساكنة الراء وقرأ الآخرون بضم الراء وهما لغتان وهي البئر التي لم تطو قال ابو عبيدة هو الهوة وما يجرفه السيل من الأودية فينجرف بالماء فيبقى واهيا قوله **هار** أي هائر وهو الساقط يقال هار يهور فهو هائر ثم يقلب • وقيل من هار يهار إذا انهدم معناه الساقط الذي يتداعى بعضه في إثر بعض كما ينهار الرمل والشيء الرخو **فانهار به** أي سقط بالباني **في نار جهنم** يريد بناء هذا المسجد الضرار كالبناء في شفير جهنم يتهور بأهلها فيها • قال ابن عباس رضي يريد صيرهم النفاق إلى النار معالم

١٢

أفمن أسس بنيانه بنيان دينه **على تقوى من الله ورضوانه** على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة **خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار** لما استعار الجرف الهار لما يقابل التقوى من الباطل الذي هو الفجور والنفاق والفساد علم أنه شبه الحق الذي هو التقوى بقاعدة قوية محكمة على طريق الاستعارة بالكناية • ولهذا نكر التقوى للتعظيم ووصفها بكونها من الله ثم رشح الاستعارة بقوله **فانهار به في نار جهنم** فإن الجرف الهائر سهل الانهيار لحذفه وقلة ثباته واستمساكه • وهو تصوير لسرعة أداء الباطل إلى هوي صاحبه في قعر جهنم كأنه بني على جرف. وادٍ من أودية جهنم جرف أصله السيل ويفهم منه أن تأسيس الذي يقابله على أمر يحفظه عن النار ويوصله إلى الرضوان الذي أدى مقتضياته الجنة ولذلك عطف الرضوان على التقوى وجعلا كأنهما أمران متلازمان • ونكر التقوى إشعارا بأنه تلازم بحيث كلما يلزم أحدهما يلزم الآخر ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على ما هو المقصود منه وإنما لم يقل فوقع في نار جهنم لأنه ما دام حيا أمكنه أن يخلص فيتخلص ولا يقع فيها **والله لا يهدي القوم الظالمين** أي لا يهديهم من حيث هم ظالمون إلى ما فيه صلاحهم ونجاته • وقد مر أن نفي الهداية في مثل هذا على طريقة تنزيل مثلا إثر له منزلة العدم وإلا فالله تعالى هادي الكل إلى مصالحهم • ابن الكمال •

أفمن أسس بنيانه وضع أساس ما يبنيه **على تقوى من الله ورضوانه خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار** هذا سؤال تقرير وجوابه مسكوت عنه لوضوحه والمعنى أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة محكمة وهو تقوى الله تعالى ورضوانه خير أم من أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك • ووضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لأنه جعل مجازا عما ينافي التقوى • والشفا الحرف والشفير • وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر أصله بالماء وتجرفه فيبقى واهيا • والهار الهائر وهو المتصدع الذي أشفى على التهدم والسقوط • ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف • وألفه ليس بألف فاعل إنما هي عينه • وأصله هور فقلبت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها • ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل وكنه أمره • أفمن أسس أمن أسس شامي ونافع ويحيى جرف شامي وحمزة هار بالإمالة ابو عمرو وحمزة وفي رواية ويحيى **فانهار به في نار جهنم** فطاح به الباطل في نار جهنم • ولما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليتصور أن المبطل كأنه أسس بنيانا على شفا جرف من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها • قال جابر رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حين انهار **والله لا يهدي القوم الظالمين** لا يوفقهم للخير عقوبة لهم على نفاقهم • نسفي مدارك •

علي قاعدة هي أضعف القواعد وأرضاها الشفا الجرف والشفير وجرف الوادي جانبه الذي جرف أصله السيول وتخفف بالماء فبقي واهيا من الجرف وهو يتداعى الشيء من أصله والهار والهائر وهو المتصدع الذي أشفى على الهدم والسقوط • **أفمن أسس بنيانه** على بناء الفعل للفاعل والنصب • وقرئ على البناء للمفعول والرفع • وقرئ أسس بنيانه على الإضافة جمع أساس وإساس بالفتح والكسر جمع أس • وقرئ آساس بنيانه جمع أس أيضا وأس بنيانه وهي جملة مستأنفة مبينة لخيرية الرجال المذكورين من أهل مسجد قباء والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر أي أبعد ما علم حالهم من أسس بنيان دينه **على تقوى من الله ورضوان** أي على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وابتغاء مرضاته بالطاعة والمراد بالتقوى درجتها الثانية التي هي التوقي عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك • وقرئ تقوى بالتنوين على أن الألف للإلحاق دون التأنيث **خير أم من أسس بنيانه** ترك الإضمار للإيذان باختلاف البنيانين ذاتا اختلافهما وصفا وإضافة **على شفا جرف هار** الشفا والجرف والشفير الحرف ما جرفه السيل أي استأصله واحتفر ما تحته فبقي واهيا يريد الانهيار •

لا يزال بنيانهم الذي بنوا بنا وهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول • وقيل هو جمع واحده بنيانة وفيه يكون الذي
بمعنى الذين والاخبار بقوله ريبة في قلوبهم عن المضاف المحذوف اي بناء بنيانهم الذي بنوه سبب ريبة فانه حملهم
على ذلك • ثم لما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم رسخ ذلك في قلوبهم وازدادوا نفاقا بحيث لا يزول وسمه
قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار • فالتقطيع تصوير لامتناع زوال
الشك عن القلوب مع بقائها وان زواله لا يكون الا بزوالها • وهو في غاية المبالغة • والاستثناء من اعم الازمنة
اي وقت ان تقطع وهو في محل النصب على الظرف • ويجوز ان يكون المراد حقيقة التقطيع بالقتل • او في
القبور • او في النار • وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة يتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم •
وقرئ بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع • وقرئ يقطع بالياء ويقطع بالتخفيف • وتقطع على خطاب
الرسول صلى الله عليه وسلم او كل مخاطب • وقرئ ولو قطعت على البناء للمفعول والله عليم بعزائم العباد حكيم في
التمييز بين اهل الصلاح واهل الفساد فيدخل في الاول نياتهم وفي الثاني الامر الوارد في حقهم دخولا اوليا • ابكار

لا يزال بنيانهم الذي بنوا البنيان مصدر اريد به المفعول • ووصفه بالموصول الذي صلته
فعله للايذان بكيفية بنائهم له وتاسيسه على اوهن قاعدة • اوهى اساس وللاشعار بعلة الحكم
اي لا يزال مسجدهم ذلك مبنيا ومهدوما ريبة في قلوبهم اي سبب ريبة وشك في الدين كانه نفس الريبة
اما حال بنائه فظاهر لما ان اعتزالهم من المؤمنين واجتماعهم في مجمع على حياله يظهرون فيه ما في قلوبهم من اثار
الكفر والنفاق ويدبرون فيه امورهم ويتشاورون في ذلك ويلقي بعضهم الى بعض ما سمعوا من اسرار المؤمنين
مما يزيدهم ريبة وشكا في الدين • واما حال هدمه
فلما انه رسخ به ما كان في قلوبهم من الشر
وتضاعفت اثاره واحكامه او سبب ريبة
في امرهم حيث ضعفت قلوبهم ووهى
اعتقادهم بخفاء امرهم على المؤمنين لانهم
اظهروا من امرهم بعد البناء اكثر مما كانوا
يظهرونه قبل ذلك وقت اختلاطهم بالمؤمنين
وساءت ظنونهم بانفسهم • فلما هدم
بنيانهم تضاعف ذلك الضعف وتقوى
وصاروا مرتابين في ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم هل يتركهم على ما كانوا عليه
قبل او يامر بقتلهم ونهب اموالهم •
وقال الكلبي معنى ريبة حسرة وندامة
وقال السدي وحبيب والمبرد لا يزال
هدم بنيانهم حزازة وغيظا في قلوبهم
الا ان تقطع من التفعل بحذف احدى

لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم لا يزال هدمه
سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لما غاظهم
من ذلك وعظم عليهم الا ان تقطع قلوبهم شامي وحمزة
وحفص اي تتقطع غيرهم تقطع اي الا ان تقطع قلوبهم
قطعا وتفرق اجزاء فحينئذ يسلون عنه واما ما دامت
سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة • ثم يجوز ان
يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها • ويجوز
ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم •
او في القبور • او في النار • او معناه الا ان يتوبوا
توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم والله
عليم بعزائمهم حكيم في جزاء جرائمهم المدارك

التائين اي الا ان تتقطع قلوبهم قطعا وتتفرق اجزاء بحيث لا يبقى لها قابلية ادراك واضمار قطعا •
وهو استثناء من اعم الاوقات او اعم الاحوال • ومحله النصب على الظرفية اي لا يزال بنيانهم ريبة في كل
الاوقات او كل الاحوال الا وقت تقطع قلوبهم • او حال تقطع قلوبهم فحينئذ يسلون عنها واما ما دامت
سالمة فالريبة باقية فيها • فهو تصوير لامتناع زوال الريبة عن قلوبهم • ويجوز ان يكون المراد حقيقة
تقطعها عند قتلهم • او في القبور • او في النار • وقرئ تقطع على بناء المجهول من التفعيل وعلى البناء
للفاعل منه على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم اي الا ان تقطع انت قلوبهم بالقتل • وقرئ على البناء للمجهول
من الثلاثي مذكرا ومؤنثا • وقرئ الى ان تقطع قلوبهم والى ان تقطع قلوبهم على الخطاب • وقرئ ولو
قطعت قلوبهم على اسناد الفعل مجهولا الى قلوبهم ولو قطعت قلوبهم على الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
او لكل احد ممن يصلح للخطاب • وقيل الا ان يتوبوا توبة ينقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم
والله عليم بجميع الاشياء التي من جملتها ما ذكر احوالهم حكيم في جميع افعاله التي من جملتها امره الوارد
في حقهم • ابو السعود

لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة اي شكا في الدين ونفاقا في قلوبهم • فريبة نصب بلا يزال خبره اي لا يزال هدم بنيانهم
الذي بنوه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا ينقطع وسمه عن قلوبهم لانهم غاظوا من ذلك فزاد
مقتهم للاسلام وصمم النفاق في قلوبهم لا يخرج منها الا ان تقطع قلوبهم بفتح التاء معلوما والفعل للقلوب
اي تنصدع وتتفرق اجزاء فيتخلصون عنه لانها ما دامت سالمة لا يتحول عنها الريبة • او الا ان تقطع ندما
على تفريطهم فيتوبوا • وبضم التاء ورفع قلوبهم مجهولا والفعل لغير القلوب والله عليم بنياتهم حكيم يحكم بهدم
بنيانهم الضرار من العيون

يقاتلون في سبيل الله استئناف لكن لا لبيان ما لأجله الشراء ولا لبيان نفس الاشتراء لأن قتالهم في سبيل الله ليس
باشتراء الله تعالى منهم أنفسهم وأموالهم بل هو بذل لهما في ذلك بل لبيان البيع الذي يستدعيه الاشتراء
المذكور كأنه قيل كيف يبيعون أنفسهم وأموالهم بالجنة فقيل يقاتلون في سبيل الله وهو بذل منهم لأنفسهم
وأموالهم إلى جهة الله سبحانه وتعريض لها للهلاك وقوله تعالى فيقتلون ويقتلون بيان لكون القتال في
سبيل الله بذلا للنفس وأن المقاتل في سبيله باذل لها وإن كانت سالمة غانمة فإن الإسناد في الفعلين
ليس بطريق اشتراط الجمع بينهما ولا اشتراط الاتصاف بأحدهما البتة بل بطريق وصف الكل بحال البعض
فإنه يتحقق القتال من الكل سواء وجد الفعلان أو أحدهما منهم أو من بعضهم بل يتحقق ذلك وإن لم يصدر
منهم أحدهما أيضا كما إذا وجد المضاربة ولم يوجد القتل من أحد الجانبين أو لم يوجد المضاربة أيضا
فإنه يتحقق الجهاد بمجرد العزيمة والنفير وتكثير السواد • وتقديم حالة القاتلية على حالة المقتولية
للإيذان بعدم الفرق بينهما في كونهما مصداقا لكون القتال بذلا للنفس • وقرئ بتقديم المبني
للمفعول رعاية لكون الشهادة عريقة في الباب وإيذانا بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله تعالى بل بكونه
أحب إليهم من السلامة كما قيل في حقهم • لا يفرحون إذا نالت رماحهم • قوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا
لا يقع الطعن إلا في نحورهم • وما لهم عن حياض الموت تهليل • وقيل في يقاتلون إلخ معنى الأمر كما في
قوله تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم • وعدا عليه مصدر مؤكد لما يدل عليه كون الثمن مؤجلا
حقا نعت لوعدا والظرف حال منه لأنه لو تأخر لكان صفة له وقوله تعالى في التوراة والإنجيل والقرآن
متعلق بمحذوف وقع صفة لوعدا أي وعدا مثبتا في التوراة والإنجيل كما هو مثبت في القرآن
ومن أوفى بعهده من الله اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من حقية الوعد على نهج المبالغة في كونه سبحانه
أوفى بالعهد من كل واف • فإن إخلاف الميعاد مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق مع إمكان
صدوره عنهم فكيف بجناب الخلاق الغني عن العالمين جل جلاله • وسبك التركيب وإن كان على إنكار أن
يكون أحد أوفى بالعهد منه سبحانه وتعالى من غير تعرض لإنكار المساواة ونفيها قطعا • فإذا قيل
من أكرم من فلان أو لا أفضل منه فالمراد به حتما أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل فاستبشروا
التفات إلى الخطاب تشريفا لهم على تشريف وزيادة لسرورهم على سرور • والاستبشار
إظهار السرور والسين فيه ليس للطلب كاستوقد وأوقد • والفاء لترتيب الاستبشار أو
الأمر به على ما قبله أي فإذا كان كذلك فسروا نهاية السرور وافرحوا غاية الفرح بما فزتم به من الجنة
وإنما قيل ببيعكم مع أن الابتهاج به باعتبار أدائه إلى الجنة لأن المراد ترغيبهم في الجهاد الذي
عبر عنه بالبيع • وإنما لم يذكر العقد بعنوان الشراء لأن ذلك من قبل الله سبحانه وتعالى
لا من قبلهم والترغيب إنما يكون فيما يتم من قبلهم وقوله تعالى الذي بايعتم به لزيادة تقرير بيعهم
وللإشعار بكونه مغايرا لسائر البياعات فإنه بيع للفاني بالباقي ولأن كلا البدلين له سبحانه وعن
الحسن رضي الله عنه أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها • روي أن الأنصار لما بايعوه صلى الله عليه وسلم على
العقبة قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال صلى الله عليه وسلم اشترط لربي أن
تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم قال فإذا فعلنا فما لنا قال لكم الجنة
قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابي وهو يقرؤها قال كلام من قال كلام الله
عز وجل قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج إلى الغزو واستشهد وذلك أي الجنة التي جعلت ثمنا بمقابلة
ما بذلوا من أنفسهم وأموالهم هو الفوز العظيم الذي لا فوز أعظم منه • وما في ذلك من معنى البعد إشارة إلى بعد
منزلة المشار إليه وسمو رتبته في الكمال • ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى البيع الذي أمروا بالاستبشار به و
يجعل ذلك كأنه نفس الفوز العظيم • أو يجعل فوزا في نفسه فالجملة على الأول تذييل للآية الكريمة وعلى الثاني لقوله
فاستبشروا مقرر لمضمونه • ابو السعود

ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة استعارة الاشتراء لاثباتهم الجنة على بذل الاموال و
الانفس في سبيل الله تعالى • ولم يقل بالجنة مدرجا لهم باعتبار وانهم بذلوا انفسهم واموالهم بمجرد الوعد • وفيه
كمال ثقتهم بوعده تعالى • وايضا تمام الاستعارة المذكورة بها اذ لا بد لها من قرينة مانعة عن ارادة الحقيقة
ولو قيل بالجنة لم توجد تلك القرينة لان الجنة صالحة لان تكون احد العوضين بخلاف الوعد بها يقاتلون
في سبيل الله استيناف لبيان الاشتراء لا لبيان ما لاجله الشراء • وقيل خبر بمعنى الامر كقوله تجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم اظهارا لاهتمامهم بالمامور به كانهم سارعوا الى الامتثال فاخبر عنه فعلى هذا
يكون الاشتراء تمهيدا له فيقتلون ويقتلون تفصيل لمقاتلتهم وبيان لاحرازهم فضيلتي الجهاد • وقرئ
بتقديم المبني للمفعول وتبناه على اسناد فعل البعض الى الكل • وفيه دلالة على ثبات قلوبهم وجراءتهم
على العدو حيث لم ينكسروا بان قتل بعضهم كما قال تعالى وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا • قيل في
جمعهما ان الواو لا يوجب الترتيب وهو لا يجدي لان تقديم ما حقه التاخير لا يكون بلا نكتة الا ان وعدا عليه
مصدر مؤكد لما دل عليه قوله بان لهم الجنة حقا صفته في التورية والانجيل والقران اي اوصى به الى انبيائه
عليهم السلام واثبته في كتبه ومن اوفى

ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة
مثّل الله تعالى اثابتهم بالجنة بذلهم انفسهم واموالهم في سبيله
بالشرى وروى تاجرهم فاغلى لهم الثمن • وعن الحسن انفسا
هو خلقها واموالا هو رزقها ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم
اعرابي وهو يقرؤها فقال بيع والله مربح لا نقيله و
لا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد يقاتلون في سبيل الله
بيان محل التسليم فيقتلون ويقتلون اي تارة يقتلون
العدو وطورا يقتلهم العدو فيقتلون • ويقتلون حمزة
وعلي وعدا عليه مصدر اي وعدهم بذلك وعدا حقا صفته
اخبر بان هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت
قد اثبته في التورية والانجيل والقران وهو دليل على ان اهل
كل ملة امروا بالقتال ووعدوا عليه ثم قال ومن اوفى
بعهده من الله لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكريم منا
فكيف باكرم الاكرمين • ولا ترى ترغيبا في الجهاد احسن منه
وابلغ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية
الفرح فانكم تبيعون فانيا بباق وذلك هو الفوز العظيم قال
الصادق ليس لابدانكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها المدارك

ما اسم من الشرى

ومن اوفى بعهده من الله مبالغة في انجاز الوعد
وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم
الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح
فانكم تبيعون فانيا بباق وتاخذون
ثمنا من مشتر يشتري مبيعا وهو ملكه وحقه
خاطبهم على سبيل الالتفات تشريفا لهم
واستبشر فعل جاء فيه استفعل بمعنى
افعل وليس هذا من معنى الطلب في شيء
كعجب واستعجب وذلك البيع هو الفوز
العظيم لانه الوصول الى الحظ الاعظم
من حط الذنوب ودخول الجنة تكرما
ابو السعود • ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم ترغيب للمؤمنين في
الجهاد ببيان فضيلته اثر بيان حال التخلف
عنه ولقد بولغ في ذلك على وجه لا مزيد
عليه حيث عبر عن قبول الله تعالى من
المؤمنين انفسهم واموالهم التي بذلوها
في سبيله تعالى واثابته اياهم بمقابلتها
الجنة بالشرى على طريقة الاستعارة
التبعية • ثم جعل المبيع الذي هو
العمدة والمقصد في العقد انفس
المؤمنين واموالهم • والثمن الذي
هو الوسيلة في الصفقة الجنة ولم يجعل الامر على العكس بان يقال ان الله باع الجنة من المؤمنين بانفسهم
واموالهم ليدل على ان المقصد في العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الانفس والاموال وسيلة
اليها ايذانا بتعلق كمال العناية بهم وباموالهم • ثم انه لم يقل بالجنة بل قيل بان لهم الجنة مبالغة في تقرر
وصول الثمن اليهم واختصاصه بهم كانه قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم • واما ما يقال من ان ذكر لمدح
المؤمنين بانهم بذلوا انفسهم واموالهم بمجرد الوعد لكمال ثقتهم بوعده تعالى وان تمام الاستعارة موقوف على ذلك
اذ لو قيل بالجنة لاحتمل كون الشرى حقيقة لانها صالحة للعوضية بخلاف الوعد فليس بشيء لان مناط دلالة ما
عليه النظم الكريم على الوعد ليس كونه جملة ظرفية مصدرة بان فان ذلك بمعزل من الدلالة على الاستقبال
بل هو الجنة التي يستحيل وجودها في الدنيا ولو سلم ذلك يكون العوض الجنة الموعود بها لا الوعد بها يقاتلون الخ

رد على ابن الكمال

ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم التي خلقها واموالهم التي هو رزقها بان لهم الجنة اي
طلب الله منهم ان يبذلوا انفسهم واموالهم ويخرجوا الى الغزو ليثيبهم الجنة • نزلت حين
بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار ليلة العقبة ان يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا
وان ينصروه ويمنعوه مما يمنعون منه انفسهم واموالهم ولهم الجنة ان وفوا بذلك
فقبلوا وقالوا لا نقيل ولا نستقيل يعني لا ننصرف من هذه البيعة ولا نطلب
انصراف احد منا يقاتلون اي حال كونهم يجاهدون اعداء الله ورسوله في سبيل الله اي
في دينه فيقتلون ويقتلون مجهولا وبالعكس فان قتل بعضهم قاتل من بقي منهم وعدا عليه
مصدر مؤكد حقا مفعول مطلق صفته اي وعد الله المجاهدين في سبيله وعدا ثابتا في التورية
والانجيل والقران يعني كما في القران وحده وهذا دليل على ان الجهاد كان في شرايع المتقدمين
على هذه الامة ومن اوفى بعهده من الله استفهام على الانكار اي ليس احد اوفى
من الله في عهده وشرطه وفيه ترغيب في الجهاد اشد ترغيب وابلغ لان اخلاف
الوعد قبيح من كرام المخلوقين ويستحيل من الله تعالى الذي لا يجوز عليه فعل القبيح
ثم قال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به اعلموا لهم بانهم ربحوا في تجارتهم وافراغ
يدل عليه قوله وذلك الفوز العظيم اي البيع الذي بايعتم به مع الله والثواب الجزيل
والنجاة العاجلة يوم القيمة من العقوبة

التائبون رفع على المدح اى هم التائبون ● والمراد بهم المؤمنون المذكورون ● والدليل عليه قراءة التائبين الى قوله والحافظين نصبا على المدح ● او جر صفة للمؤمنين ● ويجوز ان يكون مبتدا خبره محذوف اى التائبون الموصوفون بهذه الصفات من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى ● او خبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر اى التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الصفات العابدون الذين عبدوا الله تعالى وحده مخلصين له الدين الحامدون لنعمائه ● او لما نابهم من السراء والضراء السائحون اى الصائمون لقوله صلى الله عليه وسلم سياحة امتي الصيام ● شبه بها من حيث انه يعوق عن الشهوات ● او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت ● او السائرون للجهاد ● او طلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الامرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي ● والعاطف هنا للدلالة على انهما بمنزلة خصلة واحدة كانه قال والجامعون بينهما وفي قوله والحافظون لحدود الله اى فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع لانه من تمام تلك الخصلة فان من لم يصدق فعله قوله ولم يوافق حاله مقاله لا يجدي امره نفعا ولا يفيد نهيه ردعا ● ومن لم يتنبه لهذا قال انه للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وليت شعري ما وجه الدلالة في العاطف على هذا ● وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد اخر معطوف عليه ولذلك سمي واو الثمانية ونقف باذن الله على ما فيه من موضعه وبشر المؤمنين يعني بهم هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ● ووضع المؤمنين موضع ضميرهم اشعارا بان الايمان هو الباعث على هذه الخصال وان الكامل في الايمان من كان على الصفات المذكورة ● وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما يجل عن الوصف واحاطة الافهام والتعبير عنه بالكلام ● ابا كمال ●

التائبون رفع على المدح بالابتداء والخبر العابدون اى التائبون من الذنوب والكفر والنفاق هم الذين عبدوا الله وحده واخلصوا له العبادة وحرصوا الناس عليها وقوله الحامدون وما بعده من المرفوعات خبر بعد خبر اى التائبون على الحقيقة هم الجامعون لهذه الاوصاف وهي العابدون المخلصون الحامدون لله على كل حال من السراء والضراء السائحون اى الذين يصومون شهر رمضان ● والسيح في الاصل السير في الارض وسموا بذلك لان السائح يكون ممنوعا من الشهوات واللذات المطعم والمشرب والمنكح قال صلى الله عليه وسلم سياحة امتي الصوم ● وقيل هم السائرون لطلب العلم تسعل في مظانه او الى الغزو في سبيل الله الراكعون الساجدون في الصلوة المفروضة والمراد الحافظون على الصلوات الخمس الامرون بالمعروف اى بالتوحيد وباعمال الخير والناهون عن المنكر اى عن الشرك والنفاق والاعمال الخبيثة في الشرع ● ودخول الواو فيه ليدل على ان السبعة عندهم عقد تام ● او هي الواو الداخلة بين الضدين والحافظون لحدود الله اى العاملون بفرايضه ويداومون عليها وبشر المؤمنين اى المصدقين العاملين بهذه الشروط انهم لهم الجنة وان لم يجاهدوا من العيون

التائبون رفع على المدح اى هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين او هو مبتدا خبره العابدون اى الذين عبدوا الله وحده واخلصوا له العبادة وما بعده خبر بعد خبر اى التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال ● وعن الحسن هم الذين تابوا عن الشرك وتبرؤا عن النفاق الحامدون على نعمة الاسلام السائحون الصائمون لقوله صلى الله عليه وسلم سياحة امتي الصيام او طلبة العلم لانهم يسيحون في الارض يطلبونه من مظانه ● او السائرون في الارض للاعتبار الراكعون الساجدون المحافظون على الصلوات الامرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي ● ودخلت الواو للاشعار بان السبعة عقد تام او لتضاد بين الامر والنهي كما في قوله تعالى ثيبات وابكارا ارجحها والحافظون لحدود الله اوامره ونواهيه او معالم الشرع وبشر المؤمنين المتصفين بهذه الصفات المدارك

[illegible]

التائبون رفع على المدح اى هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين كما يدل عليه القراءة بالياء نصبا على المدح ويجوز ان يكون مجرورا على انه صفة للمؤمنين ● وقد جوز الرفع على الابتداء والخبر محذوف اى التائبون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى ● ويجوز ان يكون خبره قوله تعالى العابدون وما بعده خبر بعد خبر اى التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه النعوت الفاضلة اى المخلصون في عبادة الله تعالى الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله صلى الله عليه وسلم سياحة امتي الصوم شبه بها لانه عائق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوسل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت ● وقيل هم السائحون في الجهاد وطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الامرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعطف فيه للدلالة على ان المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة واما قوله تعالى والحافظون لحدود الله اى فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع عملا وحملا للناس عليه فلئلا يتوهم اختصاصه باحد المتعاطفين وبشر المؤمنين اى الموصوفين بالنعوت المذكورة ● ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ملاك الامر هو الايمان وان المؤمن الكامل من كان كذلك ● وحذف المبشر به للايذان بخروجه عن حد البيان ● وفي تخصيص الخطاب بالاولين لاظهار زيادة اعتناء بامرهم من الترغيب والتسلية ● ابو السعود ●

[illegible]

ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا بالله وحده اي ما صح لهم في حكم الله عز وجل وحكمته وما استقام للمشركين سبحانه ولو كانوا اي المشركون اولي قربى اي ذوي قرابة لهم • وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة اخرى قبلها محذوفة حذفاً مطرداً كما بين في قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره • روي انه صلى الله عليه وسلم قال لعمه ابي طالب لما حضرته الوفاة يا عم قل كلمة احاج لك بها عند الله تعالى فأبى فقال صلى الله عليه وسلم لا ازال استغفر لك ما لم أنه عنه فنزلت • وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبراً فقال اني استأذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وأنزل علي الآيتين من بعد ما تبين لهم اي للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين انهم اي المشركين اصحاب الجحيم بأن ماتوا على الكفر • او نزل الوحي بأنهم يموتون على ذلك •

وما كان استغفار ابراهيم لابيه بقوله واغفر لابي اي بأن توفقه للايمان وتهديه اليه كما يلوح به تعليله بقوله انه كان من الضالين • والجملة استئناف مسوق لتقرير ما سبق ودفع ما يتراءى بحسب الظاهر من المخالفة • وقرئ وما استغفر ابراهيم لابيه • وقرئ وما يستغفر على حكاية الحال الماضية وقوله تعالى الا عن موعدة استثناء مفرغ من اعم العلل اي لم يكن استغفاره عليه السلام لابيه ناشئاً عن شيء من الاشياء الا عن موعدة وعدها ابراهيم عليه السلام اياه اي اباه • وقد وعده بقوله لاستغفرن لك • وقوله سأستغفر لك ربي بناء على رجاء ايمانه لعدم تبين حقيقة امره والا لما وعدها اياه كأنه قيل وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة مبنية على عدم تبين امره كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما تبين له اي لابراهيم عليه السلام بأن اوحي اليه انه مصر على الكفر غير مؤمن ابداً • وقيل بأن مات على الكفر والاول هو الانسب بقوله تعالى انه عدو لله فان وصفه بالعداوة مما يأباه حالة الموت تبرأ منه اي تنزه عن الاستغفار له وتجانب كل التجانب • وفيه من المبالغة ما ليس في تركه ونظائره ان ابراهيم لأواه لكثير التأوه وهو كناية عن كمال الرأفة ورقة القلب حليم صبور على الاذية والمحنة • وهو استئناف لبيان ما كان يدعوه عليه السلام الى ما صدر عنه من الاستغفار • وفيه ايذان بأن ابراهيم عليه السلام كان اواهاً حليماً فلذلك صدر عنه ما صدر من الاستغفار قبل التبين فليس لغيره ان يأتي به في ذلك وتأكيد لوجوب الاجتناب عنه بعد التبين بأنه عليه السلام تبرأ منه بعد التبين وهو في كمال رقة القلب والحلم فلا بد ان يكون غيره اكثر منه اجتناباً وتبرؤاً واما الاستغفار قبل التبين لو كان غير محظور لما استثني عن الائتساء به في قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فقد حقق في سورة مريم باذن الله تعالى

ابو السعود

ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا الآية نزل نهياً للمؤمنين على الاستغفار للمشركين حين سمع علي بن ابي طالب رجلاً يستغفر لابويه وهما مشركان فنهاه عن ذلك فقال الرجل ألم يستغفر ابراهيم عليه السلام لابويه وهما مشركان قال علي رضي الله عنه فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاوحي اليه اي ما جاز للنبي والمؤمنين الاستغفار للمشركين ولو كانوا اولي قربى اي ذوي قرابة في الرحم من بعد ما تبين اي ظهر لهم اي للمؤمنين انهم اي المشركون اصحاب الجحيم اي اهل النار بالاستحقاق اذا ماتوا على الكفر • وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال استأذنت ربي ان استغفر لوالدتي فلم يأذن لي فاستأذنت ان ازور قبرها فاذن لي فنزلت الآية ثم قال بياناً لعذر ابراهيم عليه السلام في الاستغفار لابيه وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه اي بقوله لاستغفرن لك ان تؤمن او وعدها ابو ابراهيم وهي ان يسلم وكان ابراهيم يستغفر له رجاء ان يؤمن لان العقل لا يأباه فلما تبين له اي ظهر لابراهيم بالوحي انه عدو لله حين مات على الكفر تبرأ منه اي اعرض عن الاستغفار لابيه اذ بعد موته على الكفر ان ابراهيم لأواه اي كثير الدعاء ملح فيه او كثير التأوه يعني يقول آه تضرعاً وخشوعاً • واصل الاوه الرجوع في الثني والترديد فيه حليم اي يتجاوز عن جهل الجاهل وذنب من اساء له من العفو

ما كان للنبي فائدة دخول كان المبالغة في نفي الفعل الداخل هي عليه بتعديد جهة نفيه عموماً باعتبار الكون وخصوصاً باعتبار الاستغفار مثلاً والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ان يطلبوا المغفرة لهم ولو كانوا اولي قربى روي انه صلى الله عليه وسلم قال لابي طالب لما حضرته الوفاة قل كلمة احاج بها عند الله تعالى فأبى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت • وفيه ان موت ابي طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة • لا يقال ما ذكر انما يتم لو كان نزول الآية عقيب موت ابي طالب وليس بلازم لجواز ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم يستغفر له الى وقت نزول الآية لانا نقول الظاهر من قول الراوي فنزلت انما هو التعقيب بلا تراخ • وانما قال للمشركين دون الكافرين لان منهم من هو معذور كالذي لم يبلغه الدعوة فلا نهي عن الاستغفار لهم • وذكر الكلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم زار قبر امه في الف فارس وهو يريد ان يستغفر لها فلما قدم عند قبرها فاذا هو بجبرئيل عليه السلام فمنع يديه عن صدره وتلا هذه الآية فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى المسلمون فما رؤي يوماً اشد باكياً منه يومئذ من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لموتهم على الشرك خاصة بل به وبنزول الوحي فيه فلا يختص النهي بالذين ماتوا على الشرك • وانما قال من بعد ما تبين لعدم المنع عن الاستغفار قبل ذلك لانه طلب التوفيق للايمان اقتضاء • ومن قال بحجية المفهوم اتخذه دليلاً على جواز الاستغفار للاحياء من الكفار مطلقاً • ولما ورد النهي عن الاستغفار للمشركين قال الناس ان ابراهيم عليه السلام استغفر لابيه المشرك فنزلت هذه الآية وما كان استغفار ابراهيم لابيه يعني بعد موته على الشرك لان الاستغفار له قبل الموت لا يصلح متمسكاً للقائل المذكور وذكر الظاهر فلا ينطبق سبب النزول الا عن موعدة وعدها اياه وقرئ اباه اي وعدها ابراهيم عليه السلام بقوله سلام عليك سأستغفر لك ربي فانجز وعده فان انجاز الوعد واجب ولم يكن موته على الشرك ظاهراً عنده عليه السلام كما هو الظاهر من قوله تعالى فلما تبين له انه عدو لله وهذا التبيين عنده عليه السلام كان يوم الجزاء على ما ورد في الحديث الصحيح تبرأ منه ولم يطلب مغفرته بعد ذلك ان ابراهيم استئناف لبيان ما حمله عليه السلام على الاستغفار لابيه لأواه فعّال من اوه وهو الذي يكثر التأوه اي الترحم والتعطف لفرط تأوه كان يتعطف لابيه المشرك حليم صبور على الاذى ولذلك كان يحلم عن ابيه ويتحمل اذاه ويستغفر له مع شكاسة خلقه ابن كمال

وهمّ صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لابي طالب فنزل ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى اي ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم من بعد ما ظهر لهم انهم ماتوا على الشرك • ثم ذكر عذر ابراهيم عليه السلام فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه اي وعدها ابوه اياه ان يسلم او وعد هو اباه ان يستغفر وهو قوله لاستغفرن لك • ودليله قراءة الحسن وعدها اباه • ومعنى استغفاره سؤاله المغفرة له بعد ما اسلم • او سؤاله اعطاء الاسلام الذي به يغفر له فلما تبين من جهة الوحي له لابراهيم انه اي اباه عدو لله بأن يموت كافراً وانقطع رجاؤه عنه تبرأ منه وقطع استغفاره ان ابراهيم لأواه وهو المتأوه شفقاً وفرقاً • ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته كان يتعطف على ابيه الكافر حليم هو الصبور على البلاء الصفوح عن الاذى لانه كان يستغفر لابيه وهو يقول لأرجمنك • انتهى المدارك •

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر امه فبكى وابكى من حوله فقال استأذنت ربي في ان استغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنت في ان ازور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الموت • قال قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لابي كما استغفر ابراهيم لابيه فانزل الله تعالى هذه الآية وما كان للنبي والذين آمنوا • فقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما انزل الله تعالى خبراً عن ابراهيم قال لابيه سلام عليك سأستغفر لك ربي سمعت رجلاً يستغفر لوالديه وهما مشركان فقلت له تستغفر لهما وهما مشركان فقال اولم يستغفر ابراهيم لابيه فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله تعالى لقد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم الى قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك • معالم التنزيل

وماكان الله قد مر وجه زيادة كان في مثل هذا المقام ليضل قوما يخلق فيهم الضلال ● ومن قال يسميهم ضلالا فقد رسن فيه مذهب الاعتزال بعد اذ هديهم للاسلام حتى يبين لهم بالنهي عبارة او دلالة ما يتقون ما يجب اتقاؤه اي ليس من شانه تعالى تكليف الغافل فالمهتدي للاسلام اذا اقدم على بعض محظورات الشرع انما يكون ضلالا اذا كان اقدامه عليه بعد بيان خطره وكانه بيان عذر الرسول صلى الله عليه وسلم في الاقدام على استغفار امه ● وفيه دليل على ان تكليف الغافل غير واقع في شرايع الانبياء عليهم السلام ان الله بكل شيء عليم فيعلم حاجة الغافل الى البيان فيعتذره ● فهو تتميم للبيان المذكور ان الله له خاصة ملك السموات والارض لا شريك له يحيي ويميت يهدي ويضل وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم من الاستغفار للمشركين ولو كانوا اولي قربى ● واشار بقوله تبرأ منه الى وجوب التبري رأسا منهم بعدما تبين حالهم ● بين ان الملك والحول والقوة كلها لله تعالى ولا ولاية ولا نصرة لهم الا منه ليتولوه ويتوجهوا اليه بشراشرهم ويتبرءوا عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما ياتون ويذرون وانه الهادي والمضل ابن الكمال

وماكان الله ليضل قوما اي ليس من عادته ان يصفهم بالضلال عن طريق الحق ويجري عليهم احكامه بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم بالوحي صريحا او دلالة ما يتقون اي ما يجب اتقاؤه من محظورات الدين فلا ينزجروا عما نهوا عنه واما قبل ذلك فلا يسمى ما صدر عنهم ضلالة ولا يؤاخذون به كما فيه تسلية للذين استغفروا للمشركين قبل ذلك وفيه دليل على ان الغافل غير مكلف بما لا يستبد بمعرفته العقل ان الله بكل شيء عليم تعليل لما سبق اي انه تعالى عليم بجميع الاشياء التي من جملتها حاجتهم الى بيان قبح ما لا يستقل العقل في معرفته فيبين لهم ذلك كما فعل هنا ان الله له ملك السموات والارض من غير شريك له فيه يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم من الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وضمن ذلك التبرا منهم راسا بين لهم ان الله مالك كل موجود و متولي اموره والغالب عليه ولا يتأتى لهم نصرة ولا ولاية الا منه تعالى ليتوجهوا اليه بشراشرهم متبرئين عما سواه غير قاصدين الا اياه ابو السعود

٥ فلا حاجة الى التقدير المفاد كما هو الظاهر من قول القاضي حتى يبين لهم خطر ما يجب اتقاؤه هو

وماكان الله ليضل قوما بعد اذ هديهم حتى يبين لهم ما يتقون اي ما امر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهي عنه وبين انه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يخذلهم الا اذا اقدموا عليه بعد بيانه خطره وعلمهم بانه واجب للاجتناب ● واما ما قبل العلم والبيان فلا ● وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين ● والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي ● فاما ما يعلم بالعقل فغير موقوف على التوقيف كالصدق في الخبر ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير

قال الله سبحانه وتعالى وماكان الله ليضل قوما بعد اذ هديهم حتى يبين لهم ما يتقون ● معناه ماكان الله ليحكم عليكم بالضلالة بترك الاوامر وباستغفاركم للمشركين حتى يبين لهم ما يتقون حتى يتقدم اليكم بالنهي فاذا بين ولم ياخذوا به فعند ذلك يستحقون الضلال ● قال مجاهد بيان الله تعالى للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين خاصة وبيانه لهم في معصيته وطاعته عامة فافعلوا وذروا ● وقال الضحاك ماكان الله ليعذب قوما حتى يبين لهم ما ياتون ويذرون ● وقال مقاتل والكلبي هذا في المنسوخ وذلك ان قوما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم واسلموا ولم يكن الخمر حراما ولا القبلة مصروفة الى الكعبة ورجعوا الى قومهم وهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة ولا علم لهم بذلك ثم قدموا بعد ذلك المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت و القبلة قد صرفت فقالوا يا رسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره فنحن ضلال فانزل الله تعالى وماكان الله ليضل قوما بعد اذ هديهم يعني ماكان الله ليبطل عمل قوم قد عملوا بالمنسوخ حتى يبين لهم الناسخ كذا في المعالم

لقد تاب الله على النبي قال ابن عباس رضي الله عنهما هو العفو عن اذنه للمنافقين بالتخلف عنه والمهاجرين والانصار قيل هو زلات سبقت منهم يوم احد وحنين قال الله تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ● ففيه بعث للمؤمنين على التوبة ● والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي

وماكان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم الاية نزلت بيانا لمن خاف المؤاخذة في عمل الاشياء المباحة بالعقل قبل ورود النهي عنه كشرب الخمر والصلوة الى القبلة الاولى وبيع الصاع بالصاعين والاستغفار للمشركين قبل التحريم حتى سال النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال تعالى لم يكن الله ان يحكم بضلالة قوم وخذلانهم ويعاقب على ذنب لا يعرف بالعقل بعد ان كان هداهم للاسلام حتى يبين لهم اي يعلمهم ما يتقون اي الذي يجب عليهم اتقاؤه واذا علمهم بانه ذنب يؤاخذهم او يعاقبون على ارتكابه ● واما قبل الاعلام بذلك فلا يخذلهم ولا يؤاخذهم ● قيل في هذه الاية دلالة على ان المهتدي للاسلام اذا اقدم على بعض محظورات الله داخل في حكم الاضلال والخذلان ان الله بكل شيء عليم ما يصلح للخلق وما لا يصلح لهم ان الله له ملك السموات والارض يحكم في اهلهما بما يشاء فيامر بشيء ثم يامر بغيره ويقرر ما يشاء ثم ينسخه فلا ينسخه يحيي ويميت اي شانه الاحياء والاماتة في الدنيا وما لكم من دون الله اي من غيره من ولي اي قريب ينفعكم شيئا من عذاب الله ولا نصير اي مانع يمنعكم منه ● وفيه ترغيب في الجهاد كيلا يمتنعوا عنه حذر الموت والقتل من العدو

لقد تاب الله على النبي قال ابن عباس رضي الله عنهما هو العفو عن اذنه للمنافقين بالتخلف عنه والمهاجرين والانصار قيل هو زلات سبقت منهم يوم احد وحنين قال الله تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفى الله عنهم • ففيه بعث للمؤمنين على التوبة • والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والانصار رضي الله عنهم لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا • اذ لا احد الا وله حال يستنقص ما هو فيه بالنسبة اليها • فالترقي منه اليها توبة من تلك النقيصة • وفيه بيان لفضلها وشرفها بانتظام الانبياء عليهم السلام والصالحين رحمهم الله قال ابن عباس رضي الله عنه كانت السورة تدعى الفاضحة فلما نزلت هذه الاية سميت بها سورة التوبة الذين اتبعوه اي اتبعوا امره صلى الله عليه وسلم في ساعة العسرة في وقتها فان الساعة في اللغة بمعنى مطلق الزمان • والعسرة الضيق والشدة والعدم وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد • والزاد حتى ان الرجلين يقتسمان تمرة • والماء حتى نحروا الابل واعتصروا فرثها • وفي شدة زمان من حرارة القيظ من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق اي بعد ما قاربوا من الميل عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة • وانما اسند زيغهم الى القلب اظهارا لكونه بمعنى الميل القلبي لا بمعنى الانحراف القالبي

لقد تاب الله على النبي اي تاب عليه باذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله تعالى عفا الله عنك والمهاجرين والانصار فيه بعث للمؤمنين على التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة في غزوة تبوك ومعناه في وقتها وهو الساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق وكانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد • ومن الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصّ الجماعة ليشربوا عليها الماء • ومن الماء حتى نحروا الابل وعصروا كرشه وشربوه وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان • او عن اتباع الرسول في تلك الغزو والخروج معه • وفي كاد ضمير الشان والجملة بعده في موضع النصب وهو كقولهم ليس خلق الله مثله اي ليس الشان خلق الله تعالى مثله • يزيغ حمزة وحفص ثم تاب عليهم تكرير للتوكيد انه بهم رؤوف رحيم • انتهى المدارك •

منهم اي من المتبعين له صلى الله عليه وسلم • وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعائد عليه الضمير في منهم • لم يقل زاغت بل قال كاد تزيغ ولم يقل قلوبهم بل قال قلوب فريق منهم تنبيها على شركة كلهم في القرار على قدم الثبات في مثل تلك الحال وامتياز جلهم عن الباقين بقوة الثبات • وفيه اشارة الى جهة استحقاقهم لان يتوب الله تعالى عليهم • وثم في قوله منهم من الاسلام لاجل انهم ليسوا من المهاجرين والانصار لعدم انحصار المتبعين له صلى الله عليه وسلم فيهم ما لا يخفى من التعظيم لشانهما والترفيع لمكانهما عن مظنة التشنيع ثم تاب عليهم على الفريق الذي كاد تزيغ قلوبهم لكيلا يهم • وعلى قراءة عبد الله من بعد ما زاغت لزيغهم وما تقدم في حق زلات سبقت من المهاجرين والانصار في يوم احد وحنين لا يغني عن هذا فلا تكرير • وفي عبارة التراخي اشارة الى تاخير عفوهم الى تحلل الكفر بينه وبين جريمتهم انه بهم رؤوف رحيم استيناف تعليلي جمع بين الاسمين للمبالغة والتاكيد • اي كان الله

لقد تاب الله على النبي قال ابن عباس رضي الله عنهما هو العفو عن اذنه للمنافقين في التخلف عنه والمهاجرين والانصار قيل هو في حق زلات سبقت منهم يوم احد ويوم حنين • وقيل المراد بيان فضل التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج اليها حتى النبي صلى الله عليه وسلم لما صدر عنه في بعض الاوقات من ترك الاولى الذين اتبعوه لم يتخلفوا عنه ولم يخلوا بامر من اوامره في ساعة العسرة اي في وقتها والتعبير عنه بالساعة لزيادة تعيينه وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب عشرة على بعير واحد ومن الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان ●

وربما مصّ الجماعة ليشربوا عليها الماء المتغير وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فرثها • وفي شدة زمان من حمارة القيظ • ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة • ووصف المهاجرين والانصار بما ذكر من اتباعهم له صلى الله عليه وسلم في مثل هاتيك المراتب من الشدة للمبالغة في بيان الحاجة الى التوبة فان ذلك حيث لم يغنهم عن ذلك فلان لا يستغني عنها غيرهم اولى واحرى من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم بيان لتناهي الشدة وبلوغها الى ما لا غاية وراءها وهو اشراف بعضهم على ان يميلوا الى التخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم • وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم الراجع اليه الضمير في منهم • وقرئ بتانيث الفعل • وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة واضرابه ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤوف رحيم استيناف تعليلي فان صفة الرافة والرحمة من دواعي التوبة والعفو • ويجوز كون الاول عبارة عن ازالة الضرر والثاني عن ايصال المنفعة وان يكون احدهما للسوابق والاخر للواحق • انتهى ابو السعود افندي رحمه الله •

لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار نزل حين اذن النبي صلى الله عليه وسلم للمنافقين في التخلف فقال تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم فكانه قال اخطات في هذا الاذن وما ل المنافقون الى التخلف عن الذهاب معه في الطريق الى غزوة تبوك لشدة الحر وقلة الزاد والماء والظهر اي تجاوز الله تعالى عن خطا النبي صلى الله عليه وسلم وعن ذنوبهم لما اصابهم من الشدة في ذلك الطريق ثم وصفهم بقوله الذين اتبعوه في ساعة العسرة اي في وقت الشدة لغزو تبوك ويسمى جيش العسرة لقلة الظهر • قيل كان العشرة يعتقبون على البعير الواحد لقلة الزاد والماء وشدة الحر حتى كادت تنقطع اعناقهم عطشا فاتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت من بعد ما كاد فاعله ضمير الشان اي قرب الشان تزيغ بالياء والتاء اي من ان تميل قلوب فريق منهم من الذين اتبعوه في تلك الغزوة الى التخلف ثم تاب عليهم اي تجاوز عنهم بثبوتهم • وكرر تاب لتاكيد التوبة عليهم انه بهم رؤوف رحيم تعليل للتوبة يعني اي ما تاب عليهم لغاية رافته ورحمته بهم من العيون

وعلى الثلثة الذين هم الذين تقدم قبلهم واخروا مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم ا١
معطوف على قوله والانصار خلفوا اخروا وترك امرهم لم يقبل منهم معذرة ولا ردت عليهم فكانهم
خلفوا عن المعتذرين حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية و
هو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط حيرة الوحشة بحيث لا يسعها انس ولا سرور
وظنوا وعلموا ان لا ملجأ من الله من سخط الله الا اليه بالتوبة والاستغفار • جاءت هذه الجمل في كنف
اذا في غاية الحسن والترتيب حيث ذكر اولا ما هو كناية عن ضيق المحل وثانيا ما هو كناية عن ضيق الحال
والاول لا يغني عن الثاني لانه قد يضيق المحل ويكون النفس منشرحة وثالثا ما هو كناية عن اليأس عن
الناس والانقطاع الى الله تعالى وحتى اذا كلمة غاية تقدمه وخلفوا الى هذه الغاية ثم تاب عليهم
وفقهم للتوبة ليتوبوا • او انزل قبول توبتهم ليصيروا من جملة التوابين • او رجع عليهم بالقبول
والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم بقرينة الاستيناف للتعليل بقوله ان الله هو التواب
لمن تاب ولو عاد في اليوم الف مرة الرحيم المتفضل عليهم باصناف النعم وهم المستحقون بانواع النقم
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه • وكونوا مع الصادقين الذين صدقوا في دين الله نية وقولا
وعملا • او في ايمانهم ومعاهدتهم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم على الطاعة • او في توبتهم و
انابتهم فيكون المراد هؤلاء الثلثة واضرابهم • وقرئ من الصادقين ونسبة القراءتين الى الكواشي
المذكورة على التواء

وعلى الثلثة الذين خلفوا اي وتاب الله
على الثلثة الذين اخر امرهم عن امر ابي لبابة
واصحابه حيث لم يقبل معذرتهم مثل
اولئك ولا ردت ولم يقطع في شانهم
بشي الى ان نزل فيهم الوحي وهم كعب
بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن
امية • وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين
بالمدينة او فسدوا من الخالفة و
خلوف الفم • وقرئ خالفوا • وقرئ
على المخلفين والاول هو الانسب لان
قوله تعالى حتى اذا ضاقت عليهم الارض
غاية للتخلف ولا يناسبه الا المعنى الاول
اي خلفوا واخر امرهم الى ان ضاقت
عليهم الارض بما رحبت اي برحبها وسعتها
لاعراض الناس عنهم وانقطاعهم عن
مفاوضتهم وهو مثل لشدة الحيرة كانه
لا يستقر به قرار ولا تطمئن له دار وضاقت
عليهم انفسهم اي اذا رجعوا الى انفسهم
لا يطمئنون بشي لعدم الانس والسرور
واستيلاء الوحشة والحيرة وظنوا ان
لا ملجأ من الله الا اليه اي علموا ان لا ملجأ
من سخطه تعالى الا الى استغفاره ثم تاب
عليهم اي وفقهم للتوبة ليتوبوا •

وعلى الثلثة اي تاب على الثلثة وهم كعب بن مالك ومرارة
بن الربيع وهلال ابن امية • وهو عطف على النبي
الذين خلفوا عن الغزو حتى اذا ضاقت عليهم الارض
بما رحبت برحبها اي مع سعتها • وهو مثل للحيرة في امرهم •
كانوا لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا وضاقت
عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور لانها
حرجت من فرط الوحشة والغم وظنوا ان لا ملجأ من الله
الا اليه وعلموا ان لا ملجأ من سخط الله الا الى استغفاره ثم تاب
عليهم بعد خمسين يوما ليتوبوا ليكونوا من جملة التوابين
ان الله هو التواب الرحيم عن ابي بكر الوراق رحمه الله انه
قال التوبة النصوح ان يضيق على التائب الارض بما رحبت
وتضيق عليه نفسه كتوبة هذه الثلثة يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله وكونوا مع الصادقين في ايمانهم دون المنافقين •
او مع الذين لم يتخلفوا • او مع الذين صدقوا في دين الله
نية وقولا وعملا • والآية تدل على ان الاجماع حجة لانه
امر بالكون مع الصادقين فلزم قبول قولهم المدارك

او انزل قبول توبتهم ليصيروا من جملة التوابين • او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا
على توبتهم ان الله هو التواب المبالغ في قبول التوبة كما وكيفا وان كثرت الجنايات وعظمت الرحيم المتفضل
عليهم بفنون الآلاء مع استحقاقهم لافانين العقاب • روي ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به صلى الله عليه وسلم • عن الحسن انه قال بلغني انه كان لاحدهم
حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمارك اذهب فانت
في سبيل الله ولم يكن لآخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطأني ولا خلفني الا الضن بك فلا جرم والله
بخيل

فلا جرم والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فتأبط زاده ولحق به صلى الله عليه وسلم •
قال الحسن رضي الله عنه كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها • وعن ابي ذر الغفاري رضي ان بعيره ابطأ به
فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فقال صلى الله عليه وسلم لما رأى سواده كن
ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث
وحده • وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت
اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله
عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام ورحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله
صلى الله عليه وسلم واستغفر له • ومنهم من بقي لم يلحق به صلى الله عليه وسلم منهم الثلثة • قال كعب لما قفل
رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال يا ليت شعري
ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه قال صلى الله عليه وسلم ما اعلم
الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد
فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء
من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت لله ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم
الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت البشائر فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول الي حتى صافحني
وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة رض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير
استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الآية • وعن ابي بكر
الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان يضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن
مالك وصاحبيه يا ايها الذين آمنوا خطاب عام يندرج فيه التائبون اندراجا اوليا • وقيل
لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك خاصة اتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه
المعاملة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر المغازي دخولا اوليا وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم
او في دين الله نية وقولا وعملا • او في كل شأن من الشؤون فيدخل ما ذكر من توبتهم وانابتهم فيكون
المراد بهم هؤلاء الثلثة واضرابهم • وعن ابن عباس رض انه خطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا
مع المهاجرين والانصار وانتظموا في سلكهم في الصدق وسائر المحاسن وقرئ من الصادقين ابو السعود

وعلى الثلثة الذين خلفوا اي لقد تاب الله على الثلثة الذين خلفهم الشيطان عن الغازين بالمدينة وهم كعب بن مالك
وهلال بن امية ومرارة بن الربيع قعدوا في المدينة عن غزوة تبوك حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي
برحبها يعني مع سعتها وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها انس بشي ولا يحصل لها سرور لما تاخر توبتهم
لان النبي صلى الله عليه وسلم اخر توبتهم حتى نزلت بعد خمسين يوما من انصرافه من تبوك وظنوا اي وايقنوا
ان لا ملجأ من الله اي لا مفر ولا منجا من عذابه الا اليه اي الى الله بالتوبة والاستغفار ثم تاب عليهم ليتوبوا
اي اكرمهم بتوفيق التوبة لكي يرجعوا عن فعلهم السوء من بعد مدة ليستقيموا على توبتهم ويتبعوا اي
ليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان وقعت خطيئة منهم علما منهم ان الله يقبل توبة من تاب ولو عاد في اليوم
مائة مرة او ليتوب الناس بعدهم ويقتدوا بهم ان الله هو التواب اي يقبل التوبة من التائب الرحيم
برحمته بعد التوبة بالمغفرة ودخول الجنة • قال كعب بن مالك لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك
الى المدينة جئت اليه وسلمت عليه فرد علي كالمغضب فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد
فلما مضت اربعون ليلة امرنا النبي صلى الله عليه وسلم ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا
بنداء من ذروة سلع اي جبل ابشر يا كعب فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي في كلامه فانطلقت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وحوله المسلمون فقال ابشر بخير يوم عليك منذ ولدتك امك ثم
تلا علينا الآية • سئل عن ابي بكر الوراق ما التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق
عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه ثم خاطب المنافقين توبيخا لهم بنفاقهم بقوله يا ايها الذين آمنوا ا١
من العيون

ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة او علاقة سوط ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة •
وتقديم النفقة الصغيرة مع ان حقها التأخير للاهتمام بشأنها لا انها ممكنة التحقيق وعدم الالتفات بها
ولا يقطعون واديا في ذهابهم ومجيئهم • والوادي كل منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى
اذا سال فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم اي اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله به احسن ما كانوا يعملون احسن
مفعول به • او مفعول ثان اي جزاء احسن اعمالهم واحسن جزاء اعمالهم فيلحق ما دونه به تكثيرا لسعيهم
[illegible] وتوفيرا لاجرهم • ابو السعود

ما كان لاهل المدينة ما صح وما استقام ومن حولهم من الاعراب كمزينة وجهينة واشجع وغفار واضرابهم ان يتخلفوا
عن رسول الله عند توجهه صلى الله عليه وسلم الى الغزو ولا يرغبوا بنصبه وقد جوز الجزم بانفسهم عن نفسه
اي لا يصرفوها عن نفسه الكريمة ولا يصونوها عما لم يصن عنه نفسه بل يكابدوا معه ما يكابده من الاهوال
والخطوب والكلام في معنى النهي وان كان على صورة الخبر ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام من وجوب المتابعة
بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ اي عطش يسير ولا نصب ولا تعب ما ولا مخمصة اي مجاعة ما لا ما يستباح
عنده المحرمات من مراتبها فان الظماء والنصب اليسير حين لم يخلوا من الثواب فلان لا يخلو ذلك منه
اولى فلا حاجة الى تاكيد النفي بتكرير كلمة لا • ويجوز ان يراد بها تلك المرتبة ويكون الترتيب بناء على
كثرة الوقوع وقلته فان الظماء اكثر وقوعا من النصب الذي هو اكثر وقوعا من المخمصة بالمعنى المذكور
فتوسيط كلمة لا حينئذ ليس لتاكيد النفي بل للدلالة على استقلال كل واحد منها بالفضيلة والاعتداد به
في سبيل الله واعلاء كلمته ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار اي لا يدوسون بارجلهم وحوافر خيولهم
واخفاف رواحلهم دوسا او مكانا يداس ولا ينالون من عدو نيلا مصدر كالقتل والاسر
والنهب • او مفعول اي شيئا ينال من قتلهم الا كتب لهم به اي بكل واحد من الامور المعدودة عمل صالح
وحسنة مقبولة مستوجبة بحكم الوعد الكريم للثواب الجميل ونيل الزلفى • والتنوين للتفخيم
وكون المكتوب عين ما فعلوه من الامور لا يمنع دخول الباء فان اختلاف العنوان كاف في ذلك
ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم تعليل لما سلف من الكتب • والمراد بالمحسنين اما المحدث
عنهم ووضع الظاهر مقام المضمر لمدحهم والشهادة عليهم بالانتظام في سلك المحسنين وان اعمالهم من
قبيل الاحسان ولبيان الثواب بعلية الماخذ للحكم واما جنس المحسنين وهم داخلون فيه دخولا اوليا
ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة او علاقة سوط ولا كبيرة كما انفق عثمان رضي الله عنه والترتيب باعتبار ما ذكر
من كثرة الوقوع وقلته وتوسيط لا للتنصيص على استبداد كل منهما بالكتب والجزاء لا لتاكيد النفي كما في قوله
ولا يقطعون اي يجاوزون في سيرهم واديا وهو في الاصل كل منعرج من الجبال والاكام يكون منفذا
للسيل اسم فاعل من ودى اذا سال ثم شاع في الارض على الاطلاق الا كتب لهم اي اثبت لهم ذلك الذي فعلوه
من الانفاق والقطع ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون احسن جزاء اعمالهم او جزاء احسن اعمالهم ابو السعود

ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب نزل في المنافقين الذين تثاقلوا عن الخروج الى الغزو مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو في معنى النهي عن التخلف اي لا يمكن لاهل المدينة والذين حول المدينة ان يتخلفوا في الجهاد عن رسول الله
وان يكونوا ابر واشفق بانفسهم من نفس محمد صلى الله عليه وسلم وان يتركوا محبته بل ينبغي ان يلقوا انفسهم في الشدائد
كما يلقي نفسه علما منهم بان نفسه اعز نفس عند الله تعالى فاذا تعرضت للخوض في شدة مع كرامتها وعزتها عنده
وجب على سائر النفوس ان تتهافت فيما تعرضت نفسه ولا يرغبون بانفسهم عن نفسه اي لا يختاروا ابقاء انفسهم
على ابقاء نفسه في الشدائد بل يتبعوه حيث ما يريد ذلك اي النهي عن التخلف بانهم اي بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ
اي عطش ولا نصب اي ولا تعب ولا مخمصة اي جوع في سبيل الله ولا يطئون موطئا اي لا يدوسون ارضا من
اراضي الكفار من سهل وجبل يغيظ اي يحزن الكفار ولا ينالون اي ولا يصيبون من عدو نيلا اي مصيبة من قتل
او غارة او هزيمة الا كتب لهم به اي بكل واحد منها عمل صالح اي ثوابه ان الله لا يضيع اجر المحسنين اي لا يبطل ثواب
المجاهدين بالاخلاص • فيه دليل على ان ما اصاب الرجل في دين الله من الشدائد يكتب له بذلك اجره وبه استدل
ابو حنيفة رحمه الله على ان المدد القادم بعد انقضاء المحاربة يشارك الجيش في الغنيمة لان وطئ ديارهم
يغيظهم وعند الشافعي رحمه الله لا يشاركهم فيها الا بالحرب ثم قال

ولا ينفقون نفقة صغيرة

ولا ينفقون نفقة صغيرة كلقمة وتمرة وعلاقة سوط في الجهاد ولا كبيرة كما انفق عثمان رضي الله عنه
من الجمال المجهزة وكانت ثلثمائة ولا يقطعون واديا من الاودية بالدواب والمشي في طريق الغزو
مقبلين ومدبرين الا كتب لهم ثواب ذلك ليجزيهم الله يوم القيمة احسن ما كانوا يعملون لانه يعطي
بحسنة واحدة عشرة الى سبعمائة والى ما لا يدرك حسابه
من العيون

ما كان لاهل المدينة اي ما صح وما جاز لهم ومن حولهم من الاعراب كمزينة والاشجع وجهينة وغفار ان يتخلفوا عن رسول الله معاتبة للمؤمنين من اهل يثرب وقبائل العرب المجاورة لها على التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة • ويفهم منها الامر على ابلغ وجه بملازمته صلى الله عليه وسلم اينما توجه غازيا وبذل النفوس دونه ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه اي ولا ان يرغبوا عطفا على الاول • ورغب اذا تعدى بفي او الباء يفيد معنى الطلب واذا تعدى بعن يفيد معنى الترك والاعراض • ومآل المعنى ولا يرضوا ان يكونوا في خفض ودعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في شدة ونصب • روي ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امراة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له • وفي ولا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى وجوب متابعته صلى الله عليه وسلم المدلول بقوله ما كان لهم ان يتخلفوا بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ عطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة مفعلة من خموص البطن وهو ضموره وكني بذلك عن حالة الجوع لانه ملازم لها • والتنكير في الثلاثة للتقليل في سبيل الله في طريق الجهاد ولا يطأون موطئا باقدامهم او ارجل خيولهم • والموطأ يجوز ان يكون مصدرا • وان يكون موضعا كالمرج يغيظ الكفار وطؤهم اياه ولا ينالون

ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله المراد بهذا النفي النهي • وخصهم بالذكر وان استوى كل الناس في ذلك لقربهم منه • ولا يخفى عليهم خروجه ولا يرغبوا ولا ان يصونوا بانفسهم عن نفسه عما يصيب نفسه ان لا يختاروا بقاء انفسهم على نفسه بالشدائد بل امروا ان يصحبوه في البأساء والضراء ويلقوا انفسهم بين يديه في كل شدة ذلك النهي عن التخلف بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ عطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله في الجهاد ولا يطأون موطئا ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وارجلهم يغيظ الكفار يغضبهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا ولا يصيبون منهم اصابة بقتل واسر وجرح او كسر او هزيمة الا كتب لهم به عمل صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما لكل روعة سبعون الف حسنة • يقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم • وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وعلى ان المدد يشارك الجيش في الغنيمة بعد انقضاء الحرب لان وطء ديارهم مما يغيظهم ولقد اسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب • والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه

من عدو ولم يقل منهم اخراجا للمسالمين منهم والغيظ وهو انقباض الطبع بارؤية ما يسوؤه • ينتظمهم نيلا شيئا من قتل او جرح او ضرب او اسر او تشريد او اخذ مال الا كتب لهم به عمل صالح اي حصل لهم بكل واحد من هذه الاثار حسنة مقبولة فان كتابته كناية عن حصوله وذلك مما يوجب المتابعة • وانما قال به مع ذكر اشياء جمعا لانه لما ادخل بين كل شيئين منها لا مكررا صار كل واحد منها مفردا بالذكر مقصودا بالوعد ولهذا قالوا من حلف لا ياكل خبزا ولا لحما حنث بكل واحد منهما • ولو قال لا ياكل خبزا ولحما لم يحنث الا بهما جميعا ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم • فيه ايذان بان الجهاد احسان وان الاحسان موجب للاجر فيكون تعليلا لكتب اما كونه احسانا بالنسبة الى المؤمنين فلما فيه من صيانة حوزة الاسلام عن استيلاء الكفار • واما بالنسبة الى الكفار فلانه سعي في اصلاحهم وارشادهم باقصى ما يمكن

ان الله لا يضيع اجر المحسنين اي انهم محسنون والله تعالى لا يبطل ثوابهم ولا ينفقون نفقة في سبيل الله صغيرة ولو تمرة ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم وهو كل منعرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل فاعل من ودي اذا سال ومنه الودي • وقد شاع في الاستعمال بمعنى الارض الا كتب لهم به ذلك من الانفاق وقطع الوادي ليجزيهم الله متعلق بكتب اي اثبت الله في صحائفهم لاجل الجزاء احسن ما كانوا يعملون اي يجزيهم على كل واحد جزاء احسن عمل كان لهم فيلحق ما دونه به توفيرا لاجرهم انتهى المدارك

وما كان المؤمنون لينفروا كافة اللام لتاكيد النفي اي وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو او طلب علم
كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش • وهو تمهيد لوجوب النفر في طلب العلم لانه فهم منه
انه لو امكن نفر الكل ولم يؤد الى مفسدة لوجب • وهذا لوجوب التفقه على كل مسلم لقوله صلى الله عليه وسلم
طلب العلم فريضة على كل مسلم فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة اي فاذا لم يمكن نفر الكل لمنافاته المصلحة فهلا
نفر من كل فرقة كثيرة منهم كقبيلة واهل بلد طائفة قليلة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا
اليهم لعلهم يحذرون اي ليتكلفوا الفقاهة ويتجشموا مشاق تحصيلها وليجعلوا غرضهم في ذلك وراية
سعيهم انذار قومهم وارشادهم ارادة ان يحذروا الله تعالى في اجتناب معاصيه وامتثال اوامره
وتخصيص الانذار بالذكر وجعله وحده غرض التفقه وان كان العمل به اقدم واهم لانه اشرف واعلى
لان التفقه لا يكون تفقها الا عند العمل به فمن لم يعمل بما علم فليس بفقيه • ولا شك ان التكميل بعد الكمال
فكان العمل داخلا في التفقه وبعد الكمال بالعلم والعمل لا يكون الغرض منه الا التكميل • وفيه دليل على ان
التفقه في الدين والتذكير من فروض الكفاية • وان خبر الاحاد حجة لعموم كل فرقة فلو كانت فرقة في قرية
لوجب خروج بعضهم للتفقه وانذارهم ولوجب عمل الباقين باخبارهم وان لم يتواتر فانه غير ممكن فيه •
وفي الاية وجه آخر وهو ان المؤمنون بعدما سمعوا ما انزل الله تعالى في المتخلفين عن غزوة تبوك تسابقوا
في الجهاد فكان اذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا

وما كان المؤمنون لينفروا كافة اللام لتاكيد النفي اي ان
نفير الكافة عن اوطانهم لطلب العلم غير صحيح للافضاء
الى المفسدة فلولا نفر فحين لم يكن نفير الكافة فهلا
نفر من كل فرقة منهم طائفة اي من كل جماعة كثيرة جماعة
قليلة منهم يكفونهم النفير ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا
الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في تحصيلها ولينذروا
قومهم وليجعلوا مرمى همتهم الى التفقه انذار قومهم
وارشادهم اذا رجعوا اليهم دون الاغراض الخسيسة
من التصدر والترؤس والتشبه بالظلمة في المراكب
والملابس لعلهم يحذرون ما يجب اجتنابه • وقيل ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك في
المتخلفين من الايات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم
الى النفير وانقطعوا جميعا عن التفقه في الدين فامروا
ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد وتبقى سائرهم يتفقهون
حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر اذ الجهاد
بالحجاج اعظم اثرا من الجهاد بالنصال • والضمير في ليتفقهوا
للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذر الفرق الباقية
قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم • وعلى الاول الضمير للطائفة
النافرة الى المدينة للتفقه يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم يقربون منكم من الكفار القتال
واجب مع جميع الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب اوجب • وقد حارب النبي صلى الله
عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وغيرهم
وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم وليجدوا فيكم غلظة شدة وعنفا في
القتال قبل القتال واعلموا ان الله مع المتقين بالنصرة والغلبة انتهى المدارك

جميعا انفروا عن آخرهم وانقطعوا
جميعا عن استماع الوحي والتفقه فامروا
ان ينفر من كل فرقة طائفة ليتفقه الباقون
في الدين فلا ينقطع التفقه الذي هو
الغرض من البعثة والجهاد الاكبر فان الجدال
بالحجة اعظم اثرا من الجلاد بالسيف و
لينذروا قومهم النافرين الى الجهاد واذا
رجعوا اليهم وعلى هذا الوجه فالضمير في
ليتفقهوا ولينذروا قومهم للفرق
الباقين وفي رجعوا ولعلهم للطائفة
النافرين • وفيه تشتت الضمائر وهو
وان لم يكن مخلا بالفصاحة عند اتضاح
المعنى واتساقا فالذهن اليه لكن
عدمه اولى فالراجح هو الوجه الاول
يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم يقربون
منكم من الكفار امروا بقتال الاقرب
منهم فالاقرب • قيل كان النبي صلى الله
عليه وسلم اذا غزا ربما يجاوز كفارا
ويقاتل الابعد ليكون آية للنبوة انه
لا يبالي ولا يخاف منه تركه فنزلت الاية
تعليما للمؤمنين امر الحرب كما علمهم ذلك
في آيات اخر من الامر باخذ الحذر و
اعداد ما استطاعوا من قوة

وقيل ان الذين يلونهم من الاعداء يوم نزول هذه الاية هم الروم الذين بهم ختم رسول الله صلى الله عليه وسلم
غزوه الى تبوك فكان الكلام متصلا بما تقدم من غزوة تبوك وليجدوا فيكم غلظة خشونة وشدة
وصبرا على القتال • وقرئ غلظة بالحركات الثلث واعلموا قدم وجه زيادة اعلموا في مثل هذا المقام
ان الله مع المتقين ينصر من اتقاه فهو تبشير لهم بالنصرة • انتهى الكمالين

وما كان المؤمنون لينفروا كافة اي ما صح وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو او طلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا
جميعا فان ذلك يخل بامر المعاش فلولا نفر فهلا نفر من كل فرقة اي طائفة كثيرة منهم كاهل بلدة او قبيلة عظيمة طائفة
اي جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين اي ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اي
وليجعلوا غاية سعيهم ومرمى غرضهم من ذلك ارشاد القوم وانذارهم اذا رجعوا اليهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم
وفيه دليل على ان التفقه في الدين من فروض الكفاية • وان يكون غرض المتعلم الاستقامة والاقامة لا الترفع على
العباد والتبسط في البلاد كما هو ديدن ابناء الزمان والله المستعان لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرونه
واستدل به على ان اخبار الاحاد حجة لان عموم فرقة تقتضي ان ينفر من كل ثلثة تفردوا بقرية طائفة الى
التفقه لينذروا قومهم كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر اخبارها لم يتواتر لم يفد ذلك • وقد قيل للاية
وجه آخر هو ان المؤمنين لما سمعوا ما نزل في المتخلفين سارعوا الى النفير رغبة ورهبة وانقطعوا عن التفقه
فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع الفقه الذي هو الجهاد الاكبر
لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة • فالضمير في ليتفقهوا ولينذروا لبواقي الفرق بعد الطوائف
النافرة للغزو وفي رجعوا اليهم اي لينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم
من العلوم • يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر صلى الله عليه وسلم
اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح • قيل هم اليهود حوالي المدينة كبني قريظة
والنضير وخيبر • وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة بالنسبة الى العراق
وغيره وليجدوا فيكم غلظة اي شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين كسخطة وبضمها وهما لغتان واعلموا ان الله
مع المتقين بالعصمة والنصرة والمراد بهم اما المخاطبون ووضع الظاهر موضع الضمير للتنصيص على ان الايمان
والقتال على الوجه المذكور من باب التقوى والشهادة بكونهم من زمرة المتقين واما الجنس وهم داخلون
فيه دخولا اوليا والمراد بالمعية الولاية الدائمة وقد ذكر وجه دخول مع المتبوع في قوله تعالى ان الله معنا • ابو السعود

وما كان المؤمنون لينفروا كافة نزلت حين وبخهم الله تعالى على ترك النفير الى الجهاد فلما ارسل الرسول عم
سرية الى الغزو ونفروا جميعا وتركوا الرسول عم وحده بالمدينة فقال تعالى لا ينبغي للمؤمنين ان ينفروا جميعا •
فاللام زائدة لتاكيد نفي النفير باسرهم وينفروا خبر كان المنفي واذا كان نفير الكل عن اوطانهم غير ممكن لاجل النبي
صلى الله عليه وسلم فلولا نفر اي فهلا خرج من كل فرقة اي جماعة كثيرة منهم طائفة اي جماعة يسيرة الى الغزو وبقي
وتقيم مع النبي صلى الله عليه وسلم طائفة اخرى ليتفقهوا في الدين اي في دين الله اي ليتعلموا الشرائع والاحكام في دين الله
من النبي صلى الله عليه وسلم ولينذروا اي وليخوفوا ويعظوا قومهم اذا رجعوا اي اذا رجع السرايا من الغزو اليهم اي
الى الطائفة القاعدين الذين تعلموا القرآن النازل على النبي صلى الله عليه وسلم بعدهم فيعلمونهم اياه ويقولون ان الله تعالى
انزل على نبينا بعدكم كذا وكذا لعلهم يحذرون اي يتعظون بما امروا به ونهوا عنه ويخافون عقاب الله فيعملون به
لا بخلافه • وفيه دليل على ان اخبار الاحاد مقبولة يجب العمل بها لان لفظ الطائفة تناول الواحد فما فوقه • وقيل
نزلت الاية تحريضا للمؤمنين ان ينفروا عن اوطانهم لطلب العلم النافع بصدق نية وغرض صحيح وهو انذار قومهم و
ارشادهم الى الصواب والنصيحة لهم لا قصد التصدر والترؤس في البلاد وتحصيل المراكب والملابس والعبيد والاماء
ومنافسة بعضهم بعضا بوسائط العلم فيحرمون بذلك عن ثواب الاخرة ويعذبون بعذاب النار يا ايها الذين آمنوا قاتلوا
الذين يلونكم من الكفار نزل لقتال الاقرب فالاقرب منهم اي قاتلوا من حولكم ويقربكم من العدو كبني قريظة والنضير
وفدك وخيبر وغيرهم من المشركين فهو عام في ذلك يعني القتال مع جميع الكفار قريبهم وبعيدهم واجب ولكن
الاقرب فالاقرب اوجب وهكذا المفروض على كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم ما لم يضطر اليهم اهل ناحية اخرى
وليجدوا فيكم غلظة اي شدة وشجاعة وجفوة واعلموا ان الله مع المتقين بالنصر والعون على عدوهم اذا اتقوا على
الترفق عليهم ثم بين تعالى تفاوت الحال بين المخلصين والمنافقين في نزول القرآن فقال واذا ما انزلت الخ
ان الشفقة
من العيون

اي الجفاء الجفوة بالفتح والكسر
على اهل البدو ويقال الجفا غالب
وهو غلظ الطبع زم

وإذا ما أنزلت سورة من سور القرآن فمنهم أي من المنافقين من يقول لإخوانه ليثبتهم على النفاق • أو لعوام المؤمنين وضعفتهم ليصدهم عن الإيمان أيكم زادته هذه السورة إيمانا وقرئ بالنصب أيكم على تقدير فعل يفسره المذكور أي أيكم زادت زادته هذه الخ وإيراد الزيادة مع أنه لا إيمان فيهم أصلا باعتبار اعتقاد المؤمنين حسبما نطق به قوله تعالى إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا فأما الذين آمنوا جواب من جهته سبحانه وتعالى وبما جاء من عنده فزادتهم إيمانا بزيادة العلم اليقيني الحاصل من التدبر فيها والوقوف على ما فيها من الحقائق وانضمام إيمانهم بما فيها بإيمانهم السابق وهم يستبشرون بنزولها وبما فيه من المنافع الدينية والدنيوية وأما الذين في قلوبهم مرض أي كفر وسوء عقيدة فزادتهم رجسا إلى رجسهم أي كفرا بها مضموما إلى الكفر بغيرها وعقائد باطلة وأخلاقا ذميمة كذلك وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك إلى أن يموتوا عليه أولا يرون الهمزة للإنكار والتوبيخ والواو للعطف على مقدر أي ألا ينظرون ولا يرون أنهم أي المنافقين يفتنون في كل عام من الأعوام مرة أو مرتين والمراد مجرد التكثير لا بيان الوقوع حسب العدد المزبور أي يبتلون بأفانين البليات من المرض والشدة مما يذكر الذنوب والوقوف بين يدي رب العزة فيؤدي إلى الإيمان به أو بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما ينزل عليه من الآيات لا سيما القوارع الزائدة للإيمان الناعية عليهم ما فيهم من القبائح المخزية لهم ثم لا يتوبون عطف على يرون داخل تحت الإنكار والتوبيخ كذلك قوله ولا هم يذكرون والمعنى أولا يرون افتتانهم الموجب لإيمانهم ثم لا يتوبون عما هم عليه من النفاق وهم لا يتذكرون بتلك الفتن الموجبة للتذكر والتوبة • وقرئ بالتاء والخطاب للمؤمنين والهمزة للتعجب أي ألا تنظرون ولا ترون أحوالهم العجيبة التي هي افتتانهم على وجه التتابع وعدم التنبه لذلك فقوله ثم لا يتوبون وما عطف عليه معطوف على يفتنون وإذا ما أنزلت سورة بيان لأحوالهم عند نزولها وهم في محفل تبليغ الوحي كما أن الأول بيان لمقالاتهم وهم غائبون عنه نظر بعضهم إلى بعض تغامزوا بالعيون إنكارا لها أو سخرية بها أو غيظا لما فيها من مخازيهم هل يراكم من أحد قائلين هل يراكم أحد من المسلمين لننصرف مظهرين أنهم لا يصطبرون على استماعها ويغلب عليهم الضحك فيفتضحون • أو ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من أحد إن قمتم من المجلس • وإيراد ضمير الخطاب لبعث المخاطبين على الجد في انتهاز الفرصة فإن المرء بشأنه أكثر اهتماما منه بشأن أصحابه كما في قوله وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا • وقيل المعنى وإذا ما أنزلت سورة في عيوب المنافقين ثم انصرفوا عطف على نظر بعضهم والتراخي باعتبار وجدان الفرصة والوقوف على عدم رؤية أحد من المؤمنين أي انصرفوا جميعا عن محفل الوحي خوفا من الافتضاح أو غير ذلك صرف الله قلوبهم أي عن الإيمان حسب انصرافهم عن المجلس • والجملة إخبارية أو دعائية بأنهم أي بسبب أنهم قوم لا يفقهون لسوء الفهم أو لعدم التدبر • اهـ أبو السعود •

ثم بين تفاوت الحال بين المخلصين والمنافقين في نزول القرآن فقال وإذا ما أنزلت سورة من القرآن فمنهم أي المنافقين من يقول بعضهم لبعض مبتدأ وخبره أيكم زادته هذه السورة إيمانا أي يقينا وتصديقا إنكارا بالسورة واستهزاء بالمؤمنين واعتقادهم الإيمان بزيادة العلم بالوحي والعمل به فقال تعالى فأما الذين آمنوا بالله وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فزادتهم هذه السورة إيمانا أي تصديقا مع تصديقهم بالله وهم يستبشرون أي يفرحون بالإنزال من القرآن وأما الذين في قلوبهم مرض أي شك ونفاق فزادتهم هذه السورة رجسا إلى رجسهم أي كفرا إلى كفرهم وإثما إلى إثمهم فتضاعف عقابهم وأصل الرجس النتن وماتوا وهم كافرون في الحقيقة وإن كانوا مؤمنين صورة لثبوت الكفر في سرهم أولا يرون بالياء إخبارا عن المنافقين أي أيشكون في الإيمان بالله وبرسوله ولا يرون أنهم يفتنون أي يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله تعالى • وبالتاء خطابا للمؤمنين أي ألا ترون أنهم يختبرون في كل عام مرة أو مرتين بسبب نفاقهم وكفرهم ثم لا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون أي يتعظون فيؤمنون وإذا ما أنزلت سورة من القرآن فيها عيب المنافقين نظر بعضهم إلى بعض ويتغامزون يريدون الهرب يقولون هل يراكم من أحد أي أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرفوا عن مكانهم بالخروج من مجلسه صرف الله قلوبهم عن الإيمان وخذلهم عن الفهم بالقرآن بأنهم أي بسبب أنهم قوم لا يفقهون أي لا يتدبرونه حتى لا يفقهون • وقيل صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان وعن صرف الانشراح الذي يكون في قلوب أهل الإيمان ثم خاطب جميع العرب من أهل مكة وغيرهم بقوله لقد جاءكم (١) • اهـ العيون •

وإذا ما أنزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول لبعضهم أيكم زادته هذه السورة إيمانا إنكارا واستهزاء بالمؤمنين وقرئ أيكم بالنصب على إضمار فعل يفسره زادته فأما الذين آمنوا أي فأما المخلصون والفاء لترتيب الإخبار عنهم وعن مقابليهم على التنويع والتفصيل على ما تقدم فزادتهم إيمانا بزيادة اليقين الحاصل من تدبر السورة وانضمام ما فيها إلى إيمانهم وهم يستبشرون وهم يفرحون بنزولها لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم حتى تبين ذلك في وجوههم وبشرتهم وأما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا إلى رجسهم كفرا مضموما إلى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه أولا يرون يعني المنافقين • وإنما فتحت الواو لأنها عاطفة دخل عليها ألف الاستفهام للتوبيخ فالكلام مستأنف من وجه متصل من وجه إنزال القرآن لقوم شفاء ولقوم سقاما • وقرئ بتاء الخطاب يعني المؤمنين والاستفهام للتعجب أي عجبا منهم كيف قست قلوبهم وعميت أبصارهم عما تتابع عليهم من أنواع المحن وأصناف الفتن أنهم يفتنون يبتلون بأنواع البليات • أو بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما ينزل عليه من الآيات في كل عام العام هنا ليس على عمومه بل مخصص بقرينة المقام مرة أو مرتين قيل هذه الفتنة بهتك أستارهم وإظهار أسرارهم ثم لا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يتعظون بما يصيبهم حتى ينتهوا عما هم عليه • وزيادة هم لأن غيرهم يتعظون باختيارهم أن سنة الله تعالى أن لا يخلي أرباب التكليف من دلائل التعريف والتحريك لهم في كل وقت بنوع من البيان والتحريك في كل أوان بضرب من الامتحان فمنهم من لا يزداد بإيضاح البرهان إلا زيادة الخذلان والحجبة عن فوائد البيان وإذا ما أنزلت سورة ذكر فيما سبق ما يحدث منهم من القول على سبيل الاستهزاء وذكر ههنا ما يحدث منهم من الفعل استهزاء نظر بعضهم إلى بعض تغامزوا بالعيون إنكارا لها وسخرية • أو غيظا لما فيها من عيوبهم هل يراكم قائلين هل يراكم أحد من المسلمين • يريدون الانصراف ستر الانتفاء صبرهم على الاستماع لغلبة الضحك أو ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لغلبة الغيظ فإن لم يرهم أحد قاموا وإن رآهم أقاموا نفاقا ثم انصرفوا عن حضرته عليه السلام مخافة الفضيحة على التقدير صرف الله قلوبهم الظاهر أنه خبر لما كان الكلام في معرض ذكر الذنب بدأ بالفعل المنسوب إليهم بقوله ثم انصرفوا • ثم ذكر فعله بهم على سبيل المجازاة لهم في فعلهم كقوله تعالى فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم • ومن بلاغة القرآن وبديع نظمه أنه إذا كان القول في تعداد الذنب بدأ في ترتيبه من الجهة التي هي عن المذنب كما في المثالين المذكورين ليكون هذا أشد تقريرا للذنب عليهم وإذا كان في تعداد نعمه تعالى بدأ في ترتيبه بالجهة التي هي عنه تعالى كما في قوله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا ليكون ذلك منبها على تلقي النعمة من عنده بأنهم بسبب أنهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم أو عدم تدبرهم • اهـ الكمال •

وإذا ما أنزلت سورة ما صلة مؤكدة فمنهم فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه السورة إيمانا إنكارا واستهزاء بالمؤمنين • وأيكم مرفوع بالابتداء • وقيل هو قول المؤمنين للحث والتنبيه فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا يقينا وثباتا أو خشية أو إيمانا بالسورة لأنهم لم يكونوا آمنوا بها تفصيلا وهم يستبشرون يعدون زيادة التكليف بشارة التشريف وأما الذين في قلوبهم مرض شك ونفاق فهو فساد يحتاج إلى علاج كالفساد في البدن فزادتهم رجسا إلى رجسهم كفرا مضموما إلى كفرهم وماتوا وهم كافرون هو إخبار عن إصرارهم عليه إلى الموت أولا يرون يعني المنافقين وبالتاء حمزة خطاب للمؤمنين أنهم يفتنون يبتلون بالقحط والمرض وغيرهما في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون عن نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون • أو بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يتوبون بما يرون من دولة الإسلام ولا هم يذكرون بما يقع بهم من الاصطلام وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض تغامزوا بالعيون إنكارا للوحي وسخرية به قائلين هل يراكم من أحد من المسلمين لننصرف فإنا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم • أو وإذا ما أنزلت سورة في عيب المنافقين أشار بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد إن قمتم من حضرته صلى الله عليه وسلم ثم انصرفوا عن حضرة النبي صلى الله عليه وسلم مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن فهم القرآن بأنهم بسبب أنهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا • المدارك

لقد جاءكم رسول من أنفسكم مخاطبة للعرب على جهة تقريب النعمة عليهم في ذلك اذ نشأ مثل مكانهم وجاء بلسانهم وبأنفسهم من الغرائب والفصاحة وتشرفوا به غابر الايام على سائر الانام ● وقرئ من أنفسكم اي اشرفكم ● ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة بقوله عزيز عليه ما عنتم اي شديد شاق عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه من سوء العاقبة والوقوع في العذاب حريص عليكم على ايمانكم وصلاح شأنكم بالمؤمنين خاصة ففيه تعميم من وجه وتخصيص من وجه رؤوف رحيم الرأفة اشد الرحمة والرحمة أعم منها لان الرحمة تستعمل في كل نفع من المطر والسعة والعافية وغيرها فكان المعنى في الرؤوف الشفيق العطوف وفي الرحيم النافع المفضل ● فلكل منهما وجه تقدم على الآخر ● وقيل قدم الرأفة على الرحمة لان الرأفة انما يكون باعتبار افاضة الكمالات والسعادات التي بها يستحق الثواب فالاولى من باب التزكية والثانية من باب التحلية ولا يكون التحلية الا بعد التزكية ونسبتها الى الاولى نسبة حريص الى عزيز فان تولوا فقل اي فان اعرضوا عن الايمان بك فقل لهم ● وفيه تلوين الخطاب ● ووجه التفريع ان مقتضى الرأفة والرحمة أن لا يدعو عليهم ولا يجازيهم بالفعل الذي يؤذيهم فاقتصر على القول الجامع للترغيب والترهيب حسبي الله فاستعن بالله تعالى وفوض اليه امرك فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل على التسليم والتوكل عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير ● وعن ابي رضي الله عنه اخر ما نزل هاتان الآيتان ● وقال البراء بن عازب رض اخر سورة نزلت كاملة براءة

لقد جاءكم رسول محمد صلى الله عليه وسلم من انفسكم من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم عزيز عليه ما عنتم شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم ● عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم الوقوع في العذاب حريص عليكم على ايمانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم قيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فان تولوا فان اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك فقل حسبي الله فاستعن بالله وفوض اليه فهو كافيك معرتهم وناصرك عليهم لا اله الا هو عليه توكلت فوضت امري اليه وهو رب العرش العظيم بالجر ● وقرئ بالرفع على نعت الرب جل وعز ● عن ابي اخر آية نزلت لقد جاءكم رسول الآية

ومن قال وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن علي الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما نزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة فكانه نسي ما قدمه من قول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لحديث ● ابي ●

لقد جاءكم الخطاب للعرب رسول اي رسول عظيم الشأن من انفسكم من جنسكم عربي قرشي مثلكم ● وقرئ بفتح الفاء اي اشرفكم وافضلكم عزيز عليه ما عنتم اي شاق شديد عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب وهذا من نتائج ما سلف من المجانسة حريص عليكم في ايمانكم وصلاح حالكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم قدم الابلغ منهما وهي الرأفة التي هي عبارة عن شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا تلوين للخطاب وتوجيه له الى النبي صلى الله عليه وسلم تسلية له اي ان اعرضوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك ويعينك عليهم لا اله الا هو رب العرش العظيم اي الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير ● وقرئ العظيم بالرفع ● وعن ابي رض ان آخر ما نزل هاتان الآيتان ● وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن علي الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة البراءة وسورة قل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة عليهم السلام ● ابو السعود ●

لقد جاءكم رسول من انفسكم اي من جنس العرب لانه لم يكن قبيلة في العرب الا وله فيها قرابة اي لقد جاءكم رسول عربي مثلكم بشرا عزيز عليه اي شديد عليه ما عنتم اي اثمكم وعصيانكم والعنت دخول الضيق في القلب حريص عليكم بالهدى لئلا ترجعوا عن اتباعه في دين الاسلام بالمؤمنين رؤوف اي رفيق قلبه لجميع المؤمنين رحيم بهم ليدخلوا الجنة ويامنوا من العذاب الاليم ● ثم قال تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم فان تولوا اي اعرضوا عن الايمان بعد دعوتك اليه فقل حسبي الله اي كفاني الله بالحفظ والنصرة لا اله الا هو اي لا معبود لي اعتمد عليه الا هو عليه توكلت يعني به لا بغيره وهو رب العرش العظيم اي خالق السرير الذي هو اعظم من السموات والارض لا ينازعه فيه فهو حري عليكم ● قال النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل علي القرآن الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة ● من العيون ●

سورة يونس عليه السلام وهي مائة وتسع آيات ● بسم الله الرحمن الرحيم الر بتفخيم الراء المفتوحة ● وقرئ بالامالة اجراء للاصلية مجرى المنقلبة من الياء ● وقرئ بين بين ● وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدي على احد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب ● واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر ● فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذه السورة مسماة بالر وهو اظهر من الرفع على الابتداء لعدم سبق العلم بالتسمية بعد ● فحقها الاخبار بها لا جعلها عنوان الموضوع لتوقفه على علم المخاطب بالانتساب كما مر والاشارة اليها قبل جريان ذكرها لما انها باعتبار كونها على جناح الذكر وبصدده صارت في حكم الحاضر كما يقال هذا ما اشترى فلان ● او النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرأ ● وكلمة تلك اشارة اليها ● اما على تقدير كون الر مسرودا على نمط التعديد فقد نزل حضور مادتها التي هي الحروف المذكورة منزلة ذكرها فاشير اليها كانه قيل هذه الكلمات المؤلفة من جنس هذه الحروف المبسوطة الخ ● واما على تقدير كونه اسما للسورة فقد نوهت بالاشارة اليها بعد تنويهها بتعيين اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها ● وما في اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتها في الفخامة ● ومحله الرفع على انه مبتدأ خبره قوله عز وجل آيات الكتاب وعلى تقدير كون الر مبتدأ فهو مبتدأ ثان او بدل من الاول ● والمعنى هي آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل ● والمقصود ببيان بعضيتها منه وصفها بما اشتهر اتصافه به من النعوت الفاضلة والصفات الكاملة ● والمراد بالكتاب اما جميع القرآن العظيم وان لم ينزل الكل حينئذ اما باعتبار تعينه وتحققه في علم الله عز وجل او في اللوح او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا كما هو المشهور فان فاتحة الكتاب كانت مسماة بهذا الاسم وبأم القرآن في عهد النبوة ولما يحصل المجموع الشخصي اذ ذاك فلا بد من ملاحظة كل من الكتاب والقرآن باحد الاعتبارات المذكورة ● واما جميع القرآن النازل وقتئذ المتفاهم بين الناس اذ ذاك فانه كما يطلق على المجموع الشخصي يطلق على مجموع ما نزل في كل عصر ● الا ترى الى ما روي عن جابر رض انه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى احد في ثوب واحد ثم يقول ايهم اكثر اخذا للقرآن فاذا اشير الى احدهما قدمه في اللحد فان ما يفهمه الناس يومئذ من القرآن في ذلك الوقت ويحافظون على التفاوت في اخذه انما هو المجموع النازل حينئذ من غير ملاحظة لتحقق المجموع الشخصي في علم الله سبحانه او في اللوح ولا لنزوله جملة الى السماء الدنيا الحكيم ذي الحكمة وصف به لاشتماله على فنون الحكم الباهرة ونطقه بها او هو من باب وصف الكلام بصفة صاحبه ● او من باب الاستعارة المكنية المبنية على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بالحكمة هذا وقد جعل الكتاب عبارة عن نفس السورة وكلمة تلك اشارة الى ما في ضمنها من الآي فانها في حكم الحاضر لاسيما بعد ذكر ما يتضمنها من السورة عند بيان اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها و ينبغي ان يكون المشار اليه كل واحدة منها لا جميعها من حيث هو جميع لانه عين السورة فلا يكون للاضافة وجه ولا لتخصيص الوصف بالمضاف اليه حكمة فلا يتأتى ما قصد من مدح المضاف بما للمضاف اليه من صفات الكمال ولان في بيان اتصاف كل منها بما ذكر من المبالغة ما ليس في بيان اتصاف الكل بذلك والمتبادر من الكتاب عند الاطلاق وان كان كله باحد الوجهين المذكورين لكن صحة اطلاقه على بعضه ايضا مما لا ريب فيه ● والمعهود المشهور وان كان اتصاف الكل باحد الاعتبارين بما ذكر من نعوت الكمال الا ان شهرة اتصاف كل سورة منه بما اتصف به الكل مما لا ينكر وعليه يدور تحقق مدح السورة بكونها بعضا من القرآن الكريم اذ لولا ان بعضه منعوت بنعت كله داخل تحت حكمه لما تسنى ذلك وفيه ما لا يخفى من التكلف والتعسف اكان للناس عجبا الهمزة لانكار تعجبهم ولتعجيب السامعين منه لكونه في غير محله ● والمراد بالناس كفار مكة ● وانما عبر عنهم باسم الجنس من غير تعرض لكفرهم مع انه المدار لتعجبهم كما تعرض له في قوله تعالى قال الكافرون الخ لتحقيق ما فيه من الشركة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعيين مدار التعجب في زعمهم ثم تبيين خطئهم واظهار بطلان زعمهم بايراد الانكار والتعجيب ● واللام متعلقة بمحذوف وقع حالا من عجبا على التوسع الشهير في الظرف ● وقيل المصدر اذا كان بمعنى اسم الفاعل او اسم المفعول جاز تقديم معموله عليه ● وقيل متعلقة بكان وهو مبني على دلالة كان الناقصة على الحدث ان اوحينا

اسم كان قدم عليه خبرها اهتماما بشأنه لكونه مدارا للانكار والتعجيب وتشويقا الى المؤخر • ولأن في الاسم ضرب تفصيل ففي مراعاة الاصل نوع اخلال بتجاوب اطراف الكلام • وقرئ برفع عجب على انه الاسم وهو نكرة والخبر ان اوحينا وهو معرفة لان ان مع الفعل في تأويل المصدر المضاف الى المعرفة البتة والخبر ان يجعل كان تامة وان اوحينا متعلقا بعجب على حذف حرف التعليل اى احدث للناس عجب لان اوحينا او من ان اوحينا او بدلا من عجب لكن لا على توجيه الانكار والتعجب الى حدوثه بل الى كونه عجبا فان الابدال في حكم تنحية المبدل منه ليس معناه اهداره بالمرة • واما قيل للناس لا عند الناس للدلالة على انهم اتخذوه اعجوبة لهم وفيه من زيادة تقبيح حالهم ما لا يخفى الى رجل منهم اى الى بشر من جنسهم كقولهم ابعث الله بشرا رسولا • او من افناءهم من حيث المال لا من عظمائهم كقولهم لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكلا الوجهين من ظهور البطلان بحيث لا مزيد عليه • اما الاول فلان بعث الملك انما يكون عند كون المبعوث اليهم ملائكة كما قال سبحانه وتعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا • واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية كيف لا وهي منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع • واما الذي تقتضيه الحكمة ان يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب • واما الثاني فلما ان مناط الاصطفاء للنبوة والرسالة هو الاتصاف بما ذكر من النعوت الجليلة والصفات الجليلة والسبق في احراز الفضائل العلية وحيازة الملكات السنية جبلة واكتسابا ولا ريب لاحد منهم في انه صلى الله عليه وسلم في ذلك الشأن في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية • واما التقدم في الرياسة الدنيوية والسبق في نيل الحظوظ الدنية فلا دخل له في ذلك قطعا بل له اخلال به غالبا قال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء • ان انذر الناس ان مصدرية بجواز كون صلتها امرا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك وذلك لان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سيان فساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل الخبر فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال • ووجوب كون الصلة في الموصول الاسمي خبرية انما هو للتوصل بها الى وصف المعارف بالجمل المقصود في دلالة الاخبار على المصدر • او مفسرة اذ الايحاء فيه معنى القول • وقد جوز كونها مخففة من المثقلة على حذف ضمير الشأن والقول من الخبر • والمعنى ان الشأن قولنا ان انذر الناس والمراد به جميع الناس كافة لا ما اريد بالاول • وهو النكتة في ايثار الاظهار على الاضمار وكون الثاني عين الاول عند اعادة المعرفة ليس على الاطلاق • وبشر الذين آمنوا بما اوحيناه وصدقوه ان لهم اى بان لهم قدم صدق اى سابقة ومنزلة رفيعة عند ربهم ١١ ابو السعود افندي رحمه الله

سورة يونس عليه السلام مكية الا الآية وهي ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به الخ فانها مدنية كذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما بسم الله الرحمن الرحيم قرئ الر بالفتح وبالامالة وبين بين • ومعناه انا الله الرائي • قيل لما ختم سورة التوبة بذكر النبي صلى الله عليه وسلم ووصفه بالرسالة واظهار حرصه على اهل مكة بالايمان به واتباعهم في دينه افتتح هذه السورة بما فيه دلالة على صدقه وبرسالته ووجوب اتباعه بوحي الله اليه فقال الر تلك اى هذه السورة آيات الكتاب اى القرآن الحكيم اى المحكم من الكذب والباطل • او الحاكم بالحلال والحرام • او على الكتب كلها بالصدق قوله تعالى اكان للناس عجبا الهمزة فيه للانكار والتعجب من اهل مكة الذين انكروا نبوته وتعجبوا من بعثته رسولا اليهم من بينهم • وعجبا خبر كان وللناس حال تقدم عليه لنكارته واسم كان ان اوحينا اى اصار ايحاؤنا لاهل مكة عجبا الى رجل منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم واصطفاؤنا اياه بالرسالة دون عظيم من عظمائهم ان مفسرة لان الايحاء فيه معنى القول او معناه ان الشأن قولنا انذر الناس فان مخففة من المثقلة بتقدير انه اي خوفهم بما في الكتاب من الوعيد وبشر الذين آمنوا بما فيه من الثواب في الجنة وهو معنى قوله ان لهم قدم صدق عند ربهم ١١ حسن العيون

في غرة رجب ١١٣٠ يوم احد

سورة يونس عليه السلام مكية بسم الله الرحمن الرحيم الر قرئ بفتح الراء على التفخيم وبكسرها على الامالة • وقرئ بين الفتح والكسر • والاصل ترك الامالة لان الفها ليست منقلبة من الياء • ومن امال قصد التنبيه على انها اسم لا حرف تلك آيات الكتاب الحكيم تلك اشارة الى ما تضمنته السورة او القرآن والكتاب احدهما • والاول ابلغ من حيث ان البعض اذا استقل بوصف الكمال فالكل اولى • والحكيم دون الحكمة وصف به الكتاب لاشتماله عليها • ويجوز ان يكون من قبيل توصيف الكلام بصفة المتكلم كشعر شاعر للمبالغة كانه في نفسه حكيم لكثرة حكمه • وان يكون على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بحكمته فيكون استعارة مكنية واثبات قرينة اكان للناس عجبا الهمزة لانكار تعجب الكفار من الايحاء ولتعجيب السامعين من تعجبهم لكونه في محل وعجبا خبر كان قدم على اسمه وهو ان اوحينا لكون الانكار والتعجب راجعين اليه • وقرئ عجب فجعل مع كونه نكرة لتخصيصه بتقدم للناس عليه لانه في المعنى صفة له انقلبت حالا بالتقدم والاستفهام

سورة يونس عليه السلام مائة وتسع آيات مكية •

بسم الله الرحمن الرحيم •

الر ونحوه اماله حمزة وعلي وابو عمرو • وهو تعديد للحروف على طريق التحدي تلك آيات الكتاب اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والسورة الحكيم ذي الحكمة لاشتماله عليها • او المحكم عن الكذب والاضطراب والهمزة في اكان للناس عجبا لانكار التعجب والتعجيب منه ان اوحينا اسم كان وعجبا خبره واللام في للناس تتعلق بمحذوف وهو صفة لعجبا فلما تقدم صار حالا الى رجل منهم ان انذر الناس بان انذر • او هي مفسرة اذ الايحاء فيه معنى القول وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم بان لهم ومعنى اللام في للناس انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منه والذي تعجبوا منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم • فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر بالنيران ويبشر بالجنان وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وارسال اليتيم او الفقير ليس بعجب ايضا لان الله تعالى انما يختار للنبوة من جمع اسبابها والغنى والتقدم في الدنيا ليس من اسبابها والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء

خصوصا الانكاري في حكم النفي وان اوحينا خبر على عكس ما تقدم لا على القلب لانه خلاف الاصل لانه لا يخل بالبلاغة لان القلب المقبول هو المشتمل على لطيفة او اعتبر كان تامة وعجب فاعل لها والمعنى احدث للناس عجب لان اوحينا • واما ما قيل ان اوحينا بدل من عجبا فلا يساعده سداد المعنى • اللام في للناس متعلقة لعجبا على طريق البيان بمعنى ان هذا العجب لهم كما في هيت لك بمعنى هذا الخطاب لك اى انهم جعلوه اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه لهم علما في انكارهم واستهزائهم به ولو قيل عند الناس لم يفد هذا المعنى • والتعبير عنهم باسم الجنس للتحقير كما في قولهم ومن الناس من يقول كذا فكانه قصد مقابلتهم فيما قصدوه بقولهم الى رجل منهم تعجبوا من ان يوحى الى رجل من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وذلك من فرط حماقتهم وقصور نظرهم عن معرفة الاوصاف التي بها اختاره الله تعالى للرسالة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن ليقصر عن عظمائهم في النسب والحسب والشرف وكل ما يعتبر في الرياسة من كرم الخصال الا المال وخفة الحال اعون شيء في هذا

اسماكرارك

ولذلك كان اكثر الانبياء عليهم السلام قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه تعالى بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام خلط بين الوجهين لم يصب كما لا يخفى على ذوي الافهام ان انذر الناس ان هي المفسرة لان في الايحاء معنى القول • ويجوز ان تكون مخففة من الثقيلة على ان الاصل انه انذر انه والمعنى ان الشأن قولنا انذر الناس • وموقعه النصب باوحينا وفيه حذف الاسم والخبر • وفي الاول خلاف الكوفيين فالاولى ان تكون مصدرية تقديره بانذار الناس وذكر الناس للتعميم للفريقين كانه قال ان انذر الناس مؤمنا كان او كافرا وبشر الذين آمنوا خاصة لان البشرى مشروطة بالايمان فالبشارة به ينقلب انذارا في حق الكفار لا للاستغراق كما ذهب اليه من قال عمم الانذار

قلما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه لان تبليغ الانذار ولو بالاجمال الى كل من في عصره ليس في وسعه صلى الله عليه وسلم واطلاق المؤمنين للتعميم لمن آمن من الثقلين وبذلك ينجبر القصور السابق الى الوهم من تخصيص الانذار بالحدها لاصالته في امر البعثة لان المفهوم انما يعتبر اذا لم يعارضه المنطوق وهذا الشرط مفقود من ملاحظة العبارة وان كانت ساكتة عن العموم لكن الدلالة ناطقة به بقرينة ما في قرينة من التعميم وانما قدم الانذار على التبشير لانه اهم ولان التخلية بعد التحلية آخر ان لهم في محل النصب

قدم صدق سميت السابقة والسعادة الجميلة قدماً لأن السعي والسبق انما يكون بالقدم كما سميت النعمة يداً لانها
تعطى باليد • واضافتها الى الصدق للدلالة على زيادة فضل وانها متحققة او ان صاحبها قد نالها بصدق
القول والنية • ويجوز ان يراد بها المنزلة الرفيعة معنوية او صورية فيكون كقوله تعالى في مقعد صدق
عند مليك مقتدر ويعضده قول عند ربهم ومن قال اي سابقة وفضلاً ومنزلة ورفعة لم يصب في الجمع
بين وجهين الجاف وبين وجوهه قال الكافرون ان هذا فيه دلالة على انهم يقولونه عند حضرته صلى الله عليه
وسلم لساحر مبين وقرئ السحر والاشارة الى القرآن وسائر ما اتى به من الخوارق للعادات وكيف ما كان
ففيه اعتراف بعجزهم عن المعارضة وتسليم لاعجازه معنىً وان كانوا يطلقون عليه لفظ السحر عناداً او
مكابرة لان التعجب اولا ثم التكلم بما هو معلوم الانتفاء قطعاً حتى عند نفس المعارض دأب العاجز المفحم ان ربكم
الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش دل به على عظمة شأنه وكمال سلطانه
بالقدرة على خلق اصول الممكنات كلها مع سعتها وبسطها في وقت يسير

وعلى عظم ملكه بالاستواء على العرش
ثم قررها واكدها بقوله يدبر الامر
لان تدبير امر الخلائق كلها بتهيئة
اسبابها وترتيبها على النظام الحكمي
مما يبني امر العظمة ويقرره والتدبير
النظر في ادبار الامور ليقع على ما
ينبغي من الوجه الاتم الاصوب ثم
زاد في تقرير معنى العظمة والكبرياء
العزة والجلال بقوله ما من شفيع
الا من بعد اذنه كقوله تعالى يوم يقوم
الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون الا من
اذن له الرحمن • وفيه اثبات الشفاعة
لمن اذن له • واما الرد على من زعم ان
الهتهم تشفع لهم عند الله تعالى فلا يتم لانهم
يدعون ان الله تعالى يأذن لهم في الشفاعة
ولا دلالة في الآية على عدم الاذن لهم
ذلكم الله اشارة الى المعلوم الموصوف
بتلك العظمة والكبرياء الموجبة لاستحقاق
العبادة اي ذلكم الموصوف بما وصف
هو ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد في
شيء من ذلك فاعبدوه وحده ولا تشركوا
به شيئاً من اشرف الموجودات فضلاً
عن الجماد افلا تذكرون ابعد النظر
في تفرده تعالى في هذه الاوصاف
الموجب لتخصيصه بالعبادة لا تتذكرون
فتتنبهون بادنى تفكر على خطاء ما
انتم فيه • ابن الحاجب رحمه الله

هر
معناه ان الشفعاء لا يشفعون الا باذنه
وهذا رد على النضر بن الحارث فانه كان
يقول اذا كان يوم القيمة يشفعني
اللات والعزى ذلكم يعني الذي فعل هذه
الاشياء ذلكم لا رب لكم سواه معالم

هر
قدم صدق عند ربهم اي سابقة وفضلاً ومنزلة رفيعة •
ولما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة
والسابقة قدماً كما سميت النعمة يداً لانها تعطى باليد
وباعها لان صاحبها يبوع بها • فقيل لفلان قدم • و
اضافته الى الصدق دلالة على زيادة فضل • وانه من
السوابق العظيمة • او مقام صدق • او سبق السعادة
وقال الكافرون ان هذا الكتاب لسحر مبين مدني وبصري
وشامي • ومن قرأ لساحر فهذا اشارة الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين
في تسميته سحراً ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام ثم استوى على العرش اي استولى • فقد تقدس
الديان عن المكان والمعبود عن الحدود يدبر يقضي ويقدر
على مقتضى الحكمة الامر امر الخلق كله وامر ملكوت السموات
والارض والعرش • ولما ذكر ما يدل على عظمة شأنه وملكه
من خلق السموات والارض والاستواء على العرش اتبعها
هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه لا يخرج امر
من الامور من قضائه وتقديره وكذلك قوله ما من شفيع
الا من بعد اذنه دليل على عزته وكبريائه ذلكم العظيم الموصوف
بما وصف به الله ربكم وهو الذي يستحق العبادة فاعبدوه
وحدوه ولا تشركوا به بعض خلقه من انسان او ملك
فضلاً عن جماد لا يضر ولا ينفع افلا تذكرون افلا تتدبرون
فتستدلون بوجود المصالح والمنافع على وجود المصلح النافع

هر
قدم صدق
واختلفوا فيه قال ابن عباس رضي الله عنه اجراً حسناً بما قدموا من اعمالهم • قال الضحاك
ثواب صدق • قال الحسن عمل صالح اسلفوه يقدمون عليه • وعن ابن عباس رضي الله عنه هو السعادة في الذكر الاول • وقيل هو شفاعة
الرسول صلى الله عليه وسلم • وقيل مقام صدق لا زوال له ولا بؤس فيه • وقيل منزلة رفيعة • واضيف القدم الى الصدق
وهو نعته كقولهم مسجد الجامع • وحب الحصيد • وقال ابو عبيدة كل سابق في خير او شر فهو عند العرب
يقال لفلان قدم في الاسلام وله عندي قدم صدق وقدم سوء

وبشر الذين آمنوا بما فيه من الثواب في الجنة وهو معنى قوله ان لهم قدم صدق اي منزلة رافعة
سابقة عند ربهم او قدم صدق ما قدموه من اعمالهم الصالحة بين ايديهم • وقيل شفاعة محمد صلى الله
عليه وسلم • وقيل هو السعادة السابقة لهم • قيل انهم كانوا يتعجبون ويقولون ابعث الله بشراً رسولاً
معه كتاب من السماء • قال الكافرون ان هذا اي الكتاب وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لسحر مبين
اي ظاهر بين • وقرئ لساحر اي هذا الرجل الذي يقرأ الكتاب المعجز علينا لساحر يظهر لكل
احد له عقل • وفيه تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم ان يصبر على اذاهم وتنبيه لمن
يبلغه ان يأمر وينهى ولا يبالي بما يشنع عليه من المكروه • ثم امرهم بالتوحيد والطاعة
وترك الشرك وعبادة الاوثان بقوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
ثم استوى اي استولى على العرش يدبر الامر اي يقضي امر الخلق بان يرزقهم في الدنيا مدة
حيوتهم وبان يحاسبهم في الآخرة على اعمالهم من الخير والشر ما من شفيع يشفع لاحد يوم القيمة
الا من بعد اذنه في الشفاعة • وهو نزل رداً لزعم الكفار بانهم كانوا يقولون عند عبادتهم
الاصنام والملائكة هم شفعاء عند الله ذلكم الله ربكم اي الذي يفعل هذه الاشياء من خلق
الاجرام العظام وتدبير الخلق فيها هو خالقكم ورازقكم الذي يستحق العبادة منكم فاعبدوه
اي وحدوه واطيعوه دون غيره افلا تذكرون بالتشديد والتخفيف اي اتغفلون عنه
فلا تتعظون بتذكيره لئلا تعبدوا من لا يقدر على شيء ولا يملكه
من العيون

قدم صدق اي سابقة ومنزلة رفيعة عند ربهم وانما عبر عنها بها اذ بها يحصل السبق والوصول الى المنازل
الرفيعة كما يعبر عن النعمة باليد لانها تعطى بها • وقيل مقام صدق • والوجه ان الوصول الى المقام انما
يحصل بالقدم • واضافتها الى الصدق للدلالة على تحققها وثباتها • وللتنبيه على ان مدار نيل
ما نالوه من المراتب العلية هو صدقهم فان التصديق لا ينفك عن الصدق قال الكافرون هم المتعجبون
وايرادهم ههنا بعنوان الكفر لما لا حاجة الى ذكر سببه وترك العاطف لجريانه مجرى البيان للجملة التي
دخل عليها همزة الانكار • او لكونه استئنافا مبنيا على السؤال كانه قيل ماذا صنعوا بعد التعجب
هل بقوا على التردد والاستبعاد او قطعوا فيه بشيء فقيل قال الكافرون على طريقة التوكيد ان هذا
يعنون به ما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن الحكيم المنطوي على الانذار والتبشير
لسحر مبين اي ظاهر وقرئ لساحر على ان الاشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقرئ ما هذا الا
سحر مبين • وهذا اعتراف من حيث لا يشعرون بان ما عاينوه خارج عن طوق البشر نازل من
جناب خلاق القوى والقدر ولكنهم يسمونه بما قالوا تماديا في العناد كما هو ديدن المكابر
اللجوج ودأب المفحم المحجوج ان ربكم كلام مستأنف سيق لاظهار بطلان تعجبهم المذكور وما بنوا
عليه من المقالة الباطلة غب الاشارة اليه بالانكار والتعجب وتحقيق فيه حقية ما تعجبوا
منه وصحة ما انكروه بالتنبيه الاجمالي على بعض ما يدل عليها من شؤون الخلق والتقدير و
احوال التكوين والتدبير ويرشدهم الى معرفتها بادنى تذكير لاعترافهم به من غير نكير لقوله تعالى
من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل فانى تؤفكون • وقوله تعالى قل من
يرزقكم من السماء والارض الى قوله تعالى ومن يدبر الامر فسيقولون الله • اي ان ربكم ومالك امركم
الذي تعجبون من ان يرسل اليكم رجلا بالانذار والتبشير وتعدون ما اوحي اليه من الكتاب سحرا هو الله
الذي خلق السموات والارض وما فيهما من اصول الكائنات في ستة ايام اي في ستة اوقات
او في مقدار ستة ايام معهودة فان نفس اليوم الذي هو عبارة عن زمان كون الشمس فوق الارض
لا يتصور تحققه حين لا ارض ولا سماء • وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على ابداعها دفعة دليل على
الاختيار واعتبار للنظار وحث لهم على التأني في الاحوال والاطوار • واما تخصيص ذلك بالعدد
المعين فامر قد استأثر بعلم ما يستدعيه علام الغيوب جلت قدرته ودقت حكمته • وايثار صيغة
الجمع في السموات لما هو المشهور من الايذان بانها اجرام مختلفة الطباع متباينة الآثار والاحكام
ثم استوى على العرش العرش هو الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه • او للتشبيه بسرير
الملك فان الامور والتدابير عنه تنزل • وقيل هو الملك ومعنى استوائه سبحانه عليه استيلاؤه عليه
او استواء امره • وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة له سبحانه بلا كيف والمعنى انه سبحانه وتعالى
استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن التمكن والاستقرار • وهذا بيان لجلالة ملكه وسلطانه
بعد بيان عظمة شأنه وسعة قدرته بما مر من خلق هاتيك الاجرام العظام يدبر الامر التدبير النظر في ادبار
الامور وعواقبها لتقع على الوجه المحمود • والمراد ههنا التقدير على الوجه الاتم الاكمل • والمراد بالامر امر
ملكوت السموات والارض والعرش وغير ذلك من الجزئيات الحادثة شيئا فشيئا على اطوار شتى وانحاء
لا تحصى من المناسبات والمنافيات في الذوات والصفات والازمنة والاوقات • اي يقدر ما ذكر
من امر الكائنات الذي ما تعجبوا منه من امر البعث والوحي فرد من جملته وشعبة من دوحته ويهيئ
اسباب كل منها حدوثا وبقاء في اوقاتها المعينة ويرتب مصالحها على الوجه الفائق والنمط اللائق
حسبما يستدعيه الحكمة ويقتضيه المصلحة • والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير استوى • وقد جوز
ان تكون خبرا ثانيا لان او مستأنفة لا محل لها من الاعراب مبنية على سؤال نشأ من ذكر الاستواء على العرش
المنبئ عن اجراء احكام الملك وعلى كل حال فايثار صيغة المضارع للدلالة على تجدد التدبير واستمراره
وقوله تعالى ما من شفيع

ما من شفيع بيان لاستبداده سبحانه في التقدير والتدبير ونفي للشفاعة على ابلغ الوجوه فان
نفي جميع افراد الشفيع بمن الاستغراقية يستلزم نفي الشفاعة على اتم الوجوه كما في قوله تعالى لا عاصم
اليوم من امر الله وهذا بعد قوله تعالى يدبر الامر جار مجرى قوله تعالى وهو يجير ولا يجار عليه عقيب
قل من بيده ملكوت كل شيء وقوله تعالى الا من بعد اذنه استثناء مفرغ من اعم الاوقات
اي ما من شفيع يشفع لاحد في وقت من الاوقات الا بعد اذنه المبني على الحكمة الباهرة وذلك عند
كون الشفيع من المصطفين الاخيار والمشفوع له ممن يليق بالشفاعة كقوله تعالى يوم يقوم الروح
والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ● وفيه من الدلالة على عظمة جلاله
وتعالى ما لا يخفى ذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم الشان المنعوت بما ذكر من نعوت
الكمال التي عليها يدور استحقاق الالوهية الله وقوله تعالى ربكم بيان له او بدل منه او خبر ثان
لاسم الاشارة ● وهذا بعد بيان ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض الخ لزيادة التقرير و
المبالغة في التذكير ولتفريع الامر بالعبادة عليه بقوله تعالى فاعبدوه اي وحده من غير ان
تشركوا به شيئا من ملك او نبي فضلا عن جماد لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وامنوا انما ان
افلا تذكرون اي اتعلمون ان الامر كما فصل فلا تذكرون ذلك حتى تقفوا على فساد ما انتم عليه
فترتدعوا عنه ابو السعود

اليه مرجعكم اي الى الله تعالى مصيركم يوم القيمة جميعا اي مجتمعين لا الى غيره للحساب والجزاء وعد الله حقا اي وعد
الرجوع اليه وعدا كائنا بالصدق انه استيناف بالكسر في معنى التعليل تحقيقا للرجوع اليه اي لان الله تعالى
يبدأ الخلق اي يخلقهم ابتداء ثم يعيده اي يحييهم بعد الموت ليجزي اي ليثيب الذين امنوا بالبعث
بعد الموت وعملوا الصالحات بالقسط اي بالعدل ففيه تفضيل المؤمنين على الكافرين يدل عليه قوله والذين
كفروا لهم شراب من حميم اي ماء حار شديد الحرارة وعذاب اليم اي وجيع دائم بما كانوا يكفرون
برسالة محمد صلى الله عليه وسلم والكتاب الذي جاء به ● من العيون

لا الى غيره مرجعكم جميعا بالبعث من القبور يوم النشور ● ظاهره اخبار عن المآل وباطنه انذار بما فيه من سوء الحال
وامر على وجه الارشاد بالاستعداد ليوم التناد وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله تعالى حقا مصدر
مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده بعد بدائه واهلاكه استيناف كالدليل لما تقدم وذلك
انه لما اخبر عن وقوع الحشر والنشر ذكر بعده ما يدل على كونه في نفسه ممكن الوقوع بقوله انه يبدأ الخلق لان امكان الوجود
اولا يدل على امكانه ثانيا ثم ذكر ما يدل على وقوعه بقوله ويعيده ● وقيل هو كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا لانه لما كان
المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم وجب ان يكون مرجع الجميع اليه ويؤيده قراءة انه بالفتح اي
لانه ومع حذف اللام يكون منصوبا بالظرف اعني اليه ● ويجوز ان يكون من غير اعتبار اللام منصوبا بوعد المحذوف
مفعولا به باعتبار المعطوف اعني ثم يعيده لان الموعود هو الاعادة لا البداء ● او مرفوعا بالحق المحذوف ● وقرئ وعد الله
على لفظ الفعل وحق انه يبدأ الخلق كقولك حق ان زيدا منطلق ● وقرئ يبدأ الخلق من ابدا ليجزي الذين امنوا وعملوا
الصالحات بالقسط متعلق بيجزي اي بعدله ● او بعدلهم اي بما عدلوا بايمانهم وعلمهم ولم يظلموا بالشرك لان الشرك
لظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلته قوله بما كانوا يكفرون والذين كفروا لهم شراب من حميم من ماء حار مغلي قد انتهى حره وهي
في جهنم وعذاب اليم اي عذاب يخلص وجعه الى قلوبهم بما كانوا يكفرون غير النظم ولم يقل ويجزي الذين كفروا بشراب
من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم كما قال ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط للمبالغة في استحقاقهم للعقاب
ولصوق العذاب بهم وجعل ثواب الايمان و
العمل الصالح غرضا دون عقاب الكفر للتنبيه
على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة
هو الاثابة وان الله تعالى هو الذي يتولى
اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك
لم يعينه واما العقاب فانه واقع بالعرض
كانه داء ساقه الى الكفرة سوء اعتقادهم
وسوء اعمالهم ابن الكمال

اليه مرجعكم جميعا حال اي لا ترجعون في العاقبة الا اليه
فاستعدوا للقائه ● والمرجع الرجوع او مكان الرجوع
وعد الله حقا مصدر مؤكد لقوله وعد الله انه يبدأ الخلق
ثم يعيده استيناف معناه التعليل لوجوب الرجوع اليه
ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات اي الحكمة بابتداء الخلق
واعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم بالقسط بالعدل
وهو متعلق بيجزي اي ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم
او بقسطهم اي بما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين
امنوا اذ الشرك ظلم ان الشرك لظلم عظيم وهذا اوجه
لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم
بما كانوا يكفرون ولوجه كلامي اسهى كذا رك

اليه لا الى احد سواه استقلالا او اشتراكا
مرجعكم اي بالبعث كما ينبئ عنه قوله تعالى
جميعا فانه حال من الضمير المجرور لكونه فاعلا
في المعنى اي اليه رجوعكم مجتمعين ● والجملة
كالتعليل لوجوب العبادة وعد الله مصدر
مؤكد لنفسه لان قوله تعالى اليه مرجعكم وعد
منه تعالى بالبعث ● او لفعل مقدر اي وعد الله
وعدا ما كان فهو دليل على ان المراد بالرجوع هو
الرجوع بالبعث لان ما بالموت بمعزل من الوعد كما انه بمعزل من الاجتماع ● وقرئ بصيغة الفعل حقا مصدر اخر مؤكد
لما دل عليه الاول انه يبدأ الخلق وقرئ يبدئ ثم يعيده وهو استيناف علل به وجوب المرجع اليه سبحانه وتعالى فان غاية
البدء والاعادة هو جزاء المكلفين باعمالهم حسنة او سيئة ● وقرئ بالفتح اي لانه ويجوز كونه منصوبا بما نصب وعد الله
اي وعد الله وعدا بدء الخلق ثم اعادته ● ومرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدء الخلق ثم يعيده ليجزي الذين امنوا وعملوا
الصالحات بالقسط اي بالعدل وهو حال من فاعل يجزي اي متلبسا بالعدل ● او متعلق بيجزي اي ليجزيهم بقسطه
ويوفيهم اجورهم ● وانما جمل ذلك ايذانا بانه لا يفي به الحصر او بقسطهم وعدلهم عند ايمانهم ومباشرتهم للاعمال الصالحة
وهو الانسب بقوله تعالى والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ويجزي الذين كفروا
بسبب كفرهم وتكرير الاسناد بجعل الجملة الظرفية خبرا للموصول لتقوية الحكم ● والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
للدلالة على مواظبتهم على الكفر ● وتغيير النظم الكريم للايذان بكمال استحقاقهم للعقاب وان التعذيب بمعزل عن
الانتظام في سلك العلة الغائية للخلق بدءا واعادة وانما يحيق ذلك بالكفرة على موجب سوء اختيارهم ● واما
المقصود الاصلي من ذلك فهو الاثابة ابو السعود افندي

هو الذي جعل الشمس ضياء. ان كان جعل بمعنى صيّر يكون ضياء مفعوله ثانيا • وان كان بمعنى خلق يكون حالا •
والضياء مصدر كقيام • او جمع ضوء كسياط وسوط • والياء فيه منقلبة عن الواو • وقرئ بهمزتين على القلب
بتقديم اللام على العين والقمر نورا جعل نفس الشمس ضياء وعين القمر نورا للمبالغة • ولما كانت الشمس اعظم جرما
خصت بالضياء لانه هو الذي له سطوع ولمعان وهو اقوى من النور • وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور فكان
قصد بما ذكر التنبيه على ان نور الشمس ذاتي ونور القمر عرضي مستفاد منها وقدره وقدر القمر منازل اي مسيره منازل
او قدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل • والمراد البروج اذ بها ويقطع عدد الشهور والسنين •
وخصص القمر لان المعتبر في الشرع السنة القمرية بالمنازل والشهر الهلالي وبهما يتعلق احكام الشرع
لذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب اي حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي في معاملاتكم و
عباداتكم ما خلق الله ذلك اشارة الى ما ذكر الا بالحق حال مستثناة من اعم الاحوال اي ما خلقه حال الا ملتبسا
بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة الى الصواب نفصل الايات نبين العلامات التي يستدل بها على الحق
لقوم يعلمون خصهم بذلك لانهم هم المنتفعون بها ان في اختلاف الليل والنهار اختلافهما تعاقبهما وكون احدهما
خلف الاخر ذهابا ومجيئا وكون احدهما يزيد لنقصان الاخر وما خلق الله في السموات والارض من انواع الكائنات
لايات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته
لقوم يتقون خصهم بذلك لان الباعث على النظر والتدبر لا يكون الا تقوى الله والحذر عن العاقبة فهم الذين يعلمون الايات ينتفعون بها دون غيرهم • ابو السعود •
هو الذي جعل الشمس ضياء. تنبيه على الاستدلال على وجوده تعالى ووحدته و علمه وقدرته وحكمته باثار صنعه في النيرين بعد التنبيه على الاستدلال بما مر من ابداع السموات والارض و الاستواء على العرش وغير ذلك وبيان لبعض افراد التدبير الذي اشير اليه اشارة اجمالية وارشاد الى انه حيث دبرت امورهم المتعلقة بمعاشهم هذا التدبير البديع فلان يدبر مصالحهم المتعلقة بالمعاد وارسال الرسول و انزال الكتاب وتبيين طرائق الهدى وتعيين مهاوي الردى اولى واحرى •
والجعل ان جعل بمعنى الانشاء والابداع فضياء حال من مفعوله اي خلقها
حال كونها ذات ضياء على حذف المضاف • او ضياء محضا للمبالغة • وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعوله الثاني
اي جعلها ضياء على احد الوجهين المذكورين لكن لا بعد ان كانت خالية عن تلك الحالة بل ابدعها كذلك كما في قولهم
ضيق فم الركية ووسع اسفلها • والضياء مصدر كقيام • او جمع ضوء كسياط وسوط • والياء منقلبة عن
الواو لانكسار ما قبلها • وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف بتقديم اللام على العين والقمر نورا اي الكائن فيه كان
في الشمس • والضياء اقوى من النور • وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور • ففيه اشعار بان نوره مستفاد
من الشمس وقدره اي قدر له وهيأ منازل او قدر مسيره في منازل • او قدره ذا منازل على تضمين التقدير
معنى التصيير • وتخصيص القمر بهذا التقدير لسرعة سيره ومعاينة منازله وتعلق احكام الشريعة به وكونه عمدة
في تواريخ العرب • وقد جعل الغير لكل منهما وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه
ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين فاذا كان
في آخر منازله دق واستقوس ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر ويكون مقام الشمس في كل منزلة
منها ثلاثة عشر يوما وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهي ٥

هو الذي جعل الشمس ضياء الياء فيه منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها • وقلبها قنبل همزة لان الحركة اجمل والقمر نورا والضياء اقوى من النور فلذا جعله للشمس وقدره اي و قدر القمر اي وقدر مسيره منازل او وقدره ذا منازل لتعلموا عدد السنين اي عدد السنين والشهور فاكتفى بالسنين لاشتمالها على الشهور والحساب وحساب الاجال والمواقيت المقدرة بالسنين والشهور ما خلق الله ذلك المذكور الا ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا نفصل الايات مكي وبصري وحفص وبالنون غيرهم لقوم يعلمون فينتفعون بالتأمل فيها ان في اختلاف الليل والنهار في مجيء كل واحد منهما خلف الاخر • او في اختلاف لونيهما وما خلق الله في السموات والارض من الخلائق لايات لقوم يتقون خصهم بالذكر لانهم يحذرون الاخرة فيدعوهم الحذر الى النظر • اسمى المدارك •

هو الذي جعل الشمس ضياء جمع ضوء كسوط وسياط • ومفعلل وصف به ضياء من الواو لانكسار ما قبلها
اي جعلها ذات ضياء بالذات • وقرئ بهمزتين بينهما الف • ووزنه فلاع بالقلب المكاني والقمر نورا اي ذا نور
بالليل والضياء اقوى من النور واثبت وانفع لان الشمس تضيء بالذات دون القمر وقدره اي قدر له
منازل اي جعله ذا منازل ولم يقل قدرهما اكتفاء بذكر احدهما فان المنازل تتعرف اليهما • وقيل
تتعرف الى القمر خاصة لان بالقمر تعرف انقضاء الشهور والسنين لا بالشمس وينزل القمر كل ليلة منزلا
من منازله التي هي ثمانية وعشرون منزلا فيستتر ليلتين ان كان الشهر ثلثين ويستتر ليلة واحدة
ان كان الشهر تسعة وعشرين فيكون انقضاء الشهر مع نزوله تلك المنازل ويكون مقام الشمس في كل
منزل لها ثلثة عشر يوما فيكون انقضاء السنة مع انقضاء تلك الايام في كل منزل لها فقوله تعالى
لتعلموا علة لتقدير منازل القمر اي قدر الله تعالى المنازل للقمر لتعرفوا بذلك عدد السنين والحساب
اي حساب الشهور والايام والساعات ما خلق الله ذلك اي التقدير او المذكور من الاعيان
والافعال تلك الا بالحق اي ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة يعني لم يخلقه عبثا بل اظهارا لصنعه
ودلالة على قدرته نفصل الايات بالنون التفات للتعظيم وبالياء غيبة اي نبين ايات القرآن
لقوم يعلمون اي يفهمون بالعقل والتمييز فيؤمنوا ان في اختلاف الليل والنهار

السرطان والبطين والثريا الدبران الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة
العوا السماك الغفر الزباني الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع
سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت لتعلموا اما
بتعاقب الليل والنهار المنوطين بطلوع الشمس وغروبها او باعتبار نزول كل منهما في تلك المنازل عدد السنين
التي يتعلق بها غرض علمي لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية والحساب اي حساب الاوقات
من الاشهر والايام والليالي وغير ذلك مما نيط به شيء من المصالح المذكورة • وتخصيص
العدد بالسنين والحساب بالاوقات لما انه لم يعتبر في السنين المعدودة معنى مغاير لمراتب
العدد كما اعتبر في الاوقات المحسوبة • وتحقيقه ان الحساب احصاء ما له كمية انفصالية
بتكرير امثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل كالسنة
المتحصلة من اثني عشر شهرا قد تحصل كل من ذلك من ثلثين يوما قد تحصل كل من ذلك من اربع و
عشرين ساعة مثلا والعدد مجرد احصائه بتكرير امثاله من غير اعتبار ان يتحصل بذلك شيء كذلك
ولما لم يعتبر في السنين المعدودة تحصل حد معين له اسم خاص غير اسامي مراتب الاعداد وحكم
مستقل اضيف اليها العدد وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمئات والالوف اعتباري
لا يجدي في تحصل المعدود نفعا وحيث اعتبر في الاوقات المحسوبة تحصل ما ذكر من المراتب التي
لها اسام خاصة واحكام مستقلة علق بها الحساب المبني على ذلك والسنة من حيث تحققها
في نفسها مما يتعلق به الحساب واما الذي يتعلق به العدد طائفة منها وتعلقه في ضمن ذلك بكل واحدة
من تلك الطائفة ليس من الحيثية المذكورة اعني حيثية تحصلها من عدة اشهر قد تحصل كل واحد
منها من عدة ايام قد تحصل كل منها بطائفة من الساعات فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث
انها فرد من تلك الطائفة المعدودة من غير ان يعتبر معها شيء غير ذلك وتقديم العدد على الحساب
مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالي
بما تعلق الحساب تفصيلا وان لم يتحد الجهة او لان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل امر اخر
حسبما حقق انفا نازل من الحساب الذي اعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب ما خلق الله
ذلك اي ما ذكر من الشمس والقمر على ما حكي من الاحوال • وفيه ايذان بان معنى جعلهما على تلك الاحوال والهيئات
ليس الا خلقهما كذلك كما اشير اليه ولا يقدح في ذلك ان استفادة القمر النور من الشمس امر حادث فان المراد
بجعله نورا انما هو جعله بحيث يتصف بالنور عند وجود شرائطه لا اتصافه بالفعل الا بالحق استثناء مفرغ
من اعم احوال الفاعل او المفعول اي ما خلق ذلك ملتبسا بشيء من الاشياء الا ملتبسا بالحق مراعيا لمقتضى
الحكمة البالغة • او مراعى فيه ذلك وهو ما اشير اليه اجمالا من العلم باحوال السنين والاوقات المنوطة به
امور معاملاتهم وعباداتهم يفصل الايات اي الايات التكوينية المذكورة • او جميع الايات فيدخل فيها الايات
المذكورة دخولا اوليا • او يفصل الايات التنزيلية المنبهة على ذلك • وقرئ بنون العظمة لقوم يعلمون
الحكمة في ابداع الكائنات فيستدلون بذلك على شؤون مبدعها جل وعلا • او يعلمون ما في تضاعيف
الايات المنزلة فيؤمنون بها وتخصيص التفصيل بهم لانهم المنتفعون به ان في اختلاف الليل والنهار تنبيه اخر
اجمالي على ما ذكر اي في تعاقبهما وكون كل منهما خلفة للاخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات
وسكون الارض • او في تفاوتهما في انفسهما بازدياد كل منهما بانتقاص الاخر وانتقاصه بازدياده باختلاف
حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة • او في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة • اما في الطول
والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالي ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد
البعيدة منه ولياليها واما في انفسهما فان كرية الارض تقتضي ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا و
في مقابله نهارا وما خلق الله في السموات والارض من اصناف المصنوعات لايات عظيمة او كثيرة دالة على وجود
الصانع تعالى ووحدته وكمال علمه وقدرته وبالغ حكمته التي من جملتها مقتضياتها ما انكروه من ارسال الرسل و
انزال الكتب والبعث والجزاء لقوم يتقون خصهم بذلك لان الداعي الى النظر والتدبر انما هو تقوى الله تعالى
والحذر من العاقبة فهم الواقفون على ان جميع المخلوقات ايات دون غيرهم وكاين من اية في السموات
والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون •
ابو السعود افندي

على ان الالف واللام عوض عن المضاف اليه

ان في اختلاف الليل والنهار نزل حين قال اهل مكة للنبي صلى الله عليه وسلم ائتنا بعلامة ظاهرة كما اتى بها
النبيون من قبلك لنؤمن بك فقال تعالى ان في مجيء الليل وذهاب النهار وعكس ذلك وما خلق الله
اي فيما خلق الله في السموات والارض من العجائب النيرات وغيرها لايات اي لعلامات وعبرات لقوم
يتقون الله وعذابه وخص المتقون بالذكر لانهم يخافون العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر في
خلق الله تعالى فيؤمنوه ثم بين حال الغافلين عن العاقبة بقوله ان الذين لا يرجون لقاءنا اه من العيون

ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يخافونه لانكارهم البعث لانه لا ينتظم مع تعليل قرينه بل لاعتمادهم على شفعائهم
واستعمال الرجاء في معنى الخوف شايع كما في قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم اطوارا • وقال الهذلي
اذا لسعته نحله لم يرج لسعها • والمراد من لقاء الله تعالى سوء الحساب عنده تعالى وما يترتب عليه من اصابة المكروه
وهذا صريح في عدم تاثير التحذير والترهيب فيهم ورضوا بالحيوة الدنيا من الاخرة لغفلتهم عنها • ولا تحسبه
لهذا التعليل في حق المنكرين لها ضرورة ان الانكار لامر لا يجامع الغفلة عنه • ووصفهم هذا كناية عن ان
الترغيب لا يجدي نفعا في حقهم • ولما احتمل ان يقال لهم لا يجوز ان يزال غفلتهم بالتنبيه والاستدلال دفعه
بقوله واطمانوا بها اي سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها • فانظر الى حسن انتظام هذا المقال • فمن قال في
تفسير الوصف الاول لا يتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها فكما اخطا في التعليل
لم يصب في المعلل لانه اخل بسوق الترهيب • ثم ان قوله وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها انما يناسب تفسير الرجاء
بالامل على ما هو حقيقته • وحمل اللقاء على نيل الثواب على ان عبارة الذهول لاقتضائه سبق العلم لا يناسب
المقام والذين هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها • والعطف بين الموصولين
للجمع بين الوصفين المتغايرين والتنبيه على ان الوعيد لاحد الذاتين وهما الفرقة الفارغة عن احوال
الاخرة واهوالها الراضية بالحيوة الدنيا والتي الهاهم حب العاجل عن التامل في الاجل والاعداد له

ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه
ببالهم لغفلتهم عن التفطن بالحقايق • او لا يامِلون حسن
لقائنا كما يامله السعداء • او لا يخافون سوء لقائنا الذي
يجب ان يخاف ورضوا بالحيوة الدنيا من الاخرة واثروا
القليل الفاني على الكثير الباقي واطمانوا بها وسكنوا فيها سكون
من لا يزعج عنها فبنوا شديدا واملوا بعيدا والذين هم عن
آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها • ولا يعتبرون عليه لان خبر ان
اولئك مأويهم النار فاولئك مبتدا • ومأويهم مبتدا ثان
والنار خبره • والجملة خبر اولئك والباء في بما كانوا يكسبون
يتعلق بمحذوف دل عليه الكلام وهو جوزوا • انتهى المدارك

اولئك مأويهم النار بما كانوا يكسبون
بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي اي كل
ان الذين لا يرجون لقاءنا بيان لمآل من كفر
بالبعث واعرض عن البينات الدالة عليه
بعد تحقيق ان مرجع الكل اليه تعالى وانه يعيد كفر
بعد بدئهم للجزاء ثوابا وعقابا • وتفصيل
لبعض الآيات الشاهدة بذلك • والمراد
بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى بالبعث
او لقاء الحساب كما في قوله تعالى اني ظننت اني
ملاق حسابيه • واما ما كان فيه من
الالتفات الى ضمير الجلالة من تهويل الامر
ما لا يخفى • والمراد بعدم الرجاء عدم التوقع
مطلقا المنتظم لعدم الامل وعدم الخوف
فان عدمهما لا يستدعي عدم اعتقاد وقوع
المامول والمخوف • اي لا يتوقعون الرجوع
الينا • او لقاء حسابنا المؤدي اما الى حسن الثواب او الى سوء العذاب فلا يامِلون الاول واليه اشير بقوله تعالى
ورضوا بالحيوة الدنيا فانه مبني عن ايثار الادنى الخسيس على الاعلى النفيس كقوله تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا
من الاخرة ولا يخافون الثاني واليه اشير بقوله تعالى واطمانوا بها اي سكنوا فيها سكون من لا براح له منها آمنين من
اعتناء الزعجات غير مخطرين ببالهم ما يسوءهم من عذابنا • وقيل المراد بالرجاء معناه الحقيقي وباللقاء حسن اللقاء
اي لا يامِلون حسن لقائنا بالبعث والاحياء بالحيوة الابدية ورضوا بدلا منها وبما فيها من فنون الكرامات السنية
بالحيوة الدنيا الدنية الفانية واطمانوا بها • اي سكنوا اليها مكبين عليها قاصرين مجامع هممهم على لذائذها وزخارفها
من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم • وايثار الباء على كلمة الى المنبئة عن مجرد الوصول والانتهاء للايذان
بتمام الملابسة ودوام المصاحبة والمؤانسة • وحمل الرجاء على الخوف فقط يابا كلمة الرضا بالحيوة الدنيا فانها
منبئة عما ذكر من ترك الاعلى واخذ الادنى • واختيار صيغة الماضي في الصلتين الاخيرتين للدلالة على التحقق
والتقرر كما ان اختيار صيغة المستقبل في الاولى للايذان باستمرار عدم الرجاء • والذين هم عن آياتنا المفصلة
في صحايف الاكوان حسبما اشير الى بعضها • او آياتنا المنزلة المنبهة على الاستشهاد المتفقة معها في الدلالة على
حقية ما يرجونه من اللقاء المترتب على البعث وعلى بطلان ما رضوا واطمانوا اليه من الحيوة الدنيا غافلون
لا يتفكرون فيها اصلا وان نبهوا على ذلك وذكروا بانواع القوارع لانهماكهم فيما يصدهم عنها من الاحوال المعدودة
وتكرار الموصول للتوسل به الى جعل صلته جملة اسمية منبئة عما هم عليه من استمرار الغفلة ودوامها وتنزيل التغاير
الوصفي منزلة التغاير الذاتي ايذانا بمغايرة الوصف الاخير للاوصاف الاول واستقلاله باستتباع العذاب هذا ٥

قاضي رحمه

واما ما قيل من ان العطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا
والانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر ببالهم الاخرة اصلا • واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث
ولم ير الا الحيوة الدنيا وبالاخرين من الهاه حب العاجل عن التامل في الاجل فكلام ناء عن السداد فتامل اولئك
الموصوفون بما ذكر من صفات السوء مأويهم اي مسكنهم ومقرهم الذي لا براح لهم منه النار لا ما اطمانوا
بها من الحيوة الدنيا ونعيمها بما كانوا يكسبون من الاعمال القلبية المعدودة وما تستتبعه من اصناف
المعاصي والسيئات • او بكسبهم اياها • والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار التجدد
والباء متعلقة بمضمون الجملة الاخيرة الواقعة خبرا عن اسم الاشارة وهو مع خبره خبر لان في قوله تعالى
ان الذين لا يرجون لقاءنا الخ اه العود انفد

ثم بين حال الغافلين عن العاقبة بقوله ان الذين لا يرجون لقاءنا اي لا يخافون سوء العاقبة لانكارهم البعث بعد الموت
الذي هو سبب لقاء الله تعالى • او لا يامِلون ثوابنا في الاخرة لذلك ورضوا بالحيوة الدنيا اي اختاروا القليل الفاني على الكثير
الباقي واطمانوا بها اي سكنوا فيها سكون من لا يزعج فبنوا شديدا واملوا بعيدا والذين هم عن آياتنا اي عن القرآن وحججه
غافلون اي معرضون • او عن ادلتنا ذاهلون فلا يعتبرون اولئك اي الموصوفون بهذه الصفات مأويهم النار بما
كانوا يكسبون من الكفر والتكذيب من العيون

ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك السبل المؤدي الى الجنة ولذلك جعل تجري من
تحتهم الانهار بيانا وتفسيرا له • او يهديهم في الاخرة بسبب نور ايمانهم الى الجنة كقوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات
يسعى نورهم بين ايديهم • او لما يريدونه في الجنة • وعلى هذا يكون تجري خبرا ثانيا لان • او حالا من الضمير المنصوب
في يهديهم وجعل التمسك بسبب العادة نفس الوصول اليها كانت هدايتهم الى الطريق هدايتهم الى القصد لسرعة الا...
اليه في جنات النعيم متعلق بتجري • او بيهدي • او خبر • او حال من الضمير المذكور • او من الانهار ولا يخفى على من انصف
وبالتجنب عن التعسف انصف ان الجمع بين الايمان والعمل الصالح ظاهر في انه السبب في مقام الترغيب في اكتساب اسباب
حسن اللقاء واجتناب اسباب سوء الجزاء ثم التصريح بسببية الايمان المضاف الى الذين امنوا وعملوا الصالحات كالتنصيص
على انه ذلك الايمان المقرون بالعمل الصالح لا مطلق الايمان • غاية الامر انه ذكر لاصالته وزيادة شرفه فلا يكون ذكره مستقلا
ولا دالا على استقلال • وبهذا التفصيل اندفع ما قيل • ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح
لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل كالتتمة والرديف فيل ولا مخالفة لما ذكر من اهل السنة
والجماعة لان العصاة غير مهتدين واما كل من لم يكن مهتديا فمخلد في النار فهو ممنوع ودعوى ذلك غاية المكابرة ولا
لان الكلام في الهداية بسبب الايمان الى سلوك السبل المؤدي الى الجنة وعصاة المؤمنين مهتدين بهذه الهداية والمخالف
في ان من لا يكون مهتديا بهذه الهداية لا يدخل الجنة فالصواب في الجواب عن تمسك المخالف بهذه الاية انها معارضة بمثل قوله
تعالى وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين امنوا بالله ورسله كان فيه دلالة على ان الايمان وحده كاف في استحقاق
ما اعد له • والاصل في النصوص التوفيق

انما الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم يرشدهم
بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب
ولذلك جعل تجري من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا اذ التمسك
بسبب السعادة كالوصول اليها • او يهديهم في الاخرة بنور ايمانهم
الى طريق الجنة • ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره
صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون
له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله
في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار
وهذا دليل على ان الايمان المجرد منج حيث قال بايمانهم ولم يضم
اليه العمل الصالح في جنات النعيم متعلق بتجري • او حال
من الانهار دعويهم فيها سبحانك اللهم اي دعاؤهم لان اللهم
نداء لله تعالى ومعناه اللهم انا نسبحك • اي يدعون الله تعالى
بقولهم سبحانك اللهم تلذذا بذكره لا عبادة وتحيتهم فيها سلام
اي يحيي بعضهم بعضا بالسلام • او هي تحية الملائكة اياهم
واضيف المصدر الى المفعول • او تحية الله لهم واخر دعويهم
وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح ان الحمد لله رب العالمين
اي يقولون الحمد لله رب العالمين • ان مخففة من الثقيلة واصله
انه الحمد لله رب العالمين والضمير للشان • وقيل اول كلامهم
التسبيح واخره التحميد فيبتدئون بتعظيم الله تعالى وتنزيهه
ويختمون بشكره والثناء عليه ويتكلمون بينهما بما ارادوا •

وهو ههنا بحمل التعميم على ما هو اسم خاص
لاحدى الجنان الثمان على ما مر تفصيله في
سورة البقرة والمراد من الجنات المضافة
اليه ما فيه من البساتين ونظيره قوله تعالى
فلهم جنات المأوى • فيجوز ان يكون الهداية
الى جنة النعيم مشروطة بالعمل الصالح ويكون
الايمان وحده كافيا في الهداية الى مطلق الجنة
دعويهم فيها اي دعاؤهم سبحانك اللهم اللهم
انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم فيها اي تحية
بعضهم لبعض او تحية الملائكة اياهم سلام
واخر دعويهم خاتمة دعائهم ان الحمد لله رب
العالمين اي ان يقولوا ذلك • وان هي
المخففة من الثقيلة اصله انه الحمد لله •
والضمير للشان • وقرئ ان الحمد بالتشديد
ونصب الحمد يعني ان اهل الجنة مستغنون
عن طلب النوال يحضرون ما يشتهيهم في الحال
امنوا عن احتمال الانقطاع والزوال فلا جرم
دعاؤهم ودعواهم واخرها مقصور على التحميد والتمجيد
• ابن الكمال

ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم اي يرشدهم على الصراط الى الجنة بان يجعل لهم نورا يمشون به على الصراط الى دخول
الجنة • قال النبي صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا
وقائدا الى الجنة • والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار قوله
بايمانهم اي بسبب تصديقهم ايمانا في الدنيا المقرون به العمل الصالح • متعلق بيهديهم وقوله تجري من تحتهم الانهار جملة
حالية من ضمير يهديهم اي حال كونهم تجري بين ايديهم الانهار بارهم متنعمين في جنات النعيم لا يخرجون عنها دعواهم اي
دعاؤهم وقولهم فيها اي في جنات النعيم سبحانك اللهم اي ننزهك تنزيها عما لا يليق بعظمتك وجلالك • قيل انهم
يلهمون التسبيح عند دخولهم الجنة كما يلهمون النفس • وقيل سبحانك اللهم علامة بينهم وبين خدامهم فانهم
اذا طلبوا ماكلا شيئا من ماكل الجنة فيجيئون بما يشتهون ويضعونه بين ايديهم على الموائد كل مائدة ميل في ميل
وعلى كل مائدة سبعون الف صحيفة في كل صحيفة لون من الطعام لا يشبه بعضه بعضا وتحيتهم فيها سلام اي
يحييهم الملائكة من ربهم او تحيتهم الملائكة به او يحيي بعضهم بعضا بالسلام واخر دعواهم بعد التسبيح ان الحمد لله
رب العالمين قالوه تلذذا وسرورا على ما اكرمهم بانواع الكرامات واعطاهم من الخيرات واصله انه الحمد لله على ان
الضمير للشان لكون ان مخففة من الثقيلة
من العيون

ان الذين آمنوا اي فعلوا الايمان • او آمنوا بما تشهد به الآيات التي غفل عنها الغافلون • او بكل ما يجب ان يؤمن به
• فيندرج فيه ذلك اندراجا اوليا وعملوا الصالحات اي الاعمال الصالحة في انفسها اللائقة بالايمان
وانما ترك ذكر الموصوف لجريانها مجرى الاسماء • يهديهم ربهم وفي الالتفات تشريفا لهم باضافة الرب اليهم
واشعارا بعلة الهداية بايمانهم اي يهديهم ربهم بسبب ايمانهم الى مأواهم ومقصدهم وهي الجنة • وانما
لم يذكر تعويلا على ظهورها وانسياق النفس اليها لا سيما بملاحظة ما سبق من بيان مأوى الكفرة و
ما آواهم اليه من اعمالهم السيئة ومشاهدة ما لحق من التلويح والتصريح • وفي النظم الكريم اشعار
بان مجرد الايمان والعمل الصالح لا يكفي في الوصول الى الجنة بل لا بد بعد ذلك من الهداية الربانية • وان
الكفر والمعاصي كافية في دخول النار • ثم انه لئن ادعي ان المراد بالايمان الذي جعل سببا لتلك الهداية
هو ايمانهم الخاص المشفوع بالاعمال الصالحة لا الايمان المجرد عنها ولا ما هو اعم منهما • الا ان ذلك بمعزل
عن الهداية على خلاف ما عليه اهل السنة والجماعة من ان الايمان الخالي عن العمل الصالح يفضي الى الجنة
في الجملة ولا يخلد صاحبه في النار • فان منطوق الآية الكريمة ان الايمان المقرون بالعمل الصالح
سبب للهداية الى الجنة • واما ان كل ما هو سبب لها يجب ان يكون كذلك فلا دلالة لها ولا لغيرها
عليه قطعا • كيف لا وقوله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون
ناطق بخلافه • فان المراد بالظلم هو الشرك كما اطبق عليه المفسرون • والمعنى لم يخلطوا ايمانهم بشرك
ولئن حمل على ظاهره ايضا يدخل في الاهتداء من آمن ولم يعمل صالحا ثم مات قبل ان يظلم بفعل حرام
او بترك واجب تجري من تحتهم الانهار اي من بين ايديهم كقوله سبحانه وهذه الانهار تجري من تحتي •
او تجري وهم على سرر مرفوعة وارائك مصفوفة • والجملة مستأنفة • او خبر ثان • او حال
من مفعول يهديهم على تقدير كون المهدي اليه ما يريدونه في الجنة كما قيل • وقيل يهديهم ويسددهم
للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب والجنة • وقوله تجري من تحتهم الانهار جار مجرى
التفسير والبيان فان التمسك بحبل السعادة في حكم الوصول اليها • وقيل يهديهم الى ادراك الحقائق
البديعة بحسب القوة العلمية كما قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم في جنات
النعيم خبر آخر او حال اخرى منه • او من الانهار • او متعلق بتجري • او بيهدي فالمراد بالمهدي
اليه اما منازلهم في الجنة او ما يريدونه فيها دعواهم اي دعاؤهم وهو مبتدأ وقوله تعالى فيها متعلق به
وقوله تعالى سبحانك اللهم خبره اي دعاؤهم هذا الكلام وهو مفعول لمقدر لا يجوز اظهاره والمعنى اللهم
انا نسبحك تسبيحا ولعلهم يقولونه عندما يعاينون آثارا من تعاجيب آثار قدرته تعالى ونتائج رحمته
ورأفته مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر تقديسا لمقامه تعالى عن شوائب
العجز والنقصان وتنزيها لوعده الكريم عن سمات الخلف وتحيتهم فيها التحية التكرمة بالحالة الجليلة
اصلها احياك الله حياة طيبة اي ما يحيي به بعضهم بعضا • او تحية الملائكة اياهم كما في قوله تعالى
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم • او تحية الله تعالى لهم بالذات او بالوساطة
لقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم سلام اي سلامة عن كل مكروه وآخر دعواهم اي خاتمة دعائهم
ان الحمد لله رب العالمين اي ان يقولوا ذلك نعتا له عز وجل بصفات الاكرام اثر نعته تعالى بصفات
الجلال اي دعاؤهم منحصر فيما ذكر اذ ليس لهم مطلب مترقب حتى ينظموه في سلك الدعاء • وان
هي المخففة من ان المثقلة • اصله انه الحمد لله فحذف ضمير الشأن كما في قوله ان هالك كل من يحفى
وينتعل • وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد • ولعل توسيط ذكر تحيتهم عند الحكاية
بين دعائهم وخاتمته للتوسل الى ختم الحكاية بالتحميد تبركا مع ان التحية ليست باجنبية على
الاطلاق • ودعوى كون ترتيب الوقوع ايضا كذلك بان كانوا حين دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله
وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف
الكرامات • او حياهم بذلك رب العزة فحمدوه تعالى واثنوا عليه يأباه اضافة الآخر الى دعواهم • وقد يجوز
ان يكون المراد بالدعاء العبادة كما في قوله تعالى واعتزلكم وما تدعون من دون الله ايذانا بان لا تكليف في الجنة
اي ما عبادتهم الا ان يسبحوه ويحمدوه وليس ذلك بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا ولا يساعده تعيين الخاتمة

• ابو السعود •

ابن تعجيل

٥ واختيار صيغة الاستقبال في الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة ان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجيل • فان
المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في افادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا
بحسب المقام كما حقق في موضعه • واعلم ان مدار الافادة في الشرطية ان يكون التالي امرا مغايرا للمقدم
في نفسه مترتبا عليه في الوجود كما في قوله تعالى لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فان العنت اي الوقوع في
المشقة والهلاك امر مغاير لطاعته صلى الله عليه وسلم مترتب عليها في الوجود • او يكون فردا كاملا من
افراده ممتازا عن البقية بامر يخصه كما في الاجوبة المحذوفة في مثل قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على ربهم •
وقوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ونظائرها اي لرأيت امرا فظيعا او نحو ذلك • وكما في قوله تعالى ولو يؤاخذ الله
الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة اذا فسر الجواب بالاستيصال فانه فرد كامل من مطلق
المؤاخذة قد عبر عنه بما لا مزيد عليه في الدلالة على الشدة والفظاعة فحسن موقعه في معرض التالي
للمؤاخذة المطلقة واما ما نحن فيه من القضاء بالذي هو امر مغاير لتعجيل الشر في نفسه وهو ظاهر بل هو
اما نفسه او جزء منه كسائر جزئياته من غير مزية له على البقية اذ لم يعتبر في مفهومه ما ليس في
مفهوم تعجيل الشر من الشدة والهول فلا يكون في ترتيبه عليه وجودا وعدما مزيد فائدة مصححة من
٨ الشدة والهول فلا يكون في ترتيبه عليه وجودا او عدما مزيد فائدة مصححة لجعله تاليا له فالحق
ان المقدم ليس نفي التعجيل المذكور بل هو ارادته المستتبعة للقضاء المذكور وجودا وعدما كما في قوله
لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب اي لو يريد مؤاخذتهم فان تعجيل العذاب لهم نفس المؤاخذة
او جزء منها غير ممتاز عن البقية فليس في بيان ترتبه عليها وجودا او عدما مزيد فائدة
وانما الفائدة في بيان ترتبه على ارادتها حسبما ذكر وايضا في ترتيب التالي على ارادة المقدم ما
ليس في ترتيبه على نفسه من المبالغة وتهويل الامر والدلالة على ان الامور منوطة بارادته
المبنية على الحكم البالغة فنذر الذين لا يرجون لقاءنا بنون العظمة الدالة على التشديد في الوعيد وهو
عطف على مقدر تنبئ عنه الشرطية كأنه قيل لا نفعل ذلك لما يقتضيه الحكمة فنذرهم امهالا واستدراجا في
طغيانهم الذي هو عدم رجاء اللقاء وانكار البعث والجزاء وما يتفرع على ذلك من اعمالهم السيئة ومقالاتهم
الشنيعة يعمهون يترددون ويتحيرون • ففي وضع الموصول موضع الضمير نوع بيان للطغيان
بما في حيز الصلة واشعار بعليته للترك والاستدراج واذا مس الانسان الضر اي جنس الضر من مرض و
فقر وغيرهما من الشدائد اصابة يسيرة دعانا لكشفه وازالته لجنبه حال من فاعل دعانا بدليل ما
عطف عليه من الحالين • واللام بمعنى على كما في قوله تعالى يخرون للاذقان اي دعانا كائنا على جنبه اي
مضطجعا او قاعدا او قائما اي في جميع الاحوال مما ذكر وما لم يذكر • وتخصيص المعدودات بالذكر لعدم
خلو الانسان عنها عادة • او دعانا في جميع احواله وهذه على ان المراد بالضر خاصة مضطجعا عاجزا
عن القعود وقاعدا عاجزا عن القيام على النهوض وقائما لا يستطيع الحراك فلما كشفنا عنه ضره الذي
مسه حسبما دعانا حسبما ينبئ عنه الفاء مر اي مضى واستمر على طريقته التي كان ينتحيها قبل مساس
الضر ونسي حالة الجهد والبلاء • او مر عن موقف الضراعة والابتهال ونأى بجانبه كأن لم يدعنا اي
كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كما في قوله كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا • والجملة التشبيهية
في محل النصب على الحالية من فاعل مر اي مشبها بمن لم يدعنا الى ضر اي الى كشف ضر مسه وهذا وصف
للجنس باعتبار حال بعض افراده ممن هو متصف بهذه الصفات كذلك نصب على المصدرية وذلك اشارة
الى مصدر الفعل الآتي وما فيه من معنى البعد للتفخيم • والكاف مقحمة للدلالة على زيادة فخامة المشار اليه
افخامة لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها • ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل مكان انت لا تبخل اي
مثل ذلك التزيين العجيب زين للمسرفين اي المصرين على ذكر من الصفات الذميمة واسرافهم لما ان الله تعالى
انما اعطاهم القوى والمشاعر ليصرفوها الى مصارفها ويستعملوها فيما خلقت له من العلوم والاعمال الصالحة
فلما صرفوها الى ما لا ينبغي وهي رأس مالهم فقد اسرفوا واسرفوا اسرافا ظاهرا • والتزيين اما من جهة الله
سبحانه وتعالى على طريقة التخلية والخذلان او من الشيطان بالوسوسة والتسويل ما كانوا يعملون من الاعراض
عن الذكر والدعاء والانهماك في الشهوات • وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث ان كلا منهما املاء للكفرة على طريقة
الاستدراج بعد الانقاذ من الشر المقدر في الاولى ومن الضر المقرر في الاخرى • ولقد

[illegible]

ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير نزلت في اهل مكة حين استعجلوا العذاب بقولهم اللهم امطر علينا حجارة
من السماء ان كان القرآن حقا فقال الله تعالى لو يعجل الله للناس في اجابة دعائهم في الشر تعجيلا مثل
استعجالهم بالخير يعني كما يحبون ان يستجاب لهم ما طلبوا من الخير لقضي اليهم اجلهم اي لاميتوا واهلكوا في الدنيا
قرئ فقضي مجهولا ورفع الاجل • ومعلوما ونصبه والمعنى انا لا نعجل للناس الشر بدعائهم ولا نقضي لهم
اجلهم بل نمهلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا اي لا يخافون البعث بعد الموت في طغيانهم اي في ضلالتهم
مع افاضة النعم عليهم الزاما للحجة واستدراجا في العذاب يعمهون اي يترددون متحيرين نعطف
فنذر على محذوف لا على نعجل لان الشرك وقع والتعجيل لم يقع كما اقتضته لو • ثم بين حال الانسان
الغير الصابر بقوله تعالى واذا مس الانسان الضر اي البلاء من المرض والفقر دعانا بالاخلاص لجنبه اي
مضطجعا ومطروحا على جنبه اذا اشتد بلاؤه فهو في محل النصب على الحال بدليل او قاعدا اذا كان
اهون او قائما اذا نهض وبقي فيه اثر العلة يعني دعانا في جميع حالاته عند نزول البلاء عليه فلما كشفنا
عنه ضره اي ازلنا عنه بلاءه مر اي استمر على ترك الدعاء الينا ونسيه كأن اي كأنه لم يدعنا الى ضر مسه
اي الى بلاء اصابه قبل ذلك كذلك اي مثل ذلك التزيين زين للمسرفين اي زين الله لهم بخذلانه او الشيطان
بوسوسته ما كانوا يعملون من الاعراض عن الايمان والعمل للآخرة والاشتغال بالشهوات في الدنيا من التمتع

ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير حين استعجلوه بالخير • فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله الخير وحذف ما حذف منه لدلالة الباقي عليه ايجازا • وذلك الوضع للاشعار بسرعة اجابته تعالى لهم في الخير حتى كان استعجالهم به نفس تعجيله له • ويراد بالشر الشر الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء لقضي اليهم اجلهم اي ولو يعجل الله لاهل مكة الشر الذي دعوا به واستعجلوه كما يعجل لهم الخير ويجيبهم اليه لا... الى العذاب بل اهلكوا وامتنعوا لان تركيبهم في الدنيا لا يحتمل ذلك • وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى • ويؤيده قراءة لقضينا • وهذه الاية متصلة بقوله ان الذين لا يرجون لقاءنا دلالة على استحقاقهم العذاب • وانه تعالى انما عجلهم استدراجا • وجئ بالناس بدل ضميرهم تقطيعا للامر ثم قيل فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون مصرحا باسمهم • وذكر المؤمنين انا وقع في البين تتميما ومقابلة فليس باجنبي • ومن مناظر انه لا حاجة الى ان يجعل فنذر جواب شرط محذوف فاذا مس الانسان الضر دعانا لازالته في جميع احواله لا يفتر عنه في حال ما من احواله لجنبه في موضع الحال لعطف الحالين عليه اي دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما فالترديد للتعميم لجميع الاحوال • او بجميع اصناف الضر ملقى لجنبه عاجزا عن القعود او قاعدا لا يقدر على القيام • او قائما لا يقدر على النقلة اي لا يستغني عن الدعاء في نوع من انواعه فلما كشفنا عنه ضره مر مضى على طريقته الاولى في الذهول والغفلة عنا ونسي الجهد • او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه كان لم يدعنا اصله كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كما في قوله ونحر مشرق كان ثدياه حقان الى ضر مسه الى كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون عملهم من الاعراض عن الذكر والدعاء والانهماك في الشهوات • انما قال

ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير • فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم • والمراد اهل مكة • و قولهم فامطر علينا حجارة من السماء • اي ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا لتقضي اليهم اجلهم مبني على البناء للفاعل وهو الله تعالى فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم شركهم وضلالهم يعمهون يترددون • ووجه اتصاله بما قبله ان قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كانه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم في طغيانهم اي نمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة واذا مس الانسان اصابه و المراد به الكافر الضر دعانا اي دعى الله تعالى لازالته لجنبه في موضع الحال بدليل عطف الحالين اي او قاعدا او قائما عليه اي دعانا مضطجعا • فائدة ذكر هذه الاحوال ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها كان مضطجعا عاجزا عن النهوض • او قاعدا لا يقدر على القيام • او قائما لا يطيق المشي فلما كشفنا عنه ضره ازلنا ما به مر كان لم يدعنا الى ضر مسه اي مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد • او مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له والاصل كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين للمجاوزين الحد في الكفر زين الشيطان بوسوسته ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر واتباع الكفر والشهوات •

ولو يعجل الله للناس هم الذين لا يرجون لقاء الله تعالى لانكارهم البعث وما يترتب عليه من الحساب والجزاء • اشير الى بعض من عظائم معاصيهم المتفرعة على ذلك وهو استعجالهم بما اوعدوا به من العذاب تكذيبا و استهزاء • وايرادهم باسم الجنس لما ان تعجيل الخير لهم ليس دائرا على وصفهم المذكور اذ ليس كل ذلك بطريق الاستدراج اي ولو يعجل الله لهم الشر الذي كانوا يستعجلون به فانهم كانوا يقولون ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك وقوله تعالى استعجالهم بالخير نصب على انه مصدر تشبيهي كاعتبار التعجيل في جانب الشبه به واشعارا بسرعة اجابته تعالى لهم حتى كان استعجالهم بالخير نفس تعجيله لهم • والتقدير لو يعجل الله لهم الشر عند استعجالهم به تعجيلا مثل تعجيله لهم الخير عند استعجالهم به • فحذف ما حذف تعويلا على دلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم لادى اليهم الاجل الذي عين لعذابهم واميتوا واهلكوا بالمرة وما امهلوا طرفة عين ٥

قال ابن عباس رضي هذا قول الرجل عند الغضب لاهله وولده لعنكم الله ولا بارك فيكم • وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه واهله وماله بما يكره ان يستجاب معناه لو يعجل الله للناس اجابة دعائهم في الشر والمكروه استعجالهم بالخير اي كما يحبون استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم • قرا ابن عامر ويعقوب بفتح القاف والضاد واجلهم نصب اي لاهلك من دعي عليه ولاماته • وقرا الاخرون لقضي اجلهم اي لفرغ من هلاكهم ولماتوا جميعا • وقيل انها نزلت في النضر بن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء

ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير اي يدعو الله عند الغضب بالشر على نفسه واهله وماله كما يدعوه بالخير • او يطلب النفع العاجل وان قل بالضرر الاجل وان جل وكان الانسان عجولا يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه ولا يتأنى فيه تأني المتبصر • مدارك من محله

توضيحه انهم يستعجلون بالخير فيجيب الله لهم اسرع اجابة حتى كان استعجالهم نفس تعجيله لهم فاستعجالهم مثل لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا لكن بفضله يستجيب لهم سريعا في الخير لا في الشر

ولقد اهلكنا القرون من قبلكم الخطاب لاهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب وجاءتهم رسلهم بالبينات الواو للحال ولا حاجة الى تقدير قد لانها لم تدخل على جاءتهم رسلهم بالبينات وحده بل على جملة ذلك القول والتي يليها كانه قيل لما ظلموا وقصتهم هذه • وقدمت نظيرها هنا في اوائل سورة البقرة • او عطف على ظلموا لان معناه احداث التكذيب ومعنى هذا الاصرار عليه بحيث لا فائدة في امهالهم وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم واللام لتاكيد النفي • واخبار علمه تعالى بانهم يموتون على الكفر فلا فائدة في عدم اعتبار لان العلم تابع للمعلوم فلو نويل فيه • ويجوز ان يكون عطفا على ظلموا ويكون ظلموا موخرا عن جاءتهم رسلهم بالبينات معنى وان قدم عليه لفظا للاهتمام كما قدم ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا لذلك • والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعدم الفائدة في امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل • ويجوز ان يكون وجاءتهم رسلهم بالبينات اعتراضا لتقريرها تخلل هو بينه كذلك مثل ذلك الجزاء بالاهلاك على وجه الاستيصال نجزي القوم المجرمين او اراد المجرمين بالجزم المعهود

وهو تكذيب الرسل والاصرار عليه • وانما قال نجزي القوم لان الكلام في عذاب الاستيصال • ومن لم يتنبه لم قال في تفسيره نجزي كل مجرم والمقصود وعيد لاهل مكة وتهديد لهم • ومن لم يتنبه له جوز ان يكون المعنى نجزيكم على وضع المظهر موضع المضمر ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم من بعد القرون التي اهلكناهم جعل متخير لننظر كيف تعملون انعملون خيرا ام شرا فنعاملكم على حسب اعمالكم • استعير ثم للتراخي في الرتبة فلا يغني عنه قوله من بعدهم • وكيف في محل النصب بتعملون مستعارا لمعنى اي شيء فيكون نصبه على المفعولية ويجوز نصبه على الحالية اي لننظر على اي حال تعملون على حال الخير ام على حال الشر • ولا يجوز انتصابه بننظر لان الاستفهام لا يتقدم عليه عامله • وفائدة الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها • ولهذا يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى • والنظر على حقيقته لان

ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا اشركوا وهو ظرف لاهلكنا والواو في وجاءتهم رسلهم للحال اي لما ظلموا بالتكذيب وقد جاءهم رسلهم بالبينات بالمعجزات وما كانوا ليؤمنوا ان بقوا ولم يهلكوا لان الله تعالى علم منهم انهم يصرون على كفرهم • وهو عطف على ظلموا • او اعتراض واللام لتاكيد النفي • يعني ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله تعالى انه لا فائدة في امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك نجزي القوم المجرمين وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم اي استخلفناكم في الارض بعد القرون التي اهلكنا لننظر كيف تعملون اي لننظر اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على حسب عملكم • وكيف في محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام فيه يمنع ان يتقدم عليه عامله والمعنى انتم بمنظر منا فانظروا كيف تعملون ابالاعتبار بماضيكم او بالاغترار بما فيكم قال صلى الله عليه وسلم ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون اسمى المدارك

الكلام على طريقة الاستعارة التخييلية كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا على ما نبهت عليه انفا • ومن لم يدرك ذلك قال هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا وبلزمه الالتزام بان يكون علمه تعالى بالحوادث حادثا ولا صحة له لانه صفة كمال لا يجوز خلوه تعالى عنه • ومنشا هذه الغفلة ان من زماني لا يتوقف علمه بالحوادث على وجودها في الزمان وحصول تلك الحوادث في اوقاتها كما هو شانه علم من

ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة بالعذاب لما ظلموا اي حين اقاموا على كفرهم واتباع الشهوات وجاءتهم الواو للحال اي وقد اتى القرون المتقدمة رسلهم بالبينات اي بالحجج والشواهد على صدقهم والمراد بالمعجزات والاحكام من الامر والنهي وما كانوا ليؤمنوا اي ليتصدقوا الرسل ويرغبوا في الايمان بهم والواو للعطف على ظلموا كذلك اي مثل ذلك الجزاء والاهلاك نجزي القوم المجرمين اي المشركين المكذبين برسلهم ثم جعلناكم يا اهل مكة او هو خطاب لكل من بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم خلائف في الارض من بعدهم اي بعد هلاكهم لننظر كيف تعملون خيرا او شرا فنعاملكم على حسب اعمالكم

ولقد اهلكنا القرون اي القرون الخالية مثل قوم نوح وعاد واضرابهم ومن في قوله من قبلكم متعلق باهلكنا هم حين فعلوا الظلم بالتكذيب والتمادي في الغي والضلال لما عرفنا حين وجاءتهم رسلهم الواو للحال من ضمير ظلموا وقوله تعالى بالبينات متعلق بجاءتهم على ان الباء للتعدية • او بمحذوف وقع حالا من رسلهم دالة على افراطهم في الظلم وتناهيهم في المكابرة اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالايات البينة الدالة على صدقهم • او ملتبسين بها حين لا مجال للتكذيب • وقد يجوز ان يكون للعطف على ظلموا فلا محل للجملة عند سيبويه وعند غيره محلها الجر لانها معطوفة على ما هو مجرور باضافة الظرف اليه • وليس الظلم منحصرا في التكذيب حتى يحتاج الى الاعتذار بان الترتيب الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي كما في قوله تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا بل هو محمول على سائر انواع الظلم • والتكذيب مستفاد من قوله وما كانوا ليؤمنوا على ابلغ وجه واكده فان اللام لتاكيد النفي اي وما صح وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله تعالى اياهم لعلمه بان الالطاف لا تنجع فيهم • والجملة على الاول عطف على ظلموا لانه اخبار باحداث التكذيب وهذا بالاصرار عليه • وعلى الثاني عطف على ما عطف عليه • وقيل اعتراض بين الفعل وما يجري مجرى مصدره التشبيهي اعني قوله تعالى كذلك فان الجزاء المشار اليه عبارة عن مصدره اي مثل ذلك الجزاء الفظيع اي الاهلاك الشديد الذي هو الاستيصال بالمرة نجزي القوم المجرمين اي كل طائفة مجرمة وفيه وعيد شديد وتهديد اكيد لاهل مكة لاشتراكهم لاولئك المهلكين في الجرائم والجرائر التي هي تكذيب الرسول والاصرار عليه وتقرير لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وقرئ بالياء على الالتفات الى الغيبة • وقد يجوز ان يكون المراد بالقوم المجرمين اهل مكة على طريقة وضع الظاهر موضع ضمير الخطاب ايذانا بانهم اعلام في الاجرام ويأباه كل الاباء قوله تعالى ثم جعلناكم خلائف من بعدهم فانه صريح في انه ابتداء تعرض لامورهم وان ما بين فيه انما هو مبادي احوالهم لاختبار كيفيات اعمالهم على وجه يشعر باستمالتهم نحو الايمان والطاعة فمحال ان يكون ذلك اثر بيان منتهى امرهم وخطابهم ببت القول باهلاكهم لكمال اجرامهم • والمعنى ثم استخلفناكم في الارض بعد اهلاك اولئك القرون التي تسمعون اخبارها وتشاهدون اثارها استخلاف من يختبر لننظر اي لنعاملكم معاملة من ينظر كيف تعملون فهي استعارة تمثيلية • وكيف منصوب على المصدرية بتعملون لا بننظر فان ما فيه من معنى الاستفهام مانع من تقدم عامله عليه اي اي عمل • او على الحالية اي على اي حال تعملون الاعمال اللائقة بالاستخلاف من اوصاف الحسن كقوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا • ففيه اشعار بان المراد بالذات والمقصود الاصلي من الاستخلاف انما هو ظهور الكيفيات الحسنة للاعمال الصالحة • واما الاعمال السيئة فبمعزل من ان تصدر عنهم لا سيما بعد ما سمعوا اخبار القرون المهلكة وشاهدوا اثارها فضلا عن ان ينتظم ظهورها في سلك العلة الغائية للاستخلاف • وقيل منصوب على انه مفعول به اي اي عمل تعملون اخيرا ام شرا فنعاملكم بحسبه • فلا يكون في كلمة كيف حينئذ دلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الاعمال وكيفياتها لا ذواتها كما هو رأي القائل بل يكون مستعارا لمعنى اي شيء ابو السعود

وتلقى

واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لا يخافون لقاءنا يعني المستهزئين من المشركين ذكره ابن عباس رضي الله عنهما ائت بقرآن غير هذا بكتاب آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذم آلهتنا والوعيد على عبادتنا نتبعك او بدله بان تجعل مكان آية نقيد ذلك آية اخرى ○ وانما اقترحوا ذلك مكرا وطمعا في اجابته اليه فيلزموه ويستهزؤا منه ولما كان الاتيان بقرآن غير هذا مقدورا للانسان لم يحتج الى نفيه ونفى ما هو مقدور له وان كان غير جائز في حقه صلى الله عليه وسلم فقيل له عم قل ما يكون لي يصح لي ان ابدله من تلقاء من قبل نفسي مقتضيا استعمل ظرفا هنا ما يجب جليل النظر والذي هو يجب دقيقه ان نفي الثاني للاول دلالة فلا اقتصار في النفي ولا اكتفاء ببعض الجواب والله اعلم بالصواب ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل لقوله قل ما يكون لي لان المتبع لغيره في امر سيما الوحي لا يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخه بقرآن آخرون لما عضوا به في هذا السؤال من ان القرآن كلامه صلى الله عليه وسلم ومفتراه ولذلك قيد التبديل في الجواب بقوله من تلقاء نفسي وسماه عصيانا

واذا تتلى عليهم اياتنا بينات حال قال الذين لا يرجون لقاءنا لما غاظهم ما في القرآن من عبادة الاوثان والوعيد لاهل الطغيان ائت بقرآن غير هذا ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك او بدله بان تجعل مكان عذاب آية رحمة وان تسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها ● فامر بان يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان ● وهو ان يضع مكان آية عذاب آية رحمة ● وان تسقط ذكر الآلهة بقوله قل ما يكون لي ما يحل لي ان ابدله من تلقاء من قبل نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي لا اتبع الا وحي الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل لان الذي اتيته من عند الله لا من عندي فابدله اني اخاف ان عصيت ربي بالتبديل من عند نفسي عذاب يوم عظيم اي يوم القيمة ● و اما الاتيان بقرآن آخر فلا يقدر عليه الانسان وقد ظهر لهم العجز عنه الا انهم كانوا لا يعترفون بالعجز ويقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ● ولا يحتمل ان يريدوا بقوله ائت بقرآن غير هذا او بدله من جهة الوحي لقوله تعالى اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ● وغرضهم في هذا الاقتراح الكيد اما اقتراح ابدال قرآن بقرآن آخر ففيه انه من عندك فانك قادر على مثله فابدل مكانه آخر ● واما اقتراح التبديل فلاختبار الحال وانه وجد منه تبديل فيجعلوا التبديل حجة عليه ويصححوا افتراءه على الله المدارك

بقوله اني اخاف ان عصيت ربي اي بالتبديل عذاب يوم عظيم فيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح احا كمال

واذا تتلى عليهم التفات من خطابهم الى الغيبة اعراضا عنهم وتوجيها للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعديد جناياتهم المضادة لما اريد منهم بالاستخلاف من تكذيب الرسل والكفر بالآيات البينات وغير ذلك كدأب من قبلهم من القرون المهلكة ● وصيغة المضارع للدلالة على تجدد جوابهم الآتي حسب تجدد التلاوة آياتنا الدالة على حقيقة التوحيد وبطلان الشرك ● و الاضافة لتشريف المضاف والترغيب في الايمان به والترهيب عن تكذيبه بينات حال كونها واضحات الدلالة على ذلك ● و ايراد فعل التلاوة مبنيا للمفعول مسندا الى الآيات دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنائه للفاعل للاشعار بعدم الحاجة لتعيين التالي وللايذان بان كلامهم في نفس المتلو دون التالي قال الذين لا يرجون لقاءنا وضع الموصول موضع الضمير اشعارا بعلية ما في حيز الصلة للعظيمة المحكية عنهم وانهم انما اجترؤا عليها لعدم خوفهم من عقابه تعالى يوم اللقاء لانكارهم له ولما هو من مبادئه من البعث وذمّا لهم بذلك ● اي قالوا لمن تتلوها عليهم وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم

اي الذين طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم

من الغيظ

واما انهم لم يذكروا اذا انا بتعيينه ائت بقرآن غير هذا اشاروا بهذا الى القرآن المشتمل على تلك الآيات لا الى نفسها فقط قصدا الى اخراج الكل من البين اي ائت بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والحساب والجزاء وما نكرهه من ذم آلهتنا ومعايبها والوعيد على عبادتها او بدله بتغيير ترتيبه بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى خالية عنه ● وانما قالوه كيدا وطمعا في المساعدة ليتوسلوا به الى الالزام والاستهزاء قل لهم ما يكون لي اي ما يصح وما يستقيم لي ولا يمكنني اصلا ان ابدله من تلقاء نفسي اي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا ○

استعمل ظرفا ● وقرئ بفتح التاء ● وقصر الجواب ببيان امتناع ما اقترحوه على اقتراحهم الثاني للايذان بان استحالة ما اقترحوه اولا من الظهور بحيث لا حاجة الى بيانها وان التصدي لذلك مع كونه ضائعا ربما يعد من قبيل المجاراة مع السفهاء اذ لا يصدر مثل ذلك الاقتراح عن العقلاء ولان ما يدل على استحالة الثاني يدل على استحالة الاول بالطريق الاولى ان اتبع اي ما اتبع في شيء مما آتي واذر الا ما يوحى الي من غير تغيير له في شيء اصلا على معنى قصر حاله صلى الله عليه وسلم على اتباع ما يوحى اليه لا قصر اتباعه على ما يوحى اليه كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي ● وقد مر تحقيق المقام في سورة الانعام ● وهو تعليل لصدر الكلام فان من شأنه اتباع الوحي على ما هو عليه لا يستبد بشيء دونه قطعا ● وفيه جواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا به صلى الله عليه وسلم بهذا السؤال من ان القرآن كلامه صلى الله عليه وسلم ولذلك قيد التبديل في الجواب بقوله من تلقاء نفسي ● وسماه عصيانا عظيما مستتبعا لعذاب عظيم بقوله تعالى اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فانه تعليل لمضمون ما قبله من امتناع التبديل واقتصار امره صلى الله عليه وسلم على اتباع الوحي اي اخاف ان عصيته تعالى بتعاطي ما ليس لي من التبديل من تلقاء نفسي والاعراض عن اتباع الوحي عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة ويوم اللقاء الذي لا يرجونه ● وفيه اشعار بانهم استوجبوه بهذا الاقتراح والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم لتهويل امر العصيان واظهار كمال نزاهته صلى الله عليه وسلم عنه ● وايراد اليوم بالتنوين التفخيمي ● ووصفه بالعظم لتهويل ما فيه من العذاب وتفظيعه ● ولا مساغ لحمل مقترحهم على التبديل والاتيان بقرآن آخر من جهة الوحي بتفسير قوله تعالى ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي بانه لا يستسهل لي ان ابدله بالاستدعاء وغيره من قبلي لانه يرده التعليل المذكور لكن لان الاقتراح حينئذ ليس فيه معصية اصلا كما توهم فان استدعاء تبديل الآيات النازلة حسبما يقتضيه الحكمة التشريعية بعضها ببعض لا سيما عند اقتراح الكفرة مما لا ريب في كونه معصية بل لانه ليس فيه معصية الافتراء مع انها المقصودة بما ذكر في التعليل الآتي الى ما بعده من الآيتين الكريمتين فانه صريح في ان مقترحهم الاتيان بغير القرآن وتبديله بطريق الافتراء وان زعمهم في الاصل ايضا كذلك ● ابو السعود ●

واذا تتلى عليهم اياتنا بينات اي واضحات وهي القرآن قال الذين لا يرجون لقاءنا وهم كفار مكة ائت بقرآن غير لم يكن فيه ذم آلهتنا ولا فيه وعيد لنا ما يغيظنا نتبعك او بدله بان تجعل مكان آية العذاب آية الرحمة لا غير فامر الله تعالى نبيه بقوله قل ما يكون لي اي ما يجوز لي وما يصلح ان ابدله اي اجعل مكان آية العذاب آية الرحمة من تلقاء نفسي اي من قبل رأيي كما طلبتم مني وان كنت قادرا عليه لانه داخل تحت قدرتي لما فيه عصيان عظيم لامر الله وسكت من الجواب عن الاتيان بقرآن آخر لانه غير مقدور عليه الانسان ثم قال تأكيدا لنفي التبديل ان اتبع الا ما يوحى الي اي لا اعمل الا بما ينزل علي من آيات القرآن اني اخاف ان عصيت ربي بعمل ما لم اؤمر به عذاب يوم عظيم اي يوم القيمة حسن العيون

قال قتادة يعني مشركي مكة ● وقال مقاتل هم خمسة نفر عبد الله بن امية المخزومي ● والوليد بن المغيرة ● ومكرز بن حفص ● وعمرو بن عبد الله بن ابي قيس العامري ● والعاص بن عامر بن هشام قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تريد ان نؤمن بك فائت بقرآن ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها وان لم ينزلها الله فقل انت من عند نفسك او بدله فاجعل مكان آية عذاب آية رحمة او مكان حرام حلالا او حلالا حراما معالم

قوله غير هذا اي بكتاب آخر ليس فيه ما نكرهه من معائب آلهتنا وما نستبعده من البعث بعد موتنا او بدله اي غيره وتحوله بكان الآية المشتملة على ما لا نحبها آية اخرى يكون فيها ما نقول به واو للتخيير بين الامرين او للتنويع باختلاف القائلين قل ما يكون لي ما يتصور لعصمتي ان ابدله من تلقاء نفسي اي من قبلها اذ ليس الامر باختيارها عليها القارئ

قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته ولا أدراكم به ولا أعلمكم به على لساني أي أن تلاوته ليست إلا بمشيئة الله
لا بمشيئتي حتى أجعله على ما تشتهونه • وقرئ ولأدراكم بلام التأكيد أي لو شاء الله ما تلوته عليكم
ولأعلمكم الله على لسان غيري • والمعنى أنه الحق الذي لا محيص عنه لو لم أرسل به لأرسل به غيري • وقرئ ولا أدراتكم
على لغة من يقول أعطاته وأرضاته في أعطيته وأرضيته • وتعضده قراءة ابن عباس رض ولا أنذرتكم •
وقرئ ولا أدرأتكم به بالهمزة على لغة من يقلب الألف المبدلة من الياء همزة لأنهما من واد واحد • أو على أنه من
درأته إذا دفعته وأدرأته جعلته دارئا • ولا جعلتكم بتلاوته خصما تدرؤونني بالجدال وتكذبونني
لقد لبثت فيكم عمرا عمرا طويلا مقدارا أربعين سنة من قبله من قبل هذا القرآن لا أتلوه ولا أعلم شيئا • وهو
تقرير لكونه من إعلام الله تعالى وبمشيئته فإنه من نشأ بينهم وعاش فيهم هذه المدة لم يتعلم شيئا ولم يجالس
قط عالما ولم يمارس علما ولم ينشئ خطبة ولا قريضا • ثم أتى بكلام بذت فصاحته كل بليغ وعلا نظمه كل
منظوم ومنثور خارقا للعادة أعجز عن معارضته البلغاء عن آخرهم محتو على فنون العلوم والحكم ناطق
بغيوب لا يعلمها إلا الله مشتمل على أصول الكلام وفروعها يعرب عن أقاصيص الأولين وأحاديث الآخرين
على ما هي عليه علم أنه معلم من عند الله تعالى أفلا تعقلون فلا تستعملون عقلكم بالتأمل فيه فتعلمون أنه ليس إلا
من الله تعالى لا من مثلي ولا تتهموني بالافتراء على الله تعالى • ابن كمال •

قل لو شاء الله ما تلوته عليكم تحقيق
لحقيقة القرآن وكونه من عند الله تعالى
إثر بيان بطلان ما اقترحوا الإتيان به
واستحالته عبارة ودلالة • وإنما صدر
بالأمر استقلالا مع كونه داخلا تحت الأمر
السابق إظهارا لكمال الاعتناء بشأنه
وإيذانا باستقلاله مفهوما وأسلوبا
فإنه برهان دال على كونه بأمر الله تعالى
ومشيئته كما سيأتي • وما سبق مجرد
إخبار باستحالة ما اقترحوه • و
مفعول شاء محذوف ينبئ عنه
الجزاء لا غير ذلك كما قيل فإن مفعول
المشيئة إنما يحذف إذا وقعت شرطا
وكان مفعولها مضمون الجزاء • ولم يكن
في تعلقها به غرابة كما في قوله ولو شئت
أن أبكي دما لبكيته حيث لم يحذف
لعقد أن الشرط الأخير ولأن المستلزم
للجزاء أعني عدم تلاوته صلى الله عليه
وسلم للقرآن عليكم إنما هو مشيئته تعالى
له لا مشيئته لغير القرآن والمعنى أن
الأمر كله منوط بمشيئته تعالى
وليس لي منه شيء قط ولو شاء
عدم تلاوتي له عليكم لا بأن شاء
عدم تلاوتي له من تلقاء نفسي
بل بأن لم ينزله علي ولم يأمرني

قل لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني أن تلاوته ليست إلا بمشيئة الله
تعالى وإظهاره أمرا عجيبا خارجا عن العادات وهو أن يخرج
رجل أمي لم يتعلم ولم يشاهد العلماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا
يغلب كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم
مشحونا بعلوم الأصول والفروع والأخبار عن الغيوب
التي لا يعلمها إلا الله ولا أدراكم به ولا أعلمكم الله بالقرآن
على لساني فقد لبثت فيكم عمرا من قبله من قبل نزول القرآن
أي فقد أقمت فيما بينكم أربعين سنة ولم تعرفوني
متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواضعا
بعلم وبيان فتتهموني باختراعه أفلا تعقلون فتعلموا أنه
ليس إلا من عند الله تعالى لا من مثلي • وهذا جواب عما دسوه
تحت قوله ائت بقرآن غير هذا من إضافة الافتراء إليه انتهى
المدارك
وفي معالم التنزيل للإمام البغوي رحمه الله لبث النبي صلى الله
عليه وسلم قبل الوحي أربعين سنة • ثم أوحي إليه فأقام بمكة
بعد الوحي ثلاث عشرة سنة • ثم هاجر فأقام بالمدينة
عشر سنين • وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة • وروى
أنس رض أنه أقام بعد الوحي بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين
وتوفي وهو ابن ستين سنة والأول أشهر وأظهر انتهى

بتلاوته كما ينبئ عنه إيثار التلاوة على القراءة ما تلوته عليكم ولا أدراكم به أي ولا أعلمكم به بواسطتي
والتالي وهو عدم التلاوة والإدراء منتف فينتفي المقدم أعني مشيئته عدم التلاوة ولا يخفى
أنها مستلزمة لعدم مشيئة التلاوة قطعا فانتفاؤها مستلزم لانتفائه حتما وانتفاء عدم مشيئته الإدلاء
إنما يكون بمشيئة التلاوة فثبت أن تلاوته صلى الله عليه وسلم للقرآن بمشيئته تعالى وأمره • وإنما قيدنا الإدراء
بكونه بواسطته صلى الله عليه وسلم لأن عدم الإعلام مطلقا ليس من لوازم الشرط الذي ••

من لوازم الشرط الذي هو مشيئة عدم تلاوته صلى الله عليه وسلم فلا يجوز نظمه في سلك الجزاء • وفي إسناد
عدم الإدراء إليه تعالى المنبئ عن استناد الإدراء إليه تعالى إيذان بأن لا دخل له صلى الله عليه وسلم حسبما يقتضيه المقام •
وقرئ ولا أدرأتكم ولا أدرأكم بالهمزة فيهما على لغة من يقول أعطأت وأرضأت في أعطيت وأرضيت • أو على أنه
من الدرء بمعنى الدفع أي ولا جعلتكم بتلاوته عليكم خصماء تدرؤونني بالجدال • وقرئ ولا أنذرتكم به • وقرئ
ولأدراكم بلام الجواب أي لو شاء الله ما تلوته عليكم أنا ولأعلمكم به على لسان غيري على معنى أنه الحق الذي
لا محيص عنه لو لم أرسل به أنا لأرسل به غيري البتة • أو على معنى أنه تعالى يمن على من يشاء فخصني بهذه الكرامة
فقد لبثت فيكم عمرا تعليل للملازمة المستلزمة لكون تلاوته بمشيئة الله تعالى وأمره حسبما بين آنفا لكن لا بطريق
الاستدلال عليها بعكس تلاوته صلى الله عليه وسلم فيما سبق بسبب عدم مشيئته تعالى إياه بل بطريق الاستشهاد عليها
بما شاهدوا منه صلى الله عليه وسلم في تلك المدة الطويلة من الأمور الدالة على استحالة كون التلاوة من
جهته صلى الله عليه وسلم بلا وحي • وعمرا نصب على التشبيه بظرف الزمان والمعنى قد أقمت فيما بينكم دهرا مديدا
مقدار أربعين سنة تحفظون تفاصيل أحوالي طرا وتحيطون بما لدي خبرا من قبله أي من قبل نزول
القرآن لا أتعاطى شيئا مما يتعلق به لا من حيث نظمه المعجز ولا من حيث معناه الكاشف عن أسرار الحقائق
وأحكام الشرائع أفلا تعقلون أي ألا تلاحظون ذلك فلا تعقلون امتناع صدوره عن مثلي • ووجوب كونه
منزلا من عند الله العزيز الحكيم فإنه غير خاف على من له عقل سليم • والحق الذي لا محيد عنه أن من له
أدنى مسكة من العقل إذا تأمل في أمره صلى الله عليه وسلم وأنه نشأ فيما بينهم هذا الدهر الطويل من غير
مصاحبة العلماء في شأن من الشؤون ولا مراجعة إليهم في فن من الفنون ولا مخالطة البلغاء في المفاوضة
والحوار ولا خوض معهم في إنشاء الخطب والأشعار ثم أتى بكتاب بهرت فصاحته كل فصيح فائق • وبذت بلاغته
كل بليغ رائق وعلا نظمه كل منثور ومنظوم • وحوت فحواه بدائع أصناف العلوم • كاشف عن أسرار الغيب
من وراء أستار الكون • ناطق بأخبار ما قد كان وما سيكون • مصدق لما بين يديه من الكتب المنزلة
مهيمن عليها في أحكامها المفصلة والمجملة • لا يبقى عنده شائبة اشتباه في أنه وحي منزل من عند الله تعالى
هذا هو الذي اتفقت عليه كلمة الجمهور ولكن الأنسب بناء الجواب فيما سلف على مجرد امتناع صدور التغيير
والتبديل عنه صلى الله عليه وسلم لكونه معصية موجبة للعذاب العظيم واقتصارا حاله صلى الله عليه وسلم
على اتباع الوحي وامتناع الاستبداد بالرأي من غير تعرض هناك ولا ههنا لكون القرآن في نفسه أمرا خارجا
عن طوق البشر ولا لكونه صلى الله عليه وسلم غير قادر على الإتيان بمثله أن يستشهد ههنا على المطلب بأحواله
من أحواله المستمرة في تلك المدة المتطاولة من كمال نزاهته صلى الله عليه وسلم عما يوهم شائبة صدور الكذب
والافتراء عنه في حق أحد كائنا من كان كما ينبئ عنه تعقيبه بتظليم المفتري على الله تعالى والمعنى قد لبثت فيما
بينكم قبل الوحي لا أتعرض لأحد قط بتحكم ولا جدال ولا أحوم حول مقال فيه شائبة شبهة فضلا عما فيه كذب
أو افتراء ألا تلاحظونه فلا تعقلون أن من هذا شأنه المطرد في هذا العهد البعيد مستحيل أن يفتري
على الله عز وجل ويتحكم على كافة الخلق بالأوامر والنواهي الموجبة لسلب الأموال وسفك الدماء ونحو ذلك
وأن ما أتي به وحي مبين تنزيل من رب العالمين • ابو السعود افندي رحمه الله
قل لو شاء الله ما تلوته أي لو شاء الله لم يعلمني أن القرآن ليس من تلقاء نفسي أي ما قرأت القرآن عليكم ولا أدراكم أي ولا أعلمكم بالقرآن
ويرسلكم على الكفر لو لم يجعلني رسولا إليكم • وقرئ ولأدراكم بغير ألف أي لو شاء الله لأعلمكم على لسان غيري لكنه من علي
بالرسالة فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أي قبل نزول القرآن ولم آتكم بشيء أفلا تعقلون أنه ليس من قبلي • قيل لبث
النبي صلى الله عليه وسلم فيهم قبل الوحي أربعين سنة ثم أوحي إليه فأقام بمكة بعد الوحي ثلاث عشرة سنة ثم هاجر فأقام
بالمدينة عشر سنين وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة • من العيون

ومن دون متعلق بيعبدون ومحله النصب على الحالية من فاعله اي متجاوزين الله سبحانه لا بمعنى ترك عبادته
بالكلية بل بمعنى عدم الاكتفاء بها وجعلها قرينا لعبادة الاصنام كما يفصح عنه سياق النظم الكريم ما لا يضرهم ولا ينفعهم
اي ما ليس من شانه الضر والنفع من الاصنام التي هي جمادات • وما موصولة او موصوفة • وتقديم نفي الضرر
لان ادنى احكام العبادة دفع الضرر الذي هو اول المنافع والعبادة امر حادث مسبوق بالعدم الذي
هو مظنة الضرر فحيث لم يقدر الاصنام على الضرر لم يوجد لاحداث العبادة سبب • وقيل لا يضرهم ان تركوا
عبادتها ولا ينفعهم ان عبدوها • كان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة عزى ومناة وهبل و
اسافا ونائلة ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله عن النضر بن الحرث اذا كان يوم القيمة يشفع لي اللات
قيل انهم كانوا يعتقدون ان المتولي لكل اقليم روح معين من ارواح الافلاك فعينوا لذلك الروح
صنما معينا من الاصنام واشتغلوا بعبادته قصدا الى عبادة الكواكب • وقيل انهم وضعوا طلسمات
معينة على تلك الاصنام ثم تقربوا اليها • وقيل انهم وضعوا هذه الاصنام على صور انبيائهم
واكابرهم وزعموا انهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فان اولئك الاكابر يشفعون
لهم عند الله تعالى قل تبكيتا لهم اتنبئون الله بما لا يعلم اي اتخبرونه بما لا وجود له اصلا وهو كون
الاصنام شفعاءهم عند الله تعالى اذ لولاه لعلمه علام الغيوب • وفيه تقريع لهم وتهكم بهم
وبما يدعونه من المحال الذي لا يكاد يدخل تحت الصحة والامكان • وقرئ اتنبئون بالتخفيف
وقوله تعالى في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف في يعلم مؤكدة للنفي لان ما لا يوجد
فيهما فهو منتف عادة سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم المستلزم لتلك المقالة الباطلة
او عن شركائهم الذين يعتقدونهم شفعاءهم عند الله تعالى • وقرئ تشركون
بتاء الخطاب على انه من جملة القول المامور به وعلى الاول هو اعتراض تذييلي من جهته
سبحانه وتعالى • واشتغلوا بعبادته ومقصودهم ذلك الروح ثم اعتقدوا
ان ذلك الروح يكون عند الاله الاعظم مشتغلا بعبوديته • وقيل انهم كانوا
يعبدون الكواكب فوضعوا لها اصناما معينة
صح
ابو السعود

فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم ان معه شريكا او ولدا او كذب باياته اي بمحمد والقرآن
انه لا يفلح المجرمون اي لا ينجو المشركون قيل هو مسيلمة الكذاب واتباعه ويعبدون من دون الله
ما لا يضرهم ان عصوه وتركوا عبادته وهو الاصنام ولا ينفعهم ان عبدوه ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله يشفعون لنا في الاخرة قل اتنبئون الله اي تخبرونه بما لا يعلم صحته في السموات ولا في الارض
من شفاعة الهتكم اما تعلمون انها لا يكون ابدا • او اتخبرون الله بان له شريكا فيهما سبحانه وتعالى
عما يشركون بالياء والتاء وكذا في سورة النحل في موضعين وفي سورة الروم • من العيون

فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته كناية منه صلى الله عليه وسلم ومنهم اي من اظلم مني ان افتريت على
الله كذبا ومنهم بتكذيبهم بايات الله تعالى • وقد سبق في تفسير سورة البقرة وجه هذا الطريق الاستفهامية في مقام
المبالغة • واما ما قيل تظليم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم انه ذو شريك وذو ولد فاباه التصدير بالفاء
الدالة على ترتيب الكلام على ما سبق • وانما ذكر قول كذبا مع ان الافتراء لا يكون الا كذلك اظهارا لما فيه من جهتي القبح
انه لا يفلح المجرمون لا يظفرون بمطلوب ولا يصلون الى مامول ولا يامنون من محذور ويعبدون من دون الله
ما لا يضرهم ولا ينفعهم اي الاوثان لانها جمادات لا تضرهم ان تركوا عبادتها ولا ينفعهم ان عبدوها ومن خواص
المعبود ان يكون قادرا على النفع والضر مثيبا على الطاعة معاقبا ويقولون هؤلاء الاوثان شفعاؤنا
عند الله تشفع لنا في الاخرة • وعن نضر بن الحارث اذا كان يوم القيمة شفعت لي اللات والعزى • ومن زاد على
هذا قوله ان يكون بعث وكانهم كانوا شاكين فيه فقد اتى بشيء عجاب كما لا يخفى على ذوي الالباب قل اتنبئون
الله اتخبرونه بما لا يعلم اي بما لا وجود له اصلا وهو ان له شركاء انباهم الله تعالى تهكم بهم وتقريع لهم باخبارهم
علام الغيوب بما ادعوه من المحال الذي هو وجود الشركاء وشفاعتهم عند الله تعالى واعلام ببطلانه واستحالته
بان ما لا يتعلق علمه به لم يكن شيئا اصلا لان علمه تعالى محيط بجميع الاشياء • ولا حاجة في تحسين هذا الكلام الى تفسير
الشيء بما يعلم ويخبر عنه في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي لان ما لم يوجد فيهما
فهو منتف لعدم صحته بل لما جرى به العرف ثم انه يقال عند تاكيد النفي ليس هذا في السماء ولا في الارض فلا حاجة
الى الالتزام بكون الكلام الزاميا ودعوى ان الامر كذلك في اعتقاد المخاطبين سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن
الشركاء الذين يشركونهم به • ابن كمال باشا

فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا يحتمل ان يريد افتراء المشركين
على الله في انه ذو شريك وذو ولد • وان يكون تفاديا
مما اضافوه اليه من الافتراء او كذب باياته بالقرآن • وفيه بيان
ان الكاذب على الله والمكذب باياته في الكفر سواء انه لا يفلح المجرمون
ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ان تركوا عبادتها ولا ينفعهم
ان عبدوها ويقولون هؤلاء اي الاصنام شفعاؤنا عند الله
اي في امر الدنيا ومعيشتها لانهم كانوا لا يقرون بالبعث [illegible]
بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت • او يوم القيمة ان
يكن بعث ونشور قل اتنبئون الله بما لا يعلم اتخبرونه
بكونهم شفعاء عنده • وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا
لم يكن معلوما له وهو عالم بجميع المعلومات لم يكن شيئا وقوله
في السموات ولا في الارض تاكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيهما
فهو منتف معدوم سبحانه وتعالى عما يشركون نزه ذاته عن ان يكون له
شريك وبالتاء حمزة وعلي وما موصولة او مصدرية اي عن
الشركاء الذين تشركونهم • او عن اشراكهم مدارك

فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا استفهام
انكاري معناه الجحد اي لا احد اظلم منه على
معنى انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك
التركيب منفيا لانكار ان يكون احد اظلم منه
من غير تعرض لانكار المساواة • ونفيها •
فانه اذا قيل من افضل من فلان او لا اعلم
يفهم منه حتما انه افضل من كل فاضل و
اعلم من كل عالم • وزيادة قوله كذبا مع
ان الافتراء لا يكون الا كذلك للايذان
بان ما اضافوه اليه ضمنا وحملوه عليه اللازم
عليه صريحا مع كونه افتراء على الله تعالى
كذب في نفسه • فرب افتراء يكون كذبه
في الاسناد فقط كما اذا اسند ذنب زيد
الى عمرو • وهذا للمبالغة منه صلى الله عليه وسلم
في التفادي مما ذكر من الافتراء على الله سبحانه
او كذب باياته فكفر بها • وهذا تظليم
للمشركين بتكذيبهم للقرآن وحملهم على انه
من جهته صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب
الكلام على ما سبق من بيان كون القرآن
بمشيئته تعالى وامره فلا مجال لحمل الافتراء
على الافتراء باتخاذ الولد والشريك اي واذا
كان الامر كذلك فمن افترى عليه تعالى بان يختلق كلاما فيقول هذا من عند الله • او يبدل بعض اياته تعالى ببعض
كما يجوزون ذلك في شاني وكذلك من كذب باياته تعالى كما تفعلونه اظلم من كل ظالم انه الضمير للشان وقع اسم ان
والخبر ما يعقبه من الجملة • ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره • وفائدة تصديرها به للايذان بفخامة
مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا
لما يعقبه فيتمكن عند وروده عليه فضل تمكن فكانه قيل ان الشان هذا اي لا يفلح المجرمون اي لا ينجون من محذور و
لا يظفرون بمطلوب • والمراد جنس المجرمين فيندرج فيه المفتري والمكذب اندراجا اوليا • ويعبدون من دون الله
حكاية لجناية اخرى لهم نشات عن جنايتهم الاولى معطوفة على قوله تعالى واذا تتلى عليهم الاية عطف قصة على قصة

وما كان الناس الا امة واحدة موحدين على الفطرة من غير اختلاف بينهم وذلك في عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل • وقيل بعد الطوفان حين لم يذر من الكافرين ديارا • ومبني هذا على عدم ما فاته الطوفان وتمامه موقوف على ان يكون نوح عم مبعوثا لكافة الانام حتى يلزم الكفر لمن يتبعه ولا يخفى ما فيه من الكلام فاختلفوا باتباع الهوى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين على ما مر في سورة البقرة • ثم وهي ان اختلافهم بعثة الرسول وما فهم انه مخالف لنص القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك قضاء جرى في الازل بتاخير الفصل والحكم بينهم الى يوم القيمة بمجال التروي والعمل في دار التكليف لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون بتمييز الحق عن الباطل باتباع الحق واهلاك المبطل • عدل عن صيغة الماضي الى صيغة المضارع حكاية للحال الماضية وقصدا الى الاستمرار ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه ارادوا به آية من الآيات العظام المتكاثرة التي لم ينزل مثلها على احد من الانبياء عليهم السلام قبله خصوصا القرآن المعجز على وجه الدوام وغير معتدين به عنادا ومكابرة بل جعلوا نزوله هلا نزوله وكانه لم ينزل عليه آية قط حتى قالوا لولا نزل عليه آية بتنكير آية للتحقير اي آية ما وكذا وشيء من جنس الآية وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي فقل انما الغيب لله

وما كان الناس الا امة واحدة حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير ان يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم عم الى ان قتل قابيل هابيل • او بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا فاختلفوا فصاروا مللا ولولا كلمة سبقت من ربك وهو تاخير الحكم بينهم الى يوم القيمة لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون فيما اختلفوا فيه ولميز الحق من المبطل وسبق كلمته لحكمة • وهي ان هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي آية من الآيات التي اقترحوها فقل انما الغيب لله اي هو المختص بعلم الغيب فهو العالم بالصارف عن انزال الآيات المقترحة لا غير فانتظروا نزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات واذا اذقنا الناس اهل مكة رحمة خصبا وسعة من بعد ضراء مستهم يعني القحط والجوع اذا لهم مكر في آياتنا اي مكروا بآياتنا بدفعها وانكارها روي ان الله تع سلط القحط سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحياء فلما رحمهم طفقوا يطعنون في آيات الله ويعادون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه فاذا الاولى للشرط والثانية جوابها وهي للمفاجاة وهو كقوله تعالى وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون اي وان تصبهم سيئة قنطوا واذا اذقنا الناس رحمة مكروا والمكر اخفاء الكيد وطيه ماخوذة من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم وانما قال قل الله اسرع مكرا لم يصفهم بسرعة المكر لان كلمة المفاجاة

اي اني لا اعلم المانع من انزالها فانه غيب ولا يعلمه الا الله • وما قيل فعله يعلم في انزالها من مفاسد تقرف عنه لا تستطيع مع قوله فانتظروا نزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين ما يفعل الله بكم من العذاب بجحودكم الآيات العظام واقتراحكم غيرها تعنتا واذا اذقنا الناس رحمة من خصب وامن وصحة من بعد ضراء من القحط والشدة والمرض مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها اذا لهم مكر في آياتنا وطيه قد سبق في تفسير سورة الاعراف بيان معنى المكر وما به يفارق الكيد • واذا الاولى شرطية والثانية للمفاجاة وقعت جوابا للشرط • قيل سلط الله تع القحط على اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحياء فطفقوا يقدحون في آيات الله تعالى ويكرون رسوله صلى الله عليه وسلم قل الله اسرع مكرا انما قال اسرع مكرا يعني منكم لان معنى المفاجاة قد دل على السرعة ففضل عليها اي فاجاؤوا في وقت اذاقة الرحمة المكر وسارعوا اليه قبل ان ينفضوا عن رؤوسهم غبار الضراء • ومعناه انه قد دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل ان تدبروا كيدكم في اخفاء نور الاسلام والمكر من الله تع جزاء مكرهم واخذهم بغتة بعد الاستدراج ان رسلنا يكتبون ما تمكرون اعلام بان ما دبروا في اخفائه من مقدمات المكر لم يخف على الحفظة فضلا عن ان يخفى على الله

ط

وما كان الناس الا امة واحدة اي على الاسلام على عهد آدم عم ثم على عهد نوح عم بعد الغرق اذ لم يذر الله من الكافرين ديارا فكانوا كلهم مسلمين فاختلفوا اي تفرقوا الى مؤمن وكافر ولولا كلمة سبقت من ربك بان جعل لكل امة اجلا وان لا يهلكهم الا باجلهم لقضي بينهم في وقت اختلافهم بنزول العذاب وتعجيل عقوبة المكذبين وكان ذلك فصلا بينهم فيما فيه يختلفون وقيل معناه لولا كلمة انه لا يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب دون القيمة لقضي بينهم في الدنيا فادخل المؤمن الجنة والكافر النار ولكنه سبق من الله الاجل فجعل موعدهم يوم القيمة ويقولون لولا انزل عليه اي هلا انزل على محمد آية من ربه اي من الآيات التي اقترحها اي طلبنا منه وذلك حين قال عبد الله بن امية لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا فقل انما الغيب لله اي انما سالتموني الغيب وهو نزول الآية وعلمه مختص بالله لا يعلمه احد غيره فانتظروا اني معكم من المنتظرين وقيل معناه فانتظروا قضاء الله بيننا باظهار الحق على الباطل ثم قال ايماء الى ظلمهم وعدم اغماضهم عليه واذا اذقنا الناس اي كفار مكة وغيرهم رحمة اي مطرا او راحة من بعد ضراء اي بؤس وقحط وبلاء وآفة مستهم اي اصابتهم اذا لهم مكر وهو اخفاء الكيد وانما الشرط اي فاجاهم المكر وهو التكذيب والاستهزاء في آياتنا اي في نعمنا النازلة عليهم وقولهم سقينا بنوء كذا ولما نفى [redacted] اذا المفاجاة معنى الاسراع قال بان الله اسرع مكرا اي اخذا وعقوبة مما ياتي منكم في دفع الحق ان رسلنا اي حفظتنا الملائكة يكتبون ما تمكرون من القول الكذب في شان الحق من العيون

وما كان الناس الا امة واحدة بيان لان التوحيد والاسلام ملة قديمة اجمعت عليها الامم قاطبة فطرة
وتشريعا • وان الشرك وفروعه جهالات ابتدعها الغواة خلافا للجمهور وشقا لعصا الجماعة • واما حمل
اتحادهم على الاتفاق على الضلال عند الفترة واختلافهم على ما كان منهم من الاتباع والاصرار فمما
لا احتمال له اى وما كان الناس كافة من اول الامر الا متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف
وذلك من عهد آدم عم الى ان قتل قابيل هابيل • وقيل الى زمن ادريس وقيل الى زمن نوح عليهما السلام
وقيل من حين الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا الى ان ظهر فيما بينهم الكفر • وقيل من لدن
ابراهيم عم الى ان اظهر عمرو بن لحي عبادة الاصنام • فالمراد بالناس العرب خاصة وهو الانسب
بايراد الاية الكريمة اثر حكاية ما حكى عنهم من الهنات وتنزيه ساحة الكبرياء عن ذلك فاختلفوا بان كفر بعضهم
وثبت آخرون على ما هم عليه فخالف كل من الفريقين الاخر لا ان كلا منهما احدث ملة على حدة من ملل الكفر مخالفة
لملة الاخر فان الكلام ليس في ذلك الاختلاف اذ كل منهما مبطل حينئذ فلا يتصور ان يقضى بينهما بابقاء
المحق واهلاك المبطل • والفاء التعقيبية لا تنافي امتداد زمان الاتفاق اذ المراد بيان وقوع الاختلاف
عقيب انصرام مدة الاتفاق لا عقيب حدوث الاتفاق ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير القضاء بينهم
او بتاخير العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون بتمييز
الحق عن الباطل بابقاء المحق واهلاك المبطل • وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية والدلالة على الاستمرار
ويقولون حكاية لجناية اخرى لهم معطوفة على قوله تعالى ويعبدون • وصيغة المضارع لاستحضار صورة
مقالتهم الشنعاء والدلالة على الاستمرار والقائلون اهل مكة لولا انزل عليه آية من ربه ارادوا آية من
الايات التي اقترحوها كانهم لفرط العتو والعناد وغاية التمادي في المكابرة والعناد لم يعدوا البينات
النازلة عليه صلى الله عليه وسلم من جنس الايات واقترحوا غيرها مع انه قد انزل عليه من الايات الباهرة
والمعجزات المتكاثرة ما يضطرهم الى الانقياد والقبول لو كانوا من ارباب العقول فقل لهم في الجواب انما الغيب لله
اللام للاختصاص العلمي دون التكويني فان الغيب والشهادة في ذلك الاختصاص سيان والمعنى ان ما
اقترحتموه وزعمتم انه من لوازم النبوة وعلقتم ايمانكم بنزوله من الغيب المختصة بالله سبحانه لا وقوف لي عليه
فانتظروا نزوله انى معكم من المنتظرين اى لما يفعل الله بكم لاجترائكم على مثل هذه العظيمة من جحود الايات
واقتراح غيرها وجعل الغيب عبارة عن الصارف عن انزال الايات المقترحة ياباه ترتيب الامر بالانتظار
على اختصاص الغيب به تعالى واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم اى خالطتهم حتى
احسوا بسوء اثرها فيهم • واسناد المساس الى الضراء بعد اسناد الاذاقة الى ضمير الجلالة من الاداب القرآنية
كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره • قيل سلط الله تعالى على اهل مكة القحط سبع سنين حتى كادوا
يهلكون ثم رحمهم الله بالحيا فطفقوا يطعنون في آياته تعالى ويعادون رسوله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه
وذلك قوله تعالى اذا لهم مكر في آياتنا اى بالطعن فيها وعدم الاعتداد بها والاحتيال في دفعها • واذا الاولى شرطية
والثانية جوابها كانه قيل فاجؤوا وقوع المكر منهم • وتنكير مكر للتفخيم • وفي متعلقة بالاستقرار الذي هو متعلق
به اللام قل الله اسرع مكرا اى اعجل عقوبة اى عذابه اسرع وصولا اليكم مما ياتي منكم في دفع الحق • وتسمية
العقوبة بالمكر لوقوعها في مقابلة مكرهم وجودا او ذكرا ان رسلنا الذين يحفظون اعمالكم والاضافة
للتشريف يكتبون ما تمكرون اى مكركم • او ما تمكرونه وهو تحقيق للانتقام منهم وتنبيه على ان ما دبروا
في اخفائه غير خاف على الحفظة فضلا عن العليم الخبير • وصيغة الاستقبال في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي
والجملة تعليل من جهته تعالى لاسرعية مكره سبحانه غير داخل في الكلام الملقن كقوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا
فان كتابة الرسل لما يمكرون من مبادي بطلان مكرهم وتخلف اثره عنه بالكلية • وفيه من المبالغة ما لا يوصف
وتلوين الخطاب بصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم للتشديد في التوبيخ • وقرئ على لفظ الغيبة
فيكون حينئذ تعليلا لما ذكر او للامر • ابو السعود •
فيكون من باب المشاكلة منه فيكون من باب تسمية الشيء باسم سببه

والالتفات الى الغيبة للايذان بما لهم من سوء الحال الموجب للاعراض عنهم كانه يذكر لغيرهم مساوي احوالهم ليعجبهم منها ويستدعي منه الانكار والتقبيح • وقيل ليس فيه التفات بل معنى قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك اذا كان بعضكم فيها اذ الخطاب للكل ومنهم المسيرون في البر فالضمير الغائب عائد الى ذلك المضاف المقدر كما في قوله تعالى او كظلمات في بحر لجي يغشاه اي او كذي ظلمات يغشاه موج بريح طيبة لينة الهبوب موافقة لمقصدهم وفرحوا بها بتلك الريح لطيبها وموافقتها جاءتها جواب اذا والضمير المنصوب للريح الطيبة اي تلقتها وتسلطت عليها من طرف لها فان الهبوب على وفقها لا يسمى مجيئا للريح اخرى عادة بل هو استداد للريح الاولى • وقيل للفلك والاول اظهر لاستلزامه للتاني من غير عكس لان الهبوب على طريقة الريح اللينة يعد مجيئا بالنسبة الى الفلك دون الريح اللينة مع انه لا يستتبع تلاطم الامواج الموجب لمجيئها من كل مكان • ولان التهويل في بيان استيلائها على ما فرحوا به وعلقوا به حبال رجائهم اكثر ريح عاصف اي ذات عصف • وقيل العصوف مختص بالريح فلا حاجة الى الفارق • وقيل الريح قد يذكر وجاءهم الموج في الفلك من كل مكان اي من امكنة مجيء الموج عادة • ولا تعد في مجيئه من جميع الجوانب ايضا اذ لا يجب ان يكون مجيئه من جهة هبوب الريح فقط بل قد يكون من غيرها بحسب اسباب تتفق وظنوا انهم احيط بهم اي هلكوا فان ذلك مثل في الهلاك واصله احاطة العدو بالحي • او سدت عليهم مسالك الخلاص دعوا الله بدل من ظنوا بدل اشتمال لما بينهما من الملابسة والتلازم • او استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا صنعوا فقيل دعوا الله مخلصين له الدين من غير ان يشركوا به شيئا من الهتهم لا مخلصين للدعاء به تعالى فقط بل للعبادة ايضا فانهم بمجرد تخصيص الدعاء به تعالى لا يكونون مخلصين له الدين لئن انجيتنا اللام موطئة للقسم على ارادة القول اي قائلين والله لئن انجيتنا من هذه الورطة لنكونن البتة بعد ذلك ابدا من الشاكرين لنعمك التي من جملتها هذه النعمة المسؤولة • وقيل الجملة مفعول دعوا لان الدعاء من قبيل القول والاول هو الاولى لاستدعاء الثاني لاقتصار دعائهم على ذلك فقط وفي قوله تعالى لنكونن من الشاكرين من المبالغة في الدلالة على كونهم ثابتين في الشكر مثابرين عليه منتظمين في سلك المنعوتين بالشكر الراسخين فيه ما ليس في ان يقال لنشكرن فلما انجاهم مما غشيهم من الكربة • والفاء للدلالة على سرعة الاجابة اذا هم يبغون في الارض اي فاجؤا الفساد فيها وسارعوا اليه مترامين في ذلك مجاوزين عما كانوا عليه من حدود والعيث من قولهم بغى الجرح اذا ترامى في الفساد • وزيادة في الارض للدلالة على شمول بغيهم لاقطارها • وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقوله بغير الحق تاكيد لما يفيده البغي • او معناه انه بغير الحق عندهم ايضا بان يكون ذلك ظلما ظاهرا لا يخفى قبحه على احد كما في قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير الحق • واما ما قيل من انه للاحتراز عن البغي بحق كتخريب الغزاة ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زروعهم فلا يساعده النظم الكريم لابتنائه على كون البغي بمعنى افساد صورة الشيء وابطال منفعته دون ما ذكر من المعنى اللائق بحال المفسدين اسحاق

هو الذي يسيركم اي يمكنكم السير • وقرئ ينشركم من النشر وهو البث اي يبثكم والاداب في البر على الدواب والاقدام والبحر في السفن ويحفظكم فيها حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم اي وجرت السفن بالناس فالفلك جمع هنا ولذا قال جرين بهم بريح طيبة اي لينة وفيه التفات من الخطاب الى الغيبة مبالغة في تعريف نعمه عليهم وفرحوا بها اي بتلك الريح جاءتها اي السفينة ريح عاصف اي شديدة ولم يقل عاصفة لاختصاص الريح بالعصوف وجاءهم الموج من كل مكان اي من كل ناحية وظنوا اي ايقنوا انهم احيط بهم اي دنوا من الهلاك دعوا الله مخلصين له الدين اي اخلصوا في الدعاء لله ولم يدعوا احدا سواه يقولون لئن انجيتنا من هذه اي من الريح العاصف او من هذه الشدة لنكونن من الشاكرين لك من الايمان والطاعة فلما انجاهم اي من البلاء التي يخافونها اذا هم يبغون اي يظلمون الناس ويتجاوزون الى غير امر الله في الارض بغير الحق اي بعبادة غير الله والدعاء له والعمل بالمعاصي والفساد ثم خاطبهم توبيخا لهم وتهديدا يا ايها الناس

من العيون

نعمه تجد بها في البر ف ...

هو الذي يسيركم في البر يمكنكم من السير فيه بان جعل لكم الارض ذلولا تمشون في مناكبها • وقرئ ينشركم من النشر والبحر ولما كان السير فيه اغرب والى ظهور اثار القدرة والرحمة اقرب خصه بالتفصيل فقال حتى اذا كنتم في الفلك في السفن • وحتى على القراءتين الثانية لبيان ان غاية التسيير مضمون الجملة الشرطية والالتفات وجرين بهم اي بمن فيها للمبالغة في جريي الفلك بامرائهم كانه ذكرها ووقوعهم في الغيبة معا بسرعة الجري في تقبيح حالهم عنده لمنا اذا اعرض المتكلم عن المخاطب وحكى لغيره سوء صنيعه وقلة حيائه كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم سوء صنيعه والتقبيح • ولكن ان تقول في وجه الالتفات ان قوله هو الذي يسيركم في البر والبحر يؤمنون والكفار والخطاب شامل لهم فحسن خطابهم بذلك ليستديم الصالح الشكر ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة فرجع فلما ذكرت حالة آل الامر في اخرها الى ان الملتبس بها هو باغ في الارض بغير الحق عدل عن الخطاب الى الغيبة حتى لا يكون المؤمنون مخاطبين بصدور مثل هذه الحالة بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديد الهبوب ويجوز ان يكون الضمير للفلك ولا يلائمه قوله وجاءهم الموج لما فيه من تخصيص مجيء الريح بالسفينة ومجيء الموج بمن فيها بلا نكتة يقتضيها بل معنى مجيء الموج من جهات متقابلة يستدعي ان يكون الضمير للريح الطيبة حتى يفيد معنى التقابل والتدافع بين الريحين فيحصل المبالغة في التجاج البحر واضطراب امواجها المقصودة من قوله من كل مكان فان

وانما يلي قراءة ... الى التاويل ... لان الكون ... بعلمه ... في السفن ... غاية التسيير ... لتسيير ... معه ... من البر ... الاولى فلا حاجة

هو الذي يسيركم في البر والبحر يجعلكم قادرين على قطع المسافات بالارجل والدواب والفلك الجارية في البحار ويخلق فيكم السير يبشركم تامي حتى اذا كنتم في الفلك اي السفن وجرين اي السفن بهم بمن فيها رجوع من الخطاب الى الغيبة للمبالغة بريح طيبة لينة الهبوب لا ضعيفة ولا عاصفة وفرحوا بها بتلك الريح للينها واستقامتها جاءتها الفلك او الريح الطيبة اي تلقتها ريح عاصف ذات عصف اي شديدة الهبوب وجاءهم الموج هو ما على على الماء من كل مكان من البحر او من جميع امكنة الموج وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا جعل احاطة العدو مثلا في الهلاك دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ معه غيره يقولون لئن انجيتنا من هذه الاهوال او من هذه الريح لنكونن من الشاكرين لنعمتك مؤمنين بك متمسكين بطاعتك ولم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر ولكن مضمون الجملة الشرطية بعد حتى بما في حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكانت كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الامواج والظن للهلاك والدعاء بالانجاء • وجواب اذا جاءتها • ودعوا بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم للهلاك فهو ملتبس به فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض يفسدون فيها بغير الحق باطلا اي مبطلين • اسهل المدارك

عبارة كل في مثل هذا المقام للمبالغة والتخمين والتعميم لا للاحاطة • ومن غفل عنه قيد الكلام بقوله مجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم سدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو مثل في الهلاك فاستعمل مكانه دعوا الله بدل من ظنوا بدل اشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم مخلصين له الدين موجودين بلا اشراك لصفاء الفطرة بزوال المانع من شدة الخوف لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين مفعول دعوا لانه من جملة القول فلا حاجة الى تقدير و اللام في لئن موطئة للقسم فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجؤا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق احترازا من البغي بالحق كتخريب المسلمين ديار الكفار وقلع اشجارهم واحراق زرعهم فانه افساد بحق

ابو الكمال

هو الذي يسيركم كلام مستانف مسوق لبيان جناية اخرى لهم مبنية على ما انقلب من اختلاف حالهم حسب اختلاف ما يعتريهم من السراء والضراء اي يمكنكم من السير تمكينا مستمرا عند الملابسة به وقبلها في البر مشاة وركبانا • وقرئ ينشركم من النشر ومنه قوله عز وعلا بشر تنتشرون والبحر حتى اذا كنتم في الفلك اي في السفن فانه جمع فلك على وزنه اسد جمع اسد لا على وزن قفل وغاية التسيير ليست ابتداء ركوبهم فيها بل مضمون الشرطية بتمامه كما ينبئ عنه ايثار الكون المؤذن بالدوام على الركوب المشعر بالحدوث وجرين اي السفن بهم بالزمن فيها

يا ايها الناس تلوين للخطاب في اثناء الكلام والتفات اخر لشدة الاعتناء بترك البغي والمبالغة في النهي والتنفير عنه
انما بغيكم على انفسكم بغيكم مبتدا. على انفسكم صلته متاع الحيوة الدنيا خبره اى بغيكم على من هو من جنسكم ومثلكم يعني
بغي بعضكم على بعض منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى وتبقى عقابها • او على انفسكم خبر اى انما بغيكم وبال على انفسكم
ومتاع الحيوة الدنيا خبر مبتدا محذوف اى هو متاع الحيوة الدنيا • وقرئ متاع بالنصب على انه مصدر مؤكد
وعلى انفسكم خبر اى انما بغيكم وبال على انفسكم تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم في القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون
يا ايها الناس توجيه الخطاب الى اولئك الباغين لتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد • قد سبق تفسيره في سورة التوبة
انما بغيكم الذى تتعاطونه وهو مبتدا وقوله تعالى على انفسكم خبره اي عليكم في الحقيقة لا على الذين تبغون عليهم • ابو [illegible]
وان ظن كذلك وقوله تعالى متاع الحيوة الدنيا بيان لكون ما فيه من المنفعة العاجلة شيئا غير معتد به سريع الزوال دائم
الوبال • وهو نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر بطريق الاستيناف اى تتمتعون متاع الحيوة الدنيا • وقيل على انه مصدر
وقع موقع الحال اى متمتعين بالحيوة الدنيا والعامل هو الاستقرار الذى في الخبر لا نفس البغي لانه يؤدي الى الفصل بين
المصدر ومعموله بالخبر ولا يخبر عن الموصول الا بعد تمام صلته وانتصب بانه ليس في تقييد كون بغيهم على انفسهم
بحال تمتعهم بالحيوة الدنيا معنى يعتد به • وقيل على انه ظرف زمان نحو مقدم الحاج اى زمن متاع الحيوة الدنيا
وفيه ما مر بعينه • وقيل على انه مفعول لفعل دل عليه المصدر
اى تبغون متاع الحيوة الدنيا ولا يخفى انه لا يحمل على البغي بمعنى الطلب وحمل المصدر ايضا بمعناه مما يخل بجزالة النظم الكريم لان ما [illegible] الاستيناف لبيان سوء عاقبة ما حكى عنهم من البغي المفسد للافساد المفرط اللائق بحالهم فاى مناسبة بينه وبين البغي بمعنى الطلب وحمل الاول ايضا بمعناه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه • وقيل على انه مفعول له اى لاجل متاع الحيوة الدنيا والعامل ما ذكر من الاستقرار • وفيه ان المعلل بما ذكر نفس البغي لا كونه على انفسهم • وقيل العامل فيه فعل مدلول عليه بالمصدر اى تبغون لاجل متاع الحيوة الدنيا على ان الجملة مستانفة • وقيل على انه مفعول صريح للمصدر وعلى انفسكم ظرف لغو متعلق به والمراد بالانفس الجنس
والخبر محذوف لطول الكلام والتقدير انما بغيكم على ابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ظاهر
الفساد او نحو ذلك • وفيه ما مر من ابتنائه على ما لا يليق بالمقام من كون البغي بمعنى الطلب نعم لو جعل نصبه
على العلة اى انما بغيكم على ابناء جنسكم لاجل متاع الحيوة الدنيا محذور كما اختاره بعضهم لكان له وجه في الجملة
لكن الحق الذى يقتضيه جزالة التنزيل انما هو الاول • وقرئ متاع بالرفع على انه الخبر والظرف صلة للمصدر
او خبر ثان • او خبر لمبتدا محذوف اى هو متاع الحيوة الدنيا كما في قوله عز وجل الا ساعة من نهار بلاغ اى هذا
بلاغ فالمراد بانفسهم على الاول ابناء جنسهم • وانما عبر عنهم بذلك هزا لشفقتهم عليهم وحثا لهم على ترك
ايثار التمتع المذكور على حقوقهم ولا مجال للحمل على الحقيقة لان كون بغيهم وبالا عليهم ليس بثابت عندهم
حسبما يقتضيه ما حكى عنهم ولم يخبر به بعد حتى يجعل من تتمة الكلام ويجعل كونه متاعا مقصودا بالافادة على ان
عنوان كونه وبالا عليهم قادح في كونه متاعا فضلا عن كونه من مبادى ثبوته للمبتدا كما هو المتبادر من الشرق
واما كون البغي على ابناء الجنس فمعلوم الثبوت عندهم ومتحقق لمبادى التمتع من اخذ المال والاستيلاء على الناس
وغير ذلك • واما على الوجهين الاخيرين فلا موجب للعدول عن الحقيقة فان المبتدا انما هو نفس البغي والعمل
العايد اليه من حيث هو هو لا من حيث كونه وبالا عليهم كما في صورة كون الظرف صلة للمصدر فتدبر • وقرئ
متاعا الحيوة الدنيا • اما نصب فعلى ما مر • واما نصب الحيوة فعلى انه بدل من متاعا بدل اشتمال • وقيل
على انه مفعول به لمتاعا اذا لم يكن انتصابه على المصدرية لان المصدر المؤكد لا يعمل •

يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم اى ظلمكم يرجع عليكم كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها متاع الحيوة الدنيا حفص اى تتمتعون متاع الحيوة الدنيا • وعلى انفسكم خبر لبغيكم • غيره بالرفع على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم على امثالكم • او هو خبر و متاع خبر بعد خبر • او متاع خبر مبتدا مضمر اى هو متاع الحيوة الدنيا • وفي الحديث اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة • وروى ثنتان يعجلهما الله تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين • وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو بغى الجبل على جبل لدك الباغي • وعن محمد بن كعب ثلث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون فنخبركم به ونجازيكم عليه • انتهى المدارك •

اى لصار جبل الباغي مدكا

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا
وكان يتلوها • وقال محمد بن كعب ثلث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر • قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم
وما يمكرون الا بانفسهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه • وعنه صلى الله عليه وسلم اسرع الخير ثوابا صلة الرحم
واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة • وروى ثنتان يعجلهما الله تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين •
وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغي ثم الينا مرجعكم عطف على ما مر من الجملة المستانفة
المقدرة كانه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ثم ترجعون الينا • وانما غير السبك الى الجملة الاسمية مع
تقديم الجار والمجرور للدلالة على الثبات والقصر فننبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا على الاستمرار من البغي
وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده ساخبرك بما فعلت • وفيه نكتة خفية مبنية
على حكمة ابية وهي ان كل ما يظهر في هذه النشاة من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مغايرة لصورته
الحقيقية التي بها يظهر في النشاة الاخرة فان المعاصي مثلا سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصور تستحسنها
نفوس العصاة وكذا الطاعات مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات • فالبغي في هذه النشاة وان برز
بصورة تستهيها البغاة وتستحسنها الغواة لتمتعهم به من حيث اخذ المال والتشفي من الاعداء ونحو
ذلك لكن ذلك ليس بتمتع في الحقيقة بل هو تضرر من حيث لا يحتسبون • وانما يظهر لهم ذلك عند
ابراز ما كانوا يعملونه من البغي بصورته الحقيقية المضادة لما كانوا يشاهدونه على ذلك من الصورة
وهو المراد بالتنبئة المذكورة والله اعلم • ابو السعود افندي •

يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم اى ظلمكم وفسادكم اى وباله راجع عليكم قال ابن عباس رضي الله عنهما لو بغى جبل على
جبل لدك الباغي • وقال صلى الله عليه وسلم اثنتان يعجلهما تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين • وقال ايضا
ثلث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر • قوله تعالى متاع الحيوة الدنيا خبر مبتدا محذوف اى هو يعني بغيكم
سبب تمتعكم في الحيوة الدنيا • ويجوز ان يكون خبرا لبغيكم • وقرئ بالنصب اما مفعول له اى لاجل متاع
الحيوة الدنيا • واما مصدرية في موضع الحال اى تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم اى فنخبركم
في الاخرة بما كنتم تعملون في الدنيا ثم ضرب مثلا للحيوة الدنيا ومتاعها بقوله انما مثل الحيوة الدنيا الخ • من العيون

والممثل به مضمون الحكاية لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب وقوله حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت مبالغة في نفسه بين الارض وبهجتها في اثناء التمثيل بتشبيههما في جعلها اخذت زخرفها بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتسيها وتزينت بانواع الزين والحلى على طريق الاستعارة بالكناية كذلك نفصل الايات نبينها ونميز بعضها عن بعض لقوم يتفكرون انما خصهم لانهم المنتفعون بها ابو الكمال

انما مثل الحيوة الدنيا كلام مستانف سيق لبيان شان الحيوة الدنيا وقصر مدة التمتع بها وقرب زمان الرجوع الموعود ● وقد شبه حالها العجيبة الشان البديعة المثال المنتظمة لغرابتها في سلك الامثال في سرعة تقضيها و انصرام نعيمها غب اقبالها واغترار الناس بها بحال ما على الارض من النبات في زوال رونقها و نضارتها فجاة وذهابه حطاما لم يبق لها اثر اصلا بعد ما كانت غضة الانواع طرية قد التف بعضها ببعض وزينت الارض بالوانها وتقوت بعد ضعفها بحيث طمع الناس وظنوا انها سلمت من الجوائح وليس المشبه به ما دخله الكاف في قوله تعالى كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض بل ما يفهم من الكلام فانه من التشبيه المركب مما ياكل الناس والانعام من البقول والزروع والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها جعلت الارض في تزينها بما عليها من اصناف النباتات واشكالها والوانها المختلفة المونقة اخذت زخرفها على طريقة التمثيل بالعروس التي قد اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم ● وقرئ على الاصل ● وقرئ وازينت كاغيلت من غير اعلال والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا جواب اى ضرب زرعها ما يجتاحه من الآفات والعاهات ليلا او نهارا فجعلناها اى زرعها وسائر ما عليها حصيدا اى شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن كانه لم يغن زرعها والمضاف محذوف للمبالغة ● وقرئ بتذكير الفعل اى فيما قبل بزمان قريب فان الامس مثل في ذلك كانه قيل لم تغن آنفا كذلك اى مثل ذلك التفصيل البديع نفصل الايات اى الايات القرآنية التي من جملتها هذه الايات المنبهة على احوال الحيوة الدنيا اى نوضحها ونبينها لقوم يتفكرون في تضاعيفها ويقفون على معانيها وتخصيص تفصيلها بهم لانهم المنتفعون بها ● ويجوز ان يراد بالايات ما ذكر في اثناء التمثيل من الكائنات والفاسدات وبتفصيلها تصريفها على الترتيب المحكي ايجادا واعداما فانها آيات وعلامات يستدل بها من يتفكر فيها على احوال الحيوة الدنيا حالا ومآلا ابو السعود

ثم ضرب مثل الحيوة الدنيا ومتاعها بقوله انما مثل الحيوة الدنيا في بقائها وفنائها كماء انزلناه من السماء مطر منها فاختلط به اى بالمطر نبات الارض يعني دخل الماء في الارض فانبتت به النبات فاشتبك بعضه ببعض بسببه واتصل من كل لون من الحبوب والثمار و مما ياكل الانعام من الوان الحشيش اذا اخذت الارض زخرفها اى حسنها وزينتها وظهور الزهر اخضر واحمر واصفر وابيض وازينت اى تزينت بالنبات والزهر وظن اهلها انهم قادرون عليها بالحصاد والقطاف ● والضمير راجع الى غلة الارض والى الزينة اتاها امرنا اى قضاؤنا باهلاكها ليلا او نهارا فجعلناها اى غلتها وزروعها حصيدا اى محصودة مقطوعة كان لم تغن بالامس اى لم تقم بالزمان الماضي من غني بالمكان اذا اقام فيه فليس المراد الزمان الذي قبل يومك قيل ان المتشبث بالدنيا ياتيه امر الله وعذابه اغفل ما يكون كذلك اى مثل ذلك التفصيل البيان نفصل الايات آيات القرآن وامثالها يعني نبين غرور الدنيا وزوالها كيلا يغتروا بها وليعرفوا علمها ونبين بقاء الآخرة ليرغبوا في طلبها لقوم يتفكرون في امثال القرآن واخباره فيعتبرون بها بحر العلوم

انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا لكثافته مما ياكل الناس والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها استعير لكمال البهجة والنضارة والالوان المختلفة لفظة الزخرف وهو الانسب لما كان من الاشياء البهجة المنظر السارة للنفوس وازينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة ● وازينت اصله تزينت فادغم ● وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت اى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها فتمكنون من حصدها وتحصيل ريعها والانتفاع بها اتاها امرها

انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء من السحاب فاختلط به بالماء نبات الارض اي فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما ياكل الناس يعني الحبوب والثمار والبقول والانعام يعني الحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها زينتها بالنبات واختلاف الوانه وازينت وتزينت به وهو اصله فادغمت التاء في الزاي ● وهو كلام فصيح جعلت الارض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها فتزينت بغيرها من الوان الزين وظن اهلها اهل الارض انهم قادرون عليها متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها لغلتها اتاها امرنا عذابنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد امنهم واستيقانهم انه قد سلم ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله كان لم تغن كان لم يغن زرعها اي لم ينبت ● حذف المضاف في هذه المواضع لا بد ليستقيم المعنى بالامس هو مثل في الوقت القريب كانه قيل كان لم تغن آنفا كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون فينتفعون بضرب الامثال وهذا من تشبيه المركب

بالافة زرعها وافساده بعض العاهات بعد امنهم من آفاتها ليلا او نهارا فجعلناها اى فجعلنا زرعها حصيدا على تقدير حذف المضاف للمبالغة مقطوعا مستاصلا شبيها بالحصيد كان لم تغن اى كان لم ينبت ذلك الزرع ولا حاجة هنا الى تقدير المضاف ● وقرئ بالياء على الاصل يقال غنى بالمكان غنيا مثل عمى عمى وتغنى اذا قام ● وقرئ لم يتغن بالامس فيما قبيله مثل الوقت القريب الماضي كانه قيل كان لم تغن آنفا لما قدر ان البغي متاع الحيوة الدنيا عقبه بتمثيل الحيوة الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها مع بهجته وزينته بحال نبات الارض النابت بماء المطر في سرعة جفافه وذهابه حطاما بعد اخضراره وغضاضته قبل انتفاع الناس به لتنفير العقلاء عنه والممثل به ا

شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعدما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه ● والتنبيه على حكمة التشبيه ان الحيوة صفوها شبيبتها وكدرها شيبتها كما ان صفو الماء في اعلى الاناء ● قال الحريري ان العمر كاس سلافه صفو واخره كدر ● وحقيقته تزيين جنة الطين بمصالح الدنيا والدين كاختلاط النبات على اختلاف التلوين ● فالطينة الطيبة تنبت بساتين الانس ورياحين الروح وزهرة الزهد وعروس الكرم وحبوب الحب وحدائق الحقيقة وشقائق الطريقة ● والخبيثة تخرج خلاف خلف وثمام الاثم وشوك الشرك وشيح الشح وحطب الغضب ولعاع اللعب ● ثم تدعو معاده كما يحين لحجت حصاده فتاتيه الحيوة مغترا كما يهيج النبات حصفا فتغيب جنته في الرمس كان لم تغن بالامس الى ان يعود ربيع البعث وموعد العرض والبحث وكذلك مال الدنيا كالماء ينفع قليله ويهلك كثيره ● ولا بد من تركه ما زاد كما لا بد منه اخذ الزاد واخذ المال لا يصفو من زلة كما ان خائض الماء لا ينجو من بلة ● وجمعه وامساكه تلف صاحبه واهلاكه فما دون النصاب كضحضاح ماء يجاوز بلا احتياط ● والنصاب كنهر حائل بين الحباب والجوان الى المفاز لا يمكن الا بقنطرة وهي الزكوة وعمارتها بإتيان الصلاة فمتى اختلت القنطرة غرقته امواج القناطير المقنطرة وعن هذا قال عليه السلام الزكوة قنطرة الاسلام

التوفيق خلق الله تعالى فعل عباده موافقاً لما يحبه ويرضاه تعريفات

والله يدعو الى دار السلام الجنة اضافها الى اسمه تعالى تعظيماً لها • او دار السلام من النقص والآفة لسلامة اهلها من كل مكروه • وقيل دار السلام لفشو السلام بينهم • او تسليم الملائكة عليهم ويهدي من يشاء هدايته بالتوفيق الى صراط مستقيم طريق وهو الاسلام والتقوى • ولما كان الدعاء عاماً لم يتقيد بالمشية بخلاف الهداية فانها خاصة فتقيدت بها • وفيه ايذان بان الامر غير الارادة • وان المصر على الضلالة لم يرد الله تعالى ان يرشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة عليها وهي التفضل لقوله تعالى ويزيدهم من فضله • وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر • وقيل الزيادة الرضوان • وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو اللقاء • ومن غلاة اصحاب الضلال من قال زعمت المشبهة والمجبرة ان الزيادة النظر الى وجه الله تعالى وجاءت بحديث مرقوع اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا ان يا اهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئاً هو احب اليهم منه • قوله مرقوع صحيح بالقاف عنده ومعناه مرقوع بفرية • واما عندنا اهل الحق فقد صح بالفاء رواه ابو بكر الصديق وابو موسى الاشعري وحذيفة وابن عباس وعكرمة وقتادة وضحاك وابن ابي ليلى والسدي ومقاتل اورده مسلم في صحيحه عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم واورده البخاري في صحيحه بلا اسناد وصححه احمد بن حنبل والترمذي وابن ماجه فالحديث متفق على صحته وذلك المتعصب اي الكشاف طعن في الحديث الصحيح والخبر الحق الصريح ترويجاً لاعتقاده الفاسد وتصحيحاً لمذهبه الباطل وصحف المرفوع فجعله مرقوعاً ليرتقع به مذهبه المخروق فهيهات اتسع الخرق على الراقع والحق ما له من دافع ولا يرهق وجوههم ولا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان يعني لا يرهقهم ما يرهق اهل النار • او لا يلحقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال وكسوف بال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقطاع لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها • ابن الكمال •

والله يدعو الى دار السلام ترغيب للناس في الحيوة الاخروية الباقية اثر ترغيبهم عن الحيوة الدنيوية الفانية اي يدعو الناس جميعاً الى دار السلامة عن كل مكروه وآفة • وهي الجنة • وانما ذكرت بهذا الاسم لذكر الدنيا بما يقابله من كونها معرضاً للآفات • او الى دار الله تعالى • وتخصيص الاضافة التشريفية بهذا الاسم الكريم للتنبيه على ذلك • او الى دار يسلم الله تعالى • او الملائكة فيها على من يدخلها • او يسلم بعضهم على بعض ويهدي من يشاء هدايته منهم الى صراط مستقيم موصل اليها وهو الاسلام والتزود بالتقوى • وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية دليل على ان من اصر على الضلالة لم يرد الله رشده

والله يدعو الى دار السلام هي الجنة اضافها الى اسمه تعظيماً لها او السلام السلامة لان اهلها سالمون من كل مكروه • وقيل لفشو السلام بينهم • وتسليم الملائكة عليهم الا قيلاً سلاماً سلاماً ويهدي من يشاء ويوفق من يشاء الى صراط مستقيم الى الاسلام او طريق السنة • فالدعوة عامة على لسان الرسول بالدلالة والهداية خاصة من لطف المرسل بالتوفيق والعناية والمعنى يدعو العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون للذين احسنوا آمنوا بالله ورسله الحسنى المثوبة الحسنى فهي الجنة وزيادة رؤية الرب عز وجل كذا عن ابي بكر وحذيفة وابن عباس وابو موسى الاشعري وعبادة ابن الصامت رضي الله عنهم وفي بعض التفاسير اجمع المفسرون على ان الزيادة النظر الى الله تعالى وعن صهيب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون شيئاً ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار قال فيرفع الحجاب فينظرون الى الله تعالى فما اعطوا شيئاً احب اليهم من النظر الى ربهم ثم تلا عليهم للذين احسنوا الحسنى وزيادة • والعجب من صاحب الكشاف انه ذكر هذا الحديث لا بهذه العبارة وقال انه حديث مرقوع مع انه مرفوع قد اورده صاحب المصابيح في الصحاح • وقيل الزيادة المحبة في قلوب العباد • وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان ولا يرهق وجوههم ولا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا اثر هوان والمعنى ولا يرهقهم ما يرهق اهل النار اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون انتهى المدارك

والمعنى ما يرهقهم ما يرهق اهل النار اذ لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال هم فيها خالدون دائمون لا زوال ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخرفها قاضي رحمه الله

[illegible]

للذين احسنوا اي اعمالهم اي عملوها على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك الحسنى اي المثوبة الحسنى وزيادة اي وما يزيد على تلك المثوبة تفضلاً لقوله تعالى ويزيدهم من فضله • وقيل الحسنى حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر • وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان • وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء ولا يرهق وجوههم اي لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة اي اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار • او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من الحزن وسوء الحال • والتنكير للتحقير اي شيء منهما • والجملة مستأنفة لبيان امنهم من المكاره اثر بيان فوزهم بالمطالب والمآرب وان اقتضى الاول الا انه ذكر اذكاراً بما ينقذهم الله تعالى برحمته • وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام ببيان ان المصون من الرهق اشرف اعضائهم • وللتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده عليها فيتمكن عندها فضل تمكن • ولان في الفاعل ضرب تفصيل كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان • وقوله تعالى وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالنعوت المذكورة • وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم اي اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجميلة الفائزون بالمثوبات الناجون عن المكاره اصحاب الجنة هم فيها خالدون بلا زوال دائمون بلا انتقال • ابو السعود افندي رحمه الله • ولا بد من ان يكون هذا انكى من القترة

والله يدعو الى دار السلام اي يدعو كل احد من الناس الى الجنة التي هي دار السلامة من الآفات • او دار السلام بمعنى التحية لان اهلها يحيي بعضهم بعضاً بالسلام • او الملائكة تسلم عليهم ويهدي اي يرشد من يشاء الى صراط مستقيم اي الدين القيم وهو الاسلام • عمم بالدعوة اظهاراً للحجة وخص بالهداية استغناء عن الخلق والمعنى انه يدعو العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون وهم الذين علموا ان اللطف منه يجري عليهم لان مشيته سابقة لحكمته للذين احسنوا العمل في الدنيا مع التوحيد الحسنى اي الجنة وزيادة اي فضل وهو النظر الى وجه الله الكريم • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى منادٍ يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعداً يريد ان ينجزكموه قالوا ما هذا الموعد الم يثقل موازيننا وتبيض وجوهنا وتدخلنا الجنة وتجرنا من النار قال النبي صلى الله عليه وسلم فيكشف الحجاب فينظرون الى وجه الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم فما اعطوا شيئاً احب اليهم من النظر اليه • وقيل المغفرة والرضوان • وقيل التضعيف عشر امثالها الى سبعمائة ضعف ولا يرهق وجوههم قتر اي غبار فيه سواد وهو كسوف في الوجه عند معاينة النار • جمع قترة ولا ذلة اي مذلة وهوان • او حزن • وهذا بعد نظرهم الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون • من العيون

قال العارف بالله الامام القشيري قدس سره في قوله تعالى والله يدعو الى دار السلام دعاهم الى دار السلام وفي الحقيقة دعاهم الى ما يوجب لهم الوصول وهو اعتناق اوامره والانتهاء عن زواجره • فالدعاء من حيث التكليف وتخصيص الهداية لاهلها من حيث التشريف • ويقال الدعاء تكليف والهداية تعريف فالتكليف على العموم والتعريف على الخصوص • ويقال التكليف بحق سلطانه والتعريف بحكم احسانه • ودار السلام دار الله تعالى لان السلام اسم من اسمائه • ويكون السلام بمعنى السلامة فهي دار السلامة اي اهلها سالمون من الحجبة والفرقة حصلوا في لذة لقائه فوصلوا الى عين لقائه • ويقال لا يصل الى دار السلام الا من سلمت نفسه عن سجود الصنم وقلبه عن الشرك والظلم • ويقال تلك الدار درجات • فالذي سلم قلبه عن محبة الاغيار درجته اعلى من درجة من سلم نفسه من الذنوب والاوزار • ويقال قوم سلمت صدورهم عن الغل والحسد والحقد سلم الخلق منهم باجمعهم عن قلبه والمسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه قوله للذين احسنوا الحسنى يقال احسنوا لم يقصروا في الواجبات ولم يخلفوا في المندوبات • ويقال الحسنى في الدنيا توفيق بدوام وتحقيق بتمام وفي الآخرة غفران معجل وعيان على التأبيد محصل • وزيادة فعلى موجب الخبر واجماع السلف النظر الى الله تعالى • ويحتمل ان يكون الحسنى اللقاء والزيادة البقاء في حال اللقاء • انتهى فافهم

حيث لم يقل والذين كسبوا السيئات السوءى

والذين كسبوا السيئات اى الشرك والمعاصى وهو مبتدا بتقدير المضاف خبره قوله تعالى جزاء سيئة بمثلها
اى جزاء الذين كسبوا السيئات ان يجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها كما يزاد فى الحسنة
وتغيير السبك لمراعاة ما بين الفريقين من كمال التنافى والتباين ● وايراد الكسب للايذان بان
ذلك انما هو لسوء صنيعهم وبسبب جناياتهم على انفسهم ● او الموصول معطوف على الموصول الاول
كانه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها كقولك فى الدار زيد والحجرة عمرو ● وفيه
دلالة على ان المراد بالزيادة الفضل وترهقهم ذلة واى ذلة كما ينبئ عنه التنوين التفخيمى ●
وفى اسناد الرهق الى انفسهم دون وجوههم ايذان بانها محيطة بهم غاشية لهم جميعا ● وقرئ
يرهقهم بالياء التحتانية ما لهم من الله من عاصم اى لا يعصمهم احد من سخطه تعالى وعذابه ● او ما لهم من
عنده تعالى من يعصمهم كما يكون للمؤمنين ● وفى نفى العاصم من المبالغة فى نفى العصمة ما لا يخفى ● والجملة مستأنفة
او حال من ضمير ترهقهم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل لفرط سوادها وظلمتها مظلما حال من الليل والعامل
فيه اغشيت لان العامل فى قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل فى الموصوف عامل فى الصفة
او معنى الفعل فى من الليل ● وقرئ قطعا بسكون الطاء وهو طائفة من الليل كما فى قوله افتحى الباب وانظرى
فى النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم ● فيجوز كون مظلما صفة له او حالا منه ● وقرئ كانما يغشى وجوههم
قطع من الليل مظلم ● والجملة كما قبلها مستأنفة ● او حال من ضمير ترهقهم اولئك اى الموصوفون بما ذكر
من الصفات الذميمة اصحاب النار هم فيها خالدون وحيث كانت الآية الكريمة فى حق الكفار بشهادة السياق
والسياق لم يكن فيها تمسك للوعيدية ويوم نحشرهم كلام مستأنف مسوق لبيان بعض آخر من احوالهم
الفظيعة وتأخيره فى الذكر مع تقدمه فى الوجود على بعض احوالهم المحكية سابقا للايذان باستقلال
كل من السابق واللاحق بالاعتبار ولو روعى الترتيب الخارجى لعد الكل شيئا واحدا كما مر فى قصة البقرة
ولذلك فصل عما قبله ● ويوم منصوب على المفعولية بمضمر اى انذرهم او ذكرهم ● وضمير نحشرهم لكلا الفريقين
الذين احسنوا والذين كسبوا السيئات لانه المتبادر من قوله جميعا ومن افراد الفريق الثانى بالذكر فى قوله
ثم نقول للذين اشركوا اى نقول للمشركين من بينهم ولان توبيخهم وتهديدهم على رؤوس الاشهاد
افظع والاخبار بحشر الكل فى تهويل اليوم ادخل ● وتخصيص وصف اشراكهم بالذكر فى حيز الصلة
من بين سائر ما ارتكبوه من السيئات لابتناء التوبيخ والتقريع عليه مع ما فيه من الايذان
بكونه معظم جناياتهم وعمدة سيئاتهم ● وقيل للفريق الثانى خاصة فيكون وضع الموصول موضع
الضمير لما ذكر آنفا مكانكم نصب على انه فى الاصل ظرف لفعل اقيم مقامه لا على انه اسم فعل وحركته
حركة بناء كما هو رأى الفارسى اى الزموه حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تأكيد للضمير المنتقل اليه من
عامله لسده مسده وشركاؤكم عطف عليه ● وقرئ بالنصب على ان الواو بمعنى مع فزيلنا من زلت
الشئ عن مكانه ازيله اى ازلته ● والتضعيف للتكثير لا للتعدية ● وقرئ فزايلنا بمعناه نحو كلمته و
كالمته وهو معطوف على نقول ● وايثار صيغة الماضى للدلالة على التحقق المورث لزيادة التوبيخ
والتحسير ● والفاء للدلالة على وقوع التزييل ومبادئه عقيب الخطاب من غير مهلة ايذانا بكمال
رخاوة ما بين الفريقين من العلاقة والوصلة اى فرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التى كانت
بينهم فى الدنيا لكن لا من الجانبين بل من جانب العبدة فقط لعدم احتمال شمول الشركاء للشياطين
كما سيجىء فخابت آمالهم وانصرمت عرى اطماعهم وحصل لهم اليأس الكلى من حصول ما كانوا يرجونه من
جهتهم والحال وان كانت معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب لكن هذه المرتبة من اليقين
انما حصلت عند المشاهدة والمشافهة ● وقيل المراد بالتزييل التفريق الحسى اى فباعدنا بينهم بعد
الجمع فى الموقف وتبرؤ شركاؤهم منهم ومن عبادتهم كما فى قوله تعالى اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا
ضلوا عنا ● فالواو حينئذ فى قوله تعالى وقال شركاؤهم حالية بتقدير كلمة قد عند من يشترطها وبدونها عند
غيره لا عاطفة كما فى التفسير الاول لاستدعاء المحاورة الحاضرة الآتية بالمباعدة وليس فى ترتيب التزييل
بهذا المعنى على الامر بلزوم المكان ما فى ترتيبه عليه بالمعنى الاول من النكتة المذكورة ليصار لاجل
رعايتها الى تغيير الترتيب الخارجى فان المباعدة بعد المحاورة حتما واما قطع الاقران والعلائق فليس
كذلك بل ابتداؤه حاصل من حين الحشر بل بعض مراتبه حاصل قبله ايضا واما الحاصل عند المحاورة اقصى
هـ

هـ كما اشير اليه فلا اعتداد بما فى تقديمه من التغيير لا سيما مع رعاية ما ذكر من النكتة ولو سلم تأخر جميع
مراتبه من المحاورة فرعاية تلك النكتة كافية فى استدعاء تقديمه عليها ● ويجوز ان يكون حالية على هذا
التقدير ايضا والمراد بالشركاء قيل الملائكة وعزير والمسيح وغيرهم ممن عبدوه من اولى العلم ففيه تأييد
لرجوع الضمير الى الكل وقوله ما كنتم ايانا تعبدون عبارة عن تبريهم من عبادتهم وانهم انما عبدوا فى الحقيقة
اهواءهم وشياطينهم الذين اغووهم لانها الآمرة لهم بالاشراك دونهم كقولهم سبحانك انت ولينا من
دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية ● وقيل الاصنام ينطقها الله الذى انطق كل شئ فتشافههم بذلك
مكان الشفاعة التى كانوا يتوقعون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العليم الخبير ان كنا عن عبادتكم
لغافلين اى عن عبادتكم لنا او تركه للظهور وللايذان بكمال الغفلة عنها ● والغفلة عبارة عن عدم
الارتضاء والا فعدم شعور الملائكة بعبادتهم لهم غير ظاهر وهذا يقطع احتمال كون المراد بالشركاء
الشياطين كما قيل فان ارتضاءهم باشراكهم مما لا ريب فيه وان لم يكونوا مجبرين لهم على ذلك ● وان
مخففة من ان واللام فارقة انتهى
ابى السعود

والذين كسبوا السيئات مبتدا اى عملوا المعاصى مع الكفر والخبر جزاء سيئة بمثلها
على الاضافة اى لهم جزاء سيئة مثلها بلا زيادة كقوله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى
الا مثلها ● وقيل العذاب موافق للسيئة فان جزاء الشرك النار اذ لا ذنب اعظم من الشرك ولا عذاب
اشد من النار وترهقهم اى وتغشيهم ذلة اى مذلة بكسوف الوجه اذا عاينوا النار ما لهم من الله من عاصم
اى ليس لهم مانع يمنعهم من عذابه تعالى كانما اغشيت وصف لسواد وجوههم اى البست وجوههم قطعا
بسكون الطاء اى جزءا واحدا وبفتحها جمع قطعة من الليل مظلما حال من الليل والعامل اغشيت اى فى حال ظلمته
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اى دائمون فى العذاب

والذين كسبوا السيئات عطف على الذين احسنوا كقولهم في الدار زيد والحجرة عمرو • كان العطف على معمولي عاملين مختلفين
لتقدم المجرور • او مبتدأ خبره جزاء لان جزاء السيئة بمثلها هو العدل وترهقهم ذلة اذ كان لهم ما ينقذهم منه
برحمته مالهم من الله من عاصم من سخط الله تعالى وعقابه • او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين كأنما
اغشيت وجوههم قطعا من الليل لفرط سوادها وظلمتها مظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في
قطعا ومن الليل صفة له والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل • وقرئ قطعا
بالسكون من قوله بقطع من الليل فيكون مظلما صفة لقطعا او حالا منه لاختصاصه بالوصف ويعضده
قراءة كأنما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ولا متمسك فيه للوعيدية
لان سياق الكلام في الكفار لقوله تعالى ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة • وقوله تعالى
فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم • واما التعليل باشتمال السيئات على الشرك والكفر ففيه
تخصيص الحكم المذكور بالمشركين ولا وجه له والتعليل بتناول الذين احسنوا اصحاب الكبيرة من المؤمنين
فلا يتناولهم قسيمه فليس بقوي لان كونهم من المحسنين على الاطلاق غير ظاهر

والذين كسبوا عطف على الذين احسنوا اي وللذين كسبوا
السيئات فنوع الشرك جزاء سيئة بمثلها الباء زائدة لقوله
وجزاء سيئة سيئة مثلها • او التقدير جزاء سيئة مقدر
بمثلها وترهقهم ذلة ذل وهوان مالهم من الله من عقابه
من عاصم اي لا يعصمهم احد من سخطه وعقابه كأنما
اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اي جعل عليها غطا
من سواد الليل اي هم سود الوجوه • وقطعا جمع قطعة •
وهو مفعول ثان لاغشيت • قطعا مكي وعلي من قوله
بقطع من الليل • وعلى هذه القراءة مظلما صفة لقطعا •
وعلى الاولى حال من الليل والعامل فيه اغشيت لان من
الليل صفة لقطعا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى
الصفة • او معنى الفعل في من الليل اولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون • ويوم نحشرهم اي الكفار وغيرهم جميعا حال ثم
نقول للذين اشركوا مكانكم اي الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى
تنظروا ما يفعل بكم انتم اكد به الضمير في مكانكم لسده
مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه فزيلنا ففرقنا
بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا
وقال شركاؤهم من عبدوه من دون الله من اولي العقل •
او الاصنام ينطقها الله تعالى ما كنتم ايانا تعبدون انما كنتم
تعبدون الشياطين حيث امروكم ان تتخذوا لله اندادا
فاطعتموهم وهو كقوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة
اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم
بل كانوا يعبدون الجن فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم اي كفى الله شهيدا وهو تمييز ان كنا عن عبادتكم
لغافلين ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية • اسمى المدارك •

ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين
جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم اي
الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم
انتم تاكيد للضمير المرفوع المستقل الى مكانكم
من عامله لسده مسد الزموا وشركاؤكم
عطف عليه • وقرئ شركاءكم بالنصب
على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا
بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم
في الدنيا قيل فباعدنا بينهم بعد الجمع في
الحشر وتبرء شركائهم منهم ومن عبادتهم
لقوله اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون
قالوا ضلوا عنا ويأباه ترتيبه قبل قوله
وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون
بالفاء الواصلة بلا تراخ على ما تقدم
ومجاز عن براءة ما عبدوه من
عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة
اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به
والمراد من الشركاء الملائكة وعزير و
المسيح ومن عبدوهم من اولي العقل •
وقيل الاصنام ينطقها الله فيكلمهم بذلك
مكان الشفاعة التي يتوقعون منها • وقيل
الشياطين ويرده قوله فكفى بالله شهيدا
بيننا وبينكم العالم بكنه الحال ان كنا
عن عبادتكم لغافلين لان عبادتهم كانت
باغوائهم ان هي المخففة من الثقيلة و
اللام هي الفارقة • اه كمالين •

ويوم نحشرهم نصب بمضمر اي واذكر يوم نجمع المشركين ومعبوديهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا بالله شركاء
مكانكم اي الزموا انتم وشركاؤكم اي آلهتكم مقامكم ولا تبرحوا منه فزيلنا اي فرقنا بينهم اي بين المشركين
وآلهتهم • من زيلته وازلته بمعنى واحد يعني قطعنا ما كان بينهم من الالفة والتواصل في الدنيا وذلك
حين تبرء كل معبود من دون الله من عابديه وقال شركاؤهم آلهتهم ما كنتم ايانا تعبدون بطلبتنا في الدنيا
ولا نعلم عبادتكم ايانا فيقول الكفار بلى كنا نعبدكم بامركم فيقول الاصنام بانطاق الله تعالى اياهم فكفى بالله
شهيدا اي كفى الله بنا عالما بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين اي ما كنا عن عبادتكم ايانا الا غافلين
لعدم عقلنا وسمعنا وبصرنا • فان ما فيه واللام بمعنى الا • والغائية في خصاب آلهتهم وانطاقهم اظهار ضعف
معبوديهم عندهم فيزيد بهم حسرة على ذلك
ط

ويسميه النحاة عطفا على معمولي عاملين • وفيه ثلث مذاهب • من العيون •
التجويز مطلقا وهو قول الفراء • والمنع مطلقا وهو قول سيبويه والتفصيل بين ان يكون المتقدم
مجرورا فيجوز كما فيما نحن فيه او لا فيمتنع نحو ان زيدا في الدار وعمرا القصر اي وان عمرا في القصر اه

هنالك في ذلك المقام تبلوا كل نفس ما أسلفت تختبر ما قدمت من العمل اي تعاين ضره ونفعه • وقرئ تتلو من التلاوة
اي تقرأ في صحيفتها ما قدمت من الخير والشر • ومن التلو اي تتبع لان عملها هو الذي يهديها الى الجنة او الى النار •
وقرئ نبلو بالنون ونصب كل اي نصيب كل نفس بالبلاء وهو العذاب بسبب ما قدمت من الشر فيكون ما اصابها منصوبا
بنزع الخافض • او نختبرها باختيار ما اسلفت اي نفعل بها فعل المختبر في الصلاح والفساد والقبول والرد فيكون
ما بدلا من كل نفس بدل الاشتمال وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم او المتولي لامورهم الحق لا الباطل
الذي اتخذوه مولى او متوليهم على الحقيقة لا الذي ليس لولايته حقيقة • او العدل الذي لا يظلم احدا • وقرئ
الحق بالنصب على المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد • او على المصدر المؤكد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وضل عنهم
وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها آلهة قل من يرزقكم من السماء والارض
منهما جميعا فان الارزاق انما تحصل من اسباب سماوية وارضية معا • او من كل واحدة منهما توسعة عليكم • وقيل من
لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض ام من يملك السمع والابصار اي من يستطيع خلقها وتصويرها
او حفظها وكلاءتها من الآفات مع كثرتها
وسرعة تأديها وبطلانها من ادنى شيء
ولما كان الوصول الى الرزق بواسطتها
كان خلقها وحفظها من تمام الترزيق
ولهذا قال ام من ولم يقل ومن كما قال
ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي
اي ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه
ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير العالم
تعميم بعد التخصيص تنبيها على ان تفاصيل
المنن والنعم واسباب الايجاد والربوبية
اكثر من ان يحصى كانه قال وبالجملة من
يدبر امر العالم كله فسيقولون الله اذ
لا يقدرون نسبة ذلك الى غيره مكابرة
لفظه ووضوحه فالسين للتاكيد والفاء
جزائية للترتيب على شرط محذوف تقديره
ان سألتم عن ذلك فسيقولون الله البتة
فقل تفريعا على الشرطية المذكورة افلا تتقون
ذلك الله في اشراككم به ما لا يشاركه في شيء من
الهمزة للاستفهام الانكاري والفاء لترتيب
الانكار على الاعتراف المذكور فهي مقدمة
معنى وان اخرت لفظا حفظا للصدارة
الهمزة انتهى
هنالك اي في ذلك المقام
الدهش • او في ذلك الوقت • اي الحال •
على استعارة ظرف المكان للزمان
تبلو اي تختبر وتذوق كل نفس مؤمنة او
كافرة سعيدة او شقية ما اسلفت من العمل
وتعاينه بكنهه مستتبعا لآثاره من نفع
او ضر وخير او شر واما ما علمت منه حال الهامه
حين الوحي والابتلاء بالعذاب في البرزخ
فامر مجمل • وقرئ نبلو بنون العظمة ونصب كل وابدال ما منه اي نعاملها معاملة من يبلوها ويتعرف احوالها من
السعادة والشقاوة باختبار ما اسلفت من العمل • ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من
الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض • وقرئ تتلو اي تتبع لان عملها هو الذي يهديها الى طريق الجنة او الى طريق
او تقرأ في صحيفة اعمالها ما قدمت من خير او شر وردوا الضمير للذين اشركوا على انه معطوف على زيلنا وما عطف عليه
وقوله تعالى هنالك تبلوا اعتراض في اثناء الحكاية مقررة لمضمونها الى الله اي الى جزائه وعقابه مولاهم ربهم الحق اي المتحقق
الصادق ربوبيته لا ما اتخذوه ربا باطلا • وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولهم الحمد لله اهل الحمد • او على المصدر المؤكد

هنالك في ذلك المقام • او في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان
للزمان تبلو كل نفس تختبر وتذوق ما اسلفت من العمل فتعرف
كيف هو اقبيح ام حسن • انافع ام ضار • امقبول ام مردود
وقال الزجاج تعلم كل نفس ما قدمت • تتلو حمزة وعلي اي تتبع
ما اسلفت لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة او النار •
او تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير او شر كذا عن الاخفش •
وردوا الى الله مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته لانهم كانوا
يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة • او الذي يتولى حسابهم
وثوابهم العدل الذي لا يظلم احدا وضل عنهم ما كانوا يفترون
وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء لله • او بطل عنهم ما كانوا
يختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة قل من يرزقكم من السماء
بالمطر والارض بالنبات امن يملك السمع والابصار من يستطيع
خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة •
او من يحميهما من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان
يؤذيهما ادنى شيء ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي
اي الحيوان والفرخ والزرع والمؤمن والعالم من النطفة والبيضة
والحب والكافر والجاهل وعكسها ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير
العالم كله • جاء بالعموم بعد الخصوص فسيقولون الله فسيجيبونك
عند سؤالك ان القادر على هذه هو الله تعالى فقل افلا تتقون
الشرك في العبودية اذا اعترفتم بالربوبية • المدارك •

وضل عنهم وضاع اي ظهر ضياعه وضلاله لانه كان قبل ذلك غير ضال او ضل في اعتقادهم ايضا ما كانوا يفترون من ان
آلهتهم تشفع لهم • او ما كانوا يدعون انها آلهة هذا وجعل ... للنفوس المبلو عليها بكل نفس على انه معطوف على
تبلو فان العدول الى الماضي للدلالة على التحقق والتقرر • وان ايثار صيغة الجمع للايذان بان ردهم الى الله
يكون على طريقة الاجتماع لا يلائمه التعرض لوصف الحقيقة في قوله تعالى مولاهم الحق فانه للتعريض بالمردود
سيما اشير اليه ولئن اكتفي فيه بالتعريض ببعضهم او حمل الحق على العدل في الثواب والعقاب فقوله تعالى
وضل عنهم ما كانوا يفترون مما لا مجال فيه للتدارك قطعا فان ما فيه من الضمائر الثلاثة للمشركين فيلزم
التفكيك حتما وتخصيص كل نفس بالنفوس المشركة مع عموم البلوى للكل يأباه مقام تهويل المقام
والله اعلم قل اي لاولئك المشركين الذين حكيت احوالهم وبين ما يؤدي اليه اعمالهم احتجاجا على حقية التوحيد
وبطلان ما هم عليه من الاشراك من يرزقكم من السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب
سماوية ومواد ارضية • او من كل واحدة منهما توسعة عليكم • وقيل من لبيان كلمة من على حذف المضاف
اي من اهل السماء والارض امن يملك السمع والابصار ام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن الاستفهام
الاول لكن لا على طريقة الابطال بل هي على وجه الانتقال وصرف الكلام عنه الى استفهام آخر تنبيها على كفايته
فيما هو المقصود اي من يستطيع خلقهما وتسويتهما على هذه الفطرة العجيبة • او من يحفظهما من الآفات مع
كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شيء يصيبهما ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اي ومن يحيي و
يميت • او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان ومن يدبر الامر اي ومن يلي تدبير امر العالم
جميعا • وهو تعميم بعد تخصيص بعض ما اندرج تحته من الامور الظاهرة بالذكر فسيقولون الله بلا تلعثم
ولا تأخير الله اذ لا مجال للمكابرة لغاية وضوحه والخبر محذوف اي الله يفعل ما ذكر من الافاعيل لا غيره فقل
عند ذلك تبكيتا لهم افلا تتقون الهمزة للانكار بمعنى عدم الاتقاء بمعنى انكار الواقع كما في اتضرب اباك
لا بمعنى انكار الوقوع كما في اأضرب ابي والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اي اتعلمون
ذلك فلا تتقون انفسكم عذابه الذي ذكركم بما تتعاطونه من اشراككم به ما لا يشاركه في شيء مما ذكر من
خواص الالهية ابو السعود
هنالك تبلو اي تختبر وتعلم بالتاء من البلوى وبالتاء من التلاوة او في معنى التبعة تتبع
كل نفس ما اسلفت اي قدمت من العمل خيرا كان او شرا كما يختبر الرجل الشيء ويتبعه ليعرف حقيقته او تقرأ كل نفس
صحيفتها ليعلم ما فيها وردوا في الآخرة الى الله اي الى حكمه مولاهم الحق اي الذي يتولى ويملك امرهم حقيقة ولا يشكل بقوله
ان الكافرين لا مولى لهم لان المعنى فيه من الولي الناصر وهنا المولى المالك وضل عنهم اي غاب وزال ما كانوا يفترون
في الدنيا من الكذب والشفاعة لهم قل للمشركين من يرزقكم من السماء بالمطر والارض بالنبات امن يملك السمع والابصار الذين
لكم يعني من اعطاكم اياهما وما فيهما من الحكم ومن يخرج الحي من الميت كالولد من النطفة ومن يخرج الميت من الحي
كالنطفة من الحيوان ومن يدبر الامر اي ومن يفعل ويتولى امر جميع العالم • او من يرسل الملائكة بالامر والقضاء
فسيقولون اي فيقولون الله اي هو يفعل هذه الاشياء كلها لا الاصنام لانها لا عقل ولا قدرة لهم فقل لهم افلا تتقون
عقاب الله فتتركون الشرك وتؤمنون به
من العيون

فذلكم اى فعال هذه الاشياء الله ربكم الحق الذى لا يشك من حقق النظر فيه انه رب كل شئ فماذا بعد الحق اى فليس
هنا العمل بعد الشرك وعبادة غيره بعد ظهور الحق الذى هو الايمان بالله وطاعته الا الضلال عن الحق فانى تصرفون
اى من اين تعدلون عن عبادته وانتم مقرون بالحق كذلك اى هكذا حقت اى وجبت كلمت ربك مفردا وجمعا هنا
وفى اخر التوبة وفى الزمر اى حكم ربك الذى سبق فى علمه يا محمد على الذين فسقوا اى ضلوا كفرا انهم لا يؤمنون
بفتح ان بدل من كلمة ربك اى حق عليهم انتفاء الايمان وعلمه تعالى ويجوز ان يكون المراد من الكلمة العدة بالعذاب
وانهم لا يؤمنون تعليل بتقدير اللام اى لانهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم استفهام على سبيل التعجيز للكافر الراد
للحق الذى لا شبهة فيه للمعترف بصحته بحسب اقتضاء العقل اى هل من معبودكم من يبدأ الخلق اى من
يقدر على خلق شئ وانشائه من غير اصل ولا مثال ثم يعيده اى يحييه من الموت كهيئته فان اجابوا والا فانت
قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون اى من اين تكذبون انهم شركاء الله او تعدلون عن الهدى
عن العيون

فذلكم الله ربكم الحق اى المتولى لهذه الامور هو المستحق للعبادة هو ربكم الثابت الربوبية حيث انشاكم واحياكم
ورزقكم ودبر اموركم على وفق المشيئة والارادة فماذا بعد الحق الا الضلال اى ليس بعد الحق الا الباطل
فمن يخطئ الحق الذى هو عبادة الحق وقع فى تيه الضلال الموجب للاغلال والانكال فانى تصرفون عن الحق الى الباطل
مع وضوح انه ليس له طائل وقال القشيرى رحمه الله ان الكون موضوعات الحق ومتعلقات الارادة
ومتناولات المشية ومحسوسات التقدير ومصرفات القدرة وهى اشباح خالية واحكام التقدير عليها
جارية كذلك حقت كلمت ربك كما حقت الربوبية له حق كلمة الله وعدله على الذين فسقوا عن دوا فى
خروجهم عن طاعته ربهم انهم لا يؤمنون علة او بدل من الكلمة والمراد العدة بالعقوبة وقال القشيرى رحمه
انه سبق منه الحكم وصدق فيهم القول فلا لحكمه تحويل ولا لقوله تبديل وان العلل لا تغير الازل يتعبر
على القادر
رحمه الله

بارادته وانما يقع عند وقوعه بالنفس من جهة صارف خارجى كذلك اى كما حقت الربوبية لله تعالى
او كما انه ليس بعد الحق الا الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمت ربك وحكمه وقضاؤه على الذين فسقوا
اى تمردوا فى الكفر وخرجوا من اقصى حدوده انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب
قل هل من شركائكم احتجاج اخر على حقية التوحيد وبطلان الاشراك باظهار كون شركائهم بمعزل من استحقاق
الالهية ببيان اختصاص خواصها من بداء الخلق واعادته به سبحانه وتعالى وانما لم يعطف على ما قبله ايذانا
باستقلاله فى اثبات المطلوب والسؤال للتبكيت والالزام وقد جعلت هليته الاعادة وتحققها لوضوح
مكانها وسنوح برهانها بمنزلة بدائه الخلق فنظمت فى سلكه حيث قيل من يبدأ الخلق ثم يعيده ايذانا بتلازمهما
وجودا وعلما بتلازم الاعتراف به الاعتراف بها وان صدهم عن ذلك ما بهم من المكابرة والعناد ثم امر صلى الله
عليه وسلم بان يبين لهم من يفعل ذلك فقيل له قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده اى يفعلهما لا غير كائنا ما كان
لا بان ينوب صلى الله عليه وسلم عنهم فى ذلك كما قيل لان المقول المأمور به غير ما اريد منهم من الجواب وان كان
مستلزما له اذ ليس المسؤل عنه من يبدأ الخلق ثم يعيده كما فى قوله تعالى قل من رب السموات والارض قل الله
حتى يكون القول المأمور به عين الجواب الذى اريد منهم ويكون صلى الله عليه وسلم نائبا عنهم فى ذلك
بل انما هو وجود من يفعل البدء والاعادة من شركائهم فالجواب المطلوب منهم لا لا غير نعم امر صلى الله
عليه وسلم بان يضمنه مقالته ايذانا بتعينه وتحتمه واشعارا بانهم لا يجترئون على التصريح به مخافة
التبكيت والقام الحجر لا مكابرة ولجاجا فتدبر واعادة الجملة فى الجواب بتمامها غير محذوفة الخبر كما فى الجواب
السابق لمزيد التاكيد والتحقيق فانى تؤفكون الافك الصرف والقلب عن الشئ وقد يخص بالقلب عن
الراى وهو الانسب بالمقام اى كيف تقلبون من الحق الى الباطل والكلام فيه كما ذكر فى تصرفون ابو السعود

فذلكم الله اشارة من هذه افعاله وقدرته ربكم الحق الثابت ربوبيته الواجب وجوده لانه الذى انشاكم واحياكم ورزقكم
ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال استفهام انكارى اى ليس بعد الحق الذى هو التوحيد وتخصيص العبادة به تعالى
الا الضلال فانى تصرفون من الحق الى الضلال ومن التوحيد الى الشرك كذلك مثل ذلك الحق اى كما حقت الربوبية لله تعالى
او كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمت ربك حكمه على الذين فسقوا وتمردوا فى الكفر
وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون مفعول كلمة لانها فى معنى الحكم اى حكمه بانهم لا يؤمنون او بدل منها
اى حق وثبت انهم لا يؤمنون او تعليل على ان الكلمة كلمة العذاب وعدته اى لانهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من
يبدأ الخلق ثم يعيده الزمهم بابداع الخلق واعادته وان لم يكونوا معترفين بها تنبيها على وضوح برهانها
وكلالة على ان من انكرها كان مكابرا رادا للظاهر البين الذى اعترف بصحته العقلاء وكان عندهم من
المسلمات ونداوى الى بحثهم وعنادهم وشدة مكابرتهم بامر النبى صلى الله عليه وسلم بان ينوب عنهم
فى الجواب فى قوله قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده اى بدعهم لجاجهم ان ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم فانى
تؤفكون تصرفون عن قصد السبيل ابو السعود فذلكم فذلكم لما تقدم اى ذلكم الذى اعترفتم باتصافه
بالنعوت المذكورة وهو مبتدأ وقوله تعالى الله خبره وقوله تعالى ربكم اى مالككم متولى اموركم على
الاطلاق بدل منه او بيان له وقوله تعالى الحق صفة له اى ربكم الثابت ربوبيته والتحقق او لوهيته
تحققا لا ريب فيه فماذا يجوز ان يكون
الكل اسما واحدا قد غلب فيه الاستفهام
على اسم الاشارة وان يكون ذا موصولا
بمعنى الذى اى ما الذى بعد الحق
اى غيره بطريق الاستعارة واظهار الحق
اما لان المراد به غير الاول كما ستقف عليه
واما لزيادة التقرير ومراعاة كمال
المقابلة بينه وبين الضلال والاستفهام
انكارى بمعنى انكار الوقوع ونفيه
اى ليس غير الحق الا الضلال الذى
لا يختاره احد فحيث ثبت ان عبادته
من هو متصف بما ذكر من النعوت
الجميلة حق ظهر ان ما عداها من
عبادة الاصنام ضلال محض اذ لا واسطة
بينهما وانما سميت ضلالا مع كونها من
اعمال الجوارح باعتبار ابتنائها على ما هو
ضلال من الاعتقاد والراى على
هذا تقدير كون الحق عبارة عن
التوحيد واما على تقدير كونه عبارة
عن الاول فالمراد بالضلال هو الاصنام
ولا عبادتها والمعنى فماذا بعد الرب الحق
الثابت ربوبيته الا الضلال اى
الباطل الضائع المضمحل وانما سمى
بالضلال مبالغة كانه نفس الضلال
والضياع وهذا انسب بقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون على التفسير الثانى

فذلكم الله اى من هذه قدرته الله ربكم الحق الثابت ربوبيته
ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا بعد الحق الا الضلال اى
لا واسطة بين الحق والضلال فمن يخطئ الحق وقع فى الضلال
فانى تصرفون عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك كذلك
مثل ذلك الحق حقت كلمت ربك كلمات شاهى ومدنى اى كما حق
وثبت ان الحق بعده الضلال او كما حق انهم مصروفون عن الحق
فلذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا تمردوا فى كفرهم وخرجوا
الى الحد الاقصى منه انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة اى حق عليهم
انتفاء الايمان او حق عليهم كلمة الله ان ايمانهم غير كائن او
اراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يؤمنون تعليل اى لانهم
لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده انما ذكر ثم
يعيده وهم غير مقرين بالاعادة لانه لظهور برهانها جعل امرا
مسلما على ان فيهم من يقر بالاعادة او يجعل اعادة غير البشر
كاعادة الليل والنهار واعادة الانزال والنبات قل الله يبدأ الخلق
ثم يعيده امر نبيه ان ينوب عنهم فى الجواب يعنى انه لا يدعهم
مكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم فانى تؤفكون فكيف تصرفون
عن قصد السبيل

معنى انكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه وفيه من المبالغة ما ليس فى توجيه الانكار الى نفس الفعل لان
كل موجود لا بد من ان يكون وجوده على الطريق البرهانى كما مر مرارا والفاء لترتيب الانكار على ما قبله اى
كيف تصرفون من الحق الذى لا محيد عنه وهو التوحيد الى الضلال عن السبيل التقى وهو الاشراك وعبادة
الاصنام او من عبادة ربكم الحق الثابت ربوبيته الى عبادة الباطل الذى سمعتم ضلاله وضياعه فى الاخرة
وايثار صيغة المبنى للمفعول ايذانا بان الانصراف من الحق الى الضلال مما لا يصدر عن العاقل بارادته

لا يهدي حمزة وكسائي لا يهدي ابن كثير وابن عامر وورش لا يهدي عاصم لا يهدي لا يهدي ابو عمرو بالروم اشمامي

قل هل من شركائكم من يهدي بنصب الحجج وارسال الرسل والتمكين والاقدار على النظر والتوفيق للتفكر والتدبر الى الحق والهام الحق والصواب • وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية • وانما لم ينحو على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بهما ما اسند الى الله تعالى في قل الله يهدي للحق اى الله تعالى وحده هو الذي يهدي للحق دون غيره افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى اى من يهدي هذه الهداية احق بالاتباع ام الذي لا يهتدي بنفسه الا ان يهديه الله تعالى • وهذا حال اشرف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام وقيل من لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان يهدى الا ان ينقل • وقرئ لا يهدي بفتح الياء وتشديد الدال والاصل يهتدي فادغم • وقرئ الا ان يهدي من هداه للمبالغة • ومنه جاء يهدي لغطا وعنه كقولهم قطعه فتقطع فما لكم كيف تحكمون بالباطل اذ تزعمون انهم انداد الله تعالى • اى اتحاكم

احتجاج آخر على ما ذكر الزاما لهم عقب الزام وافحاما اثر افحام وفصله عما قبله لما ذكر من الدلالة على استقلاله

قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق اى بوجه من الوجوه فان ادنى مراتب المعبودية هداية المعبود لعبدته الى ما فيه صلاح امرهم • واما تعيين طريق الهداية وتخصيصه بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر كما قيل فمخل بما يقتضيه المقام من كمال التبكيت والالزام فان العجز عن الهداية على وجه خاص لا يستلزم العجز عن مطلق الهداية • وهدى كما يستعمل بكلمة الى لتضمنه معنى الانتهاء يستعمل باللام للدلالة على ان المنتهى غاية للهداية • وانما لم يتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك استعمل بهما اسند الى الله تعالى حيث قيل قل الله يهدي للحق اى هو يهدي له دون غيره وذلك بما ذكر من نصب الادلة والحجج وارسال الرسل وانزال الكتب والتوفيق للنظر والتدبر وغير ذلك من فنون الهدايات • والكلام في الامر بالسؤال والجواب كما مر فيما مر افمن يهدي الى الحق وهو الله عز وجل احق ان يتبع امن لا يهدي بكسر الهاء اصله يهتدي فادغم وكسرت الهاء لالتقاء الساكنين • وقرئ بكسر الياء اتباعا لها بحركة الهاء • وقرئ بفتح الهاء نقلا لحركة التاء اليها اى لا يهدي بنفسه فضلا عن هداية غيره وفيه من المبالغة ما لا يخفى • وانما نفي عنه

قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق يرشد اليه قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى يقال هداه للحق والى الحق • فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى • ومنه قرا حمزة وعلى امن لا يهدي بمعنى لا يهتدي • لا يهدي بفتح الياء وتشديد الدال مكي وشامي وورش • وباشمام الهاء فتحة ابو عمرو وبكسر الهاء وفتح الياء عاصم غير يحيى • والاصل يهتدي وهو قراءة عبد الله فادغم التاء في الدال وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين • وبكسر الياء والهاء وتشديد الدال يحيى لاتباع ما بعدها • وبسكون الهاء وتشديد الدال مدني غير ورش • والمعنى ان الله تعالى وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول واعطاهم من التمكين للنظر في الادلة التي نصبها لهم وبما وفقهم والهمهم على الشرائع بارسال الرسل فهل من شركائكم التي جعلتم انداد الله تعالى احد يهدي الى الحق مثل هداية الله تعالى ثم قال افمن يهدي الى الحق احق بالاتباع ام الذي لا يهدي اى لا يهتدي بنفسه او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله تعالى • وقيل معناه امن لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان يهدى الا ان ينقل • او لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء الا ان ينقله الله تعالى من حاله الى ان يجعله حيوانا ناطقا فيهديه فما لكم كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون انهم انداد لله سبحانه

الاهتداء مع ان المفهوم مما سبق نفي الهداية لما ان نفيها مستتبع لنفيه غالبا • فان من اهتدى الى الحق لا يخلو عن هداية غيره في الجملة وادناها كونه قدوة له بان يراه فيسلك مسلكه من حيث لا يدري • والفاء لترتيب الاستفهام على ما سبق من تحقق هدايته تعالى صريحا وعدم هداية شركائهم المفهوم من القصر ومن عدم الجواب المنبئ عن الجواب بالعدم فان ذلك مما يضطرهم الى الجواب الحق لا لتوجيه الاستفهام الى الترتيب كما يقع الواقع فان ذلك يختص بالانكاري كما في قوله تعالى افمن اتبع رضوان الله • ونحوه • والهمزة متأخرة في الاعتبار وتقديمها في الذكر لاظهار عراقتها في اقتضاء الصدارة كما هو راى الجمهور حتى لو كان السؤال بكلمة اى لاخرت اى الى العدول تعالى في قوله فاي الفريقين احق بالامن اثر تقدير ما يلجئ المشركين الى الجواب من حالهم وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم

٥

وقرئ لا يهدي بمعنى لا يهتدي لجبلته لا نفسا • او لا يهدي غيره • وصيغة التفضيل اما على حقيقتها والمفضل عليه محذوف كما اختاره مكي • والتقدير افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع ممن لا يهدي ام من لا يهدي احق • واما بمعنى حقيق كما اختاره ابو حيان وايا ما كان فام استفهام للالزام وان يتبع في محل النصب عند سيبويه والفراء او الجر عند الخليل والكسائي بعد حذف الجار على الخلاف المعروف اى بان يتبع الا ان يهدى استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى لا يهتدي او لا يهدي غيره في حال من الاحوال الا حال هدايته تعالى له الى الاهتداء او الى هداية الغير • وهذا حال اشراف شركائهم من الملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام • وقيل المعنى امن لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان ينقل اليه او الا ان ينقله الله تعالى من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه • وقرئ الا ان يهدى من التفعيل للمبالغة فما لكم اى اى شيء لكم في اتخاذكم هؤلاء شركاء لله سبحانه وتعالى • والاستفهام للانكار التوبيخي • وفيه تعجيب من حالهم وقوله تعالى كيف تحكمون اى بما يقضي صريح العقل ببطلانه انكار لحكمهم الباطل وتعجيب منه وتشنيع لهم بذلك • والفاء لترتيب الانكارين على ما ظهر من وجوب اتباع الهادي الى الحق • ان قلت التبكيت بالاستفهام السابق انما يظهر في حق من يقبل جوابه الصحيح فيكم باحقية من لا يهدي بالاتباع دون من يهدي وهم ليسوا حاكمين باحقية شركائهم لذلك دون الله سبحانه وتعالى بل باستحقاقهما جميعا مع رجحان جانبه تعالى حيث يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله تعالى قلت حكمهم باستحقاقه تعالى للاتباع بطريق الاشتراك حكم منهم بعدم استحقاقه تعالى لذلك بطريق الاستقلال فصاروا حاكمين باستحقاق شركائهم له دون الله تعالى من حيث لا يحتسبون • ابو السعود افندي رحمه الله

قل هل من شركائكم من يهدي اى يرشد الخلق بالدعوة الى الحق اى الاسلام فاذا قالوا لا ولا بد لهم من ذلك قل الله يهدي للحق اى الاسلام يقال هدى له والى اذا بين طريقه افمن يهدي الى الحق احق ومن يهدي الحق احق يدعي ويوثق من كان اهلا للكلام احق اى اولى واجدر ان يتبع فيعمل بامره وينتهي بنهيه امن لا يهدي فيه خمس قراآت بفتح الياء وسكون الهاء وتخفيف الدال بمعنى لا يهتدي • وبكسر الهاء بعد الفتح وتشديد الدال اصله لا يهتدي ادغم التاء في الدال فالتقى ساكنان فحرك احدهما بالكسر • وبفتح الهاء ايضا وتشديد الدال لان حركة التاء وقعت على الهاء • وبسكون الهاء بعد الفتح وتشديد الدال لان اصله لا يهتدي بسكون الهاء فادغم التاء في الدال واجمع التشديد مقامه • وبكسر الياء والهاء اتباعا وتشديد الدال • والمعنى الذي يهدي الى الحق احق بالاتباع ام الصنم المعبود الذي لا يتحرك بنفسه لكونه جمادا ولا ينتقل من مكانه الى مكان آخر الا ان يهدى اى بان ينقل اى ان يحمله احد ويزيله من مكانه لانه لا روح له ولا عقل فما لكم كيف تحكمون اى الجاهلون بالباطل ان لله شركاء الله الذي يهدي الى الحق احق بالاتباع ام الصنم الذي لا يهتدي الا ان يهدى • من العيون •

فان قيل كيف قال الا ان يهدى والصنم لا يتصور ان يهتدي ولا ان يهدى • قيل معنى الهداية في حق الاصنام الانتقال اى انها لا تنتقل من مكان الى مكان الا ان تحمل وتنقل بيّن به عجز الاصنام • وجواب آخر ذكر الهداية على وجه المجاز وذلك ان المشركين لما اتخذوا الاصنام آلهة وانزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر عمن يعلم ويعقل وما يتبع اكثرهم الا ظنا منهم يقولون ان الاصنام آلهة وانها تشفع لهم في الآخرة ظنا لم يرد به كتاب ولا رسول واراد بالاكثر جميع من يقول ذلك • معالم •

ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم مع مشاركة المعاندين لهم في ذلك التلويح بما سيكون من بعضهم
من اتباع الحق والتوبة كما سياتي هنا • وقد قيل المعنى وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله تعالى
الا ظنا غير مستند الى برهان عندهم • وقيل ما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها آلهة الا ظنا
والمراد بالاكثر الجميع فتأمل • وقيل الضمير في اكثرهم للناس فلا حاجة الى التكلف وان الظن
لا يغني من الحق من العلم اليقيني والاعتقاد الصحيح المطابق للواقع شيئا من الاغناء • ويجوز
ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه والجملة استئناف لبيان شأن الظن وبطلانه • وفيه
دلالة على وجوب العلم في الاصول وعدم جواز الاكتفاء بالتقليد ان الله عليم بما يفعلون
وعيد لهم على افعالهم القبيحة فيندرج تحتها ما حكي عنهم من الاعراض عن البراهين القاطعة
والاتباع للظنون الفاسدة اندراجا اوليا • وقرئ تفعلون بالالتفات الى الخطاب لتشديد
الوعيد وما كان هذا القرآن شروع في بيان ردهم للقرآن الكريم اثر بيان ردهم الادلة
العقلية المندرجة في تضاعيفه اي وما صح وما استقام ان يكون هذا القرآن المشحون
بفنون الهدايات المستوجبة للاتباع التي من جملتها هاتيك الحجج البينة الناطقة بحقية
التوحيد وبطلان الشرك ان يفترى من دون الله اي افتراء من الخلق اي مفترى منهم سمي
بالمصدر مبالغة ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المشهود على صدقها اي
مصدقا لها كيف لا وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد بصحتها • ونصبه بانه خبر كان
مقدرا • وقد جوز كونه علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الذي الخ • وقرئ بالرفع
على تقدير المبتدأ اي ولكن هو تصديق الذي الخ وتفصيل الكتاب عطف عليه نصبا ورفعا اي
وتفصيل ما كتب واثبت من الحقائق والشرائع لا ريب فيه خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك اي
منتفيا عنه الريب • او حال من الكتاب وان كان مضافا اليه فانه مفعول في المعنى • او استئناف
لا محل له من الاعراب من رب العالمين خبر آخر اي كائنا من رب العالمين • او متعلق بتصديق او
بتفصيل • اي بالفعل المعلل بهما • ولا ريب فيه اعتراض كما في قولك زيد لا شك فيه كريم • او حال
من الكتاب • او من الضمير في فيه • ومساق الآية الكريمة بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه [illegible]

وما يتبع اكثرهم الا ظنا اي ما يتبع جميعهم في قولهم ان الاصنام آلهة وانها تشفع لهم • ابو السعود •
في الآخرة الا ظنا لم يرد به كتاب ولا رسول والمعنى ان اقرارهم بالله ظن لانه قول غير مستند
الى برهان عندهم فلذلك يتركون الحق ويتبعون الظن ان الظن لا يغني اي لا يدفع ولا ينفع
من الحق اي من عذاب الله شيئا اي لا يقوم الظن مقام العلم والتحقيق ان الله عليم بما يفعلون
من عبادتهم الشركاء وتقليدهم الآباء وما كان اي ما صح هذا القرآن ان يفترى اي يختلق من دون الله
ويضاف الى غيره • فان يفترى في محل النصب خبر كان اي افتراء بمعنى مفترى ولكن كان هذا
تصديق الذي بين يديه اي قبله من الكتب كالتوراة والانجيل يعني المصدق لانه يصدق
ما جاء من انباء الامم الماضية وقصص الانبياء السالفة وتفصيل الكتاب اي وتبيين احكام [illegible]
من الحلال والحرام • واكد خبر كان المقدر الذي دخل عليه لكن بقوله لا ريب فيه اي منتفيا عنه
الريب عند من آمن به واقر انه كائنا من رب العالمين وهما في محل النصب بان يكونا خبرين
بعد الخبر • او حالين • ويجوز ان يتعلق من بتصديق • من العيون •

٢١

وما يتبع اكثرهم في معتقداتهم الا ظنا غير مستند الى برهان بل مستند الى خيالات واقيسة فاسدة كقياس الغائب
على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة • والمراد بالاكثر من ينتمي منهم الى تمييز ونظر
ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغني في معرفة الله تعالى من الحق اي العلم والاعتقاد شيئا مفعول به
ومن الحق حال منه • او نصب على المصدر اي لا يغني بدل الحق شيئا من الاغناء • وقيل وما يتبع اكثرهم في
اتخاذ الاصنام آلهة وانها شفعاء الا ظنا • وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والتقليد و
الاكتفاء بالظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد لهم على ما يفعلونه من اتباع الظن وتقليد الآباء دون
البرهان وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله وما صح ان يكون مثل هذا القرآن في الاعجاز افتراء من
الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه ولكن كان تصديقا لما تقدمه من الكتب المنزلة الصادقة وتصديق
الصادق صادق وهو لكونه معجزا دليل على صدقها وشاهد لصحتها • تصديق خبر كان المقدر • او علة لفعل
محذوف تقديره لكن انزل الله تصديق الذي الخ • وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق الذي الخ وتفصيل
الكتاب وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم • وقرئ وتفصيل بالرفع عطفا
على تصديق على قراءة الرفع لا ريب فيه خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك اي منتفيا عنه الريب كائنا
من رب العالمين ويجوز ان يكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا
كقولك زيد لا شك فيه كريم • او بالفعل المعلل بهما • او حالا من الكتاب • او الضمير في فيه لانه مفعول في المعنى • ومساق
الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان على كونه من عند الله
ابن كمال

وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها آلهة وانها شفعاء عند الله
والمراد بالاكثر الجميع الا ظنا بغير دليل وهو تقليدا وهم باسلافهم ظنا
انهم مصيبون ان الظن لا يغني من الحق شيئا في موضع المصدر •
اي اغناء ان الله عليم بما يفعلون من اتباع الظن وترك الحق
وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله اي افتراء من دون الله
والمعنى وما صح وما استقام ان يكون مثله في علو امره واعجازه مفترى
ولكن تصديق الذي بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة
وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله
كتاب الله عليكم لا ريب فيه من رب العالمين داخل في حيز الاستدراك
كانه قال ولكن تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين
ويجوز ان يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه
لا ريب في ذلك • فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل
ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم انتهى مدارك

وما يتبع اكثرهم كلام مبتدأ
غير داخل في حيز الامر مسوق من
قبله تعالى لبيان عدم فهمهم لمضمونه
ما الجم وافحمهم الحجج من البرهان النير
الموجب لاتباع الهادي الى الحق الناعي
عليهم بطلان حكمهم وعدم تأثرهم
من ذلك لعدم اهتدائهم الى طريق
العلم اصلا اي ما يتبع اكثرهم في
معتقداتهم ومحاوراتهم الا ظنا
واهيا من غير التفات الى فرد من افراد
العلم فضلا عن ان يسلكوا مسالك
الادلة الصحيحة الهادية الى الحق
المبنية على المقدمات اليقينية الحقة فيفهموا مضمونها ويقفوا على صحتها وبطلان ما يخالفها من احكامهم
الباطلة فيحصل التبكيت والالزام • فالمراد بالاتباع مطلق الاعتقاد الشامل لما يقارن القبول
والانقياد وما لا يقارنه وبالقصر ما اشير اليه من انه لا يكون لهم في اثنائه اتباع لفرد من افراد العلم
والتفات اليه • ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم الاشعار بان بعضهم قد يتبعون العلم
فيقفون على حقية التوحيد وبطلان الشرك لكن لا يقبلونه مكابرة وعنادا فيحصل بالنسبة
اليهم التبكيت من البرهان المذكور وان لم يظهروه • وكونهم اشد كفرا واكثر عذابا من الفريق
الاول لا يقدح فيما يفهم من فحوى الكلام من كون اولئك اسوأ حالا من غيرهم • اذ المعتبر
سوء الحال من حيث الفهم والادراك لا من حيث الكفر والعذاب • او وما يتبع اكثرهم مدة
عمرهم الا ظنا ولا يتركونه ابدا فان حرف النفي الداخل على المضارع يفيد استمرار النفي بحسب
المقام • فالمراد بالاتباع هو الاذعان والانقياد والقصر باعتبار الزمان •

أم يقولون بل أيقولون افتراه محمد ومعنى الهمزة انكار لقولهم واستبعاد لدعوى الافتراء مع كونه حجة عليهم بالاعجاز
قل فأتوا بسورة مثله اى ان كان افتراء كما زعمتم فأتوا بسورة مفتراة مثله فى البلاغة وحسن النظم فانتم مثلى
فى البلاغة والفصاحة بل اشد تمرنا بها منى وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان
تستعينوا به من دون الله من خلقه اى لا تدعوا الله فانه وحده قادر على ذلك وادعوا غيره ان كنتم صادقين
انه افتراء بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن فى اول وهلة سماعه قبل ان يفهموه ويعلموا
معانيه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وما يخالف دينهم لفرط امنهم بالقوم وتعودوا به من
دينهم ونفورهم عما يخالفه ولما يأتهم تأويله ولم يقفوا بعد على تأويله ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم
انه صدق ام كذب يعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجئوا بتكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه
ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع فى لما انه قد ظهر لهم بالاخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدى فزادوا قواهم فى معارضته
فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك
مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم انبياءهم قبل النظر فى معجزاتهم تقليدا وتعنتا واحدا فانظر كيف كان
عاقبة الظالمين وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم اى الهلاك

قاضى

أم يقولون افتراه بل أيقولون افتراه محمد صلى الله عليه وسلم والهمزة للانكار الواقع واستبعاده قل تبكيتا لهم واظهارا لبطلان مقالتهم الفاسدة ان كان الامر كما تقولون فأتوا بسورة مثله اى فى البلاغة وحسن الصياغة وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلى فى العربية والفصاحة واشد تمرنا منى فى النظم والعبارة وقرئ بسورة مثله على الاضافة اى بسورة كتاب مثله وادعوا للمظاهرة والمعاونة من استطعم دعاءه والاستعانة به من آلهتكم التى تزعمون انها ممدة لكم فى المهمات والملمات ومداره هم الذين تلجأون الى آرائهم فى كل ما تأتون وتذرون من دون الله متعلق بادعوا ودون جار مجرى اداة الاستثناء وقد مر تفصيله فى قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله اى ادعوا سواه تعالى من استطعتم من خلقه فانه لا يقدر عليه احد وافراده سبحانه وتعالى من حكم الدعاء للتنصيص على براءتهم منه تعالى وكونهم فى عدوة المضادة والمشاقة له لبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى لاجابهم اليه ان كنتم صادقين اى فى انى افتريته فان ذلك مستلزم لامكان الاتيان بمثله وهو ايضا مستلزم لقدرتكم عليه والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اضراب وانتقال عن اظهار بطلان ما قالوا فى حق القرآن العظيم بالتحدى الى اظهار بيان انه كلام ناشئ عن جهلهم بشأنه الجليل فما عبارة عن كله لا عما فيه من ذكر البعث والجزاء وما يخالف

ابو السعود

أم يقولون افتريه بل أيقولون اختلقه قل ان كان الامر كما تزعمون فأتوا انتم على وجه الافتراء بسورة مثله اى شبيهة به فى البلاغة وحسن النظم فانتم مثلى فى العربية وادعوا من استطعتم من دون الله اى وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله ان كنتم صادقين انه افتريه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن فى بداهة السماع قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم ومعنى التوقع فى لما يأتهم تأويله انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو شأنه واعجازه لما كرر عليهم التحدى وجربوا قواهم فى المعارضة وعرفوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا كذلك مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم يعنى كفار الامم الماضية كذبوا رسلهم قبل النظر فى معجزاتهم وقبل تدبرها عنادا وتقليدا للآباء ويجوز ان يكون معنى ولما يأتهم تأويله ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب فسارعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا فى نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل ان يجربوا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين

المدارك

قاضى بيضاوى ومن يقتدى به

من غير ان يتدبروا فيه ويقفوا على ما فى تضاعيفه من الشواهد الدالة على كونه كما وصف آنفا ويعلموا انه ليس مما يمكن ان يكون له نظير يقدر عليه المخلوق والتعبير عنه بما لم يحيطوا بعلمه دون ان يقال بل كذبوا به من غير ان يحيطوا بعلمه او نحو ذلك للايذان بكمال جهلهم به وانهم لم يعلموه الا بعنوان عدم العلم به وبان تكذيبهم به انما هو بسبب عدم علمهم به لما ان ادارة الحكم على الموصول مشعرة بعلية ما فى حيز الصلة له ولما يأتهم تأويله عطف على الصلة او حال من الموصول اى ولم يقفوا بعد على تأويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه الرائقة المنبئة عن علو شأنه والتعبير عن ذلك باتيان التأويل للاشعار بان تأويله متوجه الى الاذهان منساق اليها بنفسه او لم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة النظم والمعنى ومن جهة الاخبار بالغيب وهم قد فاجئوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفكروا فى معناه او ينتظروا وقوع ما اخبر به من الامور المستقبلة ونفى اتيانه التأويل بكلمة لما الدالة على التوقع بعد نفى الاحاطة بعلمه بكلمة لم لتأكيد الذم وتشديد التشنيع فان الشناعة فى تكذيب الشئ قبل علمه المتوقع اتيانه افحش منها فى تكذيبه قبل علمه مطلقا والمعنى انه كان يجب عليهم ان يتوقفوا الى زمان وقوع المتوقع فلم يفعلوا واما ان المتوقع قد وقع بعد وانهم استمروا على ذلك ايضا عنادا على ما هم عليه اصلا فلا تعرض له ههنا ولا استشهاد عليه بعدما انقطاع الذم او ادعاء ان قولهم افتراه تكذيب بعدما تدبر ناشئ من عدم التدبر فتدبر كيف لا وهم لم يقولوه بعد التحدى بل قبله وادعاء كونه مسبوقا بالتحدى الوارد فى سورة البقرة يرده انها مدنية وهذه مكية وانما الذى يدل عليه ما سيتلى عليك من قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به الخ وقوله تعالى كذلك الى آخره وصف لحالهم الحالى وبيان لما يؤدى اليه من العقوبة اى مثل ذلك التكذيب المبنى على بادى الراى والمجازفة من غير تدبر وتأمل كذب الذين من قبلهم اى فعلوا التكذيب او كذبوا ما كذبوا من المعجزات التى ظهرت على ايدى انبيائهم او كذبوا انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وهم الذين من قبلهم من المكذبين وانما وضع المظهر موضع المضمر للايذان بكون التكذيب ظلما وبعليته لاصابة ما اصابهم من سوء العاقبة وبدخول هؤلاء الظالمين فى زمرتهم جرما ووعيدا دخولا اوليا

ابو السعودى افندى رحمه الله

للمولى التفتازانى سمه

أم يقولون اى بل يقول كفار مكة افتراه اى اختلق القرآن محمد صلى الله عليه وسلم من ذات نفسه قل فأتوا بسورة مثله فى تدل من سورة اى شبيه القرآن فى الفصاحة والاعجاز على طريق الافتراء لانكم عرب مثلى وادعوا من استطعتم من دون الله ممن تعبدونه الاصنام ليعينوكم على مثل ذلك الافتراء ان كنتم صادقين انه يقوله من ذات نفسه فلما سمعوا ذلك سكتوا فبين عجزهم بقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اى بل هم سارعوا الى تكذيب ما لم يدركوا اى بما فيه علم ما لهم من الثواب وما عليهم من العقاب وهو القرآن ولما يأتهم تأويله اى لم يأت لهم عاقبة ما وعد الله فى القرآن انه يؤول اليه امرهم وهو العقوبة فى الدنيا او فى الاخرة وهى كائنة لا محالة دل على ذلك كلمة التوقع او كذبوا القرآن على البديهة قبل فهمه والوقوف على معانيه وتأويله ولم يجيئهم ما يبين صدقه من كذبه وهو علامة الاعجاز بعد كذلك اى مثل ذلك التكذيب قبل النظر فى معجزات الانبياء كذب الذين من قبلهم من الامم الماضية رسلهم فانظر كيف كان اى صار عاقبة الظالمين اغرقهم بتكذيب رسلهم وفيه حث للنبى صلى الله عليه وسلم على الصبر وتخويف لهم بالعقوبة

من العيون

من الكتب التى وقفها الفقير ... محمد ...

التي القرآن فيبقى على ما كان عليه من الشك وهذا القدر من الإحاطة وإتيان التأويل كافٍ في مقابلة ما سبق من عدم الإحاطة بالتأ...
وقوله تعالى لكن الذين اريد وانما سلف بقوله عز وجل وما يتبع اكثرهم الا ظنا على التفسير الاول • او لا يؤمن به فيما سيأتي بل يموت
على كفره معاندا كان او شاكا وهم المستمرون على اتباع الظن على التفسير الثاني من غير اذعان للحق وانقياد له • وربك اعلم
بالمفسدين اي بكلا الفريقين على الوجه الاول او بالمعاندين فقط كما قيل لاشتراكهما في اصل الفساد المستدعي لاشتراكهم
في الوعيد او بالمصرين الباقين على الكفر على الوجه الثاني من المعاندين والشاكين • وان كذبوك اي اصروا على تكذيبك
واصروا عليه حسبما اخبر عنهم بعد الزام الحجة بالتحدي فقل لي عملي ولكم عملكم اي تبرأ منهم فقد اعذرت كقوله تعالى
فان عصوك فقل اني بريء والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا • وتوحيد العمل المضاف اليهم باعتبار
الاتحاد النوعي ولمراعاة كمال المقابلة انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون تأكيد لما افاده لام الاختصاص من عدم
تعدي جزاء العمل الى غير عامله اي لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم • ولما فيه من ايهام المتاركة وعدم التعرض
لهم قيل انه منسوخ بآية السيف ومنهم من يستمعون اليك بيان لكونهم مطبوعا على قلوبهم بحيث لا سبيل الى ايمانهم
وانما جمع الضمير الراجع الى كلمة من رعاية لجانب المعنى كما افرد فيما سيأتي محافظة على ظاهر اللفظ ولعل ذلك للايماء الى
كثرة المستمعين بناء على عدم توقف الاستماع على ما يتوقف عليه النظر من المقابلة وانتفاء الحجاب والظلمة
اي ومنهم ناس يستمعون اليك عند قراءتك القرآن وتعليمك الشرائع افانت تسمع الصم همزة الاستفهام للانكار
والفاء عاطفة وليس الجمع بينهما لترتيب انكار الاسماع على الاستماع كما هو رأي سيبويه والجمهور على ان
يجعل تقديم الهمزة على الفاء لاقتضائها الصدارة كما تقرر في موضعه بل لانكار ترتبه عليه حسبما هو المعتاد لكن
لا بطريق العطف على الفعل المذكور لادائه الى اختلال المعنى لانه اما صلة او صفة واياما كان فالعطف عليه يستدعي
دخول المعطوف في حيزه وتوجه الانكار اليه من تلك الحيثية ولا ريب في فساده بل بطريق العطف على مقدر
مفهوم من فحوى الكلام كانه قيل ايستمعون اليك فانت تسمعهم لا انكار لاستماعهم فانه امر محقق بل انكار
لوقوع الاسماع عقيب ذلك وترتبه عليه حسب العادة الكلية بل نفيا لامكانه ايضا كما ينبئ عنه وضع الصم
موضع ضميرهم ووصفهم بعدم العقل بقوله عز وجل ولو كانوا لا يعقلون اي ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم
لان الاصم العاقل ربما تفرس اذا وصل الى صماخه صوت واما اذا اجتمع فقدان السمع والعقل جميعا فقد
تم الامر ومنهم من ينظر اليك ويعاين دلائل نبوتك الواضحة افانت اي اعقيب ذلك انت تهديهم
وانما قيل تهدي العمي تربية لانكار هدايتهم وابرازا لوقوعها في معرض الاستحالة وقد اكد ذلك حيث قيل
ولو كانوا لا يبصرون اي ولو انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار الاعتبار والاستبصار
والعمدة في ذلك هي البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق فحيث اجتمع
فيهم الحمق والعمى فقد انسد عليهم باب الهدى • وجواب لو في الجملتين محذوف لدلالة قوله تعالى تسمع الـ...
تهدي العمي عليه وكل منهما معطوفة على جملة مقدرة مقابلة لها اي الغوي • كلتاهما في موضع الحال من
مفعول الفعل السابق اي افانت تسمع الصم لو كانوا يعقلون ولو كانوا لا يعقلون • افانت تهدي العمي
لو كانوا يبصرون ولو كانوا لا يبصرون اي على كل حال مفروض • وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة
الثانية عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند تحقق المانع او المانع القوي فلان يتحقق عند عدمه او
عند تحقق المانع الضعيف اولى • وعلى هذه النكتة يدور ما في لو وان الوصليتين من التأكيد وتقرير الكلا...

ظ ولا يقدح في هذا القصر ما مر آنفا من الاحاطة في الجملة لما انه ليس بالغا لحد الظن — في قوله تعالى ولو كره الكافرون ونحـ...

صح فان المعاندين ايضا تابعون للظن بمعنى القبول والتمكن بموجبه ولا يستلزم له

هو حمل الاتباع على مطلق الاعتقاد من غير اعتبار القبول والانقياد

قوله او لا يؤمن عطف على قوله لا يصدق به

قوله كما قيل اشارة الى الزمخشري والقاضي حيث يقتدي بهما

احدهما الفريق المصدق بحقيقة القرآن والآخر الفريق المكذب ظاهرا وباطنا

هو حمل الاتباع على الانقياد واعتبار الزمان في القصر

ومنهم من يؤمن به يصدق به في نفسه ولكن يعاند ومنهم من لا يؤمن به من يشك فيه ولا يصدق • او منهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر ولا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين والمصرين وان كذبوك وان اصروا وداموا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرأ منهم وخلهم فقد اعذرت وقل لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون لا تؤاخذون بعملي ولا أؤاخذ بعملكم • قيل ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخة باية السيف ولا وجه له لان النسخ انما يصار اليه عند قيام التعارض قطعا والايهام لا يدفع اصلا ومنهم من يستمعون اليك اذا قرأت القران وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون ولا يعون كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم اي ابعد التبليغ تقدر على اسماع الصم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم ومنهم من ينظر اليك ويعاينون دلائل صدقك ونبوتك ولكن لا يصدق افانت تهدي العمي انت تقدر ان تهديهم من اظهار المعجزات ودلائل النبوة تقدر على هداية من ولو كانوا لا يبصرون ولو انضم الى عماهم عدم تبصرتهم • افانت انكار ان يكون هو الذي يقدر على اسماع الاصم الذي لا يعقل وهداية الاعمى الذي لا بصيرة له • وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع هو فهم المعنى وحقيقة الابصار هو الاستبصار والاعتبار • وهما انما يكونان بالعقل والبصيرة لا بالحاستين ولذلك لا يوصف بالاول البهائم • ويحدس الاعمى المستبصر ويتفطن بما لا يدركه البصير الاحمق • وانه لا يقدر على موهبة العقل والبصيرة والتوفيق للفهم والاستبصار الا الله وحده فاذا لم يهب ولم توفق فمحال ان تقدر على ذلك • وفي تشبيههم بالصم والعمي ان فائدة السمع والبصر الفهم والاستبصار فاذا لم يحصلا فكأنهم لم يكونا • وفي ضم سلب العقل والبصيرة الى الصمم والعمى انهم على اليأس من ان يفهموا ويستبصروا واما سلب العقل في الاول وسلب البصر في الثاني فلعله لان بخلاف البصر بدون العقل توصل الى اهتداء الطريق والسلوك فيه • الا يرى ان البهائم تبصر الطرق وتسلكها وتتقي بها المهالك ولا عقل لها بخلاف السمع فانه لا ينتفع بها بدون العقل فظاهر البصر بدون العقل تبصر الاشياء وبظاهر السمع بدون العقل لا تعرف الاشياء • والاية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم

ومنهم من يؤمن به بالنبي او بالقران اي يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند بالتكذيب ومنهم من لا يؤمن به لا يصدق به ويشك فيه • او يكون للاستقبال اي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين المصرين وان كذبوك وان تمادوا على تكذيبك ويئست من اجابتهم فقل لي عملي ولكم عملكم جزاء اعمالكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون فكل مؤاخذ بعمله ومنهم من يستمعون اليك اي ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت القران وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون فهم كالصم افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون اتطمع انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوي الصوت فاذا اجتمع سلب العقول والسمع فقد تم الامر ومنهم من ينظر اليك ومنهم ناس ينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق من اعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون اتحسب انك تقدر على هداية العمي ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة يعني انهم في اليأس من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا ابصار

وصنف • اي كما ومنهم من يؤمن به الا لحالهم بعد اتيان التاويل المتوقع اذ حينئذ يمكن تنويعهم الى المؤمن به وغير المؤمن من ضرورة امتناع الايمان بشيء من غير علم به واشتراك الكل في التكذيب والكفر به قبل ذلك حسبما افادة قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه • اي ومن هؤلاء المكذبين من يؤمن به عند الاحاطة بعلمه او بعدما شاهدوا اتيانه تاويله وظهور حقيقته بعدما سعوا في المعارضة وراز وا قواهم فيها فتضاءلت دونها المدارك وتوقع ما اخبر به مرارا • وتحقيق الايمان به اما الاعتقاد بحقيته فقط • اي يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند ويكابر • وهؤلاء هم الذين اشير بقصرهم اتباع الظن على اكثرهم الى انهم يعلمون الحق على التفسير الاول كما اشير اليه فيما سلف واما الايمان الحقيقي الى سيؤمن به ويتوب عن الكفر وهم الذين اشير بالقصر المذكور على التفسير الثاني الى انهم يتبعون الحق كما مر ومنهم من لا يؤمن به اي لا يصدق به في نفسه كما لا يصدق به ظاهرا لفرط غباوته المانعة من الاحاطة به اصلا او لسخافة عقله واختلال تمييزه وعجزه عن تخليص علومه عن معارضة الظنون والاوهام

لكن ٨ وهو حمل الاتباع على الانقياد واعتبار الزمان في القصر

لا يقبلونه مكابرة

٩ وهو حمل الاتباع على مطلق الاعتقاد لا علما لا انقيادا بمكابرة القبول فقط

ومنهم من يؤمن به اي من المكذبين من يصدق بالقران في نفسه ولكن يعاند بالتكذيب • او منهم من سيؤمن ومنهم من لا يؤمن به اي يصر في الكفر ولا يصدقه ابدا لعلمه السابق فيه منهم وربك اعلم بالمفسدين الذين لا يؤمنون به او اعلم بعقوبة المشركين المعاندين او المصرين وان كذبوك يا محمد بما جئتهم به فقل لهم تحذيرا لي عملي اي ديني او جزاؤه ولكم عملكم اي دينكم او جزاؤكم يوم القيمة انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون وهذه منسوخة باية السيف نظرا الى ظاهرها وان تاولت بالجزاء فحكمه ثابتة قول ومنهم من يستمعون اليك جمع الضمير فيه نظرا لمعنى من نزل حين قدم طائفة من اليهود فاستمعوا قراءة القران وتعجبوا به ولم يسلموا لغلبة الشقاء عليهم • وقيل في شان كفار مكة تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم واعلاما له ان لا هادي الى الايمان بالقران الا الله • اي ومن المشركين ناس يستمعون اليك وقت قراءة القران باسماعهم الظاهرة فلا ينفعهم افانت تسمع الصم اي اانت تفهم القلب ولو كانوا لا يعقلون اي لا يفقهون بالقلب ومنهم من ينظر اليك بابصار العجائب منك افرد الضمير فيه نظرا للفظ من افانت تهدي اي ترشد الى الايمان العمي اي عمي القلب ولو كانوا لا يبصرون اي لا يدركونه بالبصيرة المعنى انهم في اليأس من قبول الحق وتصديقه كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصائر فكيف تهديهم بهدايتك وقد سلبت منهم السمع والبصر اللذين هما من اسباب الاهتداء وحكمت عليهم بان لا وانما قرن بالاصم عدم العقل وبالاعمى عدم الادراك تفضيلا لحكم الباطن على الظاهر لان الاصم الذي ربما تفطن بعقله واستدل على تحقق شيء اكثر ممن يقع الصوت في اذنه ولا عقل له • وكذا الذي له بصيرة قد يحس شيئا اكثر مما يحسه البصير الذي لا بصيرة له من العنوه

ان الله لا يظلم الناس شيئا ما خلا شيئا من اسباب كمالهم ووسائل اهتدائهم كنقص حواسهم وسلب عقولهم وبصائرهم
اما لهم سدى بلا تنبيه ببعثة الرسول وانزال الكتب ولكن الناس انفسهم يظلمون بترك استعمال مشاعرهم وعدم التدبر
والنظر بعقولهم والنظر والاعتبار ببصائرهم والزهول عن الوحي والانذار بالانهماك في شهواتهم • او لا يظلمهم
بالتعذيب بكفرهم وعنادهم يوم القيمة فانه عدل ولكن الناس انفسهم يظلمون باقتراف اسبابه واستيجابه •
فعلى هذا الوجه هو وعيد لهم وعلى الاول تنبيه على ان كونهم بمنزلة الصم والعمي من عدم استعمالهم الآلات الاهتداء
فيما خلقت له لا لان اسباب الهداية مفقودة • وعلى الوجهين تذييل لسابقه ويوم نحشرهم كان لم يلبثوا
الا ساعة من النهار استقصار منهم لمدة لبثهم في الدنيا او في البرزخ لهول ما يرونه وفي تبيانها بقوله من النهار تاكيد
للاستقصار لان النهار لكونه زمان الاشتغال والاشتغال لا يدرك طول ساعته بخلاف الليل • والجملة التشبيهية
في موقع الحال اي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة • او صفة ليوم والعائد محذوف اي كان لم يلبثوا قبله
او المصدر محذوف اي حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كان لم يتعارفوا الا قليلا وذلك
اول ما حشروا ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم فهو بيان لقوله كان لم يلبثوا الا طول مدة اللبث
توجب التناكر والتعارف انما يبقى مع قلتها قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله استينافا للشهادة من الله تعالى
على خسرانهم في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا مهتدين اي الى طريق التجارة • وفيه معنى التعجب كانه قيل ما
اخسرهم ووضع الذين كذبوا موضع ضميرهم اشعارا بان سبب الخسران انما هو تكذيبهم بلقاء الله تعالى وعدم الاهتداء
لاستعمال ما اوتوا من المشاعر والعقول والبصائر في تحصيل المعارف واكتسابهم بما عقائد فاسدة وجهالات
تؤديهم الى الخسران والهلاك والعذاب • ابو الكمال

لما كان الكلام في الاستقصار
بحسب الحسبان ناسب الاعتبار
بساعة النهار

ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون

ان الله لا يظلم الناس اشارة الى ان ما حكي
عنهم من عدم اهتدائهم الى الطريق الحق
وتعطل مشاعرهم من الادراك ليس
لاجل مستند الى الله عز وجل من خلقهم
مؤوفي المشاعر ونحو ذلك بل انما هو من
قبلهم اي لا ينقصهم شيئا مما نيط به
مصالحهم الدنيوية والدينية وكمالاتهم
الاولوية والاخروية من مبادي
ادراكاتهم واسباب علومهم من المشاعر
الظاهرة والباطنة والارشاد الى الحق
بارسال الرسل وانزال الكتب بل نوفيهم
ذلك من غير اخلال بشيء اصلا ولكن
الناس • وقرئ بالتخفيف ورفع الناس
وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة تعيين
وتقرير اي لكنهم بعدم استعمال مشاعرهم
فيما خلقت له واعراضهم عن قبول دعوة الحق
وتكذيبهم للرسل والكتب انفسهم يظلمون
اي ينقصون ما ينقصون مما يخلون به
من مبادي كمالهم وذرائع اهتدائهم
وانما لم يذكر لما ان مرمى الغرض انما هو
قصر الظلم على انفسهم لا بيان ما يتعلق به الظلم والتعبير عن ظلمهم بالنقص مع كونه تفويتا بالكلية وابطالا
بالمرة لمراعاة جانب قرينته وقوله عز وجل انفسهم اما تاكيد للناس فيكون بمنزلة ضمير الفصل في قوله تعالى وما كانوا
ولكن كانوا هم الظالمين في قصر الظالمية عليهم • واما مفعول ليظلمون حسبما وقع في سائر المواقع • وتقديمه
لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم على راي من لا يرى التقديم موجبا
فيكون كما في قوله سبحانه وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم لا على الفاعل ولا على المفعول ٥

على راي من يراه موجبا له فلعل ايثار قصرها دون قصر الظالمية عليهم للمبالغة في بيان بطلان افعالهم
وسخافة عقولهم لما ان اقبح الامرين عندنا اتحاد الفاعل والمفعول واشدهما انكارا عند العقل ونفرة لدى
الطبع واوضحهما حدثا منه عند كل احد هو المظلومية لا الظالمية على ان قصر الاولى عليهم مستلزم
لما يقتضيه ظاهر الحال من قصر الثانية عليهم ضرورة انه اذا لم يظلم احد من الناس الا نفسه يلزم
ان لا يظلمه الا نفسه اذ لو ظلمه غيره يلزم كون ذلك الغير ظالما لغير نفسه والمفروض ان لا يظلم احد
الا نفسه فاكتفي بالقصر الاول عن الثاني مع رعاية ما ذكر من الفائدة • وصيغة المضارع للاستمرار
نفيا واثباتا فان حرف النفي اذا دخل على المضارع يفيد بحسب المقام استمرار النفي لا نفي الاستمرار
ويرى ان قولك ما زيدا ضربت يدل على اختصاص النفي لا نفي الاختصاص • وسياق الاية
لالزام الحجة • ويجوز ان يكون للوعيد فالمضارع المنفي للاستقبال والمثبت للاستمرار والمعنى
ان الله لا يظلمهم بتعذيبهم يوم القيمة شيئا من الظلم ولكنهم انفسهم يظلمون ظلما مستمرا • فان مباشرتهم
المستمرة للسيئات الموجبة للتعذيب عين ظلمهم لانفسهم • وعلى الوجهين فالاية الكريمة تذييل لما سبق
ويوم نحشرهم منصوب بفعل • وقرئ بالنون على الالتفات اي اذكر لهم او انذرهم يوم نحشرهم كان لم يلبثوا اي
كانهم لم يلبثوا الا ساعة من النهار اي شيئا قليلا منه فانها مثل في غاية القلة • وتخصيصها بالنهار لان ساعاته
اعرف حالا من ساعات الليل • والجملة في موقع الحال من ضمير المفعول اي نحشرهم مشبهين في احوالهم الظاهرة
بالناس بمن لم يلبث في الدنيا ولم يتقلب في نعيمها الا ذلك القدر اليسير فان من اقام بها دهرا وتمتع بما فيها
يبقى عليه بعض آثار نعمة واحكام بهجة منافية لما بهم من رثاثة الهيئات وسوء الحال • او بمن لم يلبث في
البرزخ الا ذلك القدر • ففائدة التقييد بيان كمال يسر الحشر بالنسبة الى قدرته تعالى ولو بعد دهر طويل
واظهار بطلان استبعادهم وانكارهم بقولهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون ونحو ذلك • او بيان
تمام الموافقة بين النشاتين في الاشكال والصور فان قلة اللبث في البرزخ من موجبات عدم التبدل
والتغير فيكون قوله يتعارفون بينهم بيانا وتقريرا له لان التعارف مع طول العهد ينقلب تناكرا •
وعلى الاول يكون استينافا اي يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتعارفوا الا قليلا وذلك اول ما خرجوا من القبور
وهم حينئذ على ما كانوا عليه من الهيئات المتعارفة فيما بينهم ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال
المذهلة واعتراء الاحوال المعضلة المغيرة للصور والاشكال المبدلة لها من حال الى حال قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله شهادة من الله سبحانه وتعالى على خسرانهم وتعجب منه • وقيل حال من ضمير يتعارفون
على ارادة القول والتعبير عنهم بالموصول مع كون المقام مقام اضمار لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار
بعليته لما اصابهم والمراد بلقاء الله تعالى اما مطلق الحساب والجزاء او حسن اللقاء فالمراد بالخسران
الوضيعة والغبن وضعوا في تجاراتهم ومعاملاتهم واشترائهم الكفر بالايمان والضلالة بالهدى
ويعني قوله وما كانوا مهتدين ما كانوا عارفين باحوال التجارة مهتدين لطرقها وان كان سوء اللقاء
فالخسران الهلاك والضلال اي قد ضلوا وهلكوا بتكذيبهم وما كانوا مهتدين الى طريق النجاة • ابو السعود

ان الله لا يظلم الناس اي لا ينقص من اجورهم شيئا ولا يحمل عليهم من اوزار غيرهم شيئا لانه في جميع احواله
متفضل او عادل ولكن الناس انفسهم يظلمون بالكفر والمعصية • وقرئ لكن بكسر النون مع التخفيف ونصبها
مع التشديد وعليهما الاختلاف في الناس قوله ويوم نحشرهم بالنون والياء ظرف ليتعارفون اي يوم
يحشرهم الله بالبعث من قبورهم كان لم يلبثوا اي مشبهين بمن لم يمكثوا في الدنيا او في القبور لشدة ما
يرون يوم القيمة الا ساعة من النهار فكان مخففة من الثقيلة اي كانهم وساعة ظرف للبث •
وجملة كان نصبت على الحال من مفعول نحشر وجملة يتعارفون بينهم حال اخرى مبينة للاولى • ويجوز
ان يتعلق بالظرف اي يعرف بعضهم بعضا حين يخرجون من قبورهم كمعرفتهم في الدنيا ثم تنقطع المعرفة اذا
عاينوا اهوال القيمة • قيل ان الانسان يعرف من بجنبه يوم القيمة ولا يكلمه خشية وهيبة من هول القيمة
قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اي بالبعث بعد الموت اي غبنوا في تجارتهم ببيعهم الايمان بالكفر وما كانوا
مهتدين اي عارفين بالتجارة وفيه معنى التعجب والمراد بالخسران خسران النفس ولا شيء اعظم منه • ابن العيوة

واما نرينك اصله ان نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ومن ثمه اكد الفعل بالنون اي نبصرنك بان نظهر لك بعض الذي نعدهم اي وعدناهم من العذاب ونعجله في حياتك فتراه • والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة • او للدلالة على التجدد والاستمرار اي نعدهم وعدا متجددا حسبما تقتضيه الحكمة من انذار غب انذار • وفي تخصيص البعض بالذكر رمز الى العدة باراءة بعض الموعود وقد اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ذلك فالينا مرجعهم اي كيفما دارت الحال ورايناك بعض ما وعدناهم اولا فالينا مرجعهم في الدنيا والآخرة فننجز ما وعدناهم البتة • وقيل المذكور جواب للشرط الثاني كانه قيل فالينا مرجعهم فنريكه في الآخرة وجواب الاول محذوف لظهوره اي فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون من الافعال السيئة التي حكيت عنهم والمراد بالشهادة اما مقتضاها ونتيجتها وهي معاقبته تعالى اياهم واما اقامتها واداؤها بانطاق الجوارح والاظهار اسم الجلالة لادخال الروعة وتربية المهابة وتأكيد التهديد • وقرئ ثمه اي هناك ولكل امة من الامم الخالية رسول يبعث اليهم بشريعة خاصة مناسبة لاحوالهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم فبلغهم ما ارسل به فكذبوه وخالفوه قضي بينهم اي بين كل امة ورسولها بالقسط بالعدل وحكم بنجاة الرسول والمؤمنين به وهلاك المكذبين كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهم لا يظلمون في ذلك القضاء المستوجب لتعذيبهم لانه من نتائج اعمالهم • او ولكل امة من الامم يوم القيمة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله عز وجل وجيء بالنبيين والشهداء قضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استعجالا لما وعدوا من العذاب على طريقة الاستهزاء به والانكار حسبما يرشد اليه الجواب لا طلبا لتعيين وقت مجيئه على وجه الالزام كما في سورة الملك ان كنتم صادقين اي في انه يأتينا والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون عليهم الآيات المتضمنة للوعيد المذكور • وجواب الشرط محذوف اعتمادا على ما تقدم حسبما حذف في مثل قوله تعالى فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان الاستعجال في قوة الامر بالاتيان عجلة كانه قيل فليأتنا عجلة ان كنتم صادقين • ولما فيه من الاشعار بكون اتيانه من جهة النبي صلى الله عليه وسلم قيل قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا اي لا اقدر على شيء منهما بوجه من الوجوه • وتقديم الضر لما ان مساق النظم لاظهار العجز عنه • واما ذكر النفع فلتعميم الدائرة تكملة للعجز • وما وقع في سورة الاعراف من تقديم النفع للاشعار باهميته والمقام مقامه • والمعنى لا املك شيئا من شؤوني ردا وايرادا مع ان ذلك اقرب حصولا فكيف املك شؤونكم حتى اتسبب في اتيان عذابكم الموعود الا ما شاء الله استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله كائن • وحمله على الاتصال على معنى الا ما شاء الله ان املكه يأباه مقام التبري عن ان يكون له صلى الله عليه وسلم دخل في اتيان الوعد فان ذلك يستدعي بيان كون المتنازع فيه مما لا يشاء الله ان يملكه صلى الله عليه وسلم • وحمل ما عداه عن بعض الاحوال المعهودة المنوطة بالافعال الاختيارية المفوضة الى العباد على ان يكون المعنى لا املك لنفسي من الضر والنفع الا ما شاء الله ان املكه منهما من الضر والنفع المترتبين على افعالي الاختيارية كالضر والنفع المترتبين على الاكل والشرب عدما ووجودا تعسف ظاهر وقوله تعالى لكل امة اجل بيان لما ابهم في الاستثناء وتقييد لما في القضاء السابق من الاطلاق المشعر بكون المقضي به امرا منجزا غير متوقف على شيء غير مجيء الرسول وتكذيب الامة اي لكل امة امة ممن قضي بينهم وبين رسولهم اجل معين خاص بهم لا يتعدى الى امة اخرى مضروب لعذابهم يحل بهم عند حلوله اذا جاء اجلهم ان جعل الاجل عبارة عن حد معين من الزمان فمعنى مجيئه ظاهر وان اريد به ما امتد اليه من الزمان فمجيئه عبارة عن انقضائه اذ هناك يتحقق مجيئه بتمامه • والضمير ان جعل للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار الاجل مضافا اليه لافادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها ومجيئه اياها بعينها من بين الامم بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة عموم يفيده معنى الجمعية كانه قيل اذا جاء الامم اجالهم بان يجيء كل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة خاصة كما هو الظاهر فالاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة كمال التعيين اي اذا جاءها اجلها الخاص بها فلا يستأخرون عن ذلك الاجل ساعة اي شيئا قليلا من الزمان فانها مثل في غاية القلة منه اي لا يتأخرون عنه اصلا • وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له ولا يستقدمون اي لا يتقدمون عليه وهو عطف على يستأخرون

وهو عطف على يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه في نفسه كالتأخر بل للمبالغة في انتفاء التأخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا كما في قوله سبحانه وتعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع ظهور ان لا توبة له رأسا قد نظم في عدم قبول التوبة في سلك من سوّفها الى حضور الموت ايذانا بتساوي وجود التوبة حينئذ وعدمها بالمرة كما مر في سورة الاعراف • وقد جوز ان يراد بمجيء الاجل دنوه بحيث يمكن التقدم في الجملة كمجيء اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة معينة منه لكن ليس في تقييد عدم الاستئخار بدنوه مزيد فائدة وتقديم بيان انتفاء الاستئخار على بيان انتفاء الاستقدام لان المقصود الاهم بيان عدم خلاصهم من العذاب ولو ساعة وذلك بالتأخر • واما ما في قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون من سبق السبق في الذكر فلما ان المراد هناك بيان سر تأخير عذابهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فالاهم اذ ذاك بيان انتفاء السبق كما ذكر هناك • ابو السعود

واما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب في حيوتك يا محمد او نتوفينك قبل ان نريك تعذيبهم فالينا مرجعهم اي مصيرهم في الآخرة ثم الله شهيد اي عالم رقيب على ما يفعلون في الدنيا من الكفر والتكذيب فيجزيهم به يعني نحن نريكه في الآخرة فلا تتحزن • وكلمة ثم هنا بمعنى الواو اذ لا تراخي ثمة في تعذيبهم وقيل اريد من الشهادة هنا مقتضاها وهو العقاب كانه قال ثم الله تعالى معاقب على ما فعلوا فتم بعناه ولكل امة اي لاهل كل دين مضوا رسول اتاهم يدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم اي بين المكذبين ورسولهم بالقسط اي بالعدل فانجي الرسول وعذب المكذبون في الدنيا والآخرة [illegible] ايماء الى ان لا ثواب ولا عقاب قبل مجيء الرسول وهم لا يظلمون اي لا يعذبون بغير حجة تلزمهم الا يؤاخذون بغير ذنب ولا يزاد على

يوم الاحد ٦ س ١١٢٠

وَاِمَّا نُرِيَنَّكَ نبصرنك بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ من العذاب في حيوتك كما اراه يوم بدر اَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ قبل ان نريك فَاِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فنريكه في الآخرة • قيل فهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك • ولا حاجة الى تقدير الجواب المذكور لان قوله فالينا مرجعهم صالح ان يكون جوابا للشرط وما عطف عليه وعلى هذا يكون المعنى فعلى كلا التقديرين نعذبهم في الآخرة والذي نريكه في الدنيا لا يكون سببا لتخفيف عذابهم في الآخرة وهذا هو الجواب للقائم مقامه عند بالارتكاب المحذوف في الكلام ثُمَّ اللّٰهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ اي بعد رجوعهم الينا الله معاقبهم على افعالهم • او الله مؤد شهادته على افعالهم حين ينطق جلودهم والسنتهم شاهدة عليهم • والمراد من الشهادة مقتضاها وهي نتيجتها اي العقاب لان شهادة الذي احاط علمه بجميع افعالهم السيئة الخفية والظاهرة يوجب العقاب الشديد لانه يحص كل ما نسوه • والالتفات من التكلم الى الغيبة • واظهار اسم الله تعالى وايقاع ثم وايراد الجملة الاسمية للتنبيه على ان العاقب هو الله تعالى الذي لا يخفى عليه خافية وتربية المهابة والتهديد والتهويل بان مضمون الوعيد في غاية البعد من تصورهم عند الرجوع ودوام العقاب وفيه انواع من المبالغات في تشديد الوعيد وتاكيده • وقرئ ثَمَّ بالفتح اي هناك • وَلِكُلِّ اُمَّةٍ من الامم الماضية رَسُولٌ بعث اليهم ليدعوهم الى الحق فَاِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ بالبينات فكذبوه قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ بالعدل فانجي الرسول ومن آمن به واهلك المكذبون وذلك لالزام الحجة كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ بالعقاب في الآخرة بعد العذاب في الدنيا لانه جزاء سيئاتهم والتعذيب في الدنيا لا يكون مكفرا في حق الكافر • وعلى هذا ما سيجيء تاكيد لما قبله فالعاطف هو معنى اصاحب الجزء بخلاف ما قيل معناه لكل امة

وَاِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ من العذاب اَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ قبل عذابهم فَاِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف اي واما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك • او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه في الآخرة ثُمَّ اللّٰهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها وهو العقاب كانه قيل ثم الله معاقب على ما يفعلون • و قيل ثم هنا بمعنى الواو وَلِكُلِّ اُمَّةٍ رَسُولٌ يبعث اليهم ليبينهم على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق فَاِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قُضِيَ بَيْنَهُمْ بين النبي ومكذبيه بِالْقِسْطِ بالعدل فانجي الرسول وعذب المكذبون • او لكل امة من الامم يوم القيمة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ لا يعذب احد بغير ذنبه • ولما قال واما نرينك بعض الذي نعدهم اي من العذاب استعجلوا لما وعدوا من العذاب نزل وَيَقُولُونَ مَتَى هٰذَا الْوَعْدُ اي وعد العذاب اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ان العذاب نازل • وهو خطاب منهم للنبي والمؤمنين قُلْ لَا اَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا من مرض وفقر وَلَا نَفْعًا من صحة او غنى اِلَّا مَا شَاءَ اللّٰهُ استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف املك لكم الضرر وجلب العذاب لِكُلِّ اُمَّةٍ اَجَلٌ اِذَا جَاءَ اَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَاْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ لكل امة وقت معلوم للعذاب مكتوب في اللوح فاذا جاء وقت عذابهم لا يستقدمون ساعة ولا يتاخرون فلا تستعجلوا • اسهل المدارك •

يوم القيمة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضى بينهم بانجاء المؤمن وعقاب الكافر كقوله تعالى وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم فانه حينئذ يتعين التاكيد. فالعاطف يكون واقعا بين الشيء وحاله • وَيَقُولُونَ مَتَى هٰذَا الْوَعْدُ استعجال من المكذبين لما وعدوا من العذاب استبعادا وانكارا واستهزاء اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ خطاب للرسول والمؤمنين به قُلْ لَا اَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا فكيف املك لكم فاعجل اليكم العذاب • وتقدير الضرر لان ما فيه الكلام من جنسه اِلَّا مَا شَاءَ اللّٰهُ استثناء متصل اي الا ما شاء الله من ذلك كاين لِكُلِّ اُمَّةٍ اَجَلٌ مضروب لهلاكهم عند الله تعالى وحد محدود من الزمان اِذَا جَاءَ اَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَاْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ اذا جاء وقته انجز وعدكم بالعذاب فلا تستعجلوه فسيجيء وقته وقد سبق ما يتعلق به في سورة الاعراف • اسهل الجاك •

سيئاتهم وَيَقُولُونَ اي المشركون استهزاء مَتَى هٰذَا الْوَعْدُ بقيام الساعة او بنزول العذاب بنا اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ في ذلك انت يا محمد واصحابك • وفيه استبعاد منهم قُلْ لَا اَمْلِكُ لهم اي لا اقدر لِنَفْسِي على شيء ضَرًّا اي دفع ضرر من مرض او فقر وَلَا نَفْعًا اي جلب نفع كصحة وغنى اِلَّا مَا شَاءَ اللّٰهُ ان يقدرني عليه استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله من ذلك يصيبني فكيف املك على الاتيان بالساعة • او على انزال العذاب بكم لِكُلِّ اُمَّةٍ اَجَلٌ اي مدة معلومة وصورة فناء اعمارهم او وقت تعذيبهم فَاِذَا جَاءَ اَجَلُهُمْ اي ذلك الوقت فَلَا يَسْتَاْخِرُونَ عنه اي لا يمهلون سَاعَةً من الزمان وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ اي لا يتقدمون عنه ساعة فهذه الامة كذلك لا يتاخر عنهم العذاب اذا ترك عنهم • وانما قيد الساعة لانها اقل زمان الامهال والاستعجال والمعنى انه تعالى اذا جاء ذلك الوقت المحدود انجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وفيه مبالغة في نفي التاخير بتسوية طرفي الزمان المحدود في نفي التقديم والتاخير اللذين احدهما ممكن والآخر محال

عرائس العيون

قل ارأيتم ان اتاكم عذابه الذي يستعجلون به بياتا نصب على الظرف اي وقت بياتكم وغفلتكم بالنوم او نهارا اي في
اشتغالكم بطلب المعاش والكسب او اللهو • وجواب الشرط محذوف اي تندمتم على الاستعجال • او عرفتم الخطاء فيه •
وقوله ماذا يستعجل منه المجرمون متعلق بارأيتم اي اخبروني ماذا يستعجلون منه • او الشرطية اعتراض والاولى ان يكون
ماذا جواب الشرط كقولك ان اتيتك ماذا تطعمني • والشرطية متعلق بارأيتم • والمعنى ان العذاب كله مكروه موجب
للنفار بحسب ان يستعاذ منه لا ان يستعجل فاي شئ يستعجلون منه على ان الضمير منه للعذاب • وقيل لله تعالى
ويجوز ان يكون معنى الاستفهام في ماذا هو التعجب من العذاب مع الانكار اي اي شئ هائل شديد يستعجلون منه
ومن هذا الوجه يجوز ان يكون للبيان • ووضع المجرمون موضع ضمير المخاطبين على طريقة الالتفات تقوية لما في
الاستفهام من معنى الانكار والتعجب ودلالة على موجب ترك الاستعجال الذي هو الاجرام فان المجرم من حقه ان
يخاف التعذيب ويستفيد منه وان ابطا فضلا ان يستعجله ويجوز ان يكون اثم اذا ما وقع امنتم به جواب الشرط
وماذا يستعجل اعتراضا اي اخبروني ان اتيكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان • ودخول الهمزة
على ثم لانكار تاخير الايمان الى وقت لا ينفع وهو وقت العذاب • وادخالها على العطوف لانه مقصب الانكار و
الاستبعاد • واتى بحرف التراخي بدل الواو دلالة على الاستبعاد ثم زيد اداة الشرط دلالة على استقلاله
بالاستبعاد • وعلى الاول كالتمهيد له وجئ باذا مؤكدا بما تنبيها لمعنى الوقوع والتحقيق وزيادة التجهيل
وانهم لم يؤمنوا الا بعد ان لم ينفعهم البتة الآن على ارادة القول اي قيل لهم • اامنوا بعد وقوع العذاب
الآن امنتم به وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا وانكارا ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر قبل الآن ذوقوا عذاب الخلد
المؤلم على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي • ابن الكمال

قل لهم عما بينت كيفية جريان سنة الله تعالى
فيما بين الامم على الاطلاق • ونبههم على
ان عذابهم امر مقرر محتوم لا يتوقف الا
على مجئ اجله المعلوم ايذانا باستعجالهم دنوه
وتنزيله منزلة اتيانه حقيقة ارأيتم
اي اخبروني ان اتاكم عذابه الذي
تستعجلون به بياتا اي وقت بيات و
اشتغال بالنوم او نهارا اي عند اشتغالكم
بمشاغلكم حسبما عين لكم من الاجل بمقتضى
المشية التابعة كما عين لسائر الامم المهلكة
وقوله تعالى ماذا يستعجل منه المجرمون جواب
للشرط بحذف الفاء كما في قولك ان اتيتك
ماذا تطعمني • والمجرمون موضوع موضع
المضمر لتاكيد الانكار ببيان مباينة حالهم
للاستعجال فان حق المجرم ان يهلك فزعا
من اتيان العذاب فضلا عن استعجاله •
والجملة الشرطية متعلقة بارأيتم والمعنى
اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى اي شئ تستعجلون
منه سبحانه • والشئ لا يمكن استعجاله بعد
اتيانه والمراد به المبالغة في انكار استعجاله
باخراجه عن حيز الامكان وتنزيله في
الاستحالة منزلة استعجاله بعد اتيانه
بناء على تنزيل تقرر اتيانه ودنوه منزلة
اتيانه حقيقة كما اشير اليه • وهذا الانكار
بمنزلة النهي في قوله تعالى اتى امر الله
فلا تستعجلوه خلا ان التنزيل هناك
صريح وهنا ضمني كما في قول من قال لغريمه الذي يتقاضاه حقه ارايت ان اعطيتك حقك فماذا تطلب مني يريد
المبالغة في انكار التقاضي بنظمه في سلك التقاضي بعد الاعطاء بناء على تنزيل تقريره منزلة نفسه •

قل ارأيتم ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا نصب على الظرف
اي وقت بيات وهو الليل وانتم ساهون نائمون لا تشعرون
او نهارا وانتم مشتغلون بطلب المعاش والكسب ماذا تستعجل منه
المجرمون اي من العذاب والمعنى ان العذاب كله مكروه موجب
للنفور فاي شئ يستعجلون منه • وليس شئ منه يوجب
الاستعجال • والاستفهام فيما ذا يتعلق بارأيتم لان المعنى اخبروني
ماذا تستعجل منه المجرمون • وجواب الشرط محذوف وهو تندمتم
على الاستعجال او تعرفوا الخطاء • ولم يقل ماذا يستعجلون منه لانه
اريد به الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام • او ماذا
يستعجل منه المجرمون جواب الشرط نحو ان اتيتك ماذا تطعمني •
ثم يتعلق الجملة بارأيتم او اثم اذا ما وقع العذاب امنتم به جواب
الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراض والمعنى ان اتيكم
عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان • ودخول
حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في افامن
اهل القرى • او امن اهل القرى • الآن على ارادة القول اي
قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب الآن امنتم به وقد كنتم به
تستعجلون اي بالعذاب تكذيبا واستهزاء • الآن بحذف الهمزة التي
بعد اللام والقاء حركتها على اللام نافع ثم قيل للذين ظلموا عطف
على قيل المضمر قبل الآن ذوقوا عذاب الخلد اي الدوام هل تجزون
الا بما كنتم تكسبون من الشرك والتكذيب • انتهى المدارك •

ثم اذا ما وقع امنتم به انكار لايمانهم بنزول العذاب بعد وقوعه حقيقة داخل مع ما قبله في انكار استعجالهم به
بعد اتيانه حكما تحت القول المامور اي بعد ما وقع العذاب وحل بكم حقيقة امنتم به حين لا ينفعكم الايمان
انكارا لتاخيره الى هذا الحد وايذانا باستتباعه للندم والحسرة ليقلعوا عما هم عليه من العناد ويتوجهوا
نحو التدارك قبل فوت الوقت • فتقديم الظرف للقصر وقيل ماذا يستعجل منه متعلق بارأيتم وجواب الشرط
محذوف اي تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاه • والشرطية اعتراض مقرر لمضمون الاستخبار • وقيل الجواب
قوله تعالى اثم اذا ما وقع الخ • والاستفهامية الاولى اعتراض والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه امنتم به
بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان • ثم جئ بكلمة التراخي دلالة على الاستبعاد • ثم زيد اداة الشرط دلالة
على استقلاله بالاستبعاد وعلى ان الاول كالتمهيد له • وجئ باذا مؤكدا بما تنبيها لمعنى الوقوع وزيادة
للتجهيل وانهم لم يؤمنوا الا بعد ان لم ينفعهم الايمان البتة وقوله تعالى الآن استيناف من جهته تعالى غير داخل
تحت القول الملقن مسوق لتقرير مضمون ما سبق على ارادة القول اي قيل لهم عند ايمانهم بعد وقوع العذاب
الآن امنتم به انكارا للتاخير وتوبيخا عليه ببيان انه لم يكن ذلك لعدم سبق الانذار به ولا للتامل و
التدبر في شانه ولا لشئ اخر مما عسى يعد عذرا في التاخير بل كان ذلك على طريق التكذيب والاستعجال به
على وجه الاستهزاء • وقرئ الآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقوله تعالى وقد كنتم به تستعجلون اي تكذيبا
واستهزاء جملة وقعت حالا من فاعل امنتم المقدر لتشديد التوبيخ والتقريع وزيادة التنديم والتحسير •
وتقديم الجار والمجرور على الفعل لمراعاة الفواصل دون القصر وقوله تعالى ثم قيل الخ تاكيد للتوبيخ و
العتاب بوعيد العذاب والعقاب وهو عطف على ما قدر قبل الآن للذين ظلموا اي وضعوا الكفر موضع الايمان
والتصديق • او ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب والهلاك • ووضع الموصول موضع الضمير لذمهم بما في
حيز الصلة والاشعار بعليته لاصابة ما اصابهم ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون اليوم
الا بما كنتم تكسبون في الدنيا من اصناف الكفر والمعاصي التي من جملتها ما مر من الاستعجال • ابو السعود افندي •
الكفار ... ارأيتم اي اخبروني ان اتيكم عذابه اي عذاب الله بياتا اي وقت بيات بمعنى التبيت وهو الليل
وانتم غافلون عنه بالنوم فيه كما جاء الى قوم لوط ولذا لم يقل ليلا او نهارا اي وقتا فيه تشتغلون بطلب الكسب
والمعاش ساهين عنه كما جاء الى قوم شعيب • وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال والجواب ماذا يستعجل
منه المجرمون على ان العذاب كله مكروه فان اتاكم ذلك اي شئ يستعجل به من الله تعالى المشركون وليس شئ منه يوجب
الاستعجال • ويجوز ان يرجع الضمير في منه الى العذاب ويتعلق الاستفهام بقوله ارأيتم وانما قال
المجرمون ولم يقل ماذا يستعجلون منه تصريحا بالموجب لترك الاستعجال وهو الاجرام لان من حق المجرم
ان يخاف التعذيب على اجرامه • ثم استفهم على تقدير نزول العذاب بهم عن حالهم تهديدا لهم بقوله
اثم اذا ما وقع اي ابعد استعجالكم العذاب اذا وقع العذاب امنتم به اي بالله او محمد او بالعذاب
عند نزوله فيقال لكم وقت الباس الآن تؤمنون حين لا ينفعكم الايمان وقد كنتم به تستعجلون
اي تكذبون لان استعجالهم على وجه التكذيب والانكار قولهم ثم قيل عطف على ما قبل المقدر قبل الآن
يعني يقال اي ثم يقال للذين ظلموا اي اشركوا او القائلون خزنة جهنم ذوقوا عذاب الخلد الذي
لا ينقطع عنكم هل تجزون اي ما تجازون الا بما كنتم تكسبون في الدنيا من الكفر والتكذيب • من العيون
اي ماذا يستعجل من الله تعالى المشركون • وقيل ماذا يستعجل من العذاب المجرمون وقد وقعوا فيه وتحقيق المعنى
انهم كانوا يستعجلون بالعذاب فيقولون ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم
فيقول الله تعالى ماذا يستعجل يعني اي شئ يعلم المجرمون ماذا يستعجلون ويطلبون كالرجل يقول لغيره وقد فعل
قبيحا ماذا جنيت على نفسك اثم اذا ما وقع قيل معناه اهنالك وحينئذ وليس بحرف عطف اي اذا ما وقع نزل
العذاب امنتم به اي بالله في وقت الياس وقيل امنتم به اي صدقتم بالعذاب وقت نزوله الآن وفيه اضمار
يقال لكم الآن تؤمنون حين وقع العذاب • معالم التنزيل • اثم اذا ما وقع اي ابعد وقوعه امنتم به حين عدم نفعه
الآن اي قيل لهم في تلك الحالة او في هذا الزمان امنتم به وقد كنتم به تستعجلون قبل مجيئه • من تفسير القاضي •

وما انتم بمعجزين اي بفائتين العذاب بالهرب وهو لاحق بكم لا محالة • وهو اما معطوف على جواب القسم
او مستأنف سيق لبيان عجزهم عن الخلاص مع ما فيه من التقرير المذكور ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او
التعدي على الغير او غير ذلك من اصناف الظلم ولو مرة حسبما يفيده كون الصفة فعلا ما في الارض
اي ما في الدنيا من خزائنها واموالها ومنافعها قاطبة بما كثرت لافتدت به اي لجعلته فدية لها من
العذاب من افتداه بمعنى فداه واسروا اي النفوس المدلول عليها بكل نفس • والعدول الى صيغة
الجمع مع تحقق العموم في صورة الافراد ايضا لافادة تهويل الخطب بكون الاسرار بطريق
المعية والاجتماع وانما لم يراع ذلك فيما سبق لتحقيق ما يتوخى من فرض كون جميع ما في الارض
لكل واحد من النفوس • وايثار صيغة جمع المذكر لحمل لفظ النفس على الشخص او لتغليب ذكور
مدلوله على اناثه الندامة على ما فعلوا من الظلم اي اخفوها ولم يظهروها لكن لا للاصطبار و
التجلد هيهات ولات حين اصطبار بل لانهم بهتوا لما رأوا العذاب اي عند معاينتهم من فظاعة
الحال وشدة الاهوال ما لم يكونوا يحتسبونه فلم يقدروا على ان ينطقوا بشيء فلما بمعنى حين
منصوب باسروا • او حرف شرط جوابه محذوف لدلالة ما تقدم عليه • وقيل اسرها رؤساؤهم ممن اضلوهم
حياء منهم وخوفا من توبيخهم ولكن الامر اشد من ان يعتريهم هناك شيء غير خوف العذاب • و
قيل اسروا الندامة اخلصوها لان اسرارها اخلاصها • او لان سر الشيء خالصه حيث تخفى وتضن
بها • ففيه تهكم بهم • وقيل اظهروا الندامة من قولهم اسر الشيء واشره اذا اظهره حيث عيل صبره
وفني تجلده وقضي بينهم اي اوقع القضاء بين الظالمين من المشركين وغيرهم من اصناف اهل الظلم
بان اظهر الحق سواء كان من حقوق الله سبحانه او من حقوق العباد من الباطل وعومل اهل كل منهما بما يليق
به بالقسط بالعدل وتخصيص الظلم بالتعدي وحمل القضاء على مجرد الحكومة بين الظالمين والمظلومين
من غير ان يتعرض لحال المشركين وهم اظلم الظالمين لا يساعده المقام فان مقتضاه اما كون الظلم عبارة
عن الشرك او عما يدخل فيه دخولا اوليا وهم اي الظالمون لا يظلمون فيما فعل بهم من العذاب بل هو من
مقتضيات ظلمهم ولوازمه الضرورية الا ان لله ما في السموات والارض اي ما وجد فيهما داخلا في
حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما • وكلمة ما لتغليب غير العقلاء على العقلاء • فهو تقرير لكمال
قدرته سبحانه على جميع الاشياء • وبيان لاندراج الكل تحت ملكوته يتصرف فيه كيفما يشاء ايجادا و
اعداما واثابة وعقابا الا ان وعد الله اظهار الاسم الجليل لتفخيم شأن الوعد والاشعار بعلة ال[illegible]
وهو اما بمعنى الموعود اي جميع ما وعد به كائنا ما كان • فيندرج فيه العذاب الذي استعجلوه
وما ذكر في اثناء بيان حاله اندراجا اوليا او بمعناه المصدري اي وعده بجميع ما ذكر فمعنى قوله
حق على الاول ثابت واقع لا محالة وعلى الثاني مطابق للواقع • وتصدير الجملتين بحرفي التنبيه
والتحقيق للتسجيل على تحقق مضمونيهما المقرر لمضمون ما سلف من الآيات الكريمة والتنبيه على
وجوب استحضاره والمحافظة عليه ولكن اكثرهم لقصور عقولهم واستيلاء الغفلة عليهم والفهم
بالاحوال المحسوسة المعتادة لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون
هو يحيي ويميت في الدنيا من غير دخل لاحد في ذلك واليه ترجعون في الآخرة بالبعث والحشر
• [illegible] •

[ويستنبئو]نك اي يسألونك عن خبر العذاب • نزل حين قدم حيي بن اخطب مكة وقال النبي صلى الله عليه وسلم
[مس]تخبرا عن العذاب احق هو ما تعدنا من العذاب وقيام الساعة فقال الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم قل اي وربي اي نعم والله انه لحق لا شك فيه • وجمع بين القسم وحرف الايجاب تأكيدا لحقيته
[وما] انتم بمعجزين اي بفائتين من العذاب لان من عجز عن شيء فقد فاته وهو ايضا داخل تحت القسم •
[ثم] قال مخبرا عن حالهم التي سيكونون عليها يوم القيمة ولو ان لكل نفس ظلمت اي اشركت بالله تعالى صفة نفس
[و]اسم ان ما في الارض جميعا اي ولو كان لها جميع ما فيها من الاموال وغيرها لافتدت اي لاعطت فدية
[به] اي بجميع ما فيها مقابلة نجاتها من العذاب ولا يتقبل ذلك منها واسروا الندامة اي واخفوها
[ال]رؤسا وهم من السفلة لما رأوا العذاب رأي العين يوم القيمة حياء وخوفا من لوم الضعفاء • و
[...] بينهم • او عجزا عن النطق لشدة الامر لانهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوا وقضي بينهم اي
[...] وحكم بين الخلائق بالقسط اي بالعدل وهم لا يظلمون من ثواب اعمالهم ان كانوا مؤمنين صالحين
[...] الازدياد في عذابهم ان كانوا كافرين او عاصين • ثم قال منبها في بيان استغنائه على الخلق وقدرته
عليهم الا ان لله ما في السموات والارض اي جميعه ملكه ينفذ حكمه فيه لان خلقها وما فيها
[...] يدل على التوحيد وقدرته على البعث بعد الموت الا ان وعد الله حق اي وعده بالبعث كائن
لا محالة ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك فيصدقون به و هو يحيي ويميت اي يحيي الخلائق ويميتهم
واليه ترجعون بعد الموت في الآخرة فيثيبهم ويعاقبهم بحسب الحال من العقول

ويستنبئونك ويستخبرونك أحق هو الضمير للعذاب الموعود أحق خبر والضمير مبتدأ • أو مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر كقولهم أقائم زيد • والجملة في محل النصب بيستنبئونك والمعنى استفهام على سبيل الإنكار والاستهزاء • وقرئ الحق هو على أن اللام للجنس كأنه قيل أهو الحق لا الباطل • أو هو الذي سميتموه الحق وهو أقوى في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بأنه باطل قل إي وربي إنه لحق أن العذاب لكائن • وإي من حروف الإيجاب بمعنى نعم وتختص بالقسم كما أن هل بمعنى قد تختص بالاستفهام فيقولون إي والله ولا ينطقون به وحده وما أنتم بمعجزين فائتين العذاب أي هو لاحق بكم لا محالة ولو أن لكل نفس ظلمت بفعل ما يحق به العذاب ما في الأرض أي ما في الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها وجميع منافعها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه • ولفظ كل لتعميم الحكم لكل واحدة من النفوس الظالمة وأسروا الندامة لما رأوا العذاب حين رؤيتهم العذاب لأنهم بهتوا بما عاينوه مما لم يحتسبوا ببالهم ولم يحسبوه وسلبت شدته وفظاعته قواهم فلم يطيقوا إظهار الجزع والإبطاء للدهش والجزع لا للتجلد إذ ليس هناك فامتلأت قلوبهم ندما • وقيل أسر رؤساؤهم الندامة من أتباعهم الذين أضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم • وقيل أسروا الندامة أخلصوها وجعلوها سرهم أي ملؤوا بواطنهم بحيث لم يكن فيها شيء آخر • أو من قولهم سر الشيء لخالصه لأنها تخفى ويضن بها • وعلى هذا يكون فيه تهكم بهم • وقيل أظهروها من قولهم أسر الشيء إذا أظهره وهو من الأضداد وقضي بينهم بالقسط أي بين الظالمين والمظلومين لدلالة ذكر الظلم وهم لا يظلمون ليس تكريرا لأن الأول قضاء حكومة والثاني مجازاتهم على الشرك وسائر الكبائر ألا إن لله ما في السماوات والأرض تقرير لقدرته تعالى على الإثابة والعقاب ألا إن وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه أتى بكلمتي التنبيه والتحقيق وجمع بينهما في حلق الاختصاص بالملك وإتيان الوعد تقريرا لما وعده وتنبيها على أن ما ذكر حق واجب الوقوع لا محالة ولكن أكثرهم لا يعلمون لأنهم في الغفلة هو يحيي ويميت

ويستنبئونك ويستخبرونك فيقولون أحق هو وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء • والضمير للعذاب الموعود قل يا محمد إي وربي نعم والله إنه لحق أن العذاب كائن لا محالة وما أنتم بمعجزين بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ولو أن لكل نفس ظلمت كفرت وأشركت وهو صفة لنفس أي ولو أن لكل نفس ظالمة ما في الأرض ما في الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها لافتدت به لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى • ويقال افتداه أيضا بمعنى فداه وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وأظهروها من قولهم أسر الشيء إذا أظهره • أو أخفوها عجزا عن النطق لشدة الأمر • فأسر من الأضداد وقضي بينهم بالقسط بين الظالمين والمظلومين • دل على ذلك ذكر الظلم وهم لا يظلمون ثم أتبع الإعلام بأن له الملك كله بقوله ألا إن لله ما في السماوات والأرض فكيف يقبل الفداء وأنه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق له ألا إن وعد الله حق كائن ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت هو القادر على الإحياء والإماتة لا يتعذر عليهما شيء وإليه ترجعون وإلى حسابه وجزائه المرجع فيخاف ويرجى

ويستنبئونك أي يستخبرونك فيقولون على طريقة الاستهزاء والإنكار أحق هو أحق خبر قدم على المبتدأ الذي هو الضمير للاهتمام به ويؤيده قوله إنه لحق • أو مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر والجملة في موضع النصب بيستنبئونك • وقرئ الحق هو تعريضا بأنه باطل كأنه قيل أهو الحق لا الباطل • أو هو الذي سميتموه الحق قل لهم غير ملتفت إلى استهزائهم معرضا عما قصدوا وبانيا للأمر على أساس الحكمة إي وربي أي من حروف الإيجاب بمعنى نعم في القسم خاصة كما أن هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة ولذلك يوصل بواو القسم إنه أي العذاب الموعود لحق لثابت البتة أكد الجواب بأتم وجوه التأكيد حسب شدة إنكارهم وقوته • وقد زيد تقريرا وتحقيقا بقوله عز اسمه وما أنتم بمعجزين

يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اي كتاب جامع لهذه الفوائد من الحكمة العملية المبينة لمحاسن الاعمال وقبايحها والتحريض على الاولى والتحذير عن الثانية والحكمة النظرية من المعارف الحقائق التي هي شفاء لما في الصدور من الامراض القلبية كالجهل والشك والنفاق والشرك والهداية الى الحق والتوحيد والرحمة لمن امن به بان انزله عليهم ما ينجيهم ظلمات الضلال والكفر الى نور الهدى والايمان ومن دركات النيران الى درجات الجنان ● وتنكير موعظة وما عطف عليها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته متعلق بفعل محذوف يفسره ما بعده تقديره بفضل الله وبرحمته يعني بانزال القران والهداية الى الايمان فليفرحوا فبذلك فليفرحوا او بفعل نوعه وما يناسبه نحو بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه ● وذلك اشارة الى الفضل والرحمة بتاويل ما ذكر ● وتقديمه للتاكيد والبيان بعد الابهام ● وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا وكذا تكرير الفاء للتاكيد ● وهو جواب شرط مقدر تقديره ان كانوا يفرحون بشيء فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما ● ويجوز ان يكون الفاء للربط بما قبلها والدلالة على ان مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح ● ويجوز ان يتعلق بفضل الله وبرحمته قد جاءتكم اي قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته وذلك اشارة الى مصدر جاء اي فبمجيئها فليفرحوا ● وقرئ فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وهو القياس ● وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرفوعا وانا اثره صلى الله عليه وسلم لانه ادل على الامر بالفرح واشد تصريحا به هو راجع الى ذلك خير مما يجمعون من حطام الدنيا السريع الزوال ● وقرئ تجمعون بالتاء على الخطاب ولم يذق حسن هذا الاستيناف في مقام التعليل ولم يدر انه اقوى الوصلين [illegible] معنى فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعون فاوهم ان حق المقام الوصل بالفاء التعليلية ولا يخفى ما فيه من سوء الادب ● اي الكامل

يا ايها الناس التفات ورجوع الى استمالتهم نحو الحق واستنزالهم الى قبوله واتباعه غب تحذيرهم من غوائل الضلال بما تلي عليهم من القوارع الناعية عليهم سوء عاقبتهم وايذانهم بان جميع ذلك مسوق لمصالحهم ومنافعهم قد جاءتكم موعظة هي والوعظ والعظة التذكير بالعواقب سواء كان بالزجر والترهيب او بالاستمالة والترغيب ● وكلمة من في قوله تعالى من ربكم ابتدائية متعلقة بجاءتكم ● او تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لموعظة اي موعظة كائنة من مواعظ ربكم ● وفي التعريض لعنوان الربوبية من حسن الموقع ما لا يخفى وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اي كتاب جامع لهذه الفوائد والمنافع فانه كاشف عن احوال الاعمال حسناتها وسيئاتها ● مرغب في الاولى ورادع عن الاخرى ● ومبين للمعارف الحقة التي هي شفاء لما في الصدور من الادواء القلبية كالجهل والشك والشرك والنفاق وغيرها من العقائد الزائغة وهاد الى طريق الحق واليقين بالارشاد الى الاستدلال بالدلائل المنصوبة في الافاق والانفس ● وفي مجيئه رحمة للمؤمنين حيث نجوا من ظلمات الكفر والضلال الى نور الايمان وتخلصوا من دركات النيران وارتقوا الى درجات الجنان ● والتنكير في الكل للتفخيم قل تلوين للخطاب وتوجيه له الى الرسول صلى الله عليه وسلم ليأمر الناس بان يتلقوا ما في مجيء القران العظيم من الفضل والرحمة بفضل الله وبرحمته المراد بهما اما ما في مجيء القران من الفضل والرحمة واما الجنس وهما داخلان فيه دخولا اوليا

يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم اي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد والموعظة التي تدعو الى كل مرغوب وتزجر عن كل مرهوب كما في القران من الاوامر والنواهي داع الى كل مرغوب وزاجر عن كل مرهوب ● اذ الامر يقتضي حسن المامور فيكون مرغوبا وهو يقتضي النهي عن ضده وهو قبيح وعلى هذا في النهي وشفاء لما في الصدور اي صدوركم من العقائد الفاسدة وهدى من الضلالة ورحمة للمؤمنين لمن امن به منكم قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا اصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتاكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور ● و الفاء داخلة بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح او بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا وهما كتاب الله والاسلام ● في الحديث من هداه للاسلام وعلمه القران ثم شكا الفاقة كتب الله تعالى الفقر بين عينيه الى يوم القيمة يلقاه وقرا الاية هو خير مما يجمعون وبالتاء شامي فلتفرحوا يعقوب اسهل الكدا ذكره

والباء متعلقه بمحذوف واصل الكلام ليفرحوا بفضل الله وبرحمته ● وتكرير الباء في رحمته للايذان باستقلالها في استيجاب الفرح ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لافادة القصر ثم ادخل عليه الفاء لافادة معنى السببية فصار بفضل الله وبرحمته فليفرحوا ثم قيل فبذلك فليفرحوا للتاكيد والتقرير ثم حذف الفعل الاول لدلالة الثاني عليه ● والفاء في الاولى جزائية والثانية للدلالة على السببية ● والاصل ان فرحوا بشيء فبذلك ليفرحوا لا بشيء اخر ● ثم ادخل الفاء للدلالة على السببية ● ثم حذف الشرط ومعنى البعد في اسم الاشارة للدلالة على بعد درجة فضل الله تعالى ورحمته ● ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ● ويجوز ان يتعلق الباء بجاءتكم اي جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك اي فبمجيئها فليفرحوا ● وقرئ فلتفرحوا ● وقراءة ابي فافرحوا ● وعن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام ● وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه هو اي ما ذكر من فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا ● وقرئ تجمعون اي فبذلك فليفرح المؤمنون هو خير مما تجمعون ايها المخاطبون

ثم خاطب اهل مكة او جميع الناس ترغيبا في الايمان بالقران والعمل به فقال يا ايها الناس ● انوا ليعودوا فيذكر قد جاءتكم موعظة اي كتاب جامع من ربكم لفوائد ما يجب لكم وعليكم من الحلال والحرام وشفاء لما في الصدور اي دواء لما في القلوب من داء الجهل وعمى القلب وهدى من الضلالة ورحمة للمؤمنين اي لكل من امن به وعمل بما فيه قل يا محمد للمؤمنين بفضل الله الاسلام وبرحمته القران وقيل بالعكس فليفرحوا فبذلك اي بفضل الله وبرحمته فليفرحوا وهذا التقدير اصل الكلام كرر للتقرير والتاكيد فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه ● والفاء داخلة في جواب الشرط بمعنى كانه قال ان فرحتم بشيء فلتخصوهما بالفرح فانه لا شيء احق ان تفرح به منهما من فوائد الدنيا هو اي ذلك الفرح خير مما يجمعون اي مما جمعه الكافرون من اموال الدنيا ● من العوض ●

قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السماء مسبب بأسباب منها من المطر والشمس والقمر والانبات والانضاج والتلوين • وما في محل النصب بانزل او بأرأيتم لانه بمعنى أخبروني • وكلم دل على ان المراد بالرزق ما حل ولذلك وبخهم على التبعيض بقوله فجعلتم منه حراما وحلالا من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وما جعلوا الله من الحرث والانعام • وانما قدم حراما لانه معقب للانكار • وفي اسناد التحريم والتحليل اليهم اشارة الى انهم هم المبعضون توبيخا وتمهيد الاثبات القسم الثاني من المنفصلة في قوله قل ءالله أذن لكم أم على الله تفترون اى اخبروني الله اذن لكم في التحريم والتحليل فيفعلون ذلك باذنه أم يكذبون على الله في نسبته اليه على ان أم متصلة • تكرير قل بين أرأيتم وما يتعلق به للتأكيد والاستفهام للتبكيت والاشارة الى ان نسبة ذلك الى الله تعالى تقليد وقول بلا حجة فلزم الافتراء • وكان الاصل ءالله أذن ام غيره فعدل الى المنزل دلالة على ان الثابت هو الشق الثاني وهم نسبوه الى الله تعالى فهم مفترون عليه لا على غيره • وفيه زجر وتهديد عظيم • وان جعلت أم منقطعة بمعنى بل والهمزة فالاستفهام للانكار • ومعنى بل اضراب عن ان يكون ذلك باذن الله تعالى • ومعنى الهمزة تقرير للافتراء وتوبيخ عليه • وتقديم على الله تقبيح لتخصيصه تعالى بالافتراء عليه فانه نهاية في قبح الكذب • وفي العدول عن الضمير الى الاسم الظاهر تفخيما زيادة اظهار لقبح الافتراء • وما ظن الذين يفترون على الله الكذب في ايام متعلق الظن بحذف السؤال عنه

قل أرأيتم فأخبروني ما أنزل الله لكم من رزق ما منصوب بانزل او بأرأيتم اى اخبروني به فجعلتم منه حراما وحلالا فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا • نعم الكبد اى تخرج من الارض ولكن لما نيطت اسبابها بالسماء نحو المطر الذي به تنبت الارض النبات والشمس التي بها تنضج الاثمار وتنبع الثمار • اضيف انزالها الى السماء • قل ءالله أذن لكم متعلق بأرأيتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى اخبروني ءالله أذن لكم في التحليل والتحريم فانتم تفعلون ذلك باذنه أم على الله تفترون ام تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه • أو الهمزة للانكار وام منقطعة بمعنى بل أتفترون على الله تقريرا للافتراء والآية زاجرة عن التجوز فيما يسأل من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وان لا يقول احد في شيء جائز وغير جائز الا بعد ايقان واتقان والا فهو مفتر على الديان وما ظن الذين يفترون على الله الكذب ينسبون ذلك اليه يوم القيمة منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه اي اي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث ابهم امره ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه انتهى المدارك

وعيد بليغ وتهديد عظيم اي اي شيء ظنهم يوم القيمة وهو يوم الجزاء أيحسبون انهم لا يجازون على الافتراء • وقرئ ظنا على لفظ الفعل على المحقق الوقوع واقعا • ونصب ما على المصدر اى اي ظن ظنوا فيه ان الله لذو فضل على الناس على كلهم بما انعم عليهم من العقل والحواس وساق اليهم الرزق وهداهم الى الحق بارسال الرسل وانزال الكتب واخر عنهم العذاب من غير سابقة صنع منهم يستوجبون به ذلك ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعم العظيمة لجهلهم • تم قول ابن الكمال رحمه الله

من تفسير ابو السعود افندي

قل أرأيتم اى اخبروني ما أنزل الله لكم من رزق ما منصوبة المحل بما بعدها او بما قبلها • واللام للدلالة على ان المراد بالرزق ما حل • وجعله منزلا لانه مقدر في السماء محصل هو او ما يتوقف عليه وجودا او بقاء بأسباب سماوية من المطر والكواكب في الانضاج والتلوين فجعلتم منه اى جعلتم بعضه حراما اى حكمتم بانه حرام وحلالا اى وجعلتم بعضه حلالا اى حكمتم بحله مع كون كله حلالا وذلك قولهم هذه انعام وحرث حجر الآية • وقولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا ونحو ذلك • وتقديم الحرام لظهور اثر الجعل فيه ودوران التوبيخ عليه قل تكرير لتأكيد الامر بالاستخبار اى اخبروني ءالله أذن لكم في ذلك الجعل فانتم فيه ممتثلون بأمره تعالى أم على الله تفترون ام متصلة والاستفهام للتقرير والتبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير قطعا كأنه قيل أم لم يأذن لكم بل تفترون عليه سبحانه • فأظهر الاسم الجليل • وقدم على الفعل دلالة على كمال قبح افترائهم وتأكيدا للتبكيت اثر تأكيد مع مراعاة الفواصل • ويجوز ان يكون الاستفهام للانكار • وام منقطعة ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال من التوبيخ والزجر بانكار الاذن الى ما يفيده همزتها من التوبيخ على الافتراء عليه سبحانه وتقريعه • وتقديم الجار والمجرور على هذا يجوز ان يكون للقصر كأنه قيل بل أعلى الله تعالى تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب

وما ظن الذين يفترون على الله الكذب كلام مسوق من قبله تعالى لبيان هول ما سيلقونه غير داخل تحت القول المأمور به • والتعبير عنهم بالموصول في موقع الاضمار لقطع احتمال الشق الاول من الترديد والتسجيل عليهم بالافتراء وزيادة الكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا لاظهار كمال القبح ما افتعلوا • وكونه كذبا في اعتقادهم ايضا • وكلمة ما استفهامية وقعت مبتدأ وظن خبرها ومفعولاه محذوفان وقوله عز وجل يوم القيمة ظرف لنفس الظن اي اي شيء ظنهم في ذلك اليوم يوم عرض الافعال والاقوال والمجازاة عليها مثقالا بمثقال • والمراد تهويله وتفظيعه بتهويل ما يتعلق به مما يصنع بهم يومئذ وقيل هو ظرف لما يتعلق به ظنهم اليوم من الامور التي ستقع يوم القيمة تنزيلا له وما فيه من الاحوال لكمال وضوح امره في التقرر والتحقق منزلة المسلم عندهم • اى اي شيء ظنهم لما سيقع يوم القيمة أيحسبون انهم لا يسألون عن افترائهم او لا يجازون عليه او يجازون جزاء يسيرا ولاجل ذلك يفعلون ما يفعلون كلا انهم لفي اشد العذاب لان معصيتهم اشد المعاصي ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا • وقرئ على لفظ الماضي اى اي ظن ظنوا يوم القيمة • وايراد صيغة الماضي لانه كائن فكأنه قد كان ان الله لذو فضل اى عظيم لا يكتنه كنهه على الناس اى جميعا حيث انعم عليهم بالعقل المميز بين الحق والباطل والحسن والقبيح ورحمهم بانزال الكتب وارسال الرسل وبين لهم الاسرار التي لا تستقل العقول في ادراكها وارشدهم الى ما يهمهم من امر المعاش والمعاد ولكن اكثرهم لا يشكرون تلك النعمة الجليلة فلا يصرفون قواهم ومشاعرهم الى ما خلقت له ولا يتبعون دليل العقل فيما يستبد به ولا دليل الشرع فيما لا يدرك الا به وقد تفضل عليهم ببيان ما سيلقون يوم القيمة فلا يلتفتون اليه فيقعون فيما يقعون • فهو تذييل لما سبق مقرر لمضمونه

ابو السعود افندي

قل يا محمد للمشركين أرأيتم اخبروني ما أنزل الله لكم من رزق اى ما اعطاكم كالحرث والانعام • وعبر بالانزال لان كل ما في الارض من خير مما انزل من السماء بالمطر فجعلتم منه حراما على النساء ومنه حلالا للرجال فبعضتموه وقلتم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل مستفهما منهم والاستفهام متعلق بأرأيتم اى اخبروني ءالله أذن لكم في هذا التحريم والتحليل أم اى بل على الله تفترون اى تختلقون بنسبة ذلك اليه • وكرر قل للمبالغة في الزجر عن الافتراء في الحكم اذا سئل عنه الحاكم وباعث على الاحتياط فيه لان من لم يحتط في الحكم فهو مفتر ثم قال تأكيدا للزجر عن ذلك وما ظن الذين يفترون على الله الكذب وما فيه استفهام للتقرير والتهديد اى اي شيء ظنهم في الافتراء على الله أيحسبون ان الله لا يؤاخذهم به يوم القيمة ولا يعاقبهم عليه ان الله لذو فضل على الناس اى لذو من عليهم بتأخير العذاب عنهم او بالوحي ولكن اكثرهم لا يشكرون نعمة الاسلام ولا يتبعون ما هدوا اليه ودعا الله من العوسة

وله خلصة لذكورنا اى كانوا يقولون في اجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا تأكل منها الاناث وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والاناث كما دل وان كان ميتة فهم فيه
وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا اى للاصنام فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا بزعمهم اى زعموا ان الله
والله تعالى لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة معالم كان اهل الجاهلية اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها
ذكر بحروا اذنها وامتنعوا من ركوبها وذبحها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى وكان الرجل اذا قدمت من سفر او برئ
من مرض فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها م

وما تكون في شأن الشأن الأمر وأصله القصد، وعينه الهمزة من شأنت شأنه إذا قصدت قصده فخففت. قوله
وما تتلو منه راجع إلى الشأن لأن تلاوة القرآن شأن معظم من شؤون النبي صلى الله عليه وسلم، أو لأن القراءة
يكون لشأن فيكون التقدير من أجله. ومفعول تتلو من قرآن على أن من تبعيضية، أو مزيدة لتأكيد النفي
أي أي عمل كان ولا تعملون تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم ومقدمهم، وحيث خص ذكر ما فيه
فخامة وحيث عمم ذكر ما يتناول الخطير والحقير لمناسبة إلا كنا عليكم شهودا
رقباء مطلعين عليه، استثناء مفرغ من أعم الأحوال على تقدير قد كنا، أو أعم
الأوقات أي وقت كنا إذ تفيضون فيه وقت ابتدائكم فيه ظرف لشهودا، وعلى
الثاني حال كونه بدلا من الوقت المقدر. وما يعزب عن ربك قرئ يعزب بكسر الزاي وضمها.
والعزوب معناه البعد والغيبة يقال عزب إذا انفرد، عن أصله. من مثقال ذرة مما وزن نملة
صغيرة أو هباء. في الأرض ولا في السماء عبر بقطري العالم عن كله المراد إحاطة علمه بجميع ما في الوجود
فعبر عنه بما ذكر على معتقد العامة فإن التنزيل وارد على لسانهم وهم يذكرون وجوه ممكن ليس بحت.
وقدمت الأرض على السماء هنا بخلاف ما في سورة سبأ لأن الكلام هنا في شؤون أهل الأرض وشهادته عليها ورعاية
للملاءمة والمقابلة. وفي الجمع بينهما كالتثنية. ولا أصغر ولا أكبر إلا في كتاب مبين جملة برأسها. ولا لنفي الجنس
وأصغر مبني على الفتح اسمها، وفي كتاب خبرها. ولا أكبر عطف عليه بالنصب. ولا مزيدة للتأكيد. أو مفتوح
مثله. وقرئا مرفوعين على أن الأول مبتدأ
خبره في كتاب والثاني عطف عليه. ومن جعل رفعهما عطفا على محل من مثقال وفتحهما على لفظ مثقال لكونهما غير منصرفين مفتوحين في موضع الجر جعل إلا في كتاب استثناء منقطعا بمعنى لكن في كتاب مبين. والمراد من الكتاب اللوح المحفوظ فيصير تعليلا لقوله لا يعزب عنه كأنه قيل كيف يعزب وهو في كتاب مبين. على أن الاتصال له أيضا وجه كما إذا فسر الكتاب المبين بعلم الله تعالى كما مر في سورة الأنعام ويكون المعنى لا يعزب عنه إلا في علمه ومعلوم أن غيبة الشيء في العلم عين كشفه فهي من باب الأمر قد سلف. وإن فسر باللوح فلا بأس أيضا لأنه محل صور معلوماته تعالى. وكان مقتضى البلاغة بحسب جليل النظر تقديم الأكبر على الأصغر ليكون الكلام على طريقة الترقي. وإنما عكس الترتيب سوقا له على مقتضاها بحسب دقيق النظر ليكون في كل واحد من جزئي الكلام نوع من الاهتمام، وذلك أنه يكون في الجزء الأول منه اهتمام التقديم وفي الثاني اهتمام التصريح بعد العلم بالالتزام.

ولا تعملون من عمل تعميم ... قبل الذكر تفخيم له أو ... للتأكيد النفي

وما تكون في شأن ما نافية والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والشأن الأمر.
وما تتلو منه من التنزيل كأنه قيل ما تتلو من التنزيل من قرآن لأن كل جزء منه قرآن، والإضمار قبل الذكر تفخيم له، أو من الله عز وجل. ولا تعملون أنتم جميعا من عمل أي عمل إلا كنا عليكم شهودا شاهدين رقباء نحصي عليكم. إذ تفيضون فيه تخوضون من أفاض في الأمر إذا اندفع فيه. وما يعزب عن ربك وما يبعد وما يغيب، وبكسر الزاي علي حيث كان. من مثقال ذرة وزن نملة صغيرة. في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر رفعهما حمزة على الابتداء والخبر إلا في كتاب مبين يعني اللوح المحفوظ، ونصبهما غيره على نفي الجنس. وقدمت الأرض على السماء هنا وفي سبأ قدمت السموات لأن العطف بالواو حكمه حكم التثنية. ألا إن أولياء الله هم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة، أو هم الذين تولى هدايتهم بالبرهان الذي آتاهم فتولوا القيام بحقه والرحمة بخلقه، أو هم المتحابون في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، أو هم المؤمنون المتقون بدليل الآية الثانية. لا خوف عليهم إذا خاف الناس. ولا هم يحزنون إذا حزن الناس. اسم للمدارك

ألا إن أولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة. لا خوف عليهم في المآل طوقا محذور. ولا هم يحزنون من وقوع مكروه من فوات نافع وحصول ضار. أبدا حال

وما تكون في شأن خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بالخصوص تفضيلا له. وقيل المراد أمته. وما فيه
نفي أي ما تكون يا محمد في عمل من الأعمال. وأصل الشأن القصد والجمع شؤون. وما تتلوا أي
القراء منه أي من الله أو من الشأن من قرآن. جمع النبي مع أمته تفضيلا لهم بقوله ولا تعملون
من عمل من أعمال الدنيا والآخرة إلا كنا عليكم شهودا أي رقباء عالمين بكم وبأعمالكم. إذ تفيضون
أي حين تتخلون في العمل سواء كان تلاوة القرآن أو الذكر أو الحكم على الناس بالعدل أو بالظلم
أو عملا مما تشتهي نفوسكم من أعمال الدنيا فعلى كل حال نحن شهداء عليكم. وفيه تهديد
... وما يعزب بضم الزاي وكسرها أي وما يغيب عن ربك من مثقال ذرة وهو فاعل يعزب
ومن صلة. والذرة النملة الصغيرة الحمراء أو ما يرى في شعاع الشمس من الغبار
في الأرض ولا في السماء وحق السماء أن تقدم على الأرض ولكنه لما ذكر شهادته على
شؤون أهل الأرض ووصل قوله لا يعزب عنه بذلك قدم الأرض على السماء لرعاية الملاءمة
على أن حكم العطف بالواو فيه حكم التثنية أي لا يعزب عنه شيء منهما. ثم استأنف
... لذلك بقوله تعالى ولا أصغر أي ولا أخف من ذلك أي من وزن الذرة ولا أكبر أي أثقل من
الذرة إلا في كتاب مبين أي الثابت في اللوح المحفوظ. وقرئ بفتح الراءين بناء على أن
لا لنفي الجنس، وبرفعهما بالابتداء الكلام وقطعه عما قبله إذ لو عطف على محل مثقال ذرة على
... لفسد المعنى وهو لا يغيب عن الله أصغر من مثقال ذرة إلا في كتاب مبين يعني
... عنه فيكون الجهل به تعالى عنه علوا كبيرا، اللهم إلا إذا أريد أن لا يعزب لا يتبين أي
... فيستقيم الاستثناء حينئذ بمعنى لا يظهر ولا يحدث عن الله شيء من الغيب في
الأرض ولا في السماء إلا وهو مكتوب في اللوح ونحو ذلك هنا في كل وقت. ألا إن أولياء الله

وما تكون في شأن اي في امر من شأنت شأنه اي قصدت قصده مصدر بمعنى المفعول وما تتلو منه
اي من الشأن والظرف صفة لمصدر محذوف اي تلاوة كائنة من الشأن اذ هي معظم شئونه عليه السلام
او للتنزيل والاضمار قبل الذكر لتفخيم شأنه ومن ابتدائية او تبعيضية او لله عز وجل ومن
ابتدائية والتي في قوله تعالى من قرآن مزيدة لتاكيد النفي او ابتدائية على الوجه الاول وبيانية او
تبعيضية على الثاني والثالث ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب اثر تخصيصه بمقتدى الكل وقد روعي
في كل من المقامين ما يليق به حيث ذكر اولا من الاعمال ما فيه فخامة وجلالة وثانيا ما يتناول الجليل
والحقير الا كنا عليكم شهودا استثناء مفرغ من اعم احوال المخاطبين بالافعال الثلاثة اي
ما تلابسون بشيء منها في حال من الاحوال الا حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له اذ تفيضون
فيه اي تخوضون وتندفعون فيه واصل الافاضة الاندفاع بكثرة او بقوة وحيث اريد بالافعال
السابقة الحالة المستمرة الدائمة المقارنة للزمان ايضا اوثر في الاستثناء صيغة الماضي وفي الظرف
كلمة اذ التي تفيد المضارع معنى الماضي وما يعزب عن ربك اي لا يبعد ولا يغيب عن علمه الشامل
وفي التعرض لعنوان الربوبية من الاشعار باللطف ما لا يخفى وقرئ بكسر الزاء من مثقال ذرة
كلمة من مزيدة لتاكيد النفي اي ما يعزب عنه ما يساوي في الثقل نملة صغيرة او هباء في الارض
ولا في السماء اي في دائرة الوجود والامكان فان العامة لا تعرف سواهما ممكنا ليس في احدهما
او متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود اقامة البرهان على احاطة
علمه تعالى بتفاصيلها وقوله تعالى ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله
ولا نافية للجنس واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف
على مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل
الاستثناء منقطعا كأنه قيل لا يعزب عن ربك شيء ما لكن جميع الاشياء في كتاب مبين فكيف
يعزب عنه شيء منها وقيل يجوز ان يكون الاستثناء متصلا ويعزب بمعنى يبين ويصدر والمعنى
لا يصدر عنه تعالى شيء الا وهو في كتاب مبين والمراد بالكتاب المبين اللوح المحفوظ الا ان
اولياء الله بيان على وجه التبشير والوعد لما هو نتيجة لاعمال المؤمنين وغاية لما ذكر قبله من
كونه تعالى مهيمنا على نبيه صلى الله عليه وسلم وامته في كل ما يأتون وما يذرون واحاطة علمه
سبحانه بجميع ما في السماء والارض وكون الكل مثبتا في الكتاب المبين بعدما اشير الى فظاعة
حال المفترين على الله تعالى يوم القيمة وما سيعتريهم من الهول اشارة اجمالية على طريق التهديد
والوعيد وصدرت الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها والولي
لغة القرب والمراد باولياء الله تعالى خلص المؤمنين لقربهم الروحاني منه سبحانه كما
يفصح عنه تفسيرهم لا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب
اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم خوف
وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما
لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصارا للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصائص
الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في
الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الاستمرار والدوام
بحسب المقام وانما لا يعتريهم ذلك لان مقصدهم ليس الا طاعة الله تعالى ونيل رضوانه المستتبع
للكرامة والزلفى وذلك مما لا ريب في حصوله ولا احتمال لفواته بموجب الوعد بالنسبة اليه تعالى
واما ما عدا ذلك من الامور الدنيوية المترددة بين الحصول والفوات فهي بمعزل من
الانتظام في سلك مقصدهم وجودا وعدما حتى يخافوا من حصول ضارها او يحزنوا بفوات
نافعها وقوله عز وجل
اسمي ابو السعود افندي رحمه الله عليه

الا ان اولياء الله اهل خشياته وهم العلماء بالله وحملة القرآن وقيل هم المجتنبون عن
عمل السوء في الخلوات لعلمهم ان الله مطلع عليهم وقيل هم الذين اذا رؤوا ذكر الله والمراد
السمت كقوله تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود لا خوف عليهم من شدائد الساعة
ولا هم يحزنون بفوت الجنة ولا بحرمان اللقاء اي لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون
اذا حزن الناس من العقوبة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن اولياء الله فقال
هم الذين اذا رؤوا ذكر الله وقال وهب بن منبه قال الحواريون لعيسى بن مريم يا روح الله
من اولياء الله قال الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها ونظروا الى
آجل الدنيا حين نظر الناس الى عاجلها فاحيوا ذكر الموت واماتوا ذكر الحياة ويحبون الله و
يحبون ذكره وقال الضحاك الا ان اولياء الله يعني المخلصين تع ابو الليث رحمه الله

والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منها الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك التي يفيدها الايمان
ايضا ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك اعني تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق
والتبتل اليه بالكلية وهو التقوى الحقيقي المامور به في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ●
وبه يحصل الشهود والحضور والقرب الذي عليه يتعقد اطلاق الاسم عليه وهكذا حال كل من
دخل معه صلى الله عليه وسلم تحت الخطاب بقوله تعالى ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا الاية ولهم في شانه
التبتل والتنزه درجات متفاوتة حسب تفاوت درجاتهم استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب
المشية المبنية على الحكم الابية اقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم السلام حتى جمعوا بذلك بين
رياستي النبوة والولاية ولم يعقهم التعلق بعالم الاشباح عن الاستغراق في عالم الارواح ولم يصدهم الملابسة
بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية ● فمدار امر الولاية
هو التقوى المذكور فاولياء الله تعالى هم المؤمنون المتقون ويقرب منه ما قيل انهم الذين تولى الله تعالى
هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبودية الله تعالى والدعوة اليه ولا يخالفه ما قيل من انهم الذين يذكر الله
برؤيتهم لما روى عن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال هم الذين
يذكر الله برؤيتهم اي بسمتهم واخباتهم وسكينتهم ولا ما قيل من انهم المتحابون في الله لما روى عن عمر رضي الله عنه
انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء
يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله
على غير ارحام منهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور ولا يخافون
اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس فان ما ذكر من حسن السمت والسكينة المذكرة لله تعالى والتحاب
في الله سبحانه من الاحكام الدينية اللازمة للايمان والتقوى والاثار الخاصة بهما الحقيقة بالتخصيص بالذكر
لظهورها وقربها من افهام الناس ● فما ورد من رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من ذلك حسبما يقتضيه مقام
الارشاد والتذكير ترغيبا للسالكين او تحريضا للحاضرين فيما خصه بالذكر هناك من احكامهما فلعل
الحاضرين اولا كانوا محتاجين الى اصلاح الحال من جهة الاقوال والافعال والملابس ونحو ذلك والحاضرين
ثانيا مفتقرين الى تاليف قلوبهم وعطفها نحو المؤمنين الذين لا علاقة بينهم وبينهم من جهة النسب
والقرابة وتاكيد ما بينهم من الاخوة الدينية ببيان عظم شانها ورفعة مكانها وحسن عاقبتها ليراعوا حقوقها
ويحبوا من لا يوافقهم في الدين من احكامهم ● واما ما ذكر من انه يغبطهم الانبياء فتصوير لحسن حالهم
على طريقة التمثيل ● قال الكواشي وهذا مبالغة والمعنى لو فرض قوم بهذه الصفة لكانوا هؤلاء ● وقيل
اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وجعل قوله عز وجل الذين امنوا وكانوا يتقون تفسيرا
لتوليهم اياه تعالى وقوله تعالى لهم البشرى

ثم وصفهم بقوله الذين امنوا بالله واقاموا بقلوبهم على موجب
في الحيوة الدنيا وفي الاخرة تفسيرا لتوليه اياهم
المعارف منه وكانوا يتقون عن المخالفة بعد استقامة نفوسهم باداء الوظايف ● ابو السعود
لهم البشرى وهي الرؤيا الصالحة تراها العبد المؤمن لنفسه او يرى له غيره وهي جزء من ستة
واربعين جزءا من النبوة على الاصح وهي البشارة العظمى في الحيوة الدنيا وقيل لهم البشرى عند الموت تبشرهم الملائكة
الا تخافوا ولا تحزنوا الاية وفي الاخرة اي تبشرهم الملائكة حين يخرجون من القبور بالجنة والفوز ويا ضوء حاله
الذين يرونه لا تبديل اي لا تحويل لكلمات الله لمواعيده التي وعدها في القرآن ذلك اي الموعود للمؤمنين هو الفوز
العظيم اي النجاة الوافرة في الاخرة ثم قال تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك قولهم الاية ● من العيون
وعن ابي مالك الاشعري رضه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء
يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله تعالى يوم القيمة قال وفي ناحية القوم اعرابي فجثا على
ركبتيه ورمى بيديه ثم قال حدثنا يا رسول الله عنهم من هم قال فرايت في وجه النبي صلى الله عليه وسلم البشر
فقال هم عباد من عباد الله من بلدان شتى وقبائل شتى لم يكن بينهم ارحام يتواصلون بها

دنيا يتبادلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله تعالى وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من نور
قدام الرحمن يفزع الناس ولا يفزعون يخاف الناس ولا يخافون ● وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض الاخبار المرفوعة ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله قال الذين اذا رؤوا
ذكر الله ● ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكري
واذكر بذكرهم لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة اختلفوا في هذه البشرى ● روي عن
عبادة بن الصامت رضه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى لهم البشرى في الحيوة
الدنيا وفي الاخرة قال هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له ● وعن سعيد بن المسيب ان
ابا هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لم يبق من النبوة الا المبشرات
قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة ● وقال البشرى في الدنيا هي الثناء الحسن وفي الاخرة الجنة ● وعن ابي ذر
رضي الله عنه انه قال يا رسول الله الرجل يعمل لنفسه ويحبه الناس قال تلك عاجل بشرى
المؤمن ● وعن ابي عمران قال ويحمده الناس عليه ● قال الزهري وقتادة هي نزول الملائكة
بالبشارات من الله تعالى عند الموت قال تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا
بالجنة ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما البشرى في الدنيا يريد عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة وفي الاخرة
عند خروج نفس المؤمن يعرج بها الى الله ويبشر برضوان الله ● وقال الحسن هي ما بشر الله تعالى المؤمنين
في كتابه من جنته وكريم ثوابه كقوله تعالى وبشر الذين امنوا ● وبشر المؤمنين ● وابشروا
بالجنة ● وقيل بشرهم في الدنيا بالكتاب والرسول انهم اولياء الله وبشرهم في القبور وكتب اعمالهم بالجنة
معالم التنزيل

٧ قال الكواشي وهذا مبالغة والمعنى لو فرض قوم بهذه الصفة لكانوا هؤلاء وقيل اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وجعل قوله عز وجل الذين آمنوا وكانوا يتقون تفسيرا لتوليهم اياه تعالى وقوله عز وجل لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة تفسيرا لتوليه اياهم اهـ ح

٥ فيما سيأتي بطريق الوعد من قوله تعالى لهم البشرى فتدبر ذلك اشارة الى ما ذكر من انهم البشرى في الدارين هو الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه • وفيه تعليل لما ابهم فيما سبق وهذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه ان يكون بعده كلام متصل بما قبله او هذه تذييل والسابقة اعتراض • ابو السعود افندي

٨ عن ابي ذر رضي الله عنه قلت يا رسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال صلى الله عليه وسلم تلك عاجل بشرى المؤمن هذا • وقيل البشرى مصدر والظرفان متعلقان به اما البشرى في الدنيا فهي البشارات الواقعة للمؤمنين المتقين في غير موضع من الكتاب المبين • وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن او ترى له • وعنه صلى الله عليه وسلم ذهبت النبوة وبقيت المبشرات • وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة • واما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات فيكون هذه بشارة بما سيقع من البشارات العاجلة والآجلة المطلوبة لغاياتها لا لذواتها ولا يخفى ان صرف البشارة الناجزة عن المقاصد بالذات الى وسائلها مما لا يساعده جلالة شأن التنزيل الكريم ابو السعود افندي

من تفسير ابن الكمال رحمه الله

الذين آمنوا وكانوا يتقون نصب او رفع على المدح او على وصف الاولياء فيكون بيانا لتوليهم ربهم او رفع على الابتداء والخبر لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة بيان لتوليه تعالى اياهم والبشرى في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير موضع من كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وما يريهم في الرؤيا الصادقة وما يسنح لهم بالمكاشفة وبشرى الملائكة عند النزاع واما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة لا تبديل لكلمات الله ولا تغيير لاقواله واحكامه ولا خلاف لمواعيده ذلك اشارة الى تخصيص البشارة بهم في الدارين هو الفوز العظيم لانه نيل كل ما يرجى والامن كل ما يخشى هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق البشرية وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ابن الكمال

من تفسير ابو السعود رحمه الله

الذين آمنوا اى بكل ما جاء من عند الله وكانوا يتقون اي يقون انفسهم عما يحق وقايتها عنه من الافعال والتروك وقاية دائمة حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل بيان وتفسير لهم واشارة الى ما به نالوا ما نالوا على طريقة الاستئناف المبني على السؤال ومحل الموصول الرفع على انه خبر لمبتدإ محذوف كانه قيل من اولئك وما سبب فوزهم بتلك الكرامة فقيل هم الذين جمعوا بين الايمان والتقوى المفضيين الى كل خير المنجيين عن كل شر وقيل محله النصب او الرفع على المدح او على انه وصف مادح للاولياء ولا تقدح في ذلك توسط الخبر لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة تفسير لتوليه اياهم ولا ريب في ان اعتبار القيد الاخير في مفهوم الولاية غير مناسب لمقام ترغيب المؤمنين في تحصيلها والثبات عليها وبشارتهم باثارها ونتائجها بل يخل بذلك اذ التحصيل انما يتعلق بالمقدور والاستبشار لا يحصل الا بما علم وجود سببه والقيد المذكور ليس مما يقدر لهم حتى يحصلوا الولاية بتحصيله ولا مما يعلمونه عند حصوله حتى يعرفوا حصول الولاية لهم ويستبشروا بمحاسن آثارها اللائق بالكرامة عنه نتيجة الولاية فاعتباره في عنوان الموضوع ثم الاخبار بعدم الخوف والحزن مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل فالذي يقتضيه نظمه الكريم ان الاول تفسير للاولياء حسبما شرح والثاني بيان لما اولاهم من خيرات الدارين بعد بيان انجائهم من شرورها ومكارهها والجملة مستأنفة كما سبق كانه قيل هل لهم وراء ذلك من نعمة وكرامة فقيل لهم ما تشتهيهم في الدارين وتقديم الاول لما ان التخلية سابقة على التحلية مع ما فيه من مراعاة حق المقابلة بين حسن حال المؤمنين وسوء حال المفترين وتعجيل ادخال المسرة وتبشير الخلاص عن الاهوال وتوسيط بيان السابق بين بشارة الخلاص عن المحذور والفوز بالمطلوب

الذين آمنوا منصوب باضمار اعني او لانه صفة لاولياء او مرفوع على انه خبر مبتدإ محذوف اي هم الذين وكانوا يتقون الشرك والمعاصي لهم البشرى في الحيوة الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير موضع من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له وعنه صلى الله عليه وسلم ذهبت النبوة وبقيت المبشرات والرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وهذا لان مدة الوحي ثلث وعشرون سنة وكان في ستة اشهر منها يؤمر في النوم بالانذار وستة اشهر من ثلث وعشرين سنة جزء من ستة واربعين جزءا او هي محبة الناس له والذكر الحسن او لهم البشرى عند النزع بان يرى مكانه في الجنة وفي الآخرة هي الجنة لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم وكلتا الجملتين اعتراض ولا يجب بعد الاعتراض كلام كما تقول فلان ينطق بالحق والحق ابلج وتسكت المدارك

لاظهار كمال العناية بتفسير الاولياء مع الايذان بان انتفاء الخوف والحزن لانتفائهم عما يؤدي اليهما من الاسباب والبشرى مصدر اريد به المبشر به من الخيرات العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة وغير ذلك والآجلة الغنية عن البيان والابهام والاجمال للايذان بكونه وراء البيان والتفصيل والظرفان في موقع الحال منه والعامل ما في الخبر من معنى الاستقرار اي لهم البشرى حال كونهم في الحيوة الدنيا وحال كونها في الآخرة اى عاجلة وآجلة او من الضمير المجرور اي حال كونهم في الحيوة الخ ومن البشرى العاجلة الثناء الحسن والذكر الجميل ومحبة الناس لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله التي من جملتها مواعيده الواردة بشارة للمؤمنين المتقين فيدخل فيه البشارات الواردة هنا دخولا اوليا ويثبت امتناع الاخلاف فيها ثبوتا قطعيا على تقدير كون المراد بالبشرى الرؤيا الصالحة فالمراد بعدم تبديل كلماته تعالى ليس عدم الخلف بينها وبين نتائجها الدنيوية والاخروية بل عدم الخلف بينها وبين ما دل على ثبوتها ووقوعها فيما سياتي

وفيه التأكيد لما سبق من اختصاص العزة بانه تعالى الموجب لتسلية صلى الله عليه وسلم

ولا يحزنك قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك • وقرئ ولا يُحزنك من احزنه ان العزة لله جميعا استيناف للتعليل كانه قيل ما لي لا احزن فقيل ان العزة لله جميعا اي الغلبة والقدرة كلها لله تعالى لا يملك احد غيره شيئا منها فهو يغلبهم وينصرك عليهم • وقرئ ان العزة بالفتح اي لان العزة تصريحا بالتعليل • وفيه اخبار عن اهل العزة تسلية لاهل الفرق هو السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافيهم عليها الا ان لله من في السموات ومن في الارض تمهيد لما بعده من امتناع ان يكون الجماد له ندا لانه تخصيص للعقلاء بملكيته بتقدير الله • فاراد ما دون ما مع التأكيد بتصدير الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق • فالعقلاء من الملائكة والثقلين اذا كانوا تحت ربه عبيدا مملوكين مع كونهم اشرف المخلوقات ولا يصح كونهم شركاء فكيف يصح ان يكون الجماد له ندا فهو كالدليل على بطلان اعتقاد المشركين وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ما نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف اي ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء حقيقة وان سموها شركاء فحذف احدهما لدلالة الباقي عليه • ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون ظنهم انها شركاء وان جعلت ما استفهامية فهي مفعول يتبع وشركاء مفعول يدعون • وان جعلت موصولة فمنصوبة المحل عطفا على من • وقرئ تدعون بالتاء والمعنى واي يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشا رايهم وان هم الا يخرصون اي يكذبون فيما ينسبون الى الله تعالى او يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا • ابن كثير

ولا يحزنك قولهم تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم عما كان يلقاه من جهتهم من الاذية الناشية من مقالاتهم الموحشة وتبشير له صلى الله عليه وسلم بانه عز وجل ينصره ويعزه عليهم اثر ما بين ان له ولاتباعه امنا من كل محذور وفوزا بكل مطلوب • وقرئ ولا يحزنك من احزنه وهو في الحقيقة نهي له صلى الله عليه وسلم عن الحزن كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتفوهون به في شانك مما لا خير فيه • وانما وجه النهي الى قولهم للمبالغة في نهيه صلى الله عليه وسلم عن الحزن لما ان النهي عن التاثير نهي عن التاثر باصله ونفي له بالمرة • وقد يوجه النهي الى اللازم • والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قولك لا ارينك هنا • وتخصيص النهي عن الحزن بالايراد مع شمول النهي السابق للخوف ايضا لما انه لم يكن فيه صلى الله عليه وسلم شائبة خوف حتى ينهى عنه وربما كان يعتريه صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات نوع حزن فسلي عن ذلك وقوله تعالى ان العزة تعليل للنهي على طريقة الاستيناف اي الغلبة والقهر لله جميعا اي في ملكته وسلطانه لا يملك احد شيئا منها اصلا لا هم ولا غيرهم فهو يقهرهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم • وقد كان كذلك فهي من جملة البشارات العاجلة • وقرئ بفتح ان على صريح التعليل اي لان العزة لله هو السميع العليم يسمع ما يقولون في حقك ويعلم ما يعزمون عليه وهو مكافيهم بذلك الا ان لله من في السموات ومن في الارض اي العقلاء من الملائكة والثقلين • وتخصيصهم بالذكر للايذان بعدم الحاجة الى التصريح بغيرهم فانهم مع شرفهم وعلو طبقتهم اذا كانوا عبيدا له سبحانه مقهورين تحت قدرته وملكته فما عداهم من الموجودات اولى بذلك

ولا يحزنك قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك ان العزة استيناف بمعنى التعليل كانه قيل ما لي لا احزن فقيل ان العزة لله ان الغلبة والقهر في ملكة الله تعالى لا يملك احد شيئا منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا اذ به يتعزز كل عزيز فهو يعزك ودينك واهله • والوقف لازم على قولهم لئلا يصير ان العزة مقول الكفار جميعا حال هو السميع لما يقولون العليم بما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافيهم بذلك الا ان لله من في السموات ومن في الارض يعني العقلاء وهم الملائكة والثقلان • وخصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا له وفي ملكته ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكونوا شركاء له فيها فما وراءهم مما لا يعقل احق ان لا يكون له ندا وشريكا وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ما نافية اي وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله في الربوبية محال ان يتبعون الا الظن الا ظنهم انهم شركاء وان هم الا يخرصون يحزرون ويقدرون ان تكون شركاء تقديرا باطلا او استفهامية اي واي شيء يتبعون • وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على احدهما للدلالة والمحذوف مفعول يدعون • او موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم • ثم نبه على عظم قدرته وشمول نعمته على عباده بقوله هو الذي • السراج المدارك

الحرص الكذب بابه نصر ولخراص الكذاب مختار • الحزر التقدير مختار • وقيل اي شيء يتبعون الذين تدعون من دون الله شركاء تقبيحا لمذهبهم • وقيل ما بمعنى الذي ومعناه والذين يتبعون الذين يدعونهم شركاء ما يتبعون الا الظن • وقيل ما للنفي ومعناه ولا يتبعون الذين يدعون من دون الله شركاء اي الذين يتبعونهم ليسوا شركاء وانما يتبعونهم ظنا انها تنفعهم وهو ظن كاذب • وقيل ان ما نفي وان نفي وهي لتكرير النفي شيء واحد للتاكيد تاسانی

وهو مع ما فيه من التأكيد لما سبق من اختصاص العزة بالله تعالى الموجب لتسليته صلى الله عليه وسلم
وعدم مبالاته بالمشركين وبمقالاتهم تمهيد لما لحق من قوله تعالى **وما يتبع الذين يدعون**
من دون الله شركاء وبرهان على بطلان ظنونهم واعمالهم المبنية عليها • وما اما نافية وشركاء
مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لظهوره اى ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء
شركاء في الحقيقة وان سموها شركاء فاقتصر على احدهما لظهور دلالته على الآخر • ويجوز
ان يكون المذكور مفعول يدعون ويكون مفعول يتبع محذوفا لانفهامه من قوله تعالى
ان يتبعون الا الظن اى ما يتبعون يقينا انما يتبعون ظنهم الباطل • واما موصولة
معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اى وله شركاؤهم
وتخصيصهم بالذكر مع دخولهم فيما سبق عبارة او دلالة للمبالغة في بيان بطلان اتباعهم
كالاصنام والكواكب
وفساد ما بنوه عليه من ظنهم شركاء هم معبودين مع كونهم عبيدا له سبحانه • واما استفهامية
اى واى شيء يتبعون اى لا يتبعون شيئا ما يتبعون الا الظن والخيال الباطل كقوله تعالى
ما تعبدون الا اسماء سميتموها الخ • وقرئ تدعون بالتاء فالاستفهام للتبكيت والتوبيخ كانه
قيل واى شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين تقريرا لكونهم متبعين لله تعالى
مطيعين له وتوبيخا لهم على عدم اقتدائهم بهم في ذلك كقوله تعالى اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقيل ان يتبع هؤلاء المشركون
الا الظن ولا يتبعون ما يتبعه الملائكة والنبيون من الحق **وان هم الا يخرصون** يكذبون
فيما ينسبونه اليه سبحانه ويحزرون ويقدرون انهم شركاء تقديرا باطلا • انتهى ابو السعود •

ولا يحزنك يا محمد **قولهم** اى تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في ابطال امرك قوله تعالى **ان العزة لله** في معنى التعليل
كانه قال لا تحزن فقيل لان الغلبة والقهر والقدرة لله **جميعا** فانه ناصرك وناصر دينك والمنتقم منهم
وكل من يتعزز انما هو باذن الله **هو السميع** لاقوالهم **العليم** بنياتهم وعقوبتهم **الا ان لله من في السموات**
ومن في الارض اى كل ما فيهما في ملكه وتحت تصرفه من الخلق والملك والانس والجن وغيرهم • وذكر من تغليبا
للعقلاء **وما يتبع** اى لم يتبع **الذين يدعون** اى يعبدون **من دون الله شركاء** اى آلهة حقيقة الشركاء
وانما سموهم شركاء لانهم انما يعبدونها على انهم شركاء يشفعون الناس ولكن ذلك على ما يظنون فشركاء
المذكور مفعول يتبع ومفعول يدعو محذوف فتقديره ما يتبع الذين يدعون شركاء من دون الله شركاء
فحذف الاول بدلالة الثاني عليه • وقيل ما استفهام منصوب المحل بيتبع على وجه الاقناط اى اى شيء
يتبع • فشركاء نصب بيدعون **ان يتبعون** اى ما يتبع عابد والشركاء **الا الظن** اى لا يعتقدون الا بالظن
انها تقربهم الى الله **وان هم** اى ما المشركون **الا يخرصون** اى يكذبون في قولهم انها شفعاء لنا • من العيون

ولا يحزنك قولهم اى في جنابنا او فيك او في كتابنا • او اشراكهم وتكذيبك وتهديدهم **ان العزة لله جميعا**
استئناف فيه معنى التعليل • وقراءة الشاذة بالفتح كالدليل كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بفعلهم ولانهم
لا يقهرونك لان الغلبة لله جميعا فهو يغلبك عليهم وينصرك لديهم **وهو السميع** لاقوالهم **العليم** باعمالهم **الا ان لله**
خلقا وملكا **من في السموات ومن في الارض** من الملائكة المقربين والانبياء والمرسلين واذا كان هؤلاء هم
اشرف في الممكنات في مرتبة العبودية ولا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل من الموجودات اولى بانه
لا يكون له تعالى شريكه في مراتب الكمالات **وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء** على النعت الحقيقي
وان كانوا يسمونها شركاء بالوصف المجازي كما يدل عليه قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله **ان يتبعون الا الظن** ما يتبعون اليقين وانما يتبعون الظن في الدين وقد سمى ان
الظن لا يغني من الحق شيئا **وان هم الا يخرصون** يكذبون في انهم شركاء ويحرزون ويقدرون انهم شفعاء
علي القاري من تفسيره
للقرآن

هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على انه تعالى هو المتفرد بكمال قدرته وعظيم نعمته التي
يتوكلكم ان يتبعوا بدونها ليدلهم على انه تعالى المتوحد باستحقاق العبادة فيخصصوها له • وجعل متعد الى مفعول
واحد بمعنى خلق • ومبصرا حال • ويجوز ان يكون متعديا الى مفعولين • والثاني لكم او لتسكنوا اي جعله
مجعولا لسكونكم • وقيل ظلما والنهار مبصرا عطفا على المفعولين • ذكر علة خلق الليل وهي لتسكنوا فيه وتستريحوا
من تعب التردد في طلب المعاش وما يكدحون منه في النهار وحذف من النهار • وذكر وصف النهار وحذفه
من الليل • وكل من المحذوفين يدل عليه المذكور في مقابله • والتقدير جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه
والنهار مبصرا لتتحركوا فيه في مكاسبكم وتهتدوا الى مآربكم • واسناد الابصار الى النهار مجازي على طريقة
ليله قائم ونهاره صائم • وانما عدل عن قوله ليبصروا فيه تناسبا لتسكنوا فيه للدلالة على ان مع كونه
ظرفا للابصار سبب له بخلاف سائر الظروف ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع اعتبار واذكار قالوا
اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه له تعالى عن التبني تعجيب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزهه عنه
فانه سبب عن الحاجة له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض البرهان الذي
اقامه تحقيقا لبطلانه قولهم ومبالغة في تجهيلهم اي ما عندكم من حجة بهذا القول مع ان الحجة دالة على خلافه
والباء في بهذا متعلق بسلطان او بفعله ان عندكم بمعنى الظرفية اي ما عندكم في هذا القول حجة كقولك ما عندكم
كقولك ما عندكم بارضكم موز اتقولون

هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه اي جعل لكم الليل مظلما لتستريحوا
فيه من تعب التردد في النهار والنهار مبصرا مضيئا لتبصروا فيه
مطالب ارزاقكم ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع مدبر
معتبر قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد و
تعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لنفي الولد لانه انما يطلب
الولد ضعيف ليتقوى به • او فقير ليستعين به • او ذليل
ليتشرف به والكل امارة الحاجة • فمن كان غنيا غير محتاج كان
الولد عنه منفيا • ولان الولد بعض الوالد فيستدعي ان
يكون مركبا وكل مركب ممكن وكل ممكن محتاج الى الغير فكان حادثا
فاستحال للقديم ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض
ملكا ولا تجتمع البنوة معه ان عندكم من سلطان بهذا ما عندكم
من حجة بهذا القول • والباء حقها ان تتعلق بقوله ان عندكم على
ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موز
كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان ولما نفى عنهم البرهان
جعلهم غير عالمين فقال اتقولون على الله ما لا تعلمون • قل ان
الذين يفترون على الله الكذب باضافة الولد اليه لا يفلحون
لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا اي
افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا حيث يقيمون به رياستهم
في الكفر ومناصبة النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ثم الينا
مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد الخالد بما كانوا يكفرون بكفرهم

على الله ما لا تعلمون لما نفى البرهان عنهم
جعلهم جاهلين • وفيه دليل على ان كل
قول لا دليل عليه فهو جهل وان العقائد
لا بد ان يكون برهانية لا تقليدية •
والمراد التوبيخ والتقريع لهم على اختلاقهم
وجهلهم قل ان الذين يفترون على الله الكذب
بنسبة الولد والشريك اليه تعالى لا يفلحون
لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة
متاع خبر مبتداء محذوف • والتنكير للتقليل
تقديره افتراؤهم متاع قليل اي منفعة يسيرة
في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر • او
حيوتهم وتقلبهم فيها متاع • او مبتدا خبره
محذوف اي لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم
بالبعث بعد الموت فيلقون الشقاء
المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد في
جهنم بما كانوا يكفرون بسبب استمرارهم
على الكفر

هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه
والنهار مبصرا تنبيه على تفرده تعالى
بالقدرة الكاملة والنعمة الشاملة ليدلهم
على توحده سبحانه باستحقاق العبادة
وتقرير لما سلف من كون جميع الموجودات
الممكنة تحت قدرته وملكيته المفصح
[عنه] اختصاص العزة به سبحانه • والجعل
ان كان بمعنى الابداع والخلق فمبصرا

حال وان فلكم مفعوله الثاني او هو حال كما في الوجه الاول والمفعول الثاني لتسكنوا فيه او هو محذوف يدل عليه
المفعول الثاني من الجملة الثانية كما ان العلة الغائية من الاولى محذوفة اعتمادا على ما في الاولى • والتقدير هو الذي
جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتحركوا فيه لمصالحكم كما سيجيء نظيره في قوله تعالى وان يمسسك الله
بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله الآية، فحذف في كل واحد من الجانبين ما ذكر في الآخر
اكتفاء بالمذكور عن المتروك • واسناد الابصار الى النهار مجازي كالذي في نهاره صائم ان في ذلك

ان في ذلك اي في جعل كل منهما كما وصف او فيهما • وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلة
المشار اليه وعلو رتبته لآيات اي عجيبة كثيرة او آيات اخر غير ما ذكر لقوم يسمعون اي هذه الآيات المدلول
ونظائرها المنبهة على تلك الآيات الكونية الآمرة بالتأمل فيها سماع تدبر واعتبار فيعملون بمقتضاها • وتخصيص
الآيات بهم مع انها منصوبة لمصلحة الكل لما انهم المنتفعون بها قالوا شروع في ذكر ضرب آخر من اباطيلهم وبيان
بطلانه اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه وتقديس له عما نسبوا اليه وتعجيب من كلمتهم الحمقاء هو الغني
على الاطلاق عن كل شيء في كل شيء وهو علة لتنزهه سبحانه وايذان بان اتخاذ الولد من احكام الحاجة • وقوله
تعالى له ما في السموات وما في الارض اي من العقلاء وغيرهم تقرير لغناه وتحقيق لمالكيته تعالى لكل ما سواه
وقوله تعالى ان عندكم من سلطان اي حجة بهذا اي بما ذكر من قولهم الباطل توضيح لبطلانه بتحقيق سلامة ما اقيم
من البرهان الساطع عن المعارض • فمن في من سلطان زائدة لتأكيد النفي وهو مبتدأ والظرف المقدم
خبره • او مرتفع على انه فاعل للظرف لاعتماده على النفي • وبهذا متعلق اما بسلطان لانه بمعنى الحجة و
البرهان واما بمحذوف وقع صفة له واما بما في عندكم من معنى الاستقرار كانه قيل ان عندكم في هذا القول
من سلطان • والالتفات الى الخطاب لمزيد المبالغة في الالزام والافحام وتأكيد ما في قوله تعالى اتقولون على الله ما
لا تعلمون من التوبيخ والتقريع على جهلهم واختلاقهم • وفيه تنبيه على ان كل مقالة لا دليل عليها فهي جهالة وان
العقائد لا بد لها من برهان قطعي وان التقليد بمعزل من الاعتداد به قل تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليبين لهم سوء مغبتهم ووخامة عاقبتهم ان الذين يفترون على الله الكذب اي في كل امر ويدخل ما نحن بصدده
من الافتراء بنسبة الولد والشريك اليه سبحانه دخولا اوليا لا يفلحون اي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب
اصلا • وتخصيص عدم النجاة والفوز بما يندرج في ذلك من عدم النجاة من النار وعدم الفوز بالجنة لا يناسب
مقام المبالغة في الزجر عن الافتراء عليه سبحانه وتعالى متاع في الدنيا كلام مستأنف سيق لبيان ان ما يتراءى فيهم بحسب
الظاهر من نيل المطالب والفوز بالحظوظ الدنيوية على الاطلاق • او في ضمن افترائهم بمعزل من ان يكون من جنس
الفلاح كانه قيل كيف لا يفلحون وهم في غبطة ونعيم فقيل هو متاع يسير في الدنيا وليس بفوز بالمطلوب ثم اشير
الى انتفاء النجاة عن المكروه ايضا بقوله تعالى ثم الينا مرجعهم اي بالموت ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون
فيبقون في الشقاء المؤبد بسبب كفرهم المستمر او بكفرهم في الدنيا فاين هم من الفلاح • وقيل المبتدأ المحذوف
حياتهم او تقلبهم • وقيل انه افتراؤهم • ولا يخفى ان المتاع انما يطلق على ما يكون مطبوعا عند النفس مرغوبا فيه
في نفسه ويتمتع به • وانما عدوه كذلك لاعتقادهم بسرعة زواله • ونفس الافتراء عليه سبحانه وتعالى اقبح القبائح
عند النفس فضلا عن ان يكون مطبوعا عندها وعده كذلك باعتبار اجراء حكم ما يؤدي اليه من رياستهم عليه
ما لا وجه له • فالوجه ما ذكر اولا وليس ببعيد ما قيل ان المحذوف هو الخبر اي لهم متاع • والآية مسوقة
من جهة الله تعالى لتحقيق عدم افلاحهم غير داخلة في الكلام المأمور به كما يقتضيه ظاهر قوله تعالى ثم الينا وقوله
ثم نذيقهم واما داخلة فيه على ان النبي صلى الله عليه وسلم مأمور بنقله وحكايته عنه عز وجل • ابو السعود رحمه الله

قوله تعالى هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه من تعب الاشتغال في النهار والنهار مبصرا اي وجعله مضيئا يبصر فيه كقولهم
ليل نائم طلبا للمعيشة ان في ذلك اي تقليب الليل والنهار لآيات اي لعبرات لقوم يسمعون سماع الاعتبار والايقاظ
فيعلمون ان لا يقدر على ذلك غير الله وان لا اله الا هو فيوحدونه به على التوحيد • ثم نزه نفسه عن افتراء افتروا
عليهم بقوله قالوا اي المشركون اتخذ الله ولدا وهو قولهم الملائكة بنات الله سبحانه تعجب من كلمتهم الخبيثة الحمقاء
وتنزيه له عن اتخاذ الولد هو الغني عن اتخاذ الولد وخلقه له ما في السموات وما في الارض اي ملكه لمخلقه
من العبيد ان عندكم من سلطان بهذا اي ما عندكم بهذا القول برهان • ومن صلة بعد النفي للتأكيد اتقولون
على الله ما لا تعلمون حقيقته يعني لا تقولوا ما ليس لكم به علم فانه جهل وافتراء من العيون

واتل عليهم نبأ نوح خبره مع قومه إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم شق وثقل ومنه قوله تعالى وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين مقامي مكاني أي كوني ووجودي ● ومنه فعلت كذا لمكان فلان أي لأجله أو إقامتي ومكثي بين أظهركم مدة طويلة أو قيامي على الدعوة لا عند التذكير لأن قوله وتذكيري يغني عنه والتأسيس خير من التأكيد بآيات الله فعلى الله توكلت أي خصصت به التوكل عليه والوثوق به جواب الشرط أي فلا أبالي ● وقيل جواب الشرط فأجمعوا أمركم وما تقدم اعتراض بين الشرط وجوابه كما تقول إن كنت أنكرت علي شيئا فالله حسبي فاعمل ما تريد واجمعوا وقرئ بالوصل من الجمع وبالقطع من الإجماع وهو العزم ● فإسناد الجمع أو الإجماع إلى الشركاء تهكم به وبشركائهم كما في قوله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون وشركاءكم معطوف على أمركم على حذف مضاف تقديره وأمر شركائكم ● أو منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم ● وقد قرئ به ● وقيل اجمعوا بمعنى أعدوا فيقع على المعطوفين جميعا ● وقال الزجاج وهو مفعول معه والواو بمعنى مع أي مع شركائكم ● ولا يساعده قراءة الوصل لما قال الحريري في درة الغواص لا يقال اجتمع فلان مع فلان وإنما يقال اجتمع فلان وفلان ● وقرئ بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز بلا تأكيد للفصل ثم لا يكن أمركم عليكم غمة مستورا عليكم وليكن مكشوفا مجاهرا به من غمه إذا ستره ● أو لا يكن أمركم أي ما تكونون فيه من سلامة الحال والكراهة وثقل مقامي فيكم ومشقته عليكم غما وكربا عليكم والغم والغمة كالكرب والكربة معنى وصيغة أي ثم توفقوا في إهلاكي وتدبيره لئلا يكون عيشكم بسبب مصاحبتي وحالكم مع غصة عليكم ثم اقضوا إلي ذلك الأمر الذي تريدون بي يعني أدوا قطعه وتصحيحه إلي كقوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر ● أو أدوا إلي ما هو حق عليكم من وجوب إهلاكي كما يقضي الرجل غريمه أو افضوا بالفاء أي ثم انتهوا إلي بشركم ● وقيل هو من أفضى الرجل إلى خرج إلى الفضاء أي أصحروا به إلي وابرزوا إلي ولا تنظرون ولا تمهلون ابو السعود

واتل عليهم أي على المشركين من أهل مكة وغيرهم لتحقيق ما سبق من أنهم لا يفلحون ● وأن ما يتمتعون به على جناح الفوات وأنهم مشرفون على العذاب الخالد نبأ نوح أي خبره الذي له شأن وخطر مع قومه الذين هم أضراب قومك في الكفر والعناد ليتدبروا ما فيه من زوال ما تمتعوا به من النعيم وحلول العذاب الغرق الموصول بالعذاب المقيم لينزجروا بذلك عما هم عليه من الكفر أو تنكسر شدة شكيمتهم ● أو يعترف بعضهم بصحة نبوتك بأن عرفوا أن ما تتلوه موافقا لما ثبت عندهم من غير مخالفة بينهما أصلا مع علمهم بأنك لم تسمع ذلك من أحد ليس إلا بطريق الوحي ● وفيه من تقرير ما سبق من كون الكل لله سبحانه واختصاص العزة به تعالى وانتفاء الخوف والحزن من أوليائه عز وجل قاطبة وتشجيع النبي صلى الله عليه وسلم وحمله على عدم المبالاة بهم وبأقوالهم وأفعالهم ما لا يخفى إذ قال معمول للنبأ أو بدل منه بدل اشتمال وأيا ما كان فالمراد بعض نبائه صلى الله عليه وسلم لا كل ما جرى بينه وبين قومه ● واللام في قوله تعالى لقومه للتبليغ يا قوم إن كان كبر أي عظم وشق عليكم مقامي أي نفسي كما يقال فعلته لمكان فلان أي لفلان ● ومنه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه أي خاف ربه أو قيامي ومكثي بين ظهرانيكم مدة طويلة ● أو قيامي وتذكيري بآيات الله فإنهم كانوا إذا وعظوا الجماعة يقومون على أرجلهم والجماعة قعود ليظهر حالهم ويسمع مقالهم وعلى الله توكلت جواب الشرط

واتل عليهم واقرأ عليهم نبأ نوح خبره مع قومه والوقف لازم إذ لو وصل لصار إذ ظرفا لقوله فاتل بل التقدير اذكر إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم عظم وثقل كقوله تعالى وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين مقامي مكاني يعني نفسه كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه ● أو قيامي ومكثي بين أظهركم ألف سنة إلا خمسين عاما ● أو مقامي وتذكيري بآيات الله لأنهم كانوا إذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا فعلى الله توكلت أي فوضت أمري إليه فأجمعوا أمركم من أجمع الأمر إذا نواه وعزم عليه وشركاءكم الواو بمعنى مع أي فأجمعوا أمركم مع شركائكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة أي غما عليكم وهما والغم والغمة كالكرب والكربة ● أو ملتبسا في خفية ● والغمة السترة من غمه إذا ستره ● ومنه الحديث لا غمة في فرائض الله أي لا تستر ولكن يجاهر بها والمعنى ولا يكن قصدكم إلى إهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني به ثم اقضوا إلي ذلك الأمر الذي تريدون بي أي أدوا إلي ما هو حق عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه أو اصنعوا ما أمكنكم ولا تنظرون ولا تمهلون انتهى المدارك

أي دمت على تخصيص التوكل به تعالى ● ويجوز أن يراد بها إحداث مرتبة مخصوصة من مراتب التوكل فأجمعوا عطف على الجواب والفاء لترتيب الأمر بالإجماع على التوكل لا لترتيب نفس الإجماع عليه ● أو هو الجواب وما سبق جملة اعتراضية والإجماع العزم قيل هو متعد بنفسه ● وقيل فيه حذف وإيصال ● قال السدوسي أجمعت الأمر أفصح من أجمعت عليه ● وقال أبو الهيثم أجمع أمره جعله مجموعا بعدما كان متفرقا وتفرقه أنه يقول مرة أفعل كذا وأخرى أفعل كذا وإذا عزم على أمر واحد فقد جمعه أي جعله جميعا وشركاءكم بالنصب على أن الواو بمعنى مع كما ينبئ عنه القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل تنزيلا للفصل منزلة التأكيد وإسناد الإجماع إلى الشركاء على طريقة التهكم ● وقيل إنه عطف على أمركم بحذف المضاف أي أمر شركائكم ● وقيل منصوب بفعل محذوف أي وادعوا شركاءكم ● وقد قرئ كذلك ● وقرئ فاجمعوا من الجمع أي فاعزموا على أمركم الذي تريدون بي من السعي في إهلاكي واحتشدوا فيه على أي وجه يمكنكم ثم لا يكن أمركم ذلك عليكم غمة أي مستورا من غمه إذا ستره بل مكشوفا مشهورا تجاهرونني به فإن الستر إنما يصار إليه لسد باب تدارك الخلاص بالهرب أو نحوه فحيث استحال ذلك في حقي لم يكن للستر وجه ● وإنما خاطبهم عليه السلام بذلك إظهارا لعدم المبالاة بهم وأنهم لم يجدوا إليه سبيلا وثقة بالله سبحانه وبما وعده من عصمته وكلاءته ● وكلمة ثم للتراخي في الرتبة وإظهار الأمر في موقع الإضمار لزيادة تقرير تقتضيه مقام الأمر بالإظهار بالذي يستلزمه النهي عن الستر والإسرار ● وقيل المراد بأمرهم ما يعتريهم من جهته عليه السلام من الحال الشديد عليهم المكروهة لديهم ● والغمة الغم كالكربة والكرب ● وثم للتراخي الزماني ● والمعنى ثم لا يكن حالكم عليكم غمة وتخلصوا بإهلاكي من ثقل مقامي وتذكيري ولا يخفى إباء السياق عنه قوله تعالى ثم اقضوا إلي ولا تنظرون أي أدوا إلي ما أحكموا ذلك الأمر الذي تريدون بي ولا تمهلوني كقوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر ● أو أدوا إلي ما هو حق عليكم عندكم من إهلاكي كما يقضي الرجل غريمه فإن توسيط ما يحصل عند الإهلاك بين الأمر بالعزم على مباديه وبين الأمر بقضائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه ● وقرئ ثم افضوا بالفاء أي انتهوا إلي بشركم ● أو ابرزوا إلي من أفضى إذا خرج إلى الفضاء ● من تفسير أبو السعود

واتل عليهم أي على كفار قريش نبأ نوح أي خبره في القرآن إذ قال لقومه الكفرة وهم ولد قابيل يا قوم إن كان كبر أي عظم وثقل عليكم مقامي بينكم وإعظالكم وتذكيري أي وعظي لكم بآيات الله وهي قوله تعالى في سورة نوح عم استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا فعزمتم على قتلي أو طردي فعلى الله توكلت أي فوضت أمري إليه ووثقت به لا بغيره ● ثم ذكر احتقارا بهم واستصغارا لشأنهم فأجمعوا أمركم أي فأحكموا كيدكم في إهلاكي والإجماع وهو الإحكام قوله وشركاءكم الواو فيه بمعنى مع أي اجتمعوا أمركم مع شركائكم أي آلهتكم ● ذكرهم على وجه التهكم ● أو ادعوا شركاءكم واستعينوا بها لتجمع معكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة أي ستر بمعنى خفيا مبهما يعني لا يكون قصدكم إلى إهلاكي مستورا عليكم وليكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني ثم اقضوا إلي أي امضوا ما في أنفسكم من الشر واعملوه ولا تنظرون أي لا تمهلوني في قصد إهلاكي بكل طريق منكم ● وهذا قول على طريق التعجيز وإظهار قلة المبالاة وثقته على ما وعده بنصرته عليهم فأخبر الله تعالى عن نوح عليه السلام أنه كان واثقا بنصر الله غير خائف من كيد قومه علما منه بأنهم وآلهتهم ليس إليهم نفع ولا ضر إلا أن يشاء الله تعالى ● من العيون

ثم سبحانه وتعالى أنزل هذه الآية على وجه التسلية لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لما كان يغشيه من قومه من مقاساة الشدة فإن أيام نوح عليه السلام في المحنة وإن طالت فما لبث كثيرا إلا وقد زالت ثم إنه يتوكل على ربه وقال إني توكلت على الله وهذا عين التفرقة وقال لنبينا صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي حسبك الله وهذا عين الجمع فبانت المزية وظهرت الخصوصية

وشركاءكم أي معهم ويؤيده قراءة يعقوب بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير أن يؤكد بالمنفصل لوجود الفصل والمعنى أنه أمرهم بالعزم أو الاجتماع على قصده والسعي في إهلاكه على أي وجه منهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن أمركم حالكم في قصدي عليكم غمة مستورا ومشكوكا بل اجعلوه ظاهرا ومكشوفا علي القاري

المزية وظهرت الخصوصية

يستظل المعنيين جميعا خلا انه على الاول تأكيد وعلى الثاني تعليل لاستغنائه عنهم اي ما توالي على العظة وان
الا عليه تعالى يثيبني به آمنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره ٭ او
المستسلمين لكل ما يصيبني من البلاء في طاعة الله تعالى فكذبوه فاصروا على ما هم عليه من التكذيب بعدما الزمتهم الحجة
لهم الحجة وحققت ان توليهم ليس له سبب غير التمرد والعناد فلا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه ومن معه
في الفلك من المسلمين وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين واغرقنا الذين كذبوا باياتنا اي بالطوفان وتا
ذكره عن ذكر الانجاء والاستخلاف حسبما وقع في قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا
واخذت الذين ظلموا الصيحة وغير ذلك من الآيات الكريمة لاظهار كمال العناية بشأن المقدم ولتعجيل المسرة
للسامعين وللايذان بسبق الرحمة التي هي من مقتضيات الربوبية على الغضب الذي هو من مستتبعات جرائر
المجرمين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تهويل لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب بالرسول صلى الله عليه وسلم
وتسلية له عليه السلام ثم بعثنا اي ارسلنا من بعده اي من بعد نوح عم رسلا التنكير للتفخيم ذاتا ووصفا اي
رسلا كراما ذوي عدد كثير الى قومهم اي الى اقوامهم لكن لا بان ارسلنا كل رسول منهم الى اقوام الكل او الى
قوم ما اي كانوا بل كل رسول الى قومه خاصة مثل هود الى عاد وصالح الى ثمود وغير ذلك ممن قص منهم ومن
لم يقص فجاؤهم اي جاء كل رسول قومه المخصوصين بالبينات اي المعجزات الواضحة الدالة على صدق ما قالوا ٭
والباء اما متعلقة بالفعل المذكور على انها للتعدية ٭ او بمحذوف وقع حالا من ضميرهم اي ملتبسين بالبينات
لكن لا بان ياتي كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فان
مراعاة انقسام الاحاد الى الاحاد انما هي فيما بين ضميري جاؤهم كما اشير اليه فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرار
عدم ايمانهم في الزمان الماضي لا لعدم استمرار ايمانهم كما مر مثله في هذه السورة الكريمة غير مرة اي فما صح وما
استقام لقوم من اولئك الاقوام في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم لشدة
شكيمتهم في الكفر والعناد ٭ ثم ان كان المحكي اخر حال كل قوم حسبما يدل عليه حكاية قوم نوح ٭
فالمراد بعدم ايمانهم المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما اشير اليه في قوله تعالى بما كذبوا به من
قبل تكذيبهم من حين مجيء الرسل الى زمان الاصرار والعناد ٭ وانما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات حيث جعل
صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه غني عن البيان وانما المحتاج الى ذلك عدم ايمانهم بعد كالاول
تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب
العقول ٭ والموصول الذي تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها
كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكي جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولا كفرهم المستمر من
حين مجيء الرسل الى اخره وبما اشير اليه اخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من كون الموصول المذكور عبارة عن
اصول الشرائع التي اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها اثر ذي اثير لاستحالة تبدلها وتغيرها
مثل ملة التوحيد ولوازمها ٭ ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث
لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كان كل قوم من اولئك الاقوام يتسامعون بها من بقايا من قبلهم
كثمود من بقايا عاد وعاد من بقايا قوم نوح عليهم السلام فيكذبونها ٭ ثم كانت حالتهم بعد مجيء الرسل
كحالتهم قبل ذلك كأن لم يبعث اليهم احد ٭ وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول لظهور
حال الباقي بدلالة النص فانهم حين لم يؤمنوا بما اجمعت عليه كافة الرسل فلان لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم
اولى ٭ وعدم جعل التكذيب مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور امر العذاب والعقاب عند اجتماع
التكذيب هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا ٭ وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب ٭ وعلى التقديرين فالضمائر الثلاثة متوافقة
في المرجع ٭ وقيل ضمير كذبوا راجع الى قوم نوح عم والمعنى فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح
ولا يخفى ما فيه من التعسف ٭ وقيل الباء للسببية اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة
الرسل ولا يخفى ان ذلك يؤدي الى مخالفة الجمهور من جعل ما المصدرية من قبيل الاسماء كما هو رأي الاخفش
وابن السراج ليرجع اليها الضمير وفي ارجاعه الى الحق بادعاء كونه مركوزا في الاذهان ما لا يخفى من التعسف
كذلك اي مثل ذلك الطبع المحكم نطبع بنون العظمة ٭ وقرئ بالياء على ان الضمير لله سبحانه على قلوب المعتدين
المتجاوزين عن الحدود المعهودة في الكفر والعناد المتجافين عن قبول الحق وسلوك طريق الرشاد وذلك
بخذلانهم وتخليتهم وشأنهم لانهماكهم في الغي والضلال وفي امثال هذا دلالة
على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد

ابو العود

فان توليتم اى اعرضتم عن تذكيري فما سألتكم من اجر يوجب اعراضكم عني لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله من طمع
في اموالكم ان اجري في نصحكم ووعظكم الا على الله هو الذي يثيبني عليه اى ما نصحتكم الا لوجه الله تعالى لا لغرض من
اغراض الدنيا وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لامر الله تعالى وقضية الاسلام ان لا تطلب على تعليم الدين
... من الدنيا ولا ينبغي بالدعوة والوعظة الا لوجه الله تعالى رضي الله تعالى • وعن ابي حنيفة ما امعن النظر اذ لم يذر
... الاجارة على الطاعات • والمراد الزام الحجة لهم وتبرئة ساحته عما يوجب الاعراض فكذبوه فاصروا على تكذيبه
... عنادا بعد طول مدة الدعوة والزام الحجة فنجيناه يعني من الغرق دل عليه قوله ومن معه في الفلك
... الانسان والحيوان • وانما قال ومن دون وما تغليبا للعقلاء على غيرهم للتنبيه على ان نجاة غيرهم كان تبعا لهم
وجعلناهم خلائف من الهالكين واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان • وتحمل موضع الاغراق وان قدم لفظا للاهتمام به
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما نزل بهم من العذاب وتهديد لمن كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له •
والعدول عن مقتضى ظاهر السياق وهو المكذبين الى المنذرين للتنبيه على ان التكذيب انما يستوجب نزول العذاب
اذا كان بعد الانذار فاعتبر هذا اللطف ودق لطف هذا الاعتبار ثم بعثنا البعث اعم من الارسال فان كل شيء اثرته
فقد بعثته ومنه قوله تعالى من بعثنا من مرقدنا والذي امر بتبليغ الرسالة الى قوم وهو فيهم انما يناسبه عبارة البعث
دون الارسال من بعده من بعد نوح عم

فان توليتم فان اعرضتم عن تذكيري ونصحتي فما سألتكم من اجر
فاوجب التولي • او فما سألتكم من اجر ففاتني ذلك بتوليكم
ان اجري الا على الله وهو الثواب الذي يثيبني به في الاخرة
اى ما نصحتكم الا لله لا لغرض من اغراض الدنيا • وفيه دلالة
منع اخذ الاجر على تعليم القرآن والعلم الديني وامرت
ان اكون من المسلمين من المستسلمين لاوامره ونواهيه
ان اجري مدني وساحي وحفصي فكذبوه فداموا على تكذيبه
فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف
يخلفون الهالكين بالغرق في السفينة واغرقنا الذين كذبوا
باياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين هو تعظيم لما جرى
عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن مثله وتسلية له ثم بعثنا من بعده من بعد نوح
رسلا الى قومهم اى هودا وصالحا وابراهيم ولوطا
وشعيبا فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعويهم
فما كانوا ليؤمنوا فاصروا على الكفر بعد المجيء بما كذبوا به
من قبل من قبل مجيئهم يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل
اهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم
بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم احد كذلك
نطبع مثل ذلك الطبع نختم على قلوب المعتدين المجاوزين الحد

رسلا التنكير للتكثير الى قومهم الى اقوامهم
كل رسول الى قومه • وانما لم يجمع لانه في
الاصل مصدر فجاؤهم بالبينات بالحجج
الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا
عبارة كان الدالة على الاستمرار مقدمة
على اداة النفي في الاعتبار اى لم يؤمنوا
بهم واصروا على الانكار • وفي زيادة
لام الجحود تاكيد لهذا المعنى ودلالة على ان
ايمانهم في حيز الامتناع بما كذبوا به من قبل
بسبب تعودهم بتكذيب الحق وتمرنهم
عليه من قبل بعثة الرسول اى ما تفاوت
حالهم قبل البعثة وبعدها لاعتيادهم بالعناد
وانكار الحق كذلك مثل ذلك الطبع المحكم نطبع
على قلوب المعتدين لان الاعتياد والافراط
في التجافي عن الحق يجب الخذلان حتى يصير
رينا وطبعا فالكلام على الحقيقة دون الكناية
ابن الكمال

فان توليتم الفاء لترتيب
التولي على ما سبق • فالمراد به اما
الاستمرار عليه واما احداث التولي
المخصوص اى ان اعرضتم عن نصحي
وتذكيري اثر ما شاهدتم مني
مخايل صحة ما اقول ودلايلها
التي من جملتها دعوتي اياكم جميعا
الى تحقيق ما تريدون بي من السوء
غير مبال بكم وبما ياتي منكم واعجازكم
من الاجابة عجزا منكم باني على الحق
مبين مؤيد من عند الله العزيز فما سألتكم مقابله وعظي وتذكيري من اجر تؤدونه الى حتى يؤدي ذلك الى توليكم
لاتهامكم اياي بالطمع والسؤال واما الثقل دفع السؤال عليكم او حتى يضرني توليكم المؤدي الى الحرمان فالاول
... لبطلان التولي ببيان عدم ما يصححه والثاني لاظهار عدم مبالاته عليه السلام بوجوده وعدمه وعلى
... تقديرين فالفاء الجزائية لسببية الشرط للاعلام بمضمون الجزاء لا لنفسه والمعنى ان توليتم فاعلموا ان ليس في
نصحي له ولا تاثر منه وقوله تعالى ان اجري الا على الله

فان توليتم اى اعرضتم عن نصحي وقبول قولي والايمان بالله فما سألتكم من اجر بذلك في الدنيا فما يقربني
اعراضكم ان اجري اى ما ثوابي الا على الله في الاخرة وامرت ان اكون من المسلمين اى من المستسلمين لاوامر الله تعالى
لا ياخذون للوعظ والنصيحة وتعليم الدين اجرا فان مقتضى الاسلام ذلك • قال صلى الله عليه وسلم لا تاخذوا
للعلم والقرآن والعمل ثمنا فيسبقكم الدناءة الى الجنة فكذبوه اى نوحا في خبر نزول العذاب بهم وهو الطوفان
بالماء واستمروا على تكذيبه فنجيناه ومن معه من المؤمنين في الفلك من العذاب النازل بهم وجعلناهم خلائف
اى جعلنا الذين معه في الفلك سكان الارض خلفا هالكين بالعذاب واغرقنا الذين كذبوا باياتنا اى بحججنا
الواضحة على صدقه وتوحيدنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اى عاقبة امر الذين انذرتهم الرسل فلم يؤمنوا
وفيه تعظيم لما جرى عليهم وتحذير للمشركين الذين انذرهم النبي عم عن مثله وتسلية له • ثم عقب خبر نوح باخبار
رسل جاؤا بعده على اممهم بالبينات فلم يؤمنوا فاهلكوا تحذيرا لاهل مكة ليؤمنوا فقال ثم بعثنا من بعده اى بعد
نوح واهلاك قومه رسلا كابراهيم وهود ولوط وشعيب الى قومهم فجاؤهم بالبينات بالحجج المثبتة لدعواهم فما كانوا
اى قومهم ليؤمنوا بعد ما دعاهم الرسل بما كذبوا به اى بمثل ما كذب قوم نوح به من الحق نوحا يعني انهم كانوا جاهلين
مكذبين بالحق قبل بعثة الرسل ثم كذبوا بالحق بعد بعثة الرسل اليهم من قبل اى قبل ان ياتيهم الرسل اليهم فلم يفترق
حالهم في التكذيب • فكفار مكة كهؤلاء المكذبين قصدوا وكان لم يبعث اليهم احد من الرسل لقساوة قلوبهم و...
اصرارهم على الكفر كذلك اى مثل ذلك الختم على قلوبهم نطبع اى نختم على قلوب المعتدين اى المتجاوزين من الحق الى الباطل
منلا العيون

ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهارون الى فرعون وملائه خص اشرافهم بالذكر اكتفاء بذكر الجماعة
باياتنا بالايات التسع اضافها الى نفسه تنبيها على خروجها عن خبر استطاعة العبد وتعلق كسبه بها وكونها من خوارق
العادات فاستكبروا عن قبول الحق واتباع من ارسل اليهم والاستكبار طلب الكبر من غير استحقاق واعظم الكبر
استهانة العبد برسالة ربهم بعد تبينها بالبينات وكانوا قوما مجرمين معتادين بالاثام العظام فلذلك استكبروا
عنها واجترؤا على ردها اما توصيف الاثام بالعظام فلان الجرم يوذن عن ذنب له عظم ثم ان سبيل
الكلام سبيل الاعتراض التذييلي ويدل على عراقتهم واعتيادهم له فجمعه لذلك على ان الكافر اذا وصف
بالجرم والفسق دل على شدته واما السببية فمن نفس الاعتراض والحمل على العطف الساذج لا يلائم
بلاغة القرآن فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه الحق وانه من عند الله تعالى من قبل موسى وهارون
عليهما السلام قالوا من فرط عنادهم ان هذا لسحر مبين ظاهر او فائق في فنه واضح من بين فنونه والدليل
على العرف فانهم المذكورين من النظم ايقاع الحق موضع ضمير الايات واسناد المجيء اليه وقولهم ان هذا
لسحر مبين لما مر في صدر السورة لمن دلالته على الاعتراف وتناهي العجز قال موسى اتقولون للحق
لما جاءكم اتعيبونه وتطعنون فيه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم يقال له
عن المفعول وقيل حذف مقول القول
لدلالة ما قبله عليه وهو انه لسحر
والهمزة للتوبيخ والتقرير ولا يجوز
ان يكون اسحر هذا لانهم بتوا القول
بل هو استيناف بانكار ما قالوه فيه
للتقرير والمحكي مفهوم قولهم وهذا
على الوجه الاول اشارة الى وضوح
حقيته وكونه ممتازا في الحق من الباطل
معلوم الحقية بحيث لا يشك فيه مشارا
اليه في ذلك وعلى الثاني تحقير واستبعاد
لكونه موجبا للفلاح ولا يفلح الساحرون
من تمام كلام موسى عليه السلام للدلالة على
انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل
ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه
لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام
قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا كانهم
قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح
ولا يفلح الساحرون وياباه قوله
ائتوني بكل ساحر عليم لانه متضمن طلب
الفوز بهم وصيغة الجمع للدلالة على
ان اجتماعهم لا يجدي نفعا في طلبهم الفوز

ثم بعثنا من بعدهم من بعد الرسل موسى وهرون
الى فرعون وملائه باياتنا التسع فاستكبروا عن
قبولها واعظم الكبر ان يتهاونوا العبيد برسالة ربهم
بعد تبينها ويتعظم عن قبولها وكانوا قوما مجرمين
كفارا ذوي اثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤا على
ردها فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه هو الحق وانه
من عند الله تعالى قالوا لحبهم الشهوات ان هذا لسحر مبين
وهم يعلمون ان الحق ابعد شيء من السحر قال موسى اتقولون
للحق لما جاءكم هو انكار ومقولهم محذوف اي هذا سحر
ثم استانف انكارا آخر فقال اسحر هذا خبر ومبتدا ولا يفلح
الساحرون اي لا يظفر قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا
عليه آباءنا من عبادة الاصنام او عبادة فرعون وتكون
لكما الكبرياء اي الملك لان الملوك موصوفون بالكبر والعظمة
والعلو في الارض ارض مصر وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به

قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان
عما وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فان الملوك موصوفون
بالكبر ويجوز ان يقصد به ذمهما بانهما يريدان ان يتكبرا ويتجبرا في الارض ارض مصر باستتباع الناس وما نحن لكما
ثم بعثنا عطف على قوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم عطف قصة على قصة بمصدقين فيما جئتما به
من بعدهم اي من بعد اولئك الرسل عليهم السلام موسى وهرون خصت بعثتهما عليهما السلام بالذكر
ولم يكتف باندراج خبرهما فيما اشير اليه اشارة اجمالية من اخبار الرسل عليهم السلام مع اقوامهم واوثر في ذلك
ضرب تفصيل ايذانا بخطر شان القصة وعظم وقعها كما في نبأ نوح عليه السلام الى فرعون وملائه اي اشراف قومه
وتخصيصهم بالذكر لاصالتهم في اقامة المصالح والمهمات ومراجعة الكل اليهم في النوازل والملمات باياتنا
اي ملتبسين بها وهي الايات المفصلات فلا غرو فاستكبروا الاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق

والفاء فصيحة اي فاتياهم فبلغاهم الرسالة فاستكبروا عن اتباعهما وذلك قول اللعين لموسى عليه السلام
الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين الخ وكانوا قوما مجرمين اعتراض مقرر
لمضمون ما قبله اي كانوا معتادين لارتكاب الذنوب العظام فان الاجرام مؤذن بعظم
الذنوب ومنه الجرم اي الجثة فلذلك اجترؤا على ما اجترؤا عليه من الاستهانة برسالة الله
تعالى وحمل الاستكبار على الامتناع عن قبول الايات لا يساعده قوله تعالى فلما جاءهم الحق
من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين فانه صريح في ان المراد باستكبارهم ما وقع منهم قبل مجيء الحق
الذي سموه سحرا اعني العصا واليد البيضاء كما ينبئ عنه سياق النظم الكريم وذلك اول ما ظهر
على يده عليه السلام من الايات العظام والفاء فيه ايضا فصيحة معربة عما صرح به في مواضع اخر
من قوله تعالى قد جئتكم ببينة من ربكم الى قوله تعالى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين
ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه قالوا من فرط عتوهم و
عنادهم ان هذا لسحر مبين اي ظاهر كونه سحرا او فائق في بابه واضح فيما بين اضرابه وقرئ
لساحر قال موسى استيناف مبني على سؤال ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قال لهم موسى حينئذ
فقيل قال على طريقة الاستفهام الانكاري التوبيخي اتقولون للحق الذي هو ابعد شيء من السحر الذي
هو الباطل البحت لما جاءكم اي حين مجيئه اياكم ووقعتم عليه او من اول الامر من غير تامل وتدبر
مثل لا يليق بما اتيا في القول المذكور والمقول محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه وايذانا بانه مما لا ينبغي
ان يتفوه به ولو على نهج الحكاية اي اتقولون له ما تقولون من انه سحر يعني به انه مما لا يمكن ان يقوله قائل
ويتكلم به متكلم او القول بمعنى العيب والطعن من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا
قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونظيره الذكر في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم الخ فيستغنى عن المفعول
اي اتعيبونه وتطعنون فيه وعلى الوجهين فقوله تعالى اسحر هذا انكار مستانف من جهته صلى الله
عليه وسلم لكونه سحرا وتكذيب لقولهم وتوبيخ لهم على ذلك اثر توبيخ وتجهيل بعد تجهيل اما على الاول
فظاهر واما على الثاني فوجه ايثار انكار كونه سحرا على كونه معيبا بان يقال مثلا افيه عيب حسما
لتضمنه ظاهر الانكار الثاني التصريح بالرد عليهم في خصوصية ما عابوه به بعد التنبيه بالانكار
السابق على ان ليس فيه شائبة عيب ما وما في هذا من معنى القرب لزيادة تعيين المشار اليه
واستحضار ما فيه من الصفات الدالة على كونه اية باهرة من ايات الله المنادية على امتناع كونه سحرا
اي اسحر هذا الذي امره واضح مكشوف وشانه مشاهد معروف بحيث لا يرتاب فيه احد ممن له
عينان مبصرة وتقديم الخبر للايذان بانه محط الانكار وكما استلزم كونه سحرا كون من اتى به ساحرا
اكد الانكار السابق وما فيه من التوبيخ والتجهيل بقوله عز وجل ولا يفلح الساحرون وهو جملة حالية
من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو بلا ضمير كما في قول من قال جاء الشتاء ولست املك عدة
وتوكلت حا رسد ولم تطلع الشمس اي اتقولون للحق انه سحر والحال انه لا يفلح فاعله اي لا يظفر بمطلوب
الانجي من مكروه فكيف يمكن صدوره من مثلي من المؤيدين من عند الله العزيز الحكيم الفائز بكل مطلب
الناجي عن كل محذور وقوله اسحر هذا جملة معترضة بين الحال وصاحبها اكد بها الانكار السابق
ببيان استحالة كونه سحرا بالنظر الى ذاته قبل بيان استحالته بالنظر الى صدوره عنه عليه السلام هذا

ثم بعثنا من بعدهم اي بعد الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه اي اشراف قومه بآياتنا اي بعلاماتنا
التسع فاستكبروا اي تكبروا على الايمان بالجاءة على ردها وكانوا قوما مجرمين اي معتادين دوي الاثام
ثم بين اباءهم بقوله فلما جاءهم الحق وهو ما جاء به موسى من المعجزات من عندنا الاتي قبل الرسل
قالوا ان هذا لسحر مبين اي كذب مموه بالصنعة عيانا قطعوا بكونه سحرا بينا قال لهم موسى اتقولون
للحق لما جاءكم من عند الله انه سحر وتعلمون انه الحق لا الباطل ثم قال منكرا عليهم اسحر هذا اي اتكون
هذا سحرا وهو علامة لنبوتي ولا يفلح الساحرون اي لا ظفر لهم في الدنيا ولا في الاخرة قالوا اي قال
فرعون وقومه لموسى عليه السلام اجئتنا لتلفتنا اي لتصرفنا عما وجدنا عليه اباءنا من عبادة غير الله
وتكون بالتاء والياء لكما يا موسى وهارون الكبرياء اي الملك والسلطان في الارض اي في ارض مصر وما نحن
لكما بمؤمنين اي مصدقين في دعواكما بانكما رسولا رب العالمين
من العيون

وقال فرعون توحيد الفعل لان الامر من وظايف فرعون اي قال لملائه يأمرهم بترتيب مبادي الزامهما
عليهما السلام بالفعل بعد الياس عن الزامهما بالقول ائتوني بكل ساحر عليم يفنون السحر حاذق ماهر فيه
اي سحار فلما جاء السحرة عطف على مقدر يستدعيه المقام قد حذف ايذانا بسرعة امتثالهم بامر فرعون
وهو شان الفاء الفصيحة في كل مقام اي فاتوا به فلما جاءوا قال لهم موسى لكن لا في ابتداء مجيئهم بل بعد ما قالوا
له عليه السلام ما حكى عنهم في اول السورة الاخرى من قولهم اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ونحو ذلك
القوا ما انتم ملقون اي ما تلقون له كائنا ما كان من اصناف السحر فلما القوا ما القوا من العصي والحبال
واسترهبوا الناس وجاءوا بسحر عظيم قال لهم موسى غير مكترث بهم وبما صنعوا ما جئتم به السحر ما موصولة
وقعت مبتدا والسحر خبرها اي هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه من ايات الله سبحانه او هو جنس السحر تريبهم
ان حاله بين لا يعبأ به كانه قال ما جئتم به مما لا ينبغي ان يجاء به وقرئ آلسحر على الاستفهام فما استفهامية
اي اي شيء جئتم به اهو السحر الذي يعرف حاله كل احد ولا يتصدى له عاقل وقرئ ما جئتم به سحر وقرئ
ما اتيتم به سحر ودلالتهما على المعنى الثاني في القراءة المشهورة اظهر ان الله سيبطله اي سيمحقه بالكلية
بما يظهره على يدي من المعجزة فلا يبقى له اثر اصلا او سيظهر بطلانه للناس والسين للتاكيد ان الله لا يصلح
عمل المفسدين اي عمل جنس المفسدين على الاطلاق فيدخل فيه السحرة دخولا اوليا او عملكم فيكون من
باب وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالافساد والاشعار بعلة الحكم وليس المراد بعدم
اصلاح عملهم عدم جعل فسادهم صلاحا بل عدم اثباته واتمامه اي لا يثبته ولا يكمله ولا يديمه بل
يمحقه ويهلكه ويسلط عليه الدمار والجملة تعليل لما سبق من قوله ان الله سيبطله وكل اعتراض
تذييلي وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق عطف على قوله تعالى سيبطله
اي يثبته ويقويه واظهار الاسم الجليل في المقامين الاخيرين لالقاء الروعة وتربية المهابة بكلماته
باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك والمراد بهم كل من اتصف بالاجرام من السحرة
وغيرهم فما امن لموسى معطوف على مقدر فصل في مواقع اخر اي فالقى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون الخ
وانما لم يذكر تعويلا على ذلك وايثارا للايجاز وايذانا بان قوله تعالى ان الله سيبطله مما لا يحتمل الخلف اصلا
وعطفه على ذلك بالفاء مع كونه عدما مستمرا من قبيل ما في قوله عز وجل فاتبعوا امر فرعون وما في قولك
وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر والسر في ذلك ان الاتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع
عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث اي فما امن له عليه السلام مشاهدة
تلك الايات القاهرة الا ذرية من قومه اي الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل حيث دعا الاباء فلم يجيبوه
خوفا من فرعون واجابته طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم
امنوا به عليه السلام او مؤمن ال فرعون وامراته اسية وخازنه وامراته وماشطته وهو بعيد
على خوف اي كائنين على خوف عظيم من فرعون وملائهم الضمير لفرعون والجمع لما هو المعتاد في ضمائر العظماء
ولايباه مقام بيان علوه في الفساد وغلوه في الشر والتسلط على العباد او لان المراد به اله كما يقال
ربيعة ومضر او للذرية او للقوم اي على خوف من فرعون ومن اشراف بني اسرائيل حيث كانوا يمنعون
اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ان يفتنهم

واما تجويز ان يكون الكل مقول القول على ان الكلام اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون
فمما لا يساعده النظم الكريم اصلا اما اولا فلان ما قالوا هو الحكم بانه سحر من غير ان يكون فيه دلالة
على ما تعسف فيه من المعنى بوجه من الوجوه فصرف جوابه عليه السلام عن صريح ما خاطبوه به
الى ما لا يفهم منه اصلا مما يجب تنزيه النظم التنزيلي عن الحمل على امثاله واما ثانيا فلان التعرض
لعدم افلاح السحرة على الاطلاق من وظايف من يتمسك بالحق المبين دون الكفرة المتشبثين
باذيال بعض منهم في معارضته عليه السلام ولو كان ذلك من كلامهم لكانوا مخصصين عدم الافلاح
بمن زعموه ساحرا بناء على غلبة من ياتون به من السحرة واما ثالثا فلان قوله تعالى قالوا
مسوق لبيان انه عليه السلام القمهم الحجر فانقطعوا عن الاتيان بكلام له تعلق بكلامه عليه السلام
فضلا عن الجواب الصحيح واضطروا الى التشبث بذيل التقليد الذي هو داب كل عاجز محجوج
وديدن كل معاند لجوج على انه استيناف وقع جوابا عما قبله من كلامه عليه السلام على طريقة
قوله تعالى قال موسى الخ حسبما اشير اليه كانه قيل فماذا قالوا لموسى عليه السلام عند ما قال لهم ما قال
فقيل قالوا عاجزين عن المحاجة اجئتنا لتلفتنا اي لتصرفنا فان الفتل واللفت اخوان
عما وجدنا عليه اباءنا اي من عبادة الاصنام ولا ريب ان ذلك انما يتسنى بكونه ما ذكر من
كلامه عليه السلام على الوجه الذي شرح اذ على تقدير كونه محكيا من قبلهم يكون جوابه عليه السلام
خاليا عن التبكيت الملجئ لهم الى العدول عن سنن المحاجة ولا ريب في انه لا علاقة بين قولهم
اجئتنا الخ وبين انكاره عليه السلام لما حكي عنهم مصححة لكونه جوابا عنه وتكون لكما الكبرياء اي الملك
او التكبر على الناس باستتباعهم وقرئ ويكون بالياء التحتانية وكلمة في في قوله تعالى
في الارض اي ارض مصر متعلقة بتكون او بالكبرياء او بالاستقرار في لكما لوقوعه خبرا او
بمحذوف وقع حالا من الكبرياء او من الضمير في لكما لتحمله اياه وما نحن لكما بمؤمنين اي مصدقين
فيما جئتما به وتثنية الضمير في هذين الموضعين بعد افراده فيما تقدم من الموضعين باعتبار
شمول الكبرياء لهما عليهما السلام واستلزام التصديق لاحدهما للاخر واما اللفت والمجيء له فحيث
كانا من خصايص صاحب الشريعة اسندا الى موسى عليه السلام خاصة ابو السعود افندي

ان يفتنهم اي يعذبهم وهو بدل اشتمال او مفعول خوف فان اعمال المصدر المنكر كثير كما في قوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما او مفعول له بعد حذف اللام واسنادا لفعل الى فرعون خاصة لانه الامر بالتعذيب وان فرعون لعال في الارض لغالب في ارض مصر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد بالقتل وسفك الدماء او في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء والجملتان اعتراض تذييلي مؤكد لمضمون ما سبق

ابو السعود

وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم اي حاذق بالسحر وقرئ بكل سحار بمعنى المبالغة فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا اي اطرحوا على الارض ما انتم ملقون اي طارحون من الحبال والعصي فلما القوا ما معهم على الارض من السحر قال موسى ما جئتم به السحر مبتدأ وخبر وما موصولة اي الذي اتيتم به هو السحر لا الحق وقرئ آلسحر بالمد على الاستفهام فما استفهامية حينئذ محلها نصب بمحذوف فيكون من باب الاضمار على شريطة التفسير تقديره اي شيء اتيتم به كما تقدم ثم ابتدأ السحر هو المعنى اي شيء جئتم به اهو السحر ثم قال ان الله سيبطله اي سيمحقه ان الله لا يصلح عمل المفسدين اي لا يحققه ولا يديمه لفساده ويحق الله الحق بكلماته اي يثبت دينه الاسلام بنصرته واوامره وقضائه ولو كره المجرمون اي فرعون وقومه ثم اخبر تعالى نبيه عن مؤمني موسى عليه السلام بقوله فما آمن لموسى الا ذرية اي لم يؤمن بموسى الا اولاد من قومه اي قوم موسى بني اسرائيل لان موسى قد دعا اباءهم الى الايمان فلم يجيبوا فاجابه الاولاد على خوف من فرعون وملائهم اي واشراف الذرية ولم يؤنث الضمير نظرا للمعنى لانهم قوم يعني انهم آمنوا وهم على خوف من فرعون وقومه وانما لم يؤمن اباؤهم لانهم كانوا من القبط وكانت امهاتهم من بني اسرائيل فجعل الرجل يتبع امه وخاله وقيل هلك اباؤهم من بني اسرائيل وبقي ابناؤهم وقيل الضمير في ملائهم لفرعون جمع تعظيما له لكونه عظيما في نفسه او انه كما يقال مضر وربيعة قومه قوله تعالى ان يفتنهم في محل الجر بدل من فرعون اي على خوف من ان تقتلهم وان فرعون لعال اي لطاغ غالب متكبر في الارض اي في ارض مصر بادعاء الالوهية وبالقتل والظلم العظيم وانه لمن المسرفين اي المجاوزين الحد لانه كان عبدا حقيرا فادعى الربوبية وقيل عاش فرعون ثلثمائة سنة او ثمانين وعشرين سنة لم ير مكروها اي شقة ودعاه موسى عليه السلام ثمانين سنة

قوله تعالى وقال فرعون ائتوني الخ لما استعان فرعون في استدفاع ما استقبله بغير الله لم يلبث الا يسيرا حتى تبرأ عنهم واوعدهم بقوله لاقطعن ولاصلبن وكذلك يتفاوت كل محبة وولاية اذا كانت بغير الله تعالى فانها تؤول الى العداوة والبغضة قال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين قوله فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون امرهم امر اظهار لبطلانهم ليبطل الحق على ما اتوا به من التمويه لذلك قال الله تعالى عن موسى عليه السلام ان الله سيبطله فلما القى عصا موسى جميع ما جاؤا به من حبالهم وعصيهم وقلبها الله تعالى خشبة علموا ان الله ابطل تلك الاعيان وافناها قوله تعالى ويحق الحق بكلماته من جملة ما احقه ايمان السحرة كان عندهم انهم ينصرونه اي ينصرونه اختلفوا في الهاء التي في قومه قيل هي راجعة الى موسى واراد بهم مؤمني بني اسرائيل الذين كانوا بمصر وخرجوا معه قال مجاهد كانوا اولاد الذين ارسل اليهم موسى من بني اسرائيل هلك الاباء وبقي الابناء وقال آخرون الهاء راجعة الى فرعون روى عطية عن ابن عباس رضي قال هم ناس يسير من ال فرعون وامرأته وخازنه وماشطته وعن ابن عباس رضي رواية اخرى انهم كانوا سبعين الف بيت من القبط من ال فرعون وامهاتهم من بني اسرائيل فجعل الرجل يتبع امه واخواله وقيل هم قوم نجوا من قتل فرعون وذلك ان فرعون لما امر بقتل ابناء بني اسرائيل كانت المرأة من بني اسرائيل اذا ولدت ابنا وهبته لقبطية خوفا من القتل فنشأوا عند القبط واسلموا في اليوم الذي غلبت السحرة قال الفراء سموا ذرية لانهم كانوا من القبط وامهاتهم من بني اسرائيل كما يقال لاولاد اهل فارس الذين سقطوا الى اليمن الابناء لان امهاتهم من غير جنس اباءهم

 مخ حدي تفسير الزاهدي

٤١

فرعون ائتوني بكل ساحر عليم وقرئ بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا استطالة وعدم مبالاة بهم وثقة بما وعد ما انتم ملقون تحقير له وتقليل واعلام انه لا شيء يلتفت اليهم فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ما موصولة مبتداء خبره السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا الذي جئنا به من آيات الله تعالى وقرئ آلسحر على الاستفهام على ان ما استفهامية مبتدأ تقديره اهو السحر او مبتدأ خبره محذوف تقديره السحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اي شيء اتيتم السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق يثبته بكلماته بما هو امره ولو كره المجرمون فما آمن لموسى في اول امره الا ذرية من قومه الا طائفة من ذراري قومه اي اولاد من بني اسرائيل دعا اباهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون وقومه واجابته طائفة من ابناءهم والابناء تهم وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية طائفة من شبان قومه او من ال فرعون واسية امرأته وحادمه وامراءة الخازن وماشطة ولابناسبه قوله على خوف من فرعون فان حق الكلام حينئذ اظهار الضمار اسم فرعون ثم والمضمر هنا وملائهم الضمير راجع الى فرعون بمعنى ال فرعون كما يقال مضر وربيعة او لانه ذو اصحاب ما مرون له فعلى هذا يكون من باب قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء ولا يجوز ان يكون جمع على ما هو المعتاد في ضمير العظماء لانه يكون عند قصد التعظيم ولا يناسب المقام او الى الذرية او قومه اي على خوف من فرعون ومن اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم بدليل قوله ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وعلى الوجه الاول افراده بالضمير يحتاج الى التاويل بان يقال الخوف من الملاء كان بسببه وانما قال على خوف للدلالة على شدة خوفهم ولا يفيد ما افاده على لان الصحوب ليس كالمركوب وان فرعون لعال في الارض لغالب قاهر فيها استيناف لبيان السبب في كون اولئك المؤمنين خائفين فالمناسب ان يكون المراد من الاسراف في قوله وانه لمن المسرفين تجاوزه عن الحد في العناد في التعذيب والقتل لمن يخالفه في امر من الامور

انتهى ... الكمال

وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم سحار حمزة وعلي فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ما موصولة واقعة مبتداء وجئتم صلتها والسحر خبر اي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله تعالى آلسحر بعد وقف ابو عمرو على الاستفهام فعلى هذا ما استفهامية اي اي شيء جئتم به اهو السحر ان الله سيبطله يظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته بل يدمره ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه او بعداته بالنصر ولو كره المجرمون ذلك فما آمن لموسى في اول امره الا ذرية من قومه على خوف من فرعون الا طائفة من ذراري بني اسرائيل كانه قيل الا اولاد من اولاد قومه وذلك انه دعا الاباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابناءهم مع الخوف او الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن ال فرعون واسية امرأته وخازنه وامراءة خازنه وماشطته والضمير في وملائهم يرجع الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر او لانه ذو اصحاب يأتمرون له او الى الذرية اي على خوف من فرعون وخوف من اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعونهم اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم دليله قوله ان يفتنهم يريد ان يعذبهم فرعون وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها قاهر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو في ادعائه الربوبية

اسهل المدارك

وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين منه يا قوم ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به تعالى وبآياته وفي ارادة ايما. ان حالهم كنست حال المصدق بالله الصادق في الايمان الواثق به تعالى فعليه توكلوا فخصوه بالتفويض اليه والتوبة في العصمة من فرعون • ثم شرط في حصول التوكل وصحته الاسلام بقوله ان كنتم مسلمين كما شرط في وجوبه الايمان لان من قضية الايمان وجوب التوكل على الله تعالى ولا يصح التوكل الا مع تسليم نفوسهم له تعالى خالصة سالمة ليس لغيره فيها حظه ولا تخليط فيه كقولك ان اتاك زيد فاحسن اليه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مخلصين ولذلك قبل توكلهم واجاب دعاهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافون عذابه وبلائه وجعلهم خلفاء في ارضه ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا به او يفتنوننا عن ديننا • او فتنة لهم يفتنون بنا يقولون لو كان هولاء على الحق لما اصيبوا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ومن مجاهدتهم استعبادهم وسوء مشاهدتهم • وانما قدموا التوكل على الدعا لان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا ان اتخذ مباءة اي مرجعا يرجع اليه لقومكما بمصر بيوتا تسكنون فيها وترجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى واقيموا الصلوة فيها قال ابن عباس رض ان فرعون لما اتاه موسى عم بالرسالة امر بمساجد في جوف البيوت ولا يظهروها وبشر المؤمنين بالنصر في الدنيا والجنة في العقبى • وانما ثني الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشرع

وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا فاليه اسندوا امركم في العصمة من فرعون ان كنتم مسلمين شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله اي جعلوها سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط فقالوا على الله توكلنا انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله تعالى قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجيهم واهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في ارضه • فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه فعليه برفض التخليط للاخلاص ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا او يفتنوننا عن ديننا اي يضلوننا والفاتن المضل عن الحق ونجنا برحمتك من القوم الكافرين اي من تعبيدهم وتسخيرهم واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا تبوء المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلوة فيه واجعلوا بيوتكم قبلة اي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في اول الامر مأمورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المسلمون على ذلك في اول الاسلام بمكة واقيموا الصلوة في بيوتكم حتى تأمنوا وبشر المؤمنين يا موسى ثني الخطاب اولا لان اختيار مواضع العبادة مما يفوض الى الانبياء عليهم السلام • ثم جمع لان اتخاذ المساجد والصلوة فيها واجب على الجمهور ثم خص موسى عم بالبشارة تعظيما لها وللمبشر بها وقال موسى ربنا انك آتيت • وفي ترتيب الدعاء على التوكل تلويح بان الداعي حقه ان يبني دعاءه على التوكل

وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين منه ابن كمال رحمه الله يا قوم ان كنتم آمنتم بالله اي صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا وبه ثقوا ولا تخافوا احدا غيره فانه كافيكم كل شر وضير ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله تعالى مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل عليه تعالى فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام وجوده فانه لا يتحقق مع التخليط • ونظيره ان احسن اليك زيد فاحسن اليه ان قدرت عليه فقالوا مجيبين له عم من غير تلعثم في ذلك على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ثم دعوا ربهم قائلين ربنا لا تجعلنا فتنة اي موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا حتى يعذبونا او يفتنونا عن ديننا • او يفتتنوا بنا ويقولوا لو كان هولاء على الحق لما اصيبوا او لتوا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين دعاءهم بالانجاء من سوء جوارهم وسوء صنيعهم بعد الانجاء من ظلمهم ولذلك عبر عنهم بالكفر بعدما وصفوا بالظلم

واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا ان مفسرة لان في الوحي معنى القول اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا تسكنون فيها وترجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة فان موسى عم كان يصلي اليها واقيموا الصلوة اي فيها • امروا بذلك في اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذيهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا اجابة لدعوتهم والجنة في العقبى • وانما ثني الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتولاه رؤساء القوم بتشاور • ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة فيها مما يفعله كل احد • ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة • ووضع المؤمنين موضع ضمير القوم لمدحهم بالايمان وللاشعار بانه المدار في التبشير • ابو السعود افندي رحمه الله

وقال موسى لقومه الذين آمنوا به يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا اي به ثقوا ولا تخافوا من فرعون وقومه وذلك حين قالوا له اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا فقال توكلوا على الله ان كنتم مسلمين اي مخلصين في الايمان فقالوا على الله توكلنا في جميع امورنا • ثم دعوا بقولهم ربنا لا تجعلنا فتنة اي بلية للقوم الظالمين اي لا تظهرهم علينا فيظنوا انهم على الحق فيزدادوا طغيانا وعتوا ونجنا برحمتك اي بنعمتك واحسانك من القوم الكافرين بك وبانبيائك يعني فرعون وقومه قال الله تعالى واوحينا الى موسى واخيه هرون ان تبوءا اي اتخذا لقومكما بمصر بيوتا وهي المنزل يقال تبوأ فلان لنفسه بيتا اذا اتخذه مقيما • واراد بمصر هنا مصر فرعون الاسكندرية يعني اتخذا لاجلهم منزلا ومقاما في مصر لاجل العبادة فلذلك ثنى الخطاب لانه مما يفوض الى الانبياء وسبق الخطاب عاما لهما ولقومهما بقوله واجعلوا بيوتكم قبلة اي في بيوتكم مساجد متوجهة الى القبلة وهي الكعبة وكان بنو اسرائيل لا يصلون الا في كنائسهم وبيعهم فلما ارسل موسى عم امرهم فرعون ان يخربوا بيعهم وكنائسهم ومنعهم من الصلوة لئلا تظهر عبادتهم وكانت طاهرة • فامرهم ان يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها سرا خوفا من فرعون • وقيل معناه حولوا بيوتكم نحو القبلة • قال ابن عباس كانت الكعبة قبلة موسى عم ومن معه امرهم بالتحويل اليها واقيموا الصلوة اي اتموها فيها بركوعها وسجودها خفية من الكفرة حذرا من اذاهم • قيل كان المسلمون على ذلك في اول الاسلام بمكة لئلا يفتنوهم • خص موسى عم بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بقوله وبشر يا موسى المؤمنين اي المصدقين بالله المصلين في البيوت سرا بالجنة • وهذا يؤذن ان الصلوة كانت مفروضة على بني اسرائيل بمصر دون الزكوة لان فرعون استعبدهم واخذ اموالهم فصاروا فقراء ومساكين وخص بالبشارة موسى تعظيما لها وللمبشر بها • وقيل بشر خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا خلاف الظاهر من العيون

[illegible] وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاءه زينة ما يتزين به من لباس وحلي وفرش وغير ذلك واموالا صنوفا من الاموال
في الحيوة الدنيا عن ابن عباس رض كانت لهم من ارض فسطاط مصر الى ارض حبشة جبال منها معادن ذهب وفضة وزبرجد وياقوت
ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم باهو عنه بلفظ الامر للاياس عن قبولهم الدعوة والهداية وتحقق اصرارهم على الكفر كقولك
لعن الله ابليس • وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت • ويحتمل ان يكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج
وتثبيت على الضلال لما جعلوها سببا للضلال فكانهم اوتوها للضلال فيكون ربنا تكريرا للاولى تاكيدا وتنبيها على
ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله تعالى ربنا اطمس على اموالهم اهلكها والطمس المحق قال ابن عباس رض
بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئة الدراهم والدنانير واشدد على قلوبهم اشدد على القلوب
قسيتها واقبضها حتى لا يدخلها الايمان اي والجمع عليها حتى لا ينشرح لقبول الحق فلا يؤمنوا جواب للدعاء الذي
هو اشدد او دعاء بلفظ النهي • وقيل ان جعلت اللام في ليضلوا للعاقبة او التعليل فهو عطف عليه وقوله ربنا اطمس واشدد
دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه واعترض عليه بان الاعتراض بالدعاء لا يكون له حسن موقع وههنا
[illegible] على النابغة قوله لعل زيادة الا اباك غافل حتى يروا العذاب الاليم اي ليروا ذلك • ويحتمل الغاية اي الى
ان يروا العذاب الاليم وكان كذلك • ابو السعود •

ثم خص موسى عليه السلام بالبيان تعظيما لها وتنبيها
فقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاءه زينة
هي ما يتزين به من لباس او حلي او فرش او آلات او غير ذلك
واموالا نقدا ونعما في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك
اي الناس عن طاعتك كوفي ولا وقف على الدنيا لان قوله
ليضلوا متعلق بآتيت وربنا تكرار للاول للالحاح في
التضرع قال الشيخ ابو منصور رحمه الله اذا علم منهم يضلون
الناس عن سبيله آتيهم ما آتيهم ليضلوا عن سبيله وهو كقوله
انما نملي لهم ليزدادوا اثما فتكون الآية حجة على المعتزلة ربنا
اطمس على اموالهم اي اهلكها واذهب آثارها لانهم يستعينون
بنعمتك على معصيتك • والطمس المحق والاهلاك • قيل
صارت دراهمهم ودنانيرهم حجارة كهيئتها منقوشة
وقيل سائر اموالهم كذلك واشدد على قلوبهم واطبع على
قلوبهم واجعلها قاسية فلا يؤمنوا جواب الدعاء الذي هو
اشدد حتى يروا العذاب الاليم الى ان يروا العذاب الاليم
وكان كذلك لم يؤمنوا الى الغرق وكان ذلك ايمان بأس
فلم يقبل • وانما دعا لهم هذا لما ايس من ايمانهم وعلم بالوحي
انهم لا يؤمنون • فاما قبل ان يعلم بانهم لا يؤمنون فلا ينبغي
له ان يدعو بهذا الدعاء لانه ارسل اليهم ليدعوهم الى الايمان
وهو يدل على ان الدعاء على الغير بالموت على الكفر لا يكون كفرا انتهى المدارك

وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاءه
زينة اي ما يتزين به من اللباس والمراكب
ونحوها واموالا وانواعا كثيرة من المال
في الحيوة الدنيا ليضلوا عن سبيلك دعاء
عليهم بلفظ الامر بما علم بممارسة احوالهم
انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس •
وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت
او للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج
وتثبيت على الضلال • ولانهم لما جعلوها
ذريعة الى الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا
فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا • او
تنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم و
كفرانهم تقدمة لقوله تعالى ربنا اطمس
على اموالهم الطمس المحق • وقرئ تغم
انهم اي اهلكها واشدد على قلوبهم اي
اجعلها قاسية واطبع عليها حتى لا تنشرح
للايمان كما هو مقتضى شانهم فلا يؤمنوا جواب
للدعاء او دعاء بلفظ النهي • او عطف
على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض حتى
يروا العذاب الاليم اي يعاينوه و
يوقنوا به بحيث لا ينفعهم ذلك اذ ذاك
• انوار السعود •

على تقدير ان لا يكون دعاء

قال موسى ربنا انك
آتيت فرعون ايها عظيمة وملاءه اي
اشرافهم زينة وهي كل ما يتزين به من
متاع الدنيا قيل كانت لهم فسطاط
مدينة من نواحي مصر الى ارض
الحبشة جبال فيها معادن
ذهب وفضة وياقوت وزبرجد فطمعوا بها وضلوا ولذلك قال واموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك اي عن دين الاسلام
[illegible] اليا من الضلال اي ليمتنعوا عن دينك • وبعضهم من الاضلال اي ليصرفوا الناس عن دينك • واللام فيه للتعليل
[illegible] يكون سببا للضلالة • او لام العاقبة اي ليكون عاقبة امرهم الضلال • وقيل هو دعاء بلفظ امر الغائب بدليل قوله تعالى
ربنا اطمس على اموالهم اي امحها واهلكها والطمس المحق واشدد على قلوبهم اي اقسها ولا توفقهم للايمان فلا يؤمنوا عطف
على ليضلوا والاولى عطفه على اشدد • وقيل نصب بعد الفاء في جواب الدعاء اي حتى لا يدخلها الايمان وقيل هو دعاء بلفظ
النهي اي اللهم اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وهو الغرق •

• قيل مسخ الله اموالهم حجارة من الدراهم والدنانير مع نقوشهما كهيئتهما صحاحا ومن النخيل والثمار والطعام
والدقيق • وروي ان الرجل كان مع اهله في فراشه فصارا حجرين والمراة قائمة تخبز فصارت حجرا وسكرهم صار حجرا
فكانت احدى الآيات التسع وذلك حين وعد له فرعون بان يؤمن ويرسل معه بني اسرائيل كما امر الله تعالى به
ثم نقض العهد فدعا عليهم موسى عليه السلام وهرون
قال تعالى قد اجيبت
من العيون

قال قد أجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون عليهما السلام لانه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة
ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن في وقته • روي انه مكث بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق
الجهلة في الاستعجال فان الامور مقدرة معلقة باوقاتها • او عدم الوثوق بوعد الله تعالى قال الزجاج قوله ولا تتبعان
موضعه الجزم والتقدير ولا تتبعا الا ان النون المشددة دخلت على النهي مؤكدة وكسرت لسكونها وسكون النون
التي قبلها فاختير لها الكسرة لانها بعد الالف تشبيه نون التثنية • واستضعفه ابن الحاجب وحمل على انه نفي بمعنى النهي جاز
العطف • او الواو للحال وفعل المضارع المنفي لا يمتنع من دخول الواو عليه اي استقيما غير متبعين وهذا اسد ملاءمة
وقرئ ولا تتبعان بتخفيف النون ولا تتبعان من تبع وجاوزنا ببني اسرائيل البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم
وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف فاتبعهم فرعون وجنوده اي طلبوا لحاقهم فقربوا منهم
واما الادراك فلم يحصل بغيا وعدوا باغين وعادين • او للبغي والعدي حتى اذا ادركه الغرق الغرق بالفتح
القرب من الهلاك بغمرة الماء والغرق بتسكين الهلاك فلا قال آمنت انه قرئ بالفتح
على حذف الباء التي هي صلة الايمان وبالكسر على الاستيناف بدلا من آمنت وتفسيرا له

قال القاضي هنا لحقه رده ابن الكمال

قال قد أجيبت دعوتكما قيل كان موسى يدعو وهارون يؤمن
فثبت ان التامين دعاء فكان اخفاؤه اولى والمعنى ان
دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته فاستقيما
فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والتبليغ ولا تتبعان
سبيل الذين لا يعلمون ولا تتبعا طريق الجهلة الذين لا يعلمون
صدق الاجابة وحكمة الامهال فقد كان بين الدعاء والاجابة
اربعون سنة • ولا تتبعان بتخفيف النون وكسرها لالتقاء
الساكنين تشبيها بنون التثنية شامي وخطاؤه نفعهم لان
النون الخفيفة واجبة السكون • وقيل هو اخبار عما يكونان
عليه وليس بنهي • او هو حال وتقديره فاستقيما غير متبعين
وجاوزنا ببني اسرائيل البحر هو دليل لنا على خلق الافعال
فاتبعهم فرعون وجنوده فلحقهم يقال تبعته حتى اتبعته
بغيا تطاولا وعدوا ظلما وانتصبا على الحال او على المفعول له
حتى اذا ادركه الغرق ولا وقف عليه لان قال آمنت جواب
اذا انه حمزة وعلي على الاستيناف بدل من آمنت وبالفتح غيرهما
على حذف الباء والتي هي صلة الايمان لا اله الا الذي آمنت به
بنو اسرائيل وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد حيث
قال آمنت ثم قال وانا من المسلمين كرر فرعون المعنى الواحد
ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث
اخطأ وقته وكان المرة الواحدة تكفي في حالة الاختيار • انتهى المدارك

لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا
من المسلمين على الاول تكرير للمعنى الواحد
بعبارتين مختلفتين وعلى الثاني بثلاث
عبارات شغفا على القبول لكن لما لم يبق
وقت التكليف لم يقبل ولو بقي وقته
لكفته مرة واحدة كان مؤمنا ضرورة
حصول التصديق القلبي ولم يكن مسلما
لان الاسلام تسليم النفس الى الله تعالى
فاذا آمن في وقت خرجت نفسه من يده
لم يصر مسلما نفسه الى الله تعالى اذ ليس
نفسه في يده حتى يسلمها ولذلك وبخه
بالعصيان المقابل للاذعان دون الكفر
المقابل للتصديق حيث قال الآن اي
اتؤمن الآن وقد آيست من نفسك
ولم يبق لك اختيار وقد عصيت من قبل
قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين
الضالين المضلين عن الايمان • انتهى ابن الكمال •
قال قد أجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون
عليهما السلام لانه كان يؤمن كما يشعر به اضافة
الدعوة الى ضمير المتكلم مع الغير في المواقع الثلاثة
فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة
والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتماه
كائن في وقته لا محالة • روي انه مكث فيهم
بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان
سبيل الذين لا يعلمون اي بعادات الله تعالى
في تعليق الامور بالحكم والمصالح • او
سبيل الجهلة في الاستعجال • او عدم
الوثوق بوعد الله تعالى • وقرئ بالنون
الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين •
ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا

وجاوزنا ببني اسرائيل البحر هو من جاوزنا المكان اذا تخطاه وخلفه • والباء للتعدية اي جعلناهم مجاوزين البحر
بان جعلناه يبسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط • وقرئ جوزنا وهو من التجويز المرادف للمجاوزة لا مما هو بمعنى
التنفيذ نحو ما وقع في قول الاعشى كما جوز السكي في الباب فيتق ولا الفيل وجوزنا بني اسرائيل في البحر ولعل
النظم الكريم عن الايذان بانفصالهم عن البحر وبمقارنة العناية الالهية لهم عند الجواز كما هو المفهوم في الفرق
بين اذهبه وذهب به فاتبعهم

...تبعته حتى اتبعته اذا كان سبقك فلحقته اي ادركهم ولحقهم فرعون وجنوده حتى تراءت الفئتان
...بجميع الجماعة بغيا وعدوا ظلما واعتداء اي باغين وعادين • او للبغي والعدوان • وقرئ عدوا •
...ان موسى عم خرج ببني اسرائيل على حين غفلة من فرعون فلما سمع به تبعهم حتى لحقهم ووصل
الساحل وهم قد خرجوا من البحر ومسلكهم باق على حاله يبسا فسلكه بجنوده اجمعين فلما دخل
...هو وهم اوليهم بالخروج غشيهم من اليم ما غشيهم حتى اذا ادركه الغرق اي لحقه والجمه
...آمنت انه اي بانه والضمير للشان • وقرئ انه على الاستيناف بدلا من آمنت وتفسيرا له
...لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل لم يقل كما قال السحرة آمنا برب العالمين رب موسى وهرون
...عنه تعالى بالموصول وجعل صلته ايمان بني اسرائيل به تعالى للاشعار برجوعه عن
الاستعصاء وباتباعه لمن كان يستتبعهم طمعا في القبول والانتظام معهم في سلك النجاة
وانا من المسلمين اي الذين اسلموا نفوسهم لله اي جعلوها سالمة خالصة له تعالى واراد بهم اما
بني اسرائيل خاصة واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا • والجملة على الاول عطف على
آمنت • وايثار الاسمية لادعاء الدوام والاستمرار • وعلى الثاني تحتمل الحالية ايضا من ضمير المتكلم
اي آمنت مخلصا لله منتظما في سلك الراسخين فيه • ولقد كرر المعنى الواحد بثلاث عبارات
حرصا على القبول المفضي الى النجاة وهيهات هيهات بعد ما فات ما فات واني ما هو آت
المفضي

على قراءة الكسر

قال قد اجيبت دعوتكما قيل انهما كانا يدعوان جميعا • وقيل دعا موسى وامن [illegible]
...رون عليهما السلام فاستقيما فاثبتا على الرسالة والدعوة الى ان ياتيهم العذاب ولا تتبعان
سبيل الذين لا يعلمون وقرئ بتشديد التاء وكسر الباء • وبسكون التاء وفتح الباء مع تخفيف النون المؤكدة
...وكسرها لالتقاء الساكنين • وبتشديدها اي لا تسلكا طريق الجهلة بعادة الله ولا تعجلا في الاجابة
...كما فان التعجيل ليس بمصلحة اذ الامور تتعلق بالمصالح كما لبث نوح في قومه قريبا من الف عام
...يستعجل لزيادة الزام الحجة • قيل ان الاجابة ظهرت بعد اربعين سنة • وقيل بعد اربعين يوما
...وقع الدعاء حين خرج موسى مع بني اسرائيل من مصر وايس من ايمانه وايمان قومه لانه علم ان ايمانهم
...الذي لا يدخل تحت القضية بوحي من الله تعالى فاشتد غضبه وافرط مقته فدعا عليهم بما علم
...لا يكون غيره وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي عبرنا بهم منه وهو بحر النيل • وقيل بحر قلزم فاتبعهم اي لحقهم
...اتبعه فلان اذا ادركه ولحقه وتبعه واتبعه بالتشديد اذا سار خلفه واقتدى به يعني ادركهم
...ون وجنوده بغيا اي ظلما في القول حيث قال ان هؤلاء لشرذمة قليلون وعدوا اي اعتداء في
...الفعل حيث قصد قتلهم وذلك حين انفلق البحر لموسى عم وقومه بامر الله تعالى ان اضرب بعصاك
...البحر فصار اثني عشر طريقا يابسا فلما وصل فرعون وجنوده الى البحر هابوا دخوله فتقدمهم
...جبريل على فرس وديق وخاض البحر فاقتحمت خيولهم خلفه فلما دخل آخرهم وهم اولهم ان يخرج انطبق
...عليهم الماء حتى اذا ادركه الغرق الفرعون يعني غمه وقرب هلاكه قال آمنت انه بالكسر على الاستيناف
...وبالفتح مفعول آمنت اي ان الشان لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين اي على دينهم الاسلام
...انا من المخلصين في التوحيد • كرر الايمان مرات حرصا على القبول ولم يقبل لانه لم يكن وقت القبول
...قال تعالى خاطبا لفرعون الآن اي اتؤمن الآن وقد عصيت قبل اي قبل هذا الوقت وقد كنت من المفسدين
اي الضالين المضلين
عن العيون

الآن مفعول لقول مقدر معطوف على قال اي فقيل الآن وهو الى قوله تعالى آية حكاية لما جرى منه سبحانه من الغضب
على المخذول ومقابلة ما اظهره بالرد على وجه الانكار التوبيخي على تاخيره وتقريعه بالعصيان والافساد وغير ذلك
وفي جنعا الفعل المذكور وابراز الخبر المحكي في صورة الانشاء من الدلالة على عظم السخط وشدة الغضب ما لا يخفى
كما نفصح عنه ما روي من ان جبريل عم دس فاه عند ذلك بحال البحر وسدّ به فانه تاكيد للرد القولي
بالرد الفعلي • ولا ينافيه تعليله بمخافة ادراك الرحمة فيما نقل انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم فلو رأيتني يا محمد
وانا آخذ من حال البحر فادسه في فيه مخافة ان تدركه الرحمة اذ المراد بها الرحمة الدنيوية اي النجاة التي هي
طلبة المخذول وليس من ضرورة ادراكها صحة الايمان كما في ايمان قوم يونس عم حتى يلزم من كراهته
ما لا يتصور في شان جبريل عليه السلام من الرضا بالكفر اذ لا استحالة في ترتب هذه الرحمة على مجرد التفوه
بكلمة الايمان وان كان ذلك في حالة البأس واليأس فيحمل دسه عم على سد باب الاحتمال البعيد لكمال الغيظ
وشدة الحرد فتدبر والله الموفق • وحق العامل في الظرف ان يقدر مؤخرا ليتوجه الانكار والتوبيخ
الى تاخير الايمان الى حد يمتنع قبوله فيه اي الآن آتؤمن حين يئست من الحياة وايقنت بالممات وقوله
عز وعلا وقد عصيت قبل حال من فاعل الفعل المقدر جيء به لتشديد التوبيخ والتقريع على تاخير الايمان الى هذا
الآن ببيان انه لم يكن تاخيره لعدم بلوغ الدعوة اليه ولا للتأمل والتدبر في دلائله وآياته ولا لشيء آخر مما
يعد عذرا في التاخير بل كان ذلك على طريقة الرد والاستعصاء والافساد فان قوله تعالى وكنت من المفسدين
عطف على عصيت داخل في حيز الحال اي وكنت من الغالين في الضلال والاضلال عن الايمان كقوله تعالى الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون • فهذا عبارة عن فساده الراجع الى
واساءته الى غيره من الظلم والتعدي وصد بني اسرائيل عن الايمان والاول عن عصيانه الخاص به فاليوم
ننجيك اي نخرجك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا • وفي التعبير عنه بالتنجية تلويح بان
مراده بالايمان هو النجاة كما مر وتهكم به • او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل • وقرئ ننجيك
من الانجاء • وننحيك بالحاء من التنحية اي نلقيك بناحية الساحل ببدنك في موضع الحال من ضمير المخاطب
اي ننجيك ملابسا ببدنك فقط لا مع روحك كما هو مطلوبك • فهو تخييب له وحسم لاطماعه بالـ...
او عاريا عن اللباس • او كاملا سويا • او بدرعك وكانت له درع من الذهب يعرف بها • وقرئ با...
اي باجزاء بدنك كلها كقولهم هوى باجرامه • او ببدرعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك
لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى روي انهم لم يصدقوا
موسى عم حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل • او يكون لمن ياتي بعدك من
الامم اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا من الطغيان • او حجة تدلهم على ان الانسان وان بلغ
الغاية القصوى من عظم الشأن وعلو الكبرياء وقوة السلطان فهو مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية
وقرئ لمن خلفك فعلا ماضيا اي لمن خلفك من الجبابرة • وقرئ لمن خلقك بالقاف اي ليكون
لخالقك آية كسائر الآيات فان افراده سبحانه اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه قصد منه كشف
تزويرك واماطة الشبهة في امرك وبرهان نير على كمال علمه وقدرته وحكمته وارادته • وهذا الوجه
على القراءة المشهورة ايضا • وفي تعليل تنجيته بما ذكر ايذان بانها ليست لاعزازه او لفائدة اخرى
عائدة اليه بل لكمال الاستهانة به وتفضيحه على رؤوس الاشهاد وزيادة تفظيع حاله كمن يقتل ثم يجر جسده
في الاسواق • او يدار برأسه في البلاد • واللام الاولى متعلقة بننجيك والثانية بمحذوف وقع حالا
من آية اي كائنة لمن خلفك وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون اي لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها
وهو اعتراض تذييلي جيء به عند الحكاية تقريرا لمضمون الكلام المحكي

ابو السعود افندي

... تعالى حاكيا لفرعون الآن اي آتؤمن الآن وقد عصيت قبل اي قبل هذه المدة وقد
كنت من المفسدين اي الغالين في الضلال ... قبل ايمان اليأس غير مقبول لقوله تعالى
فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا • وفي توبة اليأس خلاف بين العلماء والاصح انها
مقبولة لانبساط المعرفة السابقة بالايمان في المؤمن بخلاف الكافر فانه لا معرفة له
حتى ينبسط عند اليأس فيرد ايمانه عليه • روي ان جبريل عم اخذ من
حال البحر فدسه في فيه وهو محمول على غضب الله على الكافر في وقت قد علم ان
ايمانه لا ينفعه لا على معنى آخر يروى فيه ثم قال تعالى لفرعون فاليوم ننجيك من البحر
ببدنك اي بجسدك لا روح فيه • او بدرعك وكان له درع مشهور مرصع
بالجواهر لتكون يا فرعون لمن خلفك اي لمن بعدك من الكفار المتمردين آية اي عبرة
ونكالا عن دعوى الربوبية • قيل لما اخبر موسى عم قومه بهلاك فرعون وقومه قال بنو
اسرائيل ما مات فرعون فامر الله البحر فالقاه ميتا على الساحل احمر قصيرا كانه ثور
فرآه بنو اسرائيل فصدقوا بموته فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا ابدا فصار عظة
وان كثيرا من الناس عن آياتنا وهي هلاك فرعون مع جنوده وانجاء موسى مع قومه
من الغرق لغافلون اي لا يخافون فيعتبرون • ثم اخبر عن حال بني اسرائيل
بعد هلاك اعدائهم بقوله ولقد بوأنا ... من العيون

أو آتؤمن الآن وقد أيست من نفسك ولم يبق لك اختيار **وقد عصيت من قبل** قبل ذلك مدة عمرك **وكنت من المفسدين**
الضالين المضلين عن الإيمان • روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما أغرق الله تعالى فرعون
قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل قال جبريل عليه السلام فلو رأيتني يا محمد وأنا آخذ من وحل البحر فأدسه في فيه مخافة
أن تدركه الرحمة • أراد إذ لا أدرك الرحمة في الدنيا كما أدرك قوم يونس عليه السلام ينجوا عن العذاب فليس فيه ما يدل
على كراهة إيمان الكافر والرضى بكفره فإن الرضاء بالشيء لا يستلزم الرضا بسببه • ألا يرى أن المريض يشرب الدواء
الكريه كارها إياه راضيا لما يترتب عليه من منفعة الشفاء فمن وهم أن في قوله مخافة أن تدركه الرحمة جهالتان
أحدهما أن الإيمان يصح بالقلب كإيمان الأخرس فحال البحر لا يمنعه والأخرى أن من كره إيمان الكافر وأحب بقائه
على الكفر فهو كافر لأن الرضى بالكفر كفر وزعم بناء على ذلك أنه من زيادات الباهتين لله تعالى وملائكته فقد وهم
لأنه على تقدير زيادته لا بهت فيه للشيطان **فاليوم ننجيك** ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك
طافيا • أو نلقيك على نجوة من الأرض

آلآن أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين أدركك الغرق
وأيست من نفسك • قال ذلك حين ألجمه الغرق • والعامل
فيه أتؤمن **وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين** من الضالين
المضلين عن الإيمان • روي أن جبريل عليه السلام أتاه بفتيا
ما قول الأمير في عبد نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد
حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول أبو
العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده
الكافر نعماءه أن يغرق في البحر فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل
خطه فعرفه **فاليوم ننجيك** نلقيك بنجوة من الأرض
فرماه البحر إلى الساحل كأنه ثور **ببدنك** في موضع الحال
أي في الحال التي لا روح فيك وإنما أنت بدن • أو ببدنك
كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير • أو عريانا لست
إلا بدنا من غير لباس • أو بدرعك كانت له درع من
ذهب يعرف بها • وقرأ أبو حنيفة رحمه الله بأبدانك
وهو مثل قولهم هوى بأجرامه أي ببدنك كله طافيا
بأجزائه أي ببدنك كله وافيا بأجزائه أو بدروعك لأنه
ظاهر بينها **لتكون لمن خلفك آية** لمن وراءك من الناس
علامة وهم بنو إسرائيل وكان في أنفسهم أن فرعون
أعظم شأنا من أن يغرق • وقيل أخبرهم موسى بهلاكه
فلم يصدقوه فألقاه الله تعالى على الساحل حتى عاينوه • و
قيل لمن خلفك لمن يأتي بعدك من القرون ومعنى كونه
آية أن يظهر للناس عبوديته وأن ما كان يدعيه من
الربوبية محال وأنه مع ما كان فيه من عظم الملك آل
أمره إلى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره
اسمه المبارك • **وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون**

ليراك بنو إسرائيل **ببدنك** في موضع الحال
أي بدرعك وكانت له درع من ذهب
يعرف بها • وقرئ بأبدانك أي بدروعك
كأنه كان مظاهرا بينها أو بجسده من الماء
أو ظهوره على وجهه مع ما عليه من
جسم ثقيل أنه آخرى • وقيل أي
ببدنك عاريا عن الروح • أو كاملا
سويا • أو عريانا من غير لباس أيا ما
الباء لأنها تقتضي وجود شيء آخر غير البدن
ولم ينج غير جسده على أنه فرق بين
البدن والجسد فإن الأطراف خارج
عن الأول داخل في الثاني نحو القائم
على أن يذكر الجسد بدل البدن **لتكون**
لمن خلفك لمن يبقى بعدك من السبطي
والقبطي علامة إذ كان في نفوسهم
من عظمته ما خيل إليهم أنه لا يموت
حتى روي أن بني إسرائيل لم يصدقوا
موسى عليه السلام في إخبار بغرقه حتى عاينوه
مطروحا على ممرهم من الساحل • أو لمن
يأتي بعدك من القرون إذا سمعوا ممن
شاهدك عبرة ونكالا من الطغيان أو
حجة تدلهم على أن الإنسان على ما كان
عليه من عظم الشأن وكبرياء الملك
السلطان مملوك ومقهور بعيد عن
مظان الربوبية • وقرئ ننحيك بالحاء
من التنحية وهي التبعيد بيديك على
أنه تثنية اليد لمن خلفك بالقاف أي
نبعدك عن الرحمة بما كسبت يداك من
الجفوة ليكون من خالقك آية بخلقه
فإن أفراده إياك بالإلقاء إلى الساحل دليل
على أنه قصد بكشف سرك وإماطة
الشبهة عن أمرك دال على كمال قدرته
وعلمه وإرادته وهذا الوجه محتمل على المشهور
أيضا ومن قال في تفسيره على القراءة الأخيرة أي نلقيك
صاحب التيسير

ولقد بوّأنا بني اسرائيل مبوّأ صدق منزلا صالحا مرضيا

وهو مصر والشام ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا في

دينهم حتى جاءهم العلم اى التورية وهم اختلفوا في تأويلها

كما اختلف امة محمد صلى الله عليه وسلم في تأويل الآيات في

القرآن ● والمراد العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم واختلاف بني

اسرائيل وهم اهل الكتاب ● واختلافهم في صفته وانه

هو ام ليس به بعد ما جاءهم العلم انه هو ان ربك يقضي

بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون يميز الحق من المبطل

ويجزي كلا جزاءه فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل

الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لما قدم ذكر بني اسرائيل

وهم قراءة الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان

امر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب في التورية والانجيل

وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم اراد ان يؤكد علمهم بصحة

القرآن وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويبالغ في

ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل

من خالجته شبهة ان يسارع الى حلها بالرجوع الى قوانين

الدين وادلته او بمباحثة العلماء فاسئل علماء اهل الكتاب

فانهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك بحيث يصلحون لمراجعة

مثلك فضلا عن غيرك ● فالمراد وصف الاحبار بالرسوخ

في العلم بصحة ما انزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف

رسول الله بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق من ربك

عندك بالآيات الواضحات والبراهين اللايحات ان ما اتيك

الذي لا مجال فيه للشك فلا تكونن من الممترين الشاكين ولا

عليه لعطف ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين

انتهى المدارك

فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك فيخبرونك انك مكتوب عندهم في التورية • قيل هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره على عادة العرب فانهم يخاطبون الرجل ويريدون غيره كقوله تعالى يا ايها النبي اتق الله خاطب النبي صلى الله عليه وسلم والمراد المؤمنون بدليل انه تعالى قال ان الله كان بما تعملون خبيرا ولم يقل بما تعمل • وقال يا ايها النبي اذا طلقتم النساء • وقيل كان الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مصدق ومكذب وشاك فهذا الخطاب مع اهل الشك معناه ان كنت ايها الانسان في شك مما انزلنا اليك من الهدى على لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك قال ابن عباس رض ومجاهد والضحاك يعني من امن من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه فيشهدون على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ويخبرونك بنبوته • قال الفراء علم الله تعالى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير شاك ولكنه ذكره على عادة العرب يقول الواحد منهم لعبده ان كنت عبدي فاطعني ويقول لولده افعل كذا ان كنت ابني ولا يكون ذلك على وجه الشك • قوله فلا تكونن من الممترين وهذا كله خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد منه غيره

معالم التنزيل

ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين

اي فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بايات الله • او هو على طريقة التهييج والالهاب كقوله تعالى فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن ايات الله بعد اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا اشك ولا اسأل بل اعتقد انه الحق • او خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد امته اي وان كنتم في شك مما انزلنا اليكم كقوله تعالى وانزلنا اليكم نورا مبينا • او الخطاب لكل سامع يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز اخوك فهن • او ان للنفي اي فما كنت في شك فاسئل اي لا نامرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم عليه السلام بمعاينة احياء الموتى • فان قلت انما تجيء ان للنفي اذا كان بعدها الا كقوله تعالى ان الكافرون الا في غرور • قلت ذاك غير لازم الا ترى الى قوله تعالى ان امسكهما من احد من بعده فان للنفي وليس بعدها الا ان الذين حقت عليهم كلمة ربك ثبتت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح واخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا • او قوله تعالى لاملأن جهنم الاية ولا وقف على الذين لا يؤمنون لان ولو جاءتهم كل اية متعلق بما قبلها حتى يروا العذاب الاليم اي عند الباس فيؤمنون ولا ينفعهم او عند القيمة ولا يقبل منهم [illegible] ايمانا نافعا واقعا في اوانه فيندرج فيهم المؤمنون عند معاينة العذاب مثل فرعون [illegible] كل اية واضحة المدلول مقبولة لذي العقول لان سبب ايمانهم وهو تعلق ارادته [illegible] سبحانه مع استحقاقهم له بل لسوء اختيارهم المتفرع على عدم استعدادهم لذلك كذاب الفرعون واضرابهم

ان الذين حقت اي وجبت عليهم كلمة ربك وهو قوله هؤلاء في النار ولا ابالي لا يؤمنون فيموتون كفارا لانه قدر عليهم الكفر ولو جاءتهم كل اية اي علامة دالة على التوحيد حتى يروا العذاب الاليم اي الهلاك في الدنيا والعذاب في الاخرة من العيون

ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك حكمه بانهم يموتون على الكفر ويخلدون في العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم كل اية لان مناط ايمانهم تعلق ارادته تعالى بايمانهم فانه لابد منه في وجود كل ممكن حتى يروا العذاب الاليم وح لا ينفعهم كما لم ينفع لفرعون ابو الكمال

ان الذين حقت عليهم شروع في بيان سر اصرارا لكفرة على ما هم عليه من الكفر والضلال اي ثبتت ووجبت بمقتضى المشية المبنية على الحكمة البالغة كلمة ربك حكمه وقضاؤه بانهم يموتون على الكفر ويخلدون في النار كقوله تعالى ولكن حق القول مني لاملأن جهنم الا لا يؤمنون ابدا اذ لا كذب لكلامه ولا انتقاض لقضائه اي [illegible] مثل فرعون باقيا عند الموت فيدخل فيهم المرتدة [illegible] تعلق ارادته تعالى به مفقود لكن فقدانه ليس [illegible] استعدادهم لذلك حتى يروا العذاب الاليم

[illegible] لعمو افندي رحمه الله

فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب وضيق الخناق ولم تؤخر اليه كما أخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله الله تعالى منها لوقوعه في وقت الاختيار ويكشف عنها العذاب الا قوم يونس من القرى لان المراد اهاليها وهو متصل والجملة في معنى النفي لتضمن التحضيض معناه كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة فنفعها ايمانها الا قوم يونس • وانتصابه على الاستثناء • والدليل عليه قراءته بالرفع على البدل • او منقطع اى امارات العذاب ولم يؤخروه الى حلوله لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا والخزي الهوان الذي يفضح صاحبه ومتعناهم الى حين الى وقت انقضاء آجالهم ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم حتى لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه • وفيه دلالة على ان من شاء الله ايمانه يؤمن لا محالة افانت تكره الناس على ما لم يشأ الله منهم يعني انما تقدر على اكراههم واضطرارهم الى الايمان هولاء وانت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشأن في المكره من هو وما هو الا الله وحده لا يشاركه فيه احد لانه هو القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر • وبهذا السياق تمسك من حمل المشية المذكورة على المشية الملجئة حتى يكونوا مؤمنين ترتيب الاكراه على المشية بالفاء وايلاءها حرف الاستفهام للانكار للدلالة على ان خلو المشية مستحيل يعني انا لم يشأ الله تعالى ايمانهم لم يقدر عليه انت ولا غيرك بالاكراه فضلا عن مجرد الحث والتحريض • وروى انه عم كان شديد الحرص على ايمان قومه فنزل ولذلك ورد بقوله وما كان لنفس الآية

فلولا كانت كلام مستأنف لتقرير ما سبق من استحالة ايمان من حقت عليهم كلمة تعالى لسوء اختيارهم مع تمكنهم من التدارك فيكون الاستثناء الآتي بيانا لكون قوم يونس عم ممن لم تحق عليه الكلمة لاهتدائهم الى التدارك في وقته • ولولا بمعنى هلا • وقرئ كذلك اى فهلا كانت قرية من القرى المهلكة آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر ايمانها الى حين معاينته كما فعل فرعون وقومه فنفعها ايمانها بان يقبله الله تعالى منها ويكشف بسببه العذاب عنها الا قوم يونس استثناء منقطع اى لكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا بعد ما اظلهم وكاد يحل بهم • ويجوز ان يكون الجملة في معنى النفي كما يفصح عنه حرف التحضيض

فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها تائبة عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة ولم تؤخر كما أخر فرعون الى ان أخذ بمخنقه فنفعها ايمانها بان يقبل الله منها لوقوعه في وقت الاختيار الا قوم يونس استثناء منقطع اى ولكن قوم يونس وانتصابه على اصل الاستثناء لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين اى آجالهم روى ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان والدواب واولادها فحن بعضهم الى بعض واظهروا الايمان والتوبة فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وبلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنيانه فيرده • وقيل خرجوا لما نزل عنهم العذاب الى شيخ من بقية علمائهم فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف العذاب عنهم وعن الفضيل قدس الله سره قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه • اخبر عن كمال قدرته ونفوذ مشيته انه لو شاء لآمن من في الارض كلهم ولكنه شاء ان يؤمن به من علم منه اختيار الايمان به وشاء الكفر ممن علم انه يختار الكفر ولا يؤمن به • وقول من قال المراد بالمشية مشية القسر والالجاء اى لو خلق فيهم الايمان جبرا لكن قد شاء ان يؤمنوا اختيارا فلم يؤمنوا دليله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي ليس اليك مشية الاكراه والجبر في الايمان انما ذلك الي فاسد لان الايمان فعل العبد وفعله ما يحصل بقدرته

فيكون الاستثناء متصلا اذ المراد بالقرى اهاليها كانه قيل ما آمنت طائفة من الامم الماضية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس عليه السلام فيكون قوله تعالى [illegible] نفعهم ايمانهم • ويؤيده قراءة الرفع على البدلية ومتعناهم متاع الدنيا بعد كشف العذاب عنهم الى حين مقدر لهم في علم الله سبحانه وتعالى • روى ان يونس عم بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان ذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة • وعن ابن مسعود رض بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده الى صاحبه • وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم • وعن الفضيل بن عياض قالوا ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك لآمن من في الارض تحقيق لدوران كافة المكلفين وجودا وعدما على قطب مشيته تعالى مطلقا اثر بيان تبعية كفر الكفرة لكلمته • ومفعول المشية محذوف لوجود ما يقتضيه من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وان لا يكون في تعلقها به غرابة كما هو المشهور • اى لو شاء سبحانه ايمان من في الارض من الثقلين لآمن من كلهم بحيث لا يشذ عنهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه لكنه لا يشاؤه لكونه مخالفا للحكمة التي عليها بنى اساس التكوين والتشريع • وفيه دلالة على ان من شاء الله تعالى ايمانه يؤمن لا محالة افانت تكره الناس على ما لم يشاء الله منهم [illegible] ينبئ عنه حرف الامتناع في الشرطية • والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كانه قيل أربك لا يشاء ذلك فانت تكرههم حتى يكونوا مؤمنين فيكون الانكار متوجها الى ترتيب الاكراه المذكور على عدم مشيته تعالى بناء على ان النهج متأخر في الاعتبار • وانما قدمت لاقتضائها الصدارة كما هو رأي الجمهور واياما كان فالمشية على اطلاقها • اذ لا فائدة بل لا وجه لاعتبار عدم مشية الالجاء خاصة في انكار الترتيب عليه او ترتيب الانكار عليه • وفي ايلاء الاسم حرف الاستفهام ايذان بان الاكراه امر ممكن لكن الشأن في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشاركه فيه لانه القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرهم الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر • وفيه ايذان باعتبار الالجاء في المشية

من تفسير العيون للامام السيد وردي البكري رحمة الله عليه

فلولا كانت قرية اي فلم كانت جماعة قرية كافرة • فلولا كلمة التحضيض في الاصل استعملت هنا للنفي لان في الاستفهام ضربا من الجحد يعني لم تكن قرية من القرى آمنت عند معاينة العذاب فنفعها ايمانها في حال البأس الا قوم يونس فالاستثناء متصل لان المراد اهالي القرى فيكون نصبه على اصل الاستثناء من ما آمنت • ويجوز ان يكون لولا في معناها والاستثناء منقطعا من قرية يعني لكن قوم يونس لما آمنوا وقت بقاء الاختيار والتكليف كشفنا عنهم عذاب الخزي اى الذل والهوان في الحيوة الدنيا فنفعهم ايمانهم لوقوع ايمانهم في وقت الاختيار لا في حال البأس ومتعناهم الى حين اي الى انقضاء آجالهم • واختلفوا في انهم رأوا العذاب عيانا فقال بعضهم وهم الاكثرون رأوا العذاب عيانا بدليل قوله كشفنا • وقال الآخرون رأوا دليل العذاب وهو سواد السماء بالغيم المظلم ولم يدخن فيه الدخان الشديد • وقصة الآية انه قال عبد الله بن مسعود رض ان قوم يونس كانوا بنينوى من ارض الموصل فارسل الله اليهم يونس عم يدعوهم الى الايمان وابوا فقال لهم يونس ان العذاب مصبحكم الى ثلاثة ايام فقال بعضهم لبعض ما جربنا عليه كذبا منذ كان معنا فانظروا ان بات فيكم تلك الليلة فليس بشيء وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان في جوف الليل خرج في تلك الليلة من عندهم فلما اصبحوا رأوا غيما اسود فيه دخان عظيم هبط حتى غشي مدينتهم وسودت سطوحهم فطلبوا يونس عم فلم يجدوه فايقنوا بالهلاك فترادوا المظالم • قيل كان يقلع الرجل الحجر الذي قد وضعه بالظلم في اساس بنائه ويرده الى صاحبه فتابوا واستغفروا الله ولبسوا المسوح وخرجوا الى الصحراء مع النساء والصبيان والبهائم وفرقوا بين الاولاد والامهات من الاناسي والبهائم فحن بعضهم الى بعض ثم عجوا الى الله تعالى مؤمنين

ازدادوا

مؤمنين مستفرعين تائبين قيل اربعين ليلة فلما عرف الله تعالى منهم صدق التوبة واخلصوا رحمهم ورفع عنهم
العذاب بعدما كان اظل عليهم • ففيه تخويف شديد لاهل مكة وغيرهم بانهم ان لم يؤمنوا لنزل بهم العذاب
فلا ينفعهم الايمان ان امنوا في ذلك الوقت • وروي انهم ذهبوا الى شيخ من بقية علمائهم وعرضوا عليه حالهم
من نزول العذاب بهم فقال قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت •
فقالوها فكشف الله عنهم العذاب وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة • وقيل قالوا اللهم ان
ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل فافعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله
فقبلت تضرعهم ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا ايمانا تاما بتوفيقه وهدايته اياهم او بالقسر
والالجاء كما فعل بقوم يونس لكنه لم يفعل لان الدنيا دار الابتلاء افانت تكره الناس اي المشركين
حتى يكونوا مؤمنين ليس ذلك اليك وانما عليك التبليغ • قيل في شان عمه ابي طالب ثم اومى الى
ان الايمان لا يكون للمؤمن الا باذنه وارادته وتوفيقه بقوله وما كان لنفس من النفوس التي علم
انها تؤمن ان تؤمن الا باذن الله اي بتسهيله وتوفيقه ويجعل الرجس بالنون والياء . ولما علا الله
اي الخذلان لانه سبب الرجس هو العذاب على الذين لا يعقلون من الله امره ونهيه قل انظروا
ماذا ما استفهامية وذا بمعنى الذي عند سيبويه اي انظروا وانظر عبرة ما الذي في السموات من
دلائل التوحيد كالشمس والقمر والنجوم و في الارض من الجبال والاشجار والثمار والبحار وغير ذلك فاعتبروا
وامنوا وما تغني الايات اي ولا تنفع العلامات والنذر جمع نذير اي الرسل عن قوم لا يؤمنون
لعلمه السابق انهم يموتون على الكفر • ثم هدد كفار مكة بقوله فهل ينتظرون اي ما يترقبون بعد
الاباء الا مثل ايام الذين خلوا اي وقائع الذين مضوا من قبلهم من مكذبي الامم كقوم نوح وعاد
والعرب تسمي العذاب والنعمة اياما كقوله تعالى وذكرهم بايام الله اي بنعمه وقالوا كل ما مضى عليكم من
خير وشر فهو ايام قل فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين بهلاككم قوله تعالى ثم ننجي بالتشديد
دون التخفيف رسلنا من العذاب والذين امنوا معهم منعطف معنى الى قوله ايام الذين خلوا يعني
اذا جاءهم العذاب ينجي الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ومن امن معه دونهم قوله تعالى كذلك اي مثل ذلك
الانجاء حقا اي انجاء كائنا صادقا علينا يتعلق بقوله تعالى ننجي المؤمنين بالتشديد والتخفيف • ثم امر
نبيه بان يقول لاهل مكة بقوله قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الذي ادعوكم اليه في صحته
وسداده فهذا ديني يعني الاسلام فاعرضوه على عقولكم لتعلموا انه دين لا مدخل للشك فيه فاسمعوا ثم
الى دينكم وتحقيقه انه باطل فلا اعبد الذين تعبدون اي الاوثان والحجارة التي تعبدونها من
دون الله ربكم وخالقكم ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم اي يميتكم ويقبض ارواحكم عند انقضاء اجالكم
يدل على فساد دينهم ... امر فساد دينكم ومع ذلك وامرت ان اكون من المؤمنين اي الموقنين على دينهم
عن اعراض عنه فلذا اعرض
من العيون •

وما كان لنفس بيان لتبعية ايمان النفوس المؤمنة لمشيئته تعالى وجودا بعد بيان الدوران
الكلي عليها وجودا وعدما اي ما صح وما استقام لنفس من النفوس التي علم الله تعالى انها تؤمن ان تؤمن الا باذن الله
اي بتسهيله ومنحه للالطاف • وانما خص النفس بمن ذكر ولم يجعل من قبيل قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت
الا باذن الله لان الاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اي ما كان لنفس ان تؤمن في حال من احوالها الا حال كونها ملابسة
باذنه تعالى فلا بد من كون الايمان مما يؤول اليه حالها كما ان الموت حال لكل نفس بحيث لا محيص لها عنه فلا بد من
تخصيص النفس بمن ذكر فان النفوس التي علم الله انها لا تؤمن ليس لها حال تؤمن فيها حتى يستثنى تلك الحال عن غيرها
ويجعل الرجس اي الكفر بقرينة ما قبله • عبر عنه بالرجس الذي هو عبارة عن القبيح المستقذر المستكره لكونه علما
في القبح والاستكراه • وقيل هو العذاب او الخذلان المؤدي اليه • وقرئ بنون العظمة • وقرئ بالزاي اي
يجعل الكفر ويبقيه على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والايات • او لا يعقلون دلائله
واحكامه لما في قلوبهم من الطبع فلا يحصل لهم الهداية التي عبر عنها بالاذن فيبقون مغمورين بقبائح الكفر
والضلال • او مقهورين بالعذاب والنكال • والجملة معطوفة على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم كانه

كانه قيل فياذن لهم بمنح الالطاف ويجعل قل مخاطبا لاهل مكة بعثا لهم على التدبر في ملكوت السموات والارض
وما فيهما من تعاجيب الايات الانفسية والافاقية ليتضح لك انهم من الذين لا يعقلون وحقت عليهم الكلمة انظروا
اي تفكروا • وقرئ بنقل حركة الهمزة الى اللام قل ماذا في السموات والارض اي اي شيء بديع فيهما من عجائب
صنعه الدالة على وحدته وكمال قدرته على ان ماذا جعل بالتركيب اسما واحدا معلقا فيه الاستفهام على اسم
الاشارة • فهو مبتدا خبره الظرف • ويجوز ان يكون ما مبتدا وذا بمعنى الذي والظرف صلته والجملة خبر
المبتدا • وعلى التقديرين فالمبتدا والخبر في محل النصب باسقاط الخافض • وفعل النظر معلق بالاستفهام
وما تغني اي ما تنفع • وقرئ بالتذكير الايات وهي التي عبر عنها بقوله تعالى ماذا في السموات والارض والنذر
جمع نذير على انه فاعل بمعنى منذر • او على انه مصدر اي لا تنفع الايات والرسل المنذرون او الانذارات
عن قوم لا يؤمنون في علم الله سبحانه وحكمه • والجملة اما حالية او اعتراضية • ويجوز كون ما استفهامية
انكارية في موضع النصب على المصدرية اي اي اغناء تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون • فالجملة حينئذ اعتراضية
فهل ينتظرون اي مشركوا مكة واضرابهم الا مثل ايام الذين خلوا الا ايام مثل ايام الذين خلوا من قبلهم من
مشركي الامم الماضية اي مثل وقائعهم ونزول باس الله تعالى بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها
قل تهديدا لهم فانتظروا ما هو عاقبتكم اني معكم من المنتظرين لذلك ثم ننجي رسلنا بالتشديد • وقرئ بالتخفيف
وهو عطف على مقدر يدل عليه قوله مثل ايام الذين خلوا وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة الى التهديد و
مبالغة في تشديد الوعيد كانه قيل اهلكنا الامم ثم نجينا رسلنا المرسلة اليهم والذين امنوا وصيغة الاستقبال
لحكاية الاحوال الماضية لتهويل امرها باستحضار صورها • وتاخير حكاية التنجية عن حكاية الاهلاك على
عكس ما في قوله تعالى فنجيناه ومن معه في الفلك ونظائره الواردة في مواضع عديدة ليتصل به قوله تعالى
كذلك اي مثل ذلك الانجاء حقا علينا اعتراض بين العامل والمعمول اي حق ذلك حقا • وقيل بدل من
المحذوف ناب عنه كذلك اي انجاء مثل ذلك حقا • والكاف متعلقة بقوله تعالى ننجي المؤمنين من كل
شدة وعذاب • والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه • والمراد بالمؤمنين اما الجنس المتناول للرسل عليهم السلام
والاتباع واما الاتباع فقط • وانما لم يذكر انجاء الرسل ايذانا بعدم الحاجة اليه واياما كان ففيه تنبيه
على ان مدار النجاة هو الايمان قل لجمهور المشركين يا ايها الناس

وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله اى بارادته وتوفيقه وتيسيره فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله ويجعل الرجس العذاب وقرئ الرجز بالزاء على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والبينات فيو منوا ورد في مقابلة الايمان عدم العقل وفي مقابلة الاذن الرجس لان الايمان انما يكون بصحة والنظر في الدلائل العقلية والسمعية والاصرار على الكفر المقابل للايمان مسبب عن عدم كقوله صم بكم عمى فهم لا يعقلون فاوما الى ان العاقل هو المؤمن ومن لم توفقه للايمان لعدم عقله لزم كفره الموجب للعذاب قرنت لازم الكفر الذى هو الرجس على ملزومه الذي هو عدم العقل للجمع بين التهديد والتوبيخ قل انظروا تفكروا ماذا في السموات والارض من عجايب الصنع الدالة على توحيده وكمال حكمته وقدرته • وماذا استفهام علق فعل النظر عن العمل وما في وما تغني الآيات نافية او استفهامية في محل النصب تغني والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله تعالى وحكمه فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقايعهم ونزول باس الله تعالى بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقايعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك • او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين لهلاككم ثم ننجي رسلنا عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا والذين امنوا معهم على حكاية الحال الماضية كذلك مثل ذلك الانجاء حقا علينا اعتراض اى حق ذلك حقا علينا • او بدل من ذلك ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم

وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله بمشيته او بقضائه • او بتوفيقه وتسهيله • او بعلمه ويجعل الرجس اى العذاب • والسخط • او الشيطان • او تسلط الشيطان على الذين لا يعقلون لا ينتفعون بعقولهم ونجعل حماد ويحيى قل انظروا نظر استدلال واعتبار ماذا في السموات والارض من الآيات والعبر باختلاف الليل والنهار وخروج الزروع والثمار وما تغني الآيات والنذر والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم يعني وقايع الله فيهم كما يقال ايام العرب لوقايعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين • ثم ننجي رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل عليه الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية والذين امنوا ومن امن معهم كذلك حقا علينا ننج المؤمنين اى مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين • وحقا اعتراض اى حق ذلك علينا حقا • ننجي بالتخفيف علي وحفص قل يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا وصفه ثم وصف دينه فقال فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله اي الاصنام ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم يميتكم • ووصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى ويعبد دون ما لا يقدر على شيء وأمرت ان اكون من المؤمنين بان اكون يعني ان الله تعالى امرني بذلك بما ركب في من العقل وبما اوحي الي في كتابه • اسهل المدارك للنسفي رحمه الله •

فهذا ديني اعتقادا وعملا فاعرضوه على العقل الصحيح وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا صحته وهو اني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه لكني اعبد خالقكم الذي يوجدكم ثم يتوفيكم • وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وانه حقيق بان يخاف ويتقى فيعبد لا الجماد الذي لا يقدر على شيء وامرت ان اكون من المؤمنين بما دل عليها العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان اجتمع فيه المجازاة القياس وهو ان حذفه مع ان وان مطرد في ساير الافعال والسماع وهو حذفه بعد فعل الامر اى الايجاب ان نظر الى لفظ امر من غير اعتبار وقوعها بعد الامر فالحذف مطرد ومع اعتبار ذلك فغير مطرد كما في امرتك الخير طيبي

يا ايها الناس اوثر الخطاب باسم الجنس مصدرا بحرف التنبيه تعميما للتبليغ واظهارا لكمال العناية بشان ما بلغ اليهم ان كنتم في شك من ديني الذي اعبد الله تعالى به وادعوكم اليه ولم تعلموا ما هو وما صفته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله في وقت من الاوقات ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم ثم يفعل بكم ما يفعل من فنون العذاب اى فاعلموا انه تخصيص العبادة به تعالى ورفض ما سواه من الاصنام وغيرها مما تعبدونه جهلا • وتقديم ترك عبادة الغير على عبادته تعالى لتقدم التخلية على التحلية كما في كلمة التوحيد وللايذان بالمخالفة من اول الامر • او ان كنتم في شك من صحة ديني وسداده فاعلموا ان خلاصته اخلاص العبادة لمن بيده الايجاد والاعدام دون ما هو بمعزل منهما من الاصنام فاعرضوها على عقولكم واجيلوا فيها افكاركم وانظروا بعين الانصاف لتعلموا انه حق لا ريب فيه • وفي تخصيص التوفي بالذكر متعلقا بهم ما لا يخفى من التهديد والتعبير عما هم فيه بالشك مع كونهم قاطعين بعدم الصحة للايذان بان اقصى ما يمكن عروضه للعاقل في هذا الباب هو الشك في صحته بعدم الصحة للايذان بان اقصى ما يمكن عروضه للعاقل في هذا الباب هو الشك في صحته واما القطع بعدمها فمما لا سبيل اليه • او ان كنتم في شك من ثباتي على الدين فاعلموا اني لا اتركه ابدا وأمرت ان اكون من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي • وهو تصريح بان ما عليه من دين التوحيد ليس بطريق العقل الصرف بل بالامداد السماوي والتوفيق الالهي • وحذف حرف الجر من ان يجوز ان يكون من باب الحذف المطرد مع ان وان وان يكون خاصا بفعل الامر كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ابو السعود رحمه الله

وأن أقم وجهك للدين استقم عليه ولا يلتفت إلى غيره • عطف على أكون • وجاز مع كون الفعل إنشاء لأن حق هذه أن تكون مع الفعل في تأويل المصدر • والأمر والخبر في تعلق المصدر سواء حنيفا حال من الدين • أو الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك أي لا يقدر على نفع ولا ضر فإن فعلت أي فإن دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل إيجازا فإنك إذا من الظالمين لأن الشرك أعظم الظلم لقوله تعالى إن الشرك لظلم عظيم وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله لما أشار إلى علة النفي بأن ما أراد ما التي لغير العقلاء وسلب النفع والضر عن أصنامهم وإثبات الظلم لمن عبدها أتبعه بإيراد العلة الموجبة لتخصيص العبادة بالله تعالى وهي أنه هو الضار النافع الذي إن أصابك بضر لم يقدر على كشفه إلا هو وحده دون كل قادر غيره فضلا عن الجماد الذي لا شعور له وإن أرادك بخير لم يرد ما أراده بك من فضله وإحسانه فكيف بالأوثان ليدل على أنه هو الحقيق بالعبادة دون ما عداه • وفي ذكر المس مع الضر والإرادة مع الخير مع تلازمهما إيماء إلى أن المراد بالذات هو الخير وهذا لا يخلو أحد منه وأن الضر إنما مسهم لا بالقصد الأول • وفي وضع الفضل موضع الضمير دلالة على أنه من باب الامتنان والتفضيل لا باستحقاق منا واستيجاب كالعبد وكذلك بقوله يصيب به بالخير من يشاء من عباده وتقديم الضر للتهديد والإيماء إلى أن عبادة الغير توجب المس بالضر والتعرض للعقاب لكونه ظلما وترجيح جانب الترغيب فيه على جانب الترهيب لأن المقصود الحث على الالتجاء إليه تعالى وحده والاعتصام به • ولا شك أن داعي اللطف أتم والنفوس الكريمة إليه أميل فأوثر في الأول لفظ المس الدال على ملاصقة الظاهر دون فقود • ثم في عدم التصريح بالإرادة زيادة لطف • وكذلك في قوله فلا كاشف له إلا هو وما فيه من يكشفه لا محالة أو سيعيذ به • وفي لفظ الإرادة جعل المخاطب مرادا والخير تابعا له وفيه أبلغ اللطف • ثم في إطلاق الإرادة وما فيه من شمول الظاهر والباطن زيادة تقوية له • ثم إنه طيب مسامعه أولا بكونه خيرا موثوقا وثانيا بكونه فضلا • ولهذا لم يكون الرد بالتعقيب بالاستثناء وحمى مورده عن شوب الأضداد • و ما قيل ولم يستثن بعين قولنا في لأن مراد الله تعالى لا يمكن رده إنما يصلح وجها لعدم الاستثناء فيه على طريقة ما في قرينه وطريقه غير منحصر في ذلك الوجه • ومن لم يتنبه لكون كل واحد من لفظي المس والإرادة أنسب لمقامه من الآخر قال كأنه أراد أن يذكر الأمرين جميعا الإرادة والإصابة في كل واحد من الضر والخير وأنه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فأوجز الكلام بأن ذكر المس وهو الإصابة في أحدهما والإرادة في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك • ثم إنه لم يصب في عدم الفرق بين المس والإصابة وقد أوضحنا الفرق بينهما في تفسير سورة البقرة وهو الغفور الرحيم تحريض وبعث على التوبة من الشرك أي تبادروا من غفرانه و تقربوا إليه من عصيانه وتعرضوا لرحمته بتوحيده وتخصيصه بالعبادة • هنا انتهى كلام [illegible] رحمه الله •

وأن أقم وجهك للدين أي وأوحي إلي أن أقم يعني أن الكل قوله أمرت أي استقم مقبلا بوجهك على ما أمرك الله تعالى • أو استقم إليه ولا تلتفت يمينا وشمالا حنيفا حال من الدين أو الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك إن دعوته ولا يضرك إن خذلته فإن فعلت فإن دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل إيجازا فإنك إذا من الظالمين إذ جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كأن سائلا يسأل عن تبعة عبادة الأوثان وجعل من الظالمين لأنه لا ظلم أعظم من الشرك وإن يمسسك الله أي يصبك بضر مرض فلا كاشف له لذلك الضر إلا هو إلا الله وإن يردك بخير عافية فلا راد لفضله لمراده يصيب به بالخير من يشاء من عباده قطع بهذه الآية على عباده طريق الرغبة والرهبة إلا إليه والاعتماد إلا عليه وهو الغفور المكفر بالبلاء الرحيم المعافي بالعطاء •

أتبع النهي عن عبادة الأوثان ووصفها بأنها لا تنفع ولا تضر أن الله تعالى هو الضار النافع الذي إن أصابك بضر لم يقدر على كشفه إلا هو وحده دون كل أحد وكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذا إن أرادك بخير لم يرد أحد ما يريده بك من الفضل والإحسان فكيف بالأوثان وهو الحقيق إذا بأن توجه العبادة دونها وهو أبلغ من قوله تعالى إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته • وإنما ذكر المس في أحدهما والإرادة في الآخر كأنه أراد أن يذكر الأمرين الإرادة والإصابة في كل واحد من الضر والخير وأنه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فأوجز بأن ذكر المس وهو الإصابة في أحدهما والإرادة في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على أنه قد ذكر الإصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده

انتهى المدارك

وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون خلا ان صلة ان محكية بصيغة الامر • ولا ضير في ذلك لان مناط
جواز وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والطلبية • ووجوب كونها لصلة
خبرية في الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف الا بالجمل الخبرية • وليس
الموصول الحرفي كذلك • اى وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه باداء المامور به والانتهاء
عن المنهي عنه • او باستقبال القبلة في الصلوة وعدم الالتفات الى اليمين والشمال حنيفا حال من الدين
او الوجه اى مائلا عن الاديان الباطلة ولا تكونن من المشركين عطف على اقم داخل تحت الامر اى
لا تكونن منهم اعتقادا ولا عملا وقوله ولا تدع عطف على قوله قل يا ايها الناس غير داخل تحت الامر
وقيل على ما قبله من النهى • والوجه هو الاول لان ما بعده من الجمل الى آخر الآيتين متسقة
لا يكن فصل بعضها عن بعض كما ترى ولا وجه لادراج الكل تحت الامر • وهو تاكيد للنهى المذكور وتفصيل
لما اجمل فيه اظهارا لكمال العناية وكشفا عن وجه بطلان ما عليه المشركون اى لا تدع من دون الله استقلالا
ولا اشتراكا ما لا ينفعك اذا دعوته بدفع مكروه او جلب محبوب ولا يضرك اذا تركته بسلب المحبوب
دفعا او رفعا • او بايقاع المكروه • وتقديم النفع على الضر لتقدم التخلية عن التحلية من لوازم المبالغة ان النبي
عنه من دعاء ما لا ينفع ولا يضر • كني به عنه تنويها لشانه صلى الله عليه وسلم وتنبيها على رفعة
مكانه من ان ينسب اليه عبادة غير الله سبحانه ولو في ضمن الجملة الشرطية فان فعلت اى ما نهيت
عنه جزاء للشرط وجواب لسؤال من يسئل عن تبعة ما نهى عنه فانك اذا من الظالمين
في حيز الصلة من سلب النفع من الاصنام وتصوير لاختصاصه به سبحانه وان يمسسك الله بضر تقرير لما اورد
كائنا من كان وما كان فلا كاشف له عنك الا هو وحده • فيثبت عدم كشف الاصنام بالطريق البرهاني • وهو
بيان لعدم النفع برفع المكروه المستلزم لعدم النفع بجلب المحبوب استلزاما ظاهرا فان رفع
المكروه ادنى مراتب النفع فاذا انتفى انتفى النفع بالكلية وان يردك بخير تحقيق لسلب الضر الوارد
في حيز الصلة اى ان يرد ان يصيبك بخير فلا راد لفضله الذي من جملة ما اراد بك من الخير
فهو دليل على جواب الشرط لا انفس الجواب • وفيه ايذان بان فيضان الخير منه تعالى بطريق التفضل
من غير استحقاق عليه سبحانه اى لا احد يقدر على رده كائنا ما كان • فيدخل فيه الاصنام دخولا
اوليا • وهو بيان لعدم ضرها بمنع المحبوب قبل وقوعه المستلزم لعدم ضرها برفعه
او بايقاع المكروه استلزاما جليا • ولعل ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم
الامرين للايذان بان الخير مراد بالذات وان الضر انما يمسهم لما يوجبه من الدواعي
الخارجية لا بالقصد الاول • او اريد معنى الفعلين في كل من الضر والخير • وانه لا راد
لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما • فاوجز الكلام بان ذكر في احدهما المس وفي الاخر
الارادة ليدل بما ذكر في كل جانب على ما ترك في الجانب الاخر على انه قد صرح بالاصابة حيث
قيل يصيب به اظهارا لكمال العناية بجانب الخير وجعل الفضل عبارة عن ذكر الخير بعينه على
ان يكون من باب وضع الظاهر موضع المضمر لما ذكر من الفائدة يا باه قوله تعالى من يشاء من عباده
فان ذلك يناديه بعموم الفضل وقوله وهو الغفور الرحيم تذييل لقوله تعالى يصيب به الخ
بقوى لعمومه • والكل تذييل للشرطية الاخيرة محقق لمضمونها
وان اقم عطف على ان اكون على ان ان مفسرة ومنع ذلك بعض النحاة • ابو العود افندي
لان الصلة لا بد ان يكون جملة خبرية والامر والنهى للانشاء فلا يصلح ان يوصل بها • وجوز سيبويه
لان الامر والنهى يدلان على المصدر كدلالة سائر الافعال عليه فيكون عطفا للمصدر على المصدر
اى وامرت ان اخلص وجهك اى عملك للدين حنيفا اى مائلا عن الاديان غيره ولا تكونن من المشركين حال من فاعل الامر
اى لا ترجع عن دينك الحق الى دينهم الباطل ولا تدع اى لا تعبد من دون الله اى من غيره ما لا ينفعك
ان عبدته ولا يضرك ان لم تعبده وعصيته فان فعلت اى فان عبدت غيره فانك اذا من الظالمين
اى الضارين انفسهم لان الشرك لظلم عظيم • قيل الظالم من طلب النفع ممن لا يملكه لنفسه وتوقع
الضرر ممن لا يملك الدفع عن نفسه ثم قال
وان يمسسك الله

وان يمسسك الله اى ان يصيبك بضر اى ببلاء قليل كالمرض والفقر فلا كاشف له الا هو اى
لا مزيل لما يصيبه من الضر غيره ولا يقدر الاصنام على كشفه وان يردك الله بخير كالصحة والسعة
في الرزق فلا راد لفضله اى لا مانع لعطائه الذي يريده لك يصيب به اى بفضله وحده او بكل
واحد من النفع والضر من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم اذا استحق له بمغفرة ذنوب المؤمنين
وبقبول حسنا تهم منهم ثم امره ايضا ان يقول لاهل مكة بقوله قل يا ايها الناس • من العيون

هذه ان تكون بمعنى الفعل
ينفعك ولا يضرك
وسلب النفع والضر
سبحانه هو الضار
وان اراد كـ بخير
• وقد ذكر المس
اللطف •

قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق اي الرسول بالدين المتين والقران المبين من ربكم فلم يبق لكم عذر ولا على الله تعالى الحجة
فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه من اختار الهدى واتباع الحق فما ينفع الا نفسه ومن ضل فانما يضل عليها ومن
آثر الضلال فما بال ذلك الا عليها • وفيه حث على ايثار الهدى والاعراض عن الضلال وما انا عليكم بوكيل
بحفيظ موكول الي امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ودم على ما انت عليه من اتباع ما يوحى اليك بالامتثال
والتبليغ واصبر على مشقة دعوتهم واحتمال اذاهم حتى يحكم الله لك بالنصرة عليهم والغلبة وهو خير الحاكمين
اذ لا يمكن الخطاء في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر • تم الورق والحمد لله على التمام ان الكمال

يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم وهو القران العظيم المشتمل على محاسن الاحكام التي من جملتها ما مر آنفا من
اصول الدين واطلعتم على ما في تضاعيفه من البينات والهدى ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان به
والعمل بما في مطاويه فانما يهتدي لنفسه اي منفعة اهتدائه لها خاصة ومن ضل بالكفر والاعراض عنه
فانما يضل عليها اي فوبال الضلال مقصور عليها • والمراد تنزيه ساحة الرسالة عن شائبة غرض عائد
اليه صلى الله عليه وسلم من جلب نفع او دفع ضر كما يلوح به اسناد المجيء الى الحق من غير اشعار بكون ذلك
بواسطته وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وانما انا بشير ونذير واتبع اعتقادا وعملا
وتبليغا ما يوحى اليك على نهج التجدد والاستمرار من الحق المذكور المتاكد نوما فيوما • وفي التعبير
عن بلوغه اليهم بالمجيء واليه عم بالوحي تنبيه على ما بين المرتبتين من التنائي واصبر على ما يعتريك
من مشاق التبليغ حتى يحكم الله بالنصر عليهم او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطاء في
حكمه لاطلاعه على السرائر واطلاعه على الظواهر • عن رسول صلى الله عليه وسلم من قرا سورة يونس اعطي
له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق بفرعون الحمد لله سبحانه
على التمام والصلوة والسلام على سيد الانام
وعلى اله واصحابه الكرام

١١٢٠ في
٢٣ يوم الست

قل يا ايها الناس يا اهل مكة قد جاءكم الحق القرآن او الرسل
من ربكم فمن اهتدى اختار الهدى واتبع الحق فانما يهتدي
لنفسه فما نفع باختياره الا نفسه ومن ضل فانما يضل
عليها ومن آثر الضلال فما ضر الا نفسه • ودل اللام
وعلى على معنى النفع والضر وما انا عليكم بوكيل بحفيظ
موكول الي امركم انما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى
اليك واصبر على تكذيبهم وايذائهم حتى يحكم الله لك
بالنصرة عليهم وبالغلبة وهو خير الحاكمين لانه المطلع على
السرائر فلا يحتاج الى بينة وشهود انتهى المدارك
قال صاحب معالم التنزيل قال ابن عباس سلطان المفسرين رضي الله عنهما
نسختها آية القتال انتهى • قال الفاضل الكرماني نسختها آية القتال انتهى
قال صاحب الوجيز نسختها آية السيف لان الله تعالى حكم بقتل المشركين
والجزية على اهل الكتاب انتهى •

قل يا ايها الناس
قد جاءكم الحق اما القران و
الاسلام من ربكم فلا يبق لكم عذر
ولا على الله حجة بعد هذا فمن اهتدى
اختار الهدى بالايمان بها فانما يهتدي
لنفسه فنوابه يختص بنفسه ومن
ضل عن الهدى ولم يختره فانما يضل
عليها اي فوباله على نفسه لا على غيره
وما انا عليكم بوكيل بحفظ اعمالكم •
قيل نسخ هذا باية السيف واتبع
ما يوحى اليك اي ان لم يصدقوك
فاعمل به واصبر على تكذيبهم وايذائهم
حتى يحكم الله اي يقضي بينك وبين
اعدائك بالحق وينصرك عليهم في الدنيا
والاخرة بتعذيبهم وهو خير الحاكمين
اي اعدل القاضين حكم بقتل المشركين
وباخذ الجزية عن سائر الكافرين يعطونها
عن يد مع كونها صاغرين من العيون

سورة هود عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب خبر مبتدأ محذوف او خبر الر احكمت آياته صفة له اي احكمت من جهة اللفظ والنظم عن تطرق الخلل فصارت في غاية الاحكام ثم فصلت اي ميزت بعضها عن بعض في النزول كيلا يختل امر الاستدلال على الاحكام • فالتراخي على الحقيقة • وقيل المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ • فمعنى احكامها منعها من النسخ • او احكمت بالحجج والدلائل • او جعلت حكيمة منقول من حكم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية • ومعنى فصلت انها فصلت بالفوائد كما تفصل القلائد بالفرائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار • او جعلت فصولا فصولا آية آية • او فصل فيها ما يحتاج العباد اي بين ولخص فالتراخي رتبي • وقرئ فصلت من التلاحي اي فرقت بين الحق والباطل • وقرئ احكمت آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم • من قال او لا بالانزال نجما ثم قال وثم للتفاوت في الحكم او التراخي في الاخبار لم يصب كما لا يخفى من لدن حكيم خبير في تعلقه باحكمت ثم فصلت طباق حسن لان معناه احكمها حكيم وفصلها وبينها خبير بالاشياء واحوالها فقدا على الحمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي ان لا تعبدوا الا الله مفعول له اي لان لا تعبدوا • او نهي وان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول • او

سورة هود عليه السلام مائة وثلث وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب اي هذا كتاب • فهو خبر مبتدأ محذوف احكمت آياته صفة له اي نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقص ولا خلل كالبناء المحكم ثم فصلت كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص • او جعلت فصولا سورة سورة وآية آية او فرقت التنزيل ولم تنزل جملة واحدة • او فصل فيها ما يحتاج اليه العباد اي بين ولخص وليس معنى ثم التراخي في الوقت ولكن في الحال من لدن حكيم خبير صفة اخرى لكتاب • او خبر بعد خبر • او صلة لاحكمت وفصلت اي من عنده احكامها وتفصيلها الا تعبدوا الا الله مفعول له اي لئلا تعبدوا وان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول كانه قيل لا تعبدوا الا الله • او امركم ان لا تعبدوا الا الله انني لكم منه اي من الله نذير وبشير اي امركم بالتوحيد والاستغفار وان استغفروا اي استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة الى اجل مسمى الى ان يتوفيكم ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه وان تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير هو يوم القيمة الى الله مرجعكم رجوعكم وهو على كل شيء قدير فكان قادرا على اعادتكم

اي انه لا تعبدوا • او نهي وان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول • او امر ان فيه معنى الامر اي امرتم ان لا تعبدوا الا الله • ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بتقدير قال اغراء منه على تخصيص الله تعالى بالعبادة • او امرا به ويدل عليه قوله تعالى انني لكم منه من جهته نذير وبشير اي هلا تعبدوا الا الله • او الزموا ترك عبادة غير الله تعالى على ان ان مصدرية ولا نافية • وانما قدم نذير على بشير لان الانذار اعم واهم وان استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا ثم توبوا اليه اي استغفروا من الكفر والمعصية ثم توبوا الى الله تعالى بالطاعة • فالتراخي على الحقيقة • ويجوز ان يراد تراخي الرتبة لان التخلية افضل من التحلية • ولان الاستغفار تنتظم الندم على ما سلف واحياء العمل في المستقبل حتى يكون ناجحا بعمله الحديث ولهذا قدم ذكر الاستغفار على التوبة اي اطلبوا مغفرة ربكم بالاسلام والندم على سالف الاجرام والثبات على الطاعة بادلالها وارجعوا الى الله تعالى بالاخلاص والاستسلام على الثبات والدوام

يمتعكم متاعا حسنا في حفظكم عيش وسعة ودعة الى اجل مسمى معين عند الله تعالى هو اخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستيصال ويؤت كل ذي فضل في العمل والطاعة فضله جزاء فضله في الآخرة • او كل ذي فضل في الدين فضله في الثواب والدرجات فان الدرجات تتفاضل في الجنة بحسب تفاضل الاعمال وان تولوا وان تتولوا • وقرئ تولوا من ولي فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير اي يوم القيمة وصف بالكبير كما وصف بالعظيم والثقل الى الله مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم جميعا وهو على كل شيء قدير بيان لوجه كبر ذلك اليوم بان مرجعهم الى من هو قادر على شيء لا الى غيره فهو قادر على اشد ما يريد من العذاب ولا يمكنهم التقصي منه

سورة هود عليه السلام مكية وهي مائة وثلث وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الر محله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف • وقيل على انه مبتدأ • والاول هو الاظهر كما اشير اليه في سورة يونس عليه السلام • او النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اذكر او اقرأ على تقدير كونه اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر • او لا محل له من الاعراب مسرودا على نمط التعديد حسبما فصل في اخواته وقوله تعالى كتاب خبر له على الوجه الثاني • ولمبتدأ محذوف على الوجه الباقية احكمت آياته نظمت نظما متقنا لا يعتريه خلل بوجه من الوجوه • او جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها • او منعت من النسخ بمعنى التغيير مطلقا • او ايدت بالحجج القاطعة الدالة على كونها من عند الله تعالى • او على ثبوت مدلولاتها • فالمراد بالآيات جميعها • او على حقيقة ما تشتمل عليه من الاحكام الشرعية • فالمراد بها بعضها المشتمل عليها كما اذا فسر الاحكام بالمنع من النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعي خاصة • واما تفسيره بالمنع من الفساد اخذا من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح • ففيه ايهام بما لا يكاد يليق بشان الآيات الكريمة من التداعي الى الفساد لولا المانع • وفي اسناد الاحكام على الوجوه المذكورة الى آيات الكتاب دون نفسه لاسيما على الوجوه الشاملة لكل آية آية منه من حسن الوقع والدلالة على كونه في اقصى غاية منه ما لا يخفى ثم فصلت اي جعلت فصولا من الاحكام والدلائل والمواعظ والقصص • او فصل فيها مهمات العباد في المعاش والمعاد على الاسناد المجازي والتفسير آية آية لا ينبئ على المقام لان ذكر من الاوصاف الاولية لها فلا يناسب عطفه على احكامها بكلمة التراخي • واما المعنيان الاولان فهما وان كانا مع الاحكام زمانا حيث لم تزل الآيات محكمة مفصلة لا انها احكمت او فصلت بعد ان لم تكن كذلك اذ الفعلان من قبيل قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل الا انهما حيث كانا من صفات الآيات باعتبار نسبة بعضها الى بعض على وجه يستتبع احكاما مخصوصة واثارا معتدا بها وبملاحظة مصالح العباد ناسب ان يشار الى تراخي رتبتهما عن رتبة الاحكام • وان حمل جعلها آية آية على معنى تفريق بعضها عن بعض يكون من هذا القبيل الا انه ليس في مثابتهما في استتباع ما يستتبعه من الاحكام والاثار • او فرقت في التنزيل منجمة بحسب المصالح فان اريد تنزيلها النجم بالفعل فالتراخي زماني وان اريد جعلها في نفسها بحيث يكون نزولها منجما حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة فهو رتبي لان ذلك وصف لازم لها حقيق بان يترتب على وصف احكامها • وقرئ احكمت آياته ثم فصلت على صيغة المتكلم • وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل من لدن حكيم خبير صفة للكتاب • وصفه بها بعد ما وصف باحكام آياته وتفصيلها الدالين على علو رتبته من حيث الذات ابانة لجلالة شانه من حيث الاضافة • او خبر بعد خبر للمبتدأ المذكور • او المحذوف او صلة للفعلين • وفي بنائهما للمفعول ثم اسناد الفاعل بعنوان الحكمة البالغة والاحاطة بجلائلها ودقائقها منكرا بالتنكير التفخيمي وربطهما به لا على نهج المعهود في اسناد الافاعيل الى فواعلها مع رعاية حسن الطباق من الجزالة والدلالة على فخامتهما وكونهما على اكمل ما يكون مما لا يكتنه كنهه ان لا تعبدوا الا الله مفعول له حذف عنده اللام مع فقدان الشرط اعني كونه فعلا لفاعل الفعل المعلل جريا على سنن القياس المطرد في حذف حرف الجر مع ان المصدرية كانه قيل كتاب احكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله اي لتتركوا عبادة غير الله عز وجل وتمحضوا في عبادته فان الاحكام والتفصيل على ما فصل من المعاني مما يدعوهم الى الايمان والتوحيد وما يتفرع عليه من الطاعات قاطبة • وقيل ان مفسرة لما في التفصيل من معنى القول اي قيل لا تعبدوا الا الله انني لكم منه من جهة الله تعالى نذير انذركم عذابه ان لم تتركوا ما انتم عليه من الكفر وعبادة غير الله تعالى

تعلت في السموات والارض • وقيل يوم الشدايد • وقد ابتلي بقحط اكلوا فيه الجيف واما ما كان
في اضافة العذاب اليه تهويل وتفظيع له الى الله مرجعكم رجوعكم بالموت ثم البعث للجزاء في مثل ذلك اليوم
لا الى غيره جميعا لا يتخلف منكم احد وهو على كل شي قدير فيندرج في تلك الكلية قدرته على اماتتكم ثم
بعثكم وجزائكم فيعذبكم بافانين العذاب • وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم وتعليل للخوف • ولما القي
اليهم تحدي الكتاب على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وسيق اليهم ما ينبغي ان يساق من الترغيب و
الترهيب وقع في ذهن السامع انهم بعدما سمعوا مثل هذا المقال الذي تخر له صم الجبال هل قابلوه بالاقبال
ام تمادوا فيما كانوا عليه من الاعراض والضلال فقيل مصيبا بكلمة التنبيه اشعارا بان ما يعقبه
من هنات امرهم امر يجب ان يفهم ويتعجب منه الا انهم يثنون صدورهم

سورة هود مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب احكمت اياته

نزل بعد ختم يونس بالامر بالايمان وابلاغ الوحي والصبر عليه لنفي الشرك وبيان الموحى الحكم المفصل والعمل به
اي انا الله الرقيب على كل شي هذا المنزل كتاب احكمت اياته اي من الاختلاف والتناقض واحكمها بالامر
والنهي وبما يحتاج اليه العباد ثم فصلت اي بينت وشرحت بدلائل التوحيد واحكام الحلال والحرام والمواعظ
والقصص والامثال • او فرقت في التنزيل اية فاية وسورة فسورة ولم ينزل جملة واحدة وثم للتراخي
الوصف لا للتراخي الوقت كما يقال فلان كريم الاصل ثم كريم الفعل قوله من لدن حكيم خبير يتعلق باحكمت
وفصلت اي اتقنت وشرحت من عند الله حكيم في الاتقان خبير في التفصيل والبيان الا تعبدوا
مفعول له اي لان لا توحدوا ولا تطيعوا الا الله فان ناصبة للفعل • ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف
اي هي ان لا تعبدوا غير الله • فان مخففة من الثقيلة • ويجوز ان مفسرة لان في تفصيل الايات
معنى القول • اي قيل لا تعبدوا الا الله فلا نهي في الوجهين • او مفعول به اي بان لا تعبدوا فهو في
محل الجر بتقدير الباء قوله انني مقول لقول مقدر اي قل يا محمد لهم انني لكم منه اي من جهة الله
تعالى نذير اي مخوف من عذابه لمن كفر وبشير بالجنة لمن امن قوله تعالى وان استغفروا ربكم
يعطف على ان لا تعبدوا اي وحدوا ربكم بالاستغفار من الشرك لان التوبة تكون من الشرك ايضا خلافا
للمعتزلة لان عندهم لا تصح التوبة الا بعد الايمان • فنفسره استغفروا ربكم بامنوا به ثم توبوا اي ارجعوا
اليه بالطاعة وترك المعصية • او استغفروا بالتوبة ثم استقيموا عليها • قال الفراء ثم هنا بمعنى الواو
لان الاستغفار توبة اي توبوا اليه باللسان فارجعوا اليه بالاخلاص • او معناه استغفروا من ما مضى
من الذنوب وتوبوا من مستقبلها يمتعكم اي يعيشكم في الدنيا متاعا حسنا اي عيشا طيبا الى اجل مسمى
الى حين الموت • قيل العيش الطيب هو الرضا بالميسور والصبر على المقدور ويؤت كل ذي فضل فضله
اي ويعط كل ذي عمل صالح في الدنيا اجره في الاخرة • قيل من كثرت طاعته في الدنيا زادت درجاته
في الجنة لان الدرجات تكون بالاعمال • قال ابن عباس رض من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة
ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من اهل الاعراف
ثم يدخل الجنة بعده بالفضل وان تولوا اصله تتولوا اي ان تعرضوا عن الايمان فاني فقل اي اخاف عليكم
عذاب يوم كبير اي عذاب يوم القيمة الى الله مرجعكم اي مصيركم في الاخرة وهو على كل شي قدير اي قادر على
ان يبعثكم بعد الموت فيجازيكم باعمالكم
• من ابعوه •

وبشير ابشركم بثوابه ان امنتم به وتمحضتم في عبادته • ولما ذكر شئون الكتاب من احكام اياته وتفصيلها
وكون ذلك من قبل الله تعالى واورد معظم ما نظم في سلك الافادة • او الامر من التوحيد وترك الاشراك • وسط
بينه وبين تبيينه اعني الاستغفار والتوبة ذكر ان من نزل عليه ذلك الكتاب مرسل من عند الله تعالى
لتبليغ احكامه وترشيحها بالمؤيدات من الوعد والوعيد للايذان بان التوحيد في اقصى مراتب الاهمية
حتى افرد بالذكر وابدا ايجابه بالخطاب عقب الكتاب مع تلويح بانه كما لا يتحقق في نفسه الا مقارنا
للحكم برسالته صلى الله عليه وسلم كذلك في الذكر لا ينفك احدهما عن الاخر • وقد روعي في سوق الخطاب
بتقديم الانذار على التبشير ما روعي في الكتاب من تقديم النفي على الاثبات والتخلية على التحلية
ليتجاوب اطراف الكلام • ويجوز ان يكون قوله تعالى ان لا تعبدوا الا الله كلاما منقطعا عما قبله واردا
على لسانه صلى الله عليه وسلم اغراء لهم على اختصاصه تعالى بالعبادة كانه صلى الله عليه وسلم قال ترك عبادة
غير الله اي الزموه على معنى اتركوا عبادة غير الله تركا مستمرا انني لكم من جهة الله نذير وبشير •
او نذير انذركم من عقابه على تقدير استمراركم على الكفر وبشير ابشركم بثوابه على تقدير تركم له
وتوحيدكم • ولما سيق اليه حديث التوحيد واكد ذلك بخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم على
وجه الانذار والتبشير شرع في ذكر ما هو من تتمته على وجه يتضمن تفصيل ما اجمل في وصف
التبشير والنذير فقيل وان استغفروا ربكم وهو معطوف على ان لا تعبدوا على ما ذكر من الوجهين
على الاول ان مصدرية لجواز كون صلتها امرا او نهيا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك للدين حنيفا لان
مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالته على المصدر وهو موجود فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول
الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول
الحرفي فليس كذلك • ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الامر والنهي صلة
حسب مساغ وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى
المضي والاستقبال ثم توبوا اليه عطف على استغفروا والكلام فيه كالكلام فيه والمعنى فعل ما فعل
من الاحكام والتفصيل لتخصوا الله تعالى بالعبادة وتطلبوا منه ستر ما فرط منكم من الشرك ثم
ترجعوا اليه بالطاعة • او تستمروا على ما انتم عليه من التوحيد والاستغفار • او استغفروا من
الشرك وتوبوا من المعاصي • وعلى الثاني ان مفسرة اي قيل في اثناء تفصيل الايات لا تعبدوا
الا الله واستغفروا ثم توبوا اليه • والتعرض لوصف الربوبية تلقين للمخاطبين وارشاد لهم الى طريق
الابتهال في السؤال وترشيح لما يعقبه من التمتيع وايتاء الفضل بقوله يمتعكم متاعا حسنا اي
تمتيعا وانتصابه على انه مصدر حذف عنه الزوائد كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا • او على انه مفعول به
وهو اسم لما يتمتع به من منافع الدنيا من الاموال والبنين وغير ذلك والمعنى يعيشكم عيشا مرضيا لا يفوتكم
فيه شي مما تشتهون ولا ينغصه شي من المكدرات الى اجل مسمى مقدر عند الله عز وجل وهو اخر اعماركم •
ولما كان ذلك غاية لا يطمح وراءها طامح جرى التمتيع الى مجرى التابيد عادة • او لا يهلككم بهلاك الاستيصال
ويؤت كل ذي فضل في الطاعة والعمل فضله جزاء فضله اما في الدنيا او في الاخرة وهذه تكملة لما اجمل من التمتيع
الى اجل مسمى وتبيين لما عسى يعسر فهم حكمته من بعض ما يتفق في الدنيا من تفاوت الحال بين العاملين
فرب انسان له فضل طاعة وعمل لا يمتع في الدنيا اكثر مما متع اخر دونه في الفضل وربما يكون المفضول
اكثر تمتيعا فقيل ويعط كل فاضل جزاء فضله اما في الدنيا كما يتفق في بعض المواد واما في الاخرة
وذلك مما لا مرد له • وهذا ضرب تفصيل لما اجمل فيما سبق من البشارة • ثم شرع في الانذار فقيل وان
تولوا اي تتولوا عما القي اليكم من التوحيد والاستغفار والتوبة • وانما اخر عن البشارة جريا على سنن
تقدم الرحمة على الغضب • او لان العذاب قد علق بالتولي عما ذكر من التوحيد والاستغفار والتوبة
وذلك يستدعي سابقة ذكره • وقرئ تولوا من ولي فاني اخاف عليكم بموجب الشفقة والرافة او
التوقع عذاب يوم كبير هو يوم القيمة وصف بالكبر كما وصف بالعظم في قوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون
ليوم عظيم • اما لكونه كذلك في نفسه • او وصف بوصف ما يكون فيه كما وصف بالثقل في قوله تعالى

ألا إنهم يثنون صدورهم يزورّون عن الحق وينحرفون عنه أي يستمرون على ما كانوا عليه من التولي
والإعراض لأن من أعرض عن شيء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه وهذا معنى مجازي مناسب لما سبق • وقد
نحا نحوه العلامة الزمخشري ولكن حيث لم يصلح التولي سببا للاستخفاء في قوله تعالى ليستخفوا منه احتاج
إلى إضمار الإرادة حيث قال ويريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم
وجعله في قوة المعطوف إليه من قبيل الإضمار في قوله تعالى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق أي فضرب فانفلق
ولا يخفى أن انسياق الذهن إلى توسيط الإرادة بين ثني الصدور وبين الاستخفاء ليس كانسياقه
إلى توسيط الضرب بين الأمر به وبين الانفلاق • ولعل الأظهر أن معناه يعطفون صدورهم على
ما فيها من الكفر والإعراض عن الحق وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يكون ذلك مخفيا مستورا فيها
كما يعطف الثياب على ما فيها من الأشياء المستورة • وإنما لم يذكر ذلك استهجانا بذكره أو إيذانا بأن
ظهوره مغن عن ذكره • أو ليذهب ذهن السامع إلى كل ما لا خير فيه من الأمور المذكورة فيدخل فيه ما
ذكر من توليهم عن الحق الذي ألقي إليهم دخولا أوليا فحينئذ يظهر وجه كون ذلك سببا للاستخفاء • ويؤيده
ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في الأخنس بن شريق وكان رجلا حلو المنطق حسن السياق
للحديث يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة ويضمر في قلبه ما يضادها • وقال ابن شداد إنها نزلت في
بعض المنافقين كان إذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه
كيلا يراه النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه إنما كان يصنع ما يصنع لأنه لو رآه النبي صلى الله عليه وسلم لم يمكنه
التخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة معه وربما يؤدي ذلك إلى ظهور ما في قلبه من الكفر والنفاق
وقرئ يثنوني صدورهم بالياء والتاء من اثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما لتثنوني • وقرئ تثنون وأصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش
من الكلأ وضعف يريد مطاوعة صدورهم للثني كما يثنى الهش من النبات • أو أراد ضعف إيمانهم
ورخاوة قلوبهم • وقرئ تثنئن من اثنأن افعال منه ثم همز كما قيل ابيأضت وادهأمت • وقرئ
تثنوي بوزن ترعوي ألا حين يستغشون ثيابهم أي يتغطون بها للاستخفاء على ما نقل عن ابن شداد
أو حين يأوون إلى فراشهم ويتدثرون بثيابهم فإن ما يقع حينئذ حديث النفس عادة • وقيل
كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي
يعلم ما يسرون أي يضمرون في قلوبهم وما يعلنون أي يستوي بالنسبة إلى علمه المحيط سرهم وعلنهم
فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه • وإنما قدم السر على العلن نعيا عليهم من أول الأمر ما صنعوا وإيذانا
بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه وتحقيقا للمساواة بين العلمين على أبلغ وجه فكأن علمه بما يسرونه
أقدم منه بما يعلنونه • ونظيره قوله تعالى قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه
الإخفاء على الإبداء على عكس ما وقع في قوله تعالى وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله إذ
لم يتعلق بإن المحاسبة بما يخفونه أولى منها بما يبدونه غرض بل الأمر بالعكس • وأما ههنا
فقد تعلق علمه تعالى بما يسرونه أولى منه بما يعلنونه غرض مهم مع كونهما على السوية كيف لا وعلمه تعالى
بمعلوماته ليس بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة إليه تعالى • وفي هذا المعنى
لا يختلف الحال بين الأشياء البارزة والكامنة • وأما قوله وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون فحيث كان
واردا بصدد الخطاب مع الملائكة عليهم السلام المنزهين عن اقتضاء التأكيد والمبالغة في الإخبار
بإحاطة علمه تعالى بالظاهر والباطن لم يسلك فيه ذلك المسلك مع أنه وقع الغنية عنه بما قبله من قوله تعالى
إني أعلم غيب السموات والأرض • ويجوز أن يكون ذلك باعتبار أن مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن
إذ ما من شيء يعلن إلا وهو أو مباديه قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه سبحانه بحالته الأولى متقدم على
تعلقه بحالته الثانية إنه عليم بذات الصدور تعليل لما سبق وتقرير له وإنه موقع الكبرى من القياس
وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق والتعبير عن الضمائر بعنوان صاحبتها من البراعة
ما لا يصفه الواصفون كأنه قيل إنه مبالغ في الإحاطة بمضمرات جميع الناس وأسرارهم الخفية المستكنة
في صدورهم بحيث لا تفارقها أصلا فكيف يخفى عليه ما يسرون وما يعلنون • ويجوز أن يراد بذات الصدور
القلوب من قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والمعنى أنه عليم بالقلوب وأحوالها فلا يخفى عليه سر من أسرارها

قوله تعالى ألا إنهم يثنون صدورهم نزل تنبيها للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن حال من
كان إذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ثنى صدره وطأطأ رأسه وغطى
... بثيابه لئلا يعرفهم النبي صلى الله عليه وسلم • ولئلا يسمعوا قراءته كراهة لها وهم الكفار
... • وقيل نزل في شأن المنافقين أي اعلموا أن الكفار يزورون عن الحق ويميلون عنه
بإمالة صدورهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وإرخاء الستر عليهم بثيابهم ليستخفوا
أي ليستتروا منه أي من النبي صلى الله عليه وسلم لئلا يعرفه ولا يسمعوا كتاب الله ولا ذكره
ألا حين يستغشون ثيابهم أي يتغطون على رؤوسهم يعلم الله ما يسرون من العداوة
في قلوبهم وما يعلنون بألسنتهم من الكلام قيل منهم أخنس بن شريق فإنه كان يظهر المحبة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وله حلو الكلام وحسن النظر ويعجب النبي صلى الله عليه وسلم مجالسته
ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر والله مطلع على نفسه ونفس غيره يخبر عن ذلك
بقوله إنه عليم بذات الصدور أي بما في قلوبهم من الخير والشر فيجازيهم به
من العيون

الا انهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من ازور عن الشئ ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه كما ان من توجه اليه استقبله بصدره • او يعطفون صدورهم على الكفر وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم اى يضمرونها • وقرئ تثنونى صدورهم بالتاء والياء من اثنونى او نفعول من الثنى كاحلولى من الحلاوة وهى بنا. مبالغة • وقرئ تثنون بالياء والتاء واصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلا اى تطاوع صدورهم للثنى كما ينثنى الهش من النبات • او تضعف قلوبهم واعمانهم وتثنئن لمن ابنائه افعال منه ثم همز كما همز ابياضت فى ابياضت وتثنوى بوزن ترعوى ليستخفوا منه اى يريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمومنين على ازوارهم لان ثنى الصدور بمعنى الاعراض اظهار للنفاق فلا يصح تعليله بالاستخفاء ونظر اظمار يريدون لفقود المعنى الى اظمار الاظمار فى قوله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى اى فضربوه فحيى كذلك يحيى الموتى • فالمعنى يظهرون النفاق ويريدون مع ذلك ان يستخفوا هذا على وجه الاول من التفسير واما على الثانى فلا حاجة الى الاظمار الا حين يستغشون ثيابهم يتغطون بها يريدون الاستخفاء ايضا كراهة لاستماع كلام الله تعالى كقول نوح عم جعلوا اصابعهم فى اذانهم واستغشوا ثيابهم • اى الا حين يريدون فى اظهار نفاقهم ويفعلون ما هو ادل عليه من ثنى الصدور قال ابن عباس رضى انها نزلت فى اخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم

الا انهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على الشئ استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه ليطلبوا الخفاء من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم الا حين يستغشون ثيابهم يتغطون بها اى يريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم كراهة لاستماع كلام الله تعالى كقوم نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم فى اذانهم واستغشوا ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون اى لا تفاوت فى علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على تثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده • قيل نزلت فى المنافقين انه عليم بذات الصدور انتهى المدارك وفى المعالم

المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث بحيث كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم مجالسته ومحاورته وهو يضمر خلاف ما يظهر • وقيل نزلت فى المنافقين جميعا وكون النفاق فى المدينة غير مسلم بل ظهوره فى الاتيان الى تلك طوائف كان فيها يعلم ما يسرون فى قلوبهم وما يعلنون بافواههم اراد التسوية بينهما ولهذا عدل عن اسلوب الترتيب الظاهر فى خلافه اى يستوى فى علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما يظهر عنه انه عليم بذات الصدور بسرائرها وضمائرها تعليل على سبيل الاستئناف للتلويح المذكور فى قوله يعلم الخ والاولى للتنبيه على جهلهم وفساد اعتقادهم فى الاستخفاء وثنى الصدور انتهى ابن الكمال

للامام البغوى رحمه الله قال نزلت فى الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب وينطوى بقلبه على ما يكره • وقوله تعالى يثنون صدورهم اى يخفون ما فى صدورهم من الشحناء والعداوة • وقيل نزلت فى بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطاطا رأسه وغطى وجهه كيلا يراه النبى صلى الله عليه وسلم • وقال قتادة كانوا يحنون صدورهم كيلا يسمعوا كتاب الله ولا ذكره • وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخى ستره ويحنى ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما فى قلبى • وقيل يثنون يعرضون بقلوبهم من قولهم ثنيت عنانى • وقيل يعطفون ومنه ثنى الثوب ليستخفوا منه من رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقيل ليستخفوا من الله تعالى ان استطاعوا الا حين يستغشون ثيابهم يغطون رؤسهم بثيابهم • وقال الازهرى معنى الاية من اولها الى اخرها ان الذين اضمروا عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم لا يخفى علينا حالهم • وقراءة ابن عباس رضى الله عنهما ليثنونى صدورهم قال سئل الله عنها قال كان اناس يستحيون ان يتخلوا فيفضوا الى السماء وان يجامعوا نساءهم فيفضوا الى السماء فنزل ذلك فيهم انتهى

وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها أسباب معايشها لتكفله إياه تفضلاً ورحمة • وإنما أتى بلفظ الوجوب تحقيقاً لوصوله وحملاً على التوكل فيه ويعلم مستقرها ومستودعها أماكنها في الحيوة والممات • أو الأصلاب والأرحام • أو مساكنها من الأرض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة كل كل واحد من الدواب وأحوالها في كتاب مبين مثبت في اللوح المحفوظ • بيانه وتقرير لكونه تعالى عالماً بجميع المعلومات والآية التي بعدها بيان لكونه قادراً على كل شيء وتقرير لما سبق من التوحيد والوعد والوعيد وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام مر تفسيره في سورة الأعراف • ووجه الجمع في الأولى والإفراد في الثانية مر في سورة الأنعام وكان عرشه على الماء عرشه عبارة عن قيوميته تعالى • والماء إشارة إلى صفة الحيوة إذ من الماء كل شيء حي • وفي على بيانه بناء الأولى على الثانية أي وكان حياً قيوماً • فلا دلالة له فيه على إمكان الخلاء على أن الماء أول حادث بعد العرش من أجرام هذا العالم وليت شعري من أين الدلالة له على تأخر خلق الماء من خلق العرش ليبلوكم على الخلق أي خلق ذلك ليعاملكم معاملة المبتلي لأحوالكم كيف تعملون فإن جملة ذلك أسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج إليه أعمالكم ودلائل وأمارات يستدلون بها ويستنبطون منها • ولما كان الابتلاء أي الاختبار أحد طرفي العلم وأشهرهما وأعمها استعير للعلم لأنه ملابس له كما نظر في قوله تعالى فأنظر ماذا ترجعون وإنما قال أيكم أحسن عملاً وهو المتفوت • وفي الخاطبين من عمله قبيح وأقبح لأمرين أحدهما أن المقصود من الخلق بالقصد الأول وبالذات هو الإيمان والعمل الصالح ونظره تعالى إلى ما هو أحسن من ذلك لا إلى القبيح والأقبح والثاني التحريض والحث على حسن العمل والترغيب وهو أعم من الأعمال البدنية كالطاعات والخيرات والقلبية كالاعتقادات والنيات فكأنه قال ليظهر من هو أكمل علماً وعملاً ويتميز ممن هو على خلافه • ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ليبلوكم أحسن عقلاً وأورع من محارم الله تعالى وأسرع في طاعة الله • وفيه تعظيم للمحسنين المتقين وتشريف لهم وإشارة إلى أنهم من الله تعالى بمكان ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت للجزاء على ما انكشف منكم بالابتلاء ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين إشارة إلى القول بالبعث أي إنه باطل كالسحر الظاهر البطلان في الحقيقة • أو إلى القرآن لأنه ناطق بالبعث فإذا جعلوه ظاهر البطلان كالسحر لزم بطلان ما فيه من البعث وغيره من الوعد والوعيد • وقرئ إلا ساحر إشارة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أي كاذب مبطل كالساحر • وقرئ إنكم بفتح الهمزة على تضمين قلت معنى توقعوا بعثكم ولا تجزموا بإنكاره بعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في إنكاره • واللام في لئن توطئة للقسم في الآيات الأربع والجواب لسادّ مسد جواب الشرط

ابن كمال

وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها تفضلاً لا وجوباً ويعلم مستقرها مكانه من الأرض ومسكنه ومستودعها حيث كان مودعاً قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة كل في كتاب مبين كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح يعني ذكرها مكتوب مبين وهو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام من الأحد إلى الجمعة وكان عرشه على الماء أي فوقه يعني ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والأرض إلا الماء • وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل خلق السموات والأرض • قيل بدأ بخلق ياقوتة خضراء فنظر إليها بالهيبة فصارت ماء ثم خلق ريحاً فأقر الماء على متنه ثم وضع عرشه على الماء • وفي وقوف العرش على الماء أعظم الاعتبار لأهل الأفكار ليبلوكم أي خلق السموات والأرض وما بينهما للممتحن فيها ولم يخلق هذه الأشياء لأنفسها أيكم أحسن عملاً أكثر شكراً وعنه صلى الله عليه وسلم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله تعالى فمن شكر وأطاع أثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما أشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم أي ليفعل بكم ما يفعل الممتحن المبتلي لأحوالكم كيف تعملون ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين أشاروا بهذا إلى القرآن لأن القرآن هو الناطق بالبعث فإذا جعلوه سحراً فقد اندرج تحته إنكار ما فيه من البعث وغيره ساحر حمزة وعلي يريدون الرسول صلى الله عليه وسلم والساحر كاذب مبطل

أسهل المدارك

وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها غذاؤها اللائق بها من حيث الخلق ومن حيث الإيصال إليها بطريق طبيعي أو إرادي لتكفله إياه تفضلاً ورحمة • وإنما جيء به على طريق الوجوب اعتباراً لسبق الوعد وتحقيقاً لوصوله إليها البتة وحملاً للمكلفين على الثقة به تعالى والإعراض عن إتعاب النفس في طلبه ويعلم مستقرها محل قرارها في الأصلاب ومستودعها موضعها في الأرحام وما يجري مجراها من البيض ونحوها • وإنما خص كل من الاسمين بما خص به من المحلين لأن النطفة بالنسبة إلى الأصلاب في حيزها الطبيعي ومنشأها الخلقي وأما بالنسبة إلى الأرحام وما يجري مجراها فهي مودعة فيها إلى حين • أو مسكنها من الأرض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة • ولعل تقديم محلها باعتبار حالتها الأخيرة لرعاية المناسبة بينها وبين عنوان كونها دابة في الأرض والمعنى ما من دابة في الأرض إلا يرزقها الله تعالى حيث كانت من أماكنها يسوقه إليها ويعلم موادها المتخالفة المتدرجة في مراتب الاستعدادات المتفاوتة المتطورة في الأطوار المتباينة ومقارها المتنوعة ويفيض عليها في كل مرتبة ما يليق بها من مبادي وجودها وكمالاتها المتفرعة عليه • وقد فسر المستودع بأماكنها في الممات • ولا يلائمه مقام التكفل بأرزاقها كل من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في كتاب مبين أي مثبت في اللوح المحفوظ المبين لمن ينظر فيه من الملائكة عليهم السلام • أو المظهر لما أثبت فيه للناظرين • ولما انتهى الأمر إلى أنه سبحانه محيط بجميع أحوال ما في الأرض من المخلوقات التي لا تكاد تحصى من مبدإ فطرتها إلى منتهاها اقتضى الحال التعرض لمبدإ خلق السموات والأرض والحكمة الداعية إلى ذلك فقيل وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام السموات في يومين والأرض في يومين وما عليها من أنواع الحيوان والنبات وغير ذلك في يومين حسبما فصل في سورة حم السجدة ولم يذكر خلق ما في الأرض لكونه من تتمات خلقها وهو السر في جعل زمان خلقه تتمة لزمان خلقها في قوله تعالى في أربعة أيام أي في تتمة أربعة أيام • والمراد بالأيام الأوقات كما في قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره أي في ستة أوقات أو مقدار ستة أيام فإن اليوم في المتعارف زمان كون الشمس فوق الأرض ولا يتصور ذلك حين لا أرض ولا سماء • وفي خلقها مدرجاً مع القدرة التامة على خلقها دفعة دليل على أنه قادر مختار واعتبار للنظار وحث على التأني في الأمور • وأما تخصيص ذلك بالعدد المعين فأمر استأثر بعلم ما يقتضيه علام الغيوب جلت حكمته • وإيثار صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الإشارة إلى كونها أجراماً مختلفة الطبائع ومتفاوتة الآثار والأحكام وكان عرشه قبل خلقهما على الماء ليس تحته شيء غيره سواء كان بينهما فرجة أو كان موضوعاً على متنه كما ورد في الأثر فلا دلالة فيه على إمكان الخلاء كيف لا ولو دل لدل على وجوده لا على إمكانه فقط ولا على كون الماء أول ما حدث في العالم بعد العرش وإنما يدل على أن خلقهما أقدم من خلق السموات والأرض وما فيهما من المخلوقات التي من جملتها أنتم ورتب فيهما جميع ما تحتاجون إليه من مبادي وجودكم وأسباب معايشكم وأودع في تضاعيفهما من تعاجيب الصنائع والعبر ما تستدلون به على مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة من يبتليكم أيكم أحسن عملاً فيجازيكم بالثواب والعقاب غب ما تبين المحسن من المسيء وامتازت درجات أفراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المرتبة على أنظارهم فيما نصب من الحجج والدلائل والأمارات والمخايل ومراتب أعمالهم المتفرعة على ذلك فإن العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله عليه وسلم بقوله أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله فإن لكل من القلب والقالب عملاً مخصوصاً به فكما أن الأول أشرف من الثاني فكذا الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله تعالى الواجبة على العباد أثر ذي أثير وإنما طريقها النظر والتفكر في بدائع صنائع الله الخلاق والتدبر في آياته البينات المنصوبة في الأنفس والآفاق ولا طاعة بدون فهم ما في مطاوي الكتاب الحكيم من الأوامر والنواهي وغير ذلك مما له مدخل في الباب • وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال

انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله تعالى الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل في اليوم بجوارحه مثل عمل اهل الارض ● وتعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية ● وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصود الاصلي مما ذكر من ابداع تلك البدائع على ذلك النمط الرائع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه اللائقة واكمل الاساليب الرائقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد عن سننه المستبين بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم في مراتبهما بحسب القوة والضعف والكثرة والقلة واما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن ان ينتظم ظهوره في سلك العلة الغائية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب ولا يخفى ما فيه من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائضها والله اعلم ●

ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت على ما يوجبه قضية الابتلاء ليترتب عليه الجزاء المترتب على ظهور مراتب الاعمال ليقولن الذين كفروا ان وجه الخطاب في قوله تعالى انكم الى جميع المكلفين فالموصول مع صلته للتخصيص اي ليقولن الكافرون منهم وان وجه الى الكافرين منهم فهو وارد على طريقة الذم ان هذا الا سحر مبين اي مثله في الخديعة او البطلان ● وهذا اشارة الى القول المذكور او الى القرآن فان الاخبار عن كونهم مبعوثين وان لم يجب كونه بطريق الوحي المتلو الا انهم عند سماعهم ذلك تخلصوا الى القرآن لاثباته عنده في كل موضع وكونه علما عندهم في ذلك فعمدوا الى تكذيبه وتسميته سحرا تماديا منهم في العناد وتفاديا عن سنن الرشاد ● وقيل هو اشارة الى نفس البعث ولا يلائم التسمية بالسحر فانه انما يطلق على شيء موجود ظاهر لا اصل له في الحقيقة ونفس البعث عندهم معدوم بحت ● وتعلق الاية الكريمة بما قبلها اما من حيث ان البعث كما اشير اليه من تتمات الابتلاء المذكور فكانه قيل الامر كما ذكر ومع ذلك ان اخبرتهم بمقدمة فذة من مقدماته وقضية فردة من تتماته لا يتلعثمون في الرد و يعدون ذلك [illegible] من قبيل ما لا صحة له اصلا فضلا عن تصديق ما هذه من تتماته واما من حيث ان البعث خلق جديد فكانه قيل وهو الذي خلق جميع المخلوقات ابتداء لهذه الحكمة البالغة ومع ذلك ان اخبرتهم بانه يعيدهم تارة اخرى وهو اهون عليه يقولون ما يقولون فسبحان الله عما يصفون ● وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل او الى القرآن على اسلوب شعر شاعر ● وروي بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت ● او على ان انك بمعنى علك اي ولئن قلت لعلكم مبعوثون على ان الرجاء والتوقع باعتبار حال المخاطبين اي توقعوا ذلك ولا تبتوا القول بانكاره ● او على انه مجاراة معهم في الكلام على نهج المساعدة لئلا يسارعوا الى اللجاج والعناد ربما قرع اسماعهم بت القول بخلاف ما القوا والفوا عليه اباءهم من انكار البعث ويكون ذكره ادعى لهم الى التأمل والتدبر وما فعلوه فاتكلهم الله انى يؤفكون

● ابو السعود ●

يستعجلون

الفوا والفوا

وما من دابة في الارض من صلة والدابة كل حيوان يدب على الارض اي ما دابة من الدواب الا على الله رزقها اي ضامن لرزقها يعني انه يوصله اليها وجوبا لانه لم يخلقها حتى يموت جوعا فحيثما توجهت في رزقها هو ● وفي على معنى الوجوب والرزق من باب التفضل لكنه لما تفضل برزق كل شيء من الدواب صار التفضل منه تعالى كنذور العباد ● وقيل على بمعنى من اي من الله رزقها ويعلم مستقرها اي مكانها ومسكنها ليلا ونهارا ومستودعها اي ويعلم الموضع الذي يموت ويدفن فيه ● وقيل مستقرها الارحام او الاصلاب او البيضات كل اي كل واحد من الرزق والمرزوق والمستقر والمستودع وبيان غيرها من الاشياء في كتاب مبين اي مثبت اي في اللوح المحفوظ قبل ان يخلقها فلا يفوت منه شيء وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام من ايام الاخرة قاله ابن عباس رضي الله عنهما او من ايام الدنيا قاله الحسن وكان عرشه على الماء قبل خلق السموات والارض لانه لم يكن تحت العرش سوى الماء وكان ذلك الماء على متن الريح ● قيل خلق الله تعالى ياقوتة حمراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء ثم خلق السموات والارض وخلق القلم واللوح فكتب فيه به ما هو كائن من خلقه ثم ان ذلك الكتاب سبح الله تعالى بعد الف عام قبل ان يخلق شيئا من خلقه فالمعنى ان العرش كان على الماء قبل خلق كل شيء ولا دليل فيه على قدم الماء بقوله تعالى هو الاول والاخر قوله تعالى ليبلوكم متعلق بخلق اي خلق السموات والارض لحكمة بالغة وهي ان يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم بانواع النعم ويكلفهم بالامر والنهي فمن شكر واطاع اثابه بالجنة ومن كفر وعصى عاقبه بالنار ● ولما كان ذلك مشابها باختبار المختبر قال ليبلوكم اي ليختبركم كاختبار المبتلي لاحوالكم ايكم احسن عملا اي اتم عقلا وازهد في الدنيا ● او اخلص دينا واسرع طاعة واورع معصية ايها المؤمنون ● وخصهم بالذكر تشريفا وطرح ذكر غيرهم تحقيرا لهم لانهم ليسوا اهلا للطف الخطاب اللطيف والاعمال المؤمنين تتفاوت الى حسن واحسن دون اعمال الكافرين والاختبار من الله تعالى اظهار ما يعلم من اسرار خلقه ولتضمنه معنى العلم جاز تعليق فعل البلاء من العمل في ايكم بالرفع ● ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ولئن قلت لهم يا محمد انكم مبعوثون من بعد الموت يوم القيمة ليقولن الذين كفروا اي اهل مكة ان هذا الا سحر مبين اي ما هذا القرآن الا كذب باطل عيانا لاستحالة خبره بالبعث ظاهرا ● وقرئ ساحر بالالف اي كاذب مبطل ● [illegible]

قال العارف القشيري قدس الله سره ازاح القلوب عن تعب التقسيم ولا قدار عن كسب التدبير في باب الرزق حيث قال الا على الله رزقها فسكنت القلوب لما تحققت ان الرزق على الله وفي الخبر اذا احيل احدكم على مليء فليحتل ● ويقال اذا كان الرزق على الله في الحال طلبه من غير الله تعالى ● ويقال اذا كان الرزق على الله فصاحب الحانوت في غلط من حسبانه ● ثم ان الله سبحانه وتعالى بين ان الرزق الذي عليه ما حاله فقال وفي السماء رزقكم وما توعدون وما كان في السماء لا يوجد في السوق ولا في التطواف في الغرب والشرق ● ولكن الارزاق مختلفة فرزق كل حيوان على ما يليق بصنعته ● ويقال للنفوس رزق وهو غذاء طريقة الخلق ● وللقلوب رزق وهو ضياء يوجده الحق ● ويقال لم يقل ما يشتهيه ومقدار ما يكفيه بل هو موكول الى مشيئة الله تعالى فمن موسع عليه رزقه ومن مقتر ● ويعلم مستقرها ومستودعها ● قيل اراد به اصلاب الاباء وارحام الامهات ● ويقال مستقر المريد باب شيخه كمستقر العني بباب وليه ● ويقال مستقر العابدين المساجد ومستقر العارفين المشاهد فالمساجد مستقر نفوس العابدين والمشاهد مستقر قلوب العارفين ● ويقال مستقر المحب رأس سكة محبوبه لعله يشهده عند عبوره ● ويقال المساجد مستقر القدم من العابدين ومستقر الهمم مشهد الكرم وذلك من العارفين ● ومستقر الموحد لا مثوى له ولا مستقر ولا مأوى ولا منزل ● ويقال النفوس مستودع التوفيق من الله والقلوب مستودع التحقيق من قبل الله ● ويقال القلوب مستودع المعرفة فالمعرفة وديعة فيها ● والارواح مستودع المحبة والمحاب ودائع فيها ● والاسرار مستودع المشاهدات والمشاهد ودائع فيها ●

ولئن أخرنا عنهم العذاب المترتب على كفرهم • او العذاب الموعود في قوله تعالى فان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير
وقيل عذاب يوم بدر • وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قيل جبريل عم للمستهزئين • والظاهر ان المراد به العذاب الشامل
للكفرة دون ما يخص ببعض منهم على انه لم يكن موعودا تستعجل منه المجرمون الى امة معدودة الى طائفة من
الايام قليلة لان ما يحصره العد قليل ليقولن ما يحبسه اي اي شيء يمنعه من المجيء فكانه يريد فيمنعه
مانع • وانما كانوا يقولونه بطريق الاستعجال استهزاء لقوله تعالى ما كانوا به يستهزؤن ومرادهم انكار
المجيء والحبس رأسا لا الاعتراف به والاستفسار عن حابسه الا يوم يأتيهم ذلك ليس مصروفا
عنهم على معنى انه لا يرفعه رافع ابدا ان اريد به عذاب الآخرة • او لا يدفعه عنهم دافع بل هو واقع بهم ان اريد
به عذاب الدنيا • ويوم منصوب بخبر ليس مقدما عليه وقد استدل به البصريون على جواز تقديمه على ليس اذ
المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع متبوعه • ورد بان الظرف يجوز فيه ما لا يجوز في غيره توسعا
وبانه قد يتقدم المعمول حيث لا مجال لتقديم العامل كما في قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل
فلا تنهر فان اليتيم والسائل مع كونهما منصوبين بالفعلين المجزومين قد تقدما على لا الناهية
مع امتناع تقدم الفعلين عليها • قال ابو حيان وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم اظفر
بتقديم خبر ليس عليها ولا بتقديم معموله الا ما دل عليه ظاهر هذه الآية الكريمة وقول الشاعر
فيأبى فما يزداد الا لجاجة • وكنت ابيا في الخنا لست اقدم • وحاق بهم اي احاط بهم ما كانوا به
يستهزؤن اي العذاب الذي كانوا يستعجلون به استهزاء • وفي التعبير عنه بالموصول تهويل
لمكانه واشعار بعلية ما ورد في حيز الصلة من استهزائهم به لنزوله واحاطته • والتعبير عنها
بالماضي لتأكيد على عادة الله تعالى في اخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك
من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر وتحقق وقوع المخبر به ما لا يخفى ولئن اذقنا الانسان منا رحمة
اي اعطيناه نعمة من صحة وامن وجدة وغيرها واوصلناها اليه بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه
اي سلبناه اياها • وايراد النزع للاشعار بشدة تعلقه بها وحرصه عليها انه ليؤس شديد القنوط
من روح الله قطوع رجاءه من عود امثالها عاجلا او آجلا بفضل الله تعالى لقلة صبره وعدم توكله عليه
وثقته به كفور عظيم الكفران لما سلف من النعم • وفيه اشارة الى ان النزع انما كان بسبب كفرانهم بما
كانوا يتقلبون فيه من نعم الله عز وجل • وتأخيره عن وصف يأسهم مع تقدمه عليه لرعاية الفواصل
على ان اليأس من فضل الله سبحانه وقطع الرجاء عن افاضة امثاله في العاجل وايصال اجره في الآجل
من باب الكفران لتلك النعمة السالفة ايضا ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم ووجدة بعد
عدم وفرج بعد شدة • وفي التعبير عن ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق المؤذن بلذتهما وكونهما مما
يرغب فيه • وعن ملابسة الضراء بالمس المشعر بكونها في ادنى ما ينطلق عليه اسم الملاقاة من مراتبها
واسناد الاول الى الله عز وجل دون الثاني ما لا يخفى من الجزالة والدلالة على ان مراده تعالى انما هو ايصال
الخير المرغوب فيه على احسن ما يكون • وانه انما يريد بعباده اليسر دون العسر وانما ينالهم ذلك بسوء
اختيارهم نيلا يسيرا كانما يلاصق البشرة من غير تأثير • واما نزع الرحمة فانما صدر عنه بقضية
الحكمة الداعية الى ذلك وهي كفرانهم بها كما سبق • وتنكير الرحمة باعتبار لحوق النزع بها ليقولن
ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني ولن يعتريني بعد امثالها كما هو شأن اولئك الاشرار
فان الترقب لورود امثالها مما يكدر السرور وينغص العيش انه لفرح بطر واشر بالنعم مغتر بها
فخور على الناس بما اوتي من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقها • واللام في لئن في الآيات الاربع
موطئة للقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط الا الذين صبروا على ما اصابهم من الضراء سابقا
ولاحقا ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا على آلائه السالفة والآنفة • واللام في
الانسان اما للاستغراق الجنسي فالاستثناء متصل • او للعهد فمنقطع اولئك اشارة الى الموصول باعتبار
اتصافه بما في حيز الصلة • وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في
الفضل اي اولئك الموصوفون بتلك الصفات الحميدة لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم وان جمت
واجر ثواب لاعمالهم الحسنة كبير ووجه تعلق الآيات الثلاث بما قبلهن حه

من حيث ان اذاقة النعماء ومساس الضراء فصل من باب الابتلاء واقع موقع التفصيل من
الاجمال الواقع في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا • والمعنى ان كلا من اذاقة النعماء ونزعها
مع كونه ابتلاء للانسان ايشكر ام يكفر لا يهتدي الى سنن الصواب بل يحيد في كلتا الحالتين
عنه الى مهاوي الضلال فلا يظهر منه حسن عمل الا من الصابرين الصالحين • او من حيث ان
انكارهم بالبعث واستهزاءهم بالعذاب بسبب بطرهم وفخرهم كانه قيل انما فعلوا ما فعلوا لان
طبيعة الانسان مجبولة على ذلك
انتهى ابو السعود افندي

ابن الكمال رحمه الله

ولئن أخرنا عنهم العذاب الموعود الى أمة معدودة الى جملة من الاوقات قليلة ليقولن ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا يوم يأتيهم كيوم بدر ليس العذاب مدفوعا عنهم ليس مصروفا عنهم • ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه • قيل هو دليل على جواز تقدم خبرها عليها اذ المعمول لا يقع الا حيث يقع العامل • والمخالف يمنع دلالته جواز تقديم المعمول على جواز تقدم العامل • وايضا الظرف والمجرور يتسع فيهما ما لا يتسع في غيرهما فيقعان حيث لا يقع العامل فيه • وكان ما ذكر استعجالا منهم للتعذيب على وجه التكذيب والاستهزاء ولذلك قال وحاق بهم اي احاط بهم ما كانوا به يستهزئون واضعا يستهزئون موضع يستعجلون كأنه يخص الاستهزاء ولكون عذابهم محقق الوقوع عما قريب • أورد حاق موضع يحيق على عادة كلام الله تعالى كأنه قد وقع مبالغة في التهديد وإذا اذقنا الانسان منا رحمة نعمة من صحة وأمن وخصب وجدة بحيث يجد ذوقها ولذتها ثم نزعناها سلبناها منه وفي عبارة النزع اشارة الى ما في السلب المذكور من شدة الالم انه ليؤوس شديد اليأس من عود مثلها اليه قاطع رجاءه من فضل الله تعالى وسعة رحمته غير صابر ولا مسترجع ولا مسلم لقضائه كفور عظيم الكفران لما سلف له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم • وفي ذكر الاذاقة مع النعماء والمس مع الضراء اشارة الى ان النعمة ادر عمر حتى يجد الانسان ذوقها ويتلذذ بها بخلاف الضر فان المس مبدأ الوصول • ففيه دلالة على قلة صبرهم كأنهم بمجرد المس جزعوا وكفروا النعمة الطويلة الزمان ليقولن ذهب السيئات عني اي البليات التي ساءتني انه لفرح اشر بطر فخور على الناس بما اذاقه الله تعالى من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين صبروا على الضراء وعملوا الصالحات شكرا لآلائه سابقها ولاحقها فان في قوله صبروا دلالة على هذا لان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر اي المؤمنين الذين عادتهم الصبر عند زوال النعمة ووقوع الضراء والشكر عند النعماء • استثناء من الانسان واللام لاستغراق الجنس كما في قوله تعالى ان الانسان لفي خسر • ومن خصه بالكافر لسبق ذكره جعل الاستثناء منقطعا اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير ثواب عظيم • ابن الكمال

نسفي رحمه الله

ولئن اخرنا عنهم العذاب عذاب الآخرة • او عذاب يوم بدر الى امة الى الجماعة من الاوقات معدودة معلومة او قلائل • والمعنى الى حين معلوم ليقولن ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء الا يوم يأتيهم العذاب ليس مصروفا عنهم ويوم منصوب بمصروفا اي ليس العذاب مصروفا عنهم يوم يأتيهم وحاق بهم واحاط ما كانوا به يستهزئون العذاب الذي كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزئون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة الاستهزاء ولئن اذقنا الانسان هو للجنس منا رحمة نعمة من صحة وامن وجدة • واللام في لئن لتوطئة القسم ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة وجواب القسم انه ليؤوس شديد اليأس من ان تعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في رحمة الله تعالى نسّاء له ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته وسعنا عليه النعمة بعد الفقر الذي ناله ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح اشر بطر فخور على الناس بما اذاقه الله تعالى من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين صبروا في المحنة والبلاء وعملوا الصالحات وشكروا في النعمة والرخاء اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير يعني الجنة اسهل المدارك • والفرح لذة في القلب بنيل المشتهى • والفخر هو التطاول على الناس بتعديد المناقب وذلك منهي عنه قوله تعالى الا الذين استثناء منقطع معناه ولكن الذين صبروا وعملوا الصالحات فانهم ان نالتهم شدة صبروا وان نالوا نعمة شكروا معالم

ولئن اخرنا عنهم العذاب اي كفار مكة كعذاب يوم بدر او قتل جبرئيل المستهزئين الى امة معدودة اجل معلوم ليقولن اي الكافرون تكذيبا واستهزاء ما يحبسه اي اي شيء يمنع العذاب عن المجيء يقولونه استعجالا له ظاهرا • او يعنون انه ليس بنازل فقال تعالى الا يوم يأتيهم العذاب ليس مصروفا عنهم اي ليس احد يصرف العذاب عنهم اذا نزل بهم في الدنيا او في الآخرة وحاق اي نزل بهم ما كانوا به يستهزئون انه ليس بنازل او وباله وجزاؤه وقوله يوم يأتيهم ظرف منصوب بمصروفا قدم على ليس وهو دليل لمن يدعي جواز تقديم خبر ليس عليها لانه اذا جاز تقديم المعمول كان تقديم عامله اجوز اذ المعمول لا يقع الا حيث يقع العامل ولئن اذقنا الانسان اي الوليد بن المغيرة • او الجنس منا رحمة نعمة كالعافية والغنائم ثم نزعناها اي انتزعنا تلك النعمة منه اي من الانسان انه ليؤوس اي شديد القنوط من ان لا تعود اليه اي قاطع الرجاء من فضل الله بلا صبر وتسليم لقضائه ولا استرجاع كفور اي عظيم الكفران بانعام الله عليه النعم الوافرة فيما مضى من الزمان لا يشكره اصلا على ذلك ولئن اذقناه اي الانسان نعماء اي وسعة النعمة وتمام الصحة بعد ضراء اي شدة مسته اصابته ليقولن اي الانسان ذهب السيئات اي زالت الشدائد عني انه لفرح اي بطر فخور اي متبجح على الناس بما اذاقهم الله من نعمائه وقد شغله الفخر عن الشكر • قيل الفرح لذة في القلب لنيل المشتهى • والفخر التطاول على الناس بتعديد المناقب وذلك منهي عنه قوله الا الذين صبروا اي ان نالتهم شدة • استثناء متصل من الانسان او منقطع اي لكنهم ليسوا كذلك • فمحل الذين صبروا رفع مبتدأ، وعطف على الصلة قوله وعملوا الصالحات بينهم وبين ربهم يعني ان نالوا نعمة اخرى او شكروا • وخبر المبتدأ اولئك لهم مغفرة من الذنوب واجر كبير هو الجنة واللقاء

من العيون للامام السهروردي البكري رحمه الله

فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك هذا على النفي اى لا تترك بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ● وهو كما يقال الرجل لآخر لعلك تريد ان تفعل كذا وهو ينهاه عنه ● ولما كان معنى هذا النهي على الحث على اذى المشركين واستهزائهم صح ترتيبه على كلام تضمن الحث والتحريض على الصبر ● ومن وهم ان لعل للتوقع فقد وهم وضائق به صدرك وعارض لك احيانا ضيق صدرك ● وانما اختار ضائق على ضيق لان نهيه ابلغ وهو يناسب لفظ تارك ● ان يقولوا اى بان يقولوا ● وقيل الضمير في به مبهم وان يقولوا تفسيره اى يضيق صدرك بسبب قولهم هذا لولا انزل عليه كنز ينفعه في استتباع الناس كالملوك او جاء معه ملك يصدقه انما انت نذير ما عليك الا الانذار وما عليك ان يقبلوه ولا يردونه فلا يضيق صدرك بردهم وتهاونهم به والله على كل شيء وكيل فتكل اليه امرك فانه حافظ عليهم ما يقولون ويفعلون ● وفاعل بهم ما يجب ان يفعل من جزائهم ●

ابو السعود رحمه الله

● ابن الكمال ● فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك من البينات الدالة على حقية نبوتك المنادية بكونها من عند الله عز وجل لمن له اذن واعية وضائق به صدرك اى عارض لك ضيق صدرك بتلاوته عليهم وتبليغه اليهم في اثناء الدعوة والمحاجة ان يقولوا لان يقولوا تعاميا عن تلك البراهين التي لا يكاد يخفى صحتها على احد ممن له ادنى بصيرة وتماديا في العناد على وجه الاقتراح لولا انزل عليه كنز مال خطير مخزون يدل على صدقه او جاء معه ملك يصدقه قيل قاله عبد الله بن امية المخزومي ● وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت رسولا وقال آخرون ائتنا بالملائكة يشهدوا بنبوتك فقال لا اقدر على ذلك فنزلت فكانه صلى الله عليه وسلم لما عاين اجتراءهم على اقتراح مثل هذه العظائم غير قانعين بالبينات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من ارباب العقول وشاهد ركوبهم من المكابرة متن كل صعب وذلول مسارعين الى المقابلة بالتكذيب والاستهزاء وتسميتها سحرا ● مثل حاله صلى الله عليه وسلم بحال من يتوقع منه ان يضيق صدره بتلاوة تلك الآيات الساطعة عليهم وتبليغها اليهم فحمل على الحذر بما في لعل من الاشفاق فقيل انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك غير مبال بما صدر عنهم من الرد والقبول والله على كل شيء وكيل يحفظ احوالك واحوالهم فتوكل عليه في جميع امورك فانه فاعل بهم ما يليق بحالهم ● والاقتصار على النذير في اقصى غاية من اصابة المحز انتهى ابو السعود رحمه الله

تفسير النسفي رحمه الله

كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك ● وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحركه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم و اقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اى لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك بان تتلوه عليهم ● ولم يقل ضيق ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لانه كان صلى الله عليه وسلم افسح الناس صدرا ولانه اشكل بتارك ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك هلا انزل عليه ما اقترحنا من الكنز لننفقه والملائكة لتصدقه ولم انزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه انما انت نذير اى ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا والله على كل شيء وكيل يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل امرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم انتهى المدارك

من تفسير العيون للامام السمرقندي رحمه الله

فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك نزل حين قالت كفار مكة ائت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا وقالوا ايضا كيف لا ينزل ملك عليه نراه وكيف لا يكون له كنز من المال ينفقه حتى نتبعه فهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يترك سب آلهتهم ظاهرا فقال تعالى لعلك قصدت ترك بعض الموحى اليك فلا تبلغه اياهم مما يسوءهم رجاء ان يتبعوك وضائق به صدرك اى ويضيق بما كلفت قلبك يعني بما تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا تكذيبا لولا اى هلا انزل عليه كنز ينفقه او جاء معه ملك يصدقه ويعينه ثم قال تعالى يا محمد انما انت نذير من الله تعالى برسالته فلا تترك النذارة واداء الرسالة فانما عليك الانذار وتبليغ الرسالة والله على كل شيء وكيل اى حفيظ يحفظ ما يقولون فيجازيهم به وعليه توكل وبلغ الوحي بقلب فسيح ولا تبال بسفههم وانا ناصرك عليهم ● وذكر ضائق مكان ضيق ليدل على ان ضيقه كان عارضا غير مستمر كسيد وسائد ● المعنى انهم لا يقرون بانك رسول الله والقرآن ينزل عليك من الله تعالى انتهى

ابو السعود رحمه الله

ام يقولون افتراه اضراب بام المنقطعة عن ذكر تركهم الاعتداد بما يوحى وتهاونهم به وعدم اقتناعهم بانه من المعجزات الظاهرة الدالة على كونه من عند الله عز وجل وعلى حقية نبوته صلى الله عليه وسلم وشروع في ذكر ارتكابهم لما هو اشد منه واعظم ● وما فيها من معنى الهمزة للتوبيخ والانكار والتعجيب والضمير المستكن في افتراه للنبي صلى الله عليه وسلم ● والبارز لما يوحى اي بل ايقولون افتراه وليس من عند الله قل ان كان الامر كما تقولون فاتوا انتم ايضا بعشر سور مثله في البلاغة وحسن النظم ● وهو نعت لسور اي امثاله وتوحيده اما باعتبار مماثلة كل واحدة منها ● او لان المطابقة ليست بشرط حتى يوصف المثنى بالمفرد كما في قوله تعالى انؤمن لبشرين مثلنا ● او للايماء الى ان وجه الشبه ومدار المماثلة في الجميع شيء واحد هو البلاغة المؤدية الى مرتبة الاعجاز فكان الجميع واحد مفتريات صفة اخرى لسور اخرت عن وصفها بالمماثلة لما يوحى لانها الصفة المقصودة بالتكليف اذ بها يظهر عجزهم وقعودهم عن المعارضة ● واما وصف الافتراء فلا يتعلق به غرض يدور عليه شيء في مقام التحدي وانما ذكر على نهج المساهلة وارخاء العنان ولانه لو عكس الترتيب لربما توهم ان المراد هو المماثلة في الافتراء ● والمعنى فاتوا بعشر سور مماثلة له في البلاغة مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عندي فانكم اقدر على ذلك مني لانكم عرب فصحاء بلغاء قد مارستم مبادي ذلك من الخطب والاشعار وحفظتم الوقائع والايام وزاولتم اساليب النظم والنثر وادعوا للاستظهار في المعارضة من استطعتم دعاءه والاستعانة به من الهتكم التي تزعمون انها ممدة لكم في كل ما تاتون وما تذرون والكهنة ومدارهكم الذين تلجؤون الى آرائهم في الملمات ليسعدوكم فيها من دون الله متعلق بادعوا اى متجاوزين الله تعالى ان كنتم صادقين في اني افتريته فان ذلك يستلزم امكان الاتيان بمثله وهو ايضا يستلزم قدرتكم عليه والجواب محذوف يدل عليه المذكور فان لم يستجيبوا لكم اى فان لم يفعلوا ما كلفوه من الاتيان بمثله كما قال فان لم تفعلوا ● وانما عبر عنه بالاستجابة ايماء الى انه صلى الله عليه وسلم على كمال امن من امره كان امره لهم بالاتيان بمثله دعاء لهم الى امر يريد وقوعه ● والضمير في لكم للرسول صلى الله عليه وسلم ● والجمع للتعظيم كما في قول من قال وان شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا ● وللمؤمنين لانهم اتباع له صلى الله عليه وسلم في الامر بالتحدي ● وفيه تنبيه لطيف على ان حقهم ان لا ينفكوا عنه ويناصبوا معه لمعارضة المعاندين كما كانوا يفعلونه في الجهاد وارشاد الى ان ذلك مما يفيد الرسوخ في الايمان والطمانينة في الايقان ولذلك رتب عليه قوله تعالى فاعلموا اي اعلموا حين ظهر لكم عجزهم عن المعارضة مع تهالكهم عليها علما يقينا متاخما لعين اليقين بحيث لا مجال معه لشائبة ريب بوجه من الوجوه كان ما عداه من مراتب العلم ليس بعلم لكن لا لاكتفاء بانحطاط تلك المراتب بل بارتفاع هذه الرتبة ● وبه يتضح سر ايراد كلمة الشك مع القطع بعدم الاستجابة فان تنزيل سائر المراتب منزلة العدم مستتبع لتنزيل الجزم بعدم الاستجابة منزلة الشك فيه او اثبتوا واستمروا على ما انتم عليه من العلم انما انزل ملتبسا بعلم الله المخصوص به بحيث لا يحوم حوله العقول والافهام مستبدا بخصائص الاعجاز من جهتي النظم الرائق والاخبار بالغيب وان لا اله الا هو اي واعلموا ايضا ان لا شريك له في الالوهية واحكامها ولا يقدر على ما يقدر عليه احد فهل انتم مسلمون اي مخلصون في الاسلام او ثابتون عليه وهذا من باب

وهذا من باب التثبيت والترقية الى معارج اليقين • ويجوز ان يكون الخطاب في الكل للمشركين من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم
داخلا تحت الامر بالتحدي • والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم يستجب لكم الهتكم وسائر من اليهم تجادرون في
مهماتكم وملماتكم الى المعاونة والمظاهرة فاعلموا ان ذلك خارج عن دائرة قدرة البشر وانه منزل من خالق القوى
والقدر • فاتوا بكلمة الشك مع الجزم بعدم الاستجابة من جهة الهتهم تهكما بهم وتسجيلا عليهم بكمال سخافة العقل
وترتيب الامر بالعلم على مجرد عدم الاستجابة من حيث انه مسبوق بالدعاء المسبوق بعجزهم واضطرابهم فكانه
قيل فان لم يستجيبوا لكم عند التجائكم اليهم بعد ما اضطرتم الى ذلك وضاقت عليكم الحيل وعيت بكم العلل •
او من حيث ان من يستمدون بهم اقوى منهم في اعتقادهم فاذا ظهر عجزهم بعدم استجابتهم وان كان ذلك
قبل ظهور عجز انفسهم يكون عجزهم اظهر واوضح واعلموا ايضا ان الهتكم بمعزل عن رتبة الشركة فالا لوهية
فهل انتم داخلون في الاسلام اذ لم يبق بعد شائبة شبهة في حقيته وفي بطلان ما كنتم فيه من
الشرك فيدخل فيه الاذعان لكون القرآن من عند الله تعالى دخولا اوليا • او منقادون للحق الذي
هو كون القرآن من عند الله تعالى وتاركون لما كنتم فيه من المكابرة والعناد • وفي هذا الاستفهام ايجاب بليغ
لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر واقناط من ان يجيبهم الهتهم من
بأس الله عن سلطانه فيه هذا • والاول انسب لما سلف من قوله تعالى وضائق به صدرك ولما سيأتي من قوله
فلا تك في مرية منه واشد ارتباطا بما يعقبه كما ستحيط به خبرا •
انتهى ابو السعود رحمه الله •

من تفسير عيون

أم يقولون اي بل يقولون افتراه اختلقه من تلقاء نفسه قل فأتوا بعشر سور مثله اي مثل سور القرآن
اية سورة كانت مفتريات اي مختلقات تماثله في حسن النظم والبيان ان كنتم تزعمون ان محمدا صلى الله عليه
اختلقه من ذات نفسه • قيل كيف يتفق هذا مع قوله في سورة يونس فأتوا بسورة مثله وقد عجزوا عنه
فيكون كقول رجل لاخر اعطني دينارا فعجز فقال اعطني عشرة دنانير • واجيب عنه بان سورة هود نزلت
اولا للتحدي ومنعه المبرد لان نزول سورة يونس سابقة عليه • وقال الفقيه ان عجزهم عن الاتيان
بسورة مثله في الاخبار والاحكام والوعد والوعيد فأتوا بعشر سور مثله من غير وعد ولا وعيد
وانما هي مجرد البلاغة وادعوا من استطعتم من دون الله اي واستعينوا بالهتكم للمعارض ان كنتم صادقين
في قولكم افتراه فسكتوا فلم يجيبوا فان لم يستجيبوا لكم يا محمد خوطب بالجمع بعد قوله قل بافراد الخطاب
تعظيما له • او خوطب اولا وحده ثم خوطب ثانيا مع اصحابه فاعلموا ايها المؤمنون انما انزل القرآن بعلم الله
اي ملتبسا بعلمه يعني انزله عالما بانه اله بنظم معجز للخلق مشتمل على اخبار بغيوب وعلوم لا سبيل اليه
واعلموا ايضا ان لا اله الا هو اي الا الله الذي انزل القرآن بعلمه على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فهل انتم
مسلمون اي مخلصون في ايمانكم بذلك بعد هذه الحجة القاطعة يعني اثبتوا على العلم الذي انتم عليه وهو
انه منزل من عند الله • وقيل لا تستنوا في معنى الامر يعني اسلموا
اسماع

أم يقولون افتراه بل يقولون اختلقه وان يعسر عن مثله • فان قيل قد قال في سورة يونس فأتوا بسورة مثله وقد عجزوا
عنه فكيف قال فأتوا بعشر سور فهو كرجل يقول لاخر اعطني درهما فيعجز فيقول اعطني عشرة • الجواب قد قيل سورة هود
نزلت اولا وانكر المبرد هذا قال بل سورة يونس نزلت اولا وقال معنى قوله في سورة يونس فأتوا بسورة مثله اي مثله
في الخبر عن الغيب والاحكام والوعد والوعيد فعجزوا فقال لهم في سورة هود ان عجزتم عن الاتيان بسورة مثله في
الاخبار والاحكام والوعد والوعيد فأتوا بعشر سور مثله من غير خبر ولا وعد ولا وعيد وانما هي مجرد البلاغة وادعوا
من استطعتم واستعينوا بمن استطعتم • انتهى معالم التنزيل

أم يقولون ام منقطعة والضمير في افتراه لما يوحى قل فأتوا بعشر سور مثله في البلاغة نزل اولا قوله تعالى فليأتوا بحديث
مثله وهو كل القرآن في ذلك الوقت فلما ظهر عجزهم عنه تحداهم بعشر سور فلما عجزوا عنه ايضا سهل عليهم وتحداهم
بسورة واحدة كما هو عادة المعارضين • وتوحيد المثل لان المراد كما ثلة من جهة البلاغة • ولا اختلاف
بين السور فيها • مماثل لاحدها مثل لسائرها • ففيه تنبيه على ان المراد المماثلة في حسن البيان لا في البدايع
المعاني مفتريات من باب المساهلة وارخاء العنان لما قالوا افتراه من عند امره بان يعاودهم على
دعواهم ويقول هبوا اني افتريته فأتوا بكلام مثله في حسن النظم والبيان مفتريات من عندكم فانتم فصحاء
مثلي وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة على المعارضة ان كنتم صادقين في انه مفترى
فان لم يستجيبوا لكم اي لك وللمؤمنين بالاتيان بمثله فانهم ايضا كانوا يتحدونه • وكان امر الرسول صلى الله عليه وسلم
متناول لهم من حيث يجب عليهم اتباعه في كل امر الا ما خصه الدليل • وكتنبيه على ان التحدي مما يوجب
رسوخ ايمانهم وقوة تيقنهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه الامر الآتي ذكره • ويجوز ان يكون
الجمع في الخطاب لتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم • ويجوز ان يكون الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا
لمن في من استطعتم اي فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على معارضته
لعلمهم انهم عاجزون عن ذلك فاعلموا انما انزل ملتبسا بعلم الله اي بما لم يعلم الا الله من نظم معجز للخلق
واخبار عن الغيب لا سبيل لهم اليه واعلموا عند عجز الكل ان لا اله الا الله وحده القادر على ما لا يقدر عليه احد وان الشرك به
ظلم وان ما تعبدونه ليس من الالوهية في شيء فهل انتم مسلمون بعد هذه الحجة القاطعة • ويجوز ان يكون
الخطاب للمسلمين ومعناه واثبتوا على العلم
بالتوحيد وزيدوا يقينا فهل انتم
دائمون على الاسلام مخلصون لله تعالى
بازدياد اليقين وثبات القدم
والطمانينة • وفي تغيير مقتضى
الاستفهام بهل والعدول عن
الفعل الى الجملة وسبك السلوك
من تلوين ابناءه بطلب دوام
الاسلام وتحقق الثبات في الدين
وانهم مطالبون بذلك لزوال العذر
ووضوح الدليل وقوته • وعلى خطاب
المشركين وقيام موجب التوحيد
يقتضي استحالة الشرك والمواظبة
على الاسلام مما ابعد حالكم عن ذلك
وفيه تهديد بليغ واقناط من ان
يجيبهم من دون الله شركاؤهم
لان دليل التوحيد دال على نفي
القدرة والالوهية عن الغير
ووجوب الاذعان له • ابو البركات •

أم يقولون ام منقطعة افتراه الضمير لما يوحى اليك قل فأتوا
بعشر سور تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما
يقول المخاير في الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما
اكتب فاذا تبين له العجز عن ذلك قال قد اقتصرت منك
على سطر واحد مثله في الحسن والجزالة • ومعنى مثله امثاله
ذهابا الى مماثلة كل واحد منها له مفتريات صفة لعشر سور
لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك
وليس من عند الله ارخى معهم العنان وقال هبوا اني
اختلقته من عند نفسي فأتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق
من عند انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلي وادعوا من
استطعتم من دون الله الى المعاونة على المعارضة ان كنتم
صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل
بعلم الله وان لا اله الا هو اي انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله
من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه واعلموا
عند ذلك ان لا اله الا الله وحده وان توحيده واجب
والاشراك به ظلم عظيم • وانما جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل لان الجمع
لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم • او لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يتحدونهم • او لان الخطاب
للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة
على المعارضة لعلمهم بالعجز عنه فاعلموا انما انزل بعلم الله او باذنه او بامره فهل انتم مسلمون متابعون الاسلام
بعد هذه الحجة القاطعة • ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا
انه منزل من عند الله تعالى وعلى التوحيد فهل انتم مسلمون مخلصون • انتهى المدارك

ابن كمال باشا رحمه الله

من كان يريد الحيوة الدنيا باحسانه وبره • وزيادة كان للدلالة على استمرار تلك الحال ولا بد منه في ترتيب ما يأتي ذكره وزينتها الزينة تحسين الشئ بغيره من لبسه وحليته وغير ذلك نوف اليهم اعمالهم وقرئ توف بالياء اى يوف الله تعالى • ويوف على البناء للمفعول • ونوف بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض • جزاء اعمالهم من الصحة والامن وسعة الرزق وكثرة الاولاد والرياسة • والتوفية تأدية الحق على تمام فيها في الحيوة الدنيا وهم فيها اى في حق الاعمال • ولا يجوز عود الضمير الى الحيوة الدنيا لما فيه من الاعادة بدون الافادة لا يبخسون البخس نقصان الحق ظلما يعنى لا ظلم في ايفاء جزاء اعمالهم في هذه الدار دون ايفائه الى دار القرار • ثم ذكرنا سيق لا تاكيد • والاية في عامة الكفرة وبرهم اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار ان لوحظ في لهم ما به يقابل لعليهم يكون الكلام على طريقة بشر قاتل الزيد بالنار وما فيها من انواع العذاب • والاقتصار على ذكر النار من قبيل الاكتفاء عن الثانى بذكر منفعة وذلك لانهم استوفوا ما يقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت عليهم اوزار العزايم السيئة وحبط ما صنعوا فيها في مقابلة الاخرة من وجوه البر بنوع من التكلف لانه خلاف مقتضى الطبع وهوى النفس ولهذا عبر عنه بالصنع • واما قال حبط لانه ليس باطلا في حد نفسه كقرينه الاتى ذكره الا انه لا يجدى في الاخرة لانه لم يقارن شرط القبول وهو الايمان وباطل في نفسه ما كانوا يعملون ما اعتادوا عمله من مصالح الحيوة الدنيا واسباب زينتها وللدلالة على الاستمرار التجددى • جمع بين كان وصيغة المضارع كما في قوله تعالى ومن كان يريد الحيوة الدنيا ومجموع الجملتين علة لما قبلها وقرئ بطل على الفعل وباطلا على انه مفعول يعملوه • وما ابهامية او في معنى المصدر كفعله فلا خارجا منابى

تفسير مدارك النسفي

من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وهم الكفار او المنافقون اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وحبط في الاخرة ما صنعوه او صنيعهم اى لم يكن لهم ثواب لانهم لم يريدوا به الاخرة انما ارادوا الدنيا وقد وفى اليهم ما ارادوا وباطل ما كانوا يعملون اى كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لغرض صحيح والعمل الباطل لا ثواب له ومعنى افمن كان على بينة من ربه امن كان يريد الحيوة الدنيا كمن كان على بينة اى لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يعنى ان بين الفريقين تباينا بينا واراد بهم من امن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه اى على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد يشهد بصحته وهو القران منه من الله تعالى او من القران فقد تقدم ذكره انفا ومن قبله ومن قبل القران كتاب موسى وهو التورية اى ويتلو ذلك البرهان ايضا من قبل القران كتاب موسى اماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه

دون كلام افمن كان على بينة من ربه برهان من الله تعالى على دين الاسلام حق وهو القران • من مبتدا خبره محذوف تقديره افمن كان على بينة من ربه كمن كان يريد الحيوة الدنيا في المنزلة والرتبة يعنى ان بين هؤلاء الكاملين المحققين وبين اولئك الناقصين المقصرين بونا بعيدا وتفاوتا عظيما • فالهمزة لانكار المماثلة بينهما • والفاء لتفريع هذا الانكار وترتيبه على ما تقدم من بيان مساواة حال تلك الناقصين حتى متقدمة معنى وان اخرت عن الهمزة لفظا لاقتضائها الصدارة في الكلام • ومن ذهب الى ان الفاء عاطفة للتعقيب مستدعية بالعطف عليه فالتقدير امن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان على بينة من ربه والخبر محذوف لدلالة الفاء عليه اى يعقبونهم ويقربونهم • ولا استغراب لانكار هذا التعقيب فقد تكلف هذا

ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل عليهم وهما حالان اولئك اى من كان على بينة يؤمنون به بالقران ومن يكفر به بالقران من الاحزاب يعنى اهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده مصيره فلا تك في مرية في شك منه من القران او من الموعد انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون

اى فلا تكن يا محمد • اى من الكفار ومن اهل الكتاب • اى بمحمد او بالقران معالم • من القوم • المتحزبين بنى سلمة تجمعوا المحزبين • انتهى

من العيون

من كان يريد الحيوة الدنيا بعمله وزينتها ولا يريد به وجه الله تعالى نزل في شأن المنافقين واهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين يعملون لغير الله نوف اى نتم اليهم اعمالهم اى جزاءها بسعة الرزق والصحة وطيب العيش ودفع المكاره فيها اى في الدنيا اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اى لا ينقصون من ثواب اعمالهم يعنى يرزقون وافية كاملة من غير بخس اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط اى هلك في الاخرة ما صنعوا فيها اى ثواب صنيعهم في الدنيا وباطل ما كانوا يعملون في نفسه اما لعدم مقارنته الايمان او لانه لم يكن لوجه الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله ما الشرك الاصغر قال الرياء • وفي رواية ان يصبح صائما ثم يفطر على طعام يشتهيه • وقال ايضا ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها في الدنيا ويجزى بها في الاخرة • واما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى اذا افضى الى الاخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيرا ثم قال مشيرا الى ان ليس التساوى بين من يريد الدنيا بعمله ومن يريد الاخرة به بقوله افمن كان على بينة مبتدا خبره محذوف اى امن كان على دين صحيح وحجة ظاهرة من ربه كمن ليس على بينة • والفاء صلة • والمراد بالذى هو على بينة محمد صلى الله عليه وسلم ويتلوه اى ويتبع محمدا صلى الله عليه وسلم شاهد وهو جبريل رسول منه اى من الله يشهد بصدقه • وقيل ملك يحفظه ويسدده • وقيل القران بنظمه واعجازه من لسانه ومن قبله اى ومن قبل محمد او قبل القران كان كتاب موسى وهو التورية فيشهد ايضا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم اماما نصب على الحال اى حال كونه كتابا مؤتما به في الدين قدوة في العمل به ورحمة اى وهداية لمن اتبعه يعنى التورية او امنا من العذاب المنزل عليهم من المؤمنين به اولئك

يعني القاضي البيضاوي

لانه اختار التقدير الاول وزعم ان الهمزة لانكار التعقيب فلم يكن على بصيرة حيث خلط بين الوجهين
ويتلوه اي يتبع ذلك البرهان الذي يتضمن الدليل العقلي لكونه معجزا شاهد هو عيسى عم حيث
بشر ببعثة نبينا صلى الله عليه وسلم وهذه البشارة منه شهادة بحقية دين الاسلام • والتنكير للتعظيم
قوله منه اي من الله تعالى ومن قبله اي من قبل ذلك الشاهد كتاب موسى يعني التورية فانه ايضا
تلو في التصديق • وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه • والضمير في قوله للقرآن
اي عبر عنه بالبينة فالمعنى ان الشاهد هو المذكور يتبع الكتابين القرآن والتورية اماما
كتابا يؤتم به في الدين وقدوة فيه ورحمة تامة عظيمة على المنزل اليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير
الدارين اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون به بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب من اصناف
الكفار مشركا كان او كتابيا فالنار موعده يرد لها لا محالة لانه تعالى لا يخلف الميعاد فلا تك في مرية
منه من القرآن وقيل من الموعد وقوله انه الحق من ربك ظاهر في الاول • وقرئ مرية بضم الميم وهما
لغتان وقد مر في اول سورة البقرة الفرق بينهما وبين الريب والشك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
بكونه من عند الله لعلة نظرهم
وقصور تدبيرهم انتهى

ابو السعود افندي

ابن الكمال •

من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها اي ما يزينها ويحسنها من الصحة والامن والسعة في الرزق
وكثرة الاولاد والرياسة وغير ذلك • والمراد بالارادة ما يحصل عند مباشرة الاعمال لا مجرد الارادة القلبية
لقوله تعالى نوف اليهم اعمالهم فيها واد حال كان عليها للدلالة على استمرارها منهم بحيث لا يكادون يريدون الآخرة اصلا
وليس المراد باعمالهم اعمال كلهم فانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل احد ينال كل ما يهواه فان ذلك منوط بالمشيئة
الجارية على قضية الحكمة كما نطق به قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ولا كل اعمالهم بل بعضها
الذي يترتب عليه الامور المذكورة بطريق الاجر والجزاء من اعمال البر • وقد اطلقت واريد بها ثمراتها فالمعنى نوصل
اليهم ثمرات اعمالهم في الحيوة الدنيا كاملة • وقرئ يوف على الاسناد الى الله تعالى وتوف بالفوقانية على البناء للمفعول
ورفع اعمالهم • وقرئ نوفي بالتخفيف والرفع لكون الشرط ماضيا كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول
لا غائب مالي ولا حرم • وهم فيها اي في الحيوة الدنيا لا يبخسون اي لا ينقصون • وانما عبر عن ذلك بالبخس الذي
هو نقص الحق مع انه ليس لهم شائبة حق فيما اوتوه كما عبر عن اعطائه بالتوفية التي هي اعطاء الحقوق مع ان
اعمالهم بمعزل من كونها مستوجبة لذلك بناء للامر على ظاهر الحال ومحافظة على صور الاعمال ومبالغة في
نفي النقص كأن ذلك نقص لحقوقهم فلا يدخل تحت الوقوع والصدور عن الكريم اصلا والمعنى انهم فيها خاصة
لا ينقصون ثمرات اعمالهم واجورها نقصا كليا مطردا ولا يحرمونها حرمانا كليا واما في الآخرة فهم في الحرمان
المطلق واليأس المحقق كما ينطق به قوله تعالى اولئك فانه اشارة الى المذكورين باعتبار ارادتهم الحيوة الدنيا
او باعتبار توفيتهم اجورهم من غير بخس او باعتبارهما معا • وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد
منزلتهم في سوء الحال اي اولئك المريدون للحيوة الدنيا وزينتها الموفون فيها ثمرات اعمالهم من غير بخس
الذين ليس لهم في الآخرة الا النار لان هممهم كانت مصروفة الى الدنيا واعمالهم مقصورة على تحصيلها وقد اجتنوا ثمرتها
ولم يكونوا يريدون بها شيئا آخر فلا جرم لم يكن لهم في الآخرة الا النار وعذابها المخلد وحبط ما صنعوا فيها اي
ظهر في الآخرة حبوط ما صنعوه من الاعمال التي كانت تؤدي الى الثواب لو كانت معمولة للآخرة • او حبط
ما صنعوه في الدنيا من اعمال البر اذ شرط الاعتداد بها الاخلاص وباطل اي في نفسه ما كانوا يعملون
في اثناء تحصيل المطالب الدنيوية ولاجل ان الاول من شأنه استتباع الثواب والاجر وان عدمه لعدم مقارنته
للايمان والنية الصحيحة وان الثاني ليس له جهة صالحة قط • علق بالاول الحبوط المؤذن بسقوط اجره
بصيغة الفعل المنبئ عن الحدوث وبالثاني البطلان المفصح عن كونه بحيث لا طائل تحته اصلا بالاسمية الدالة
على كون ذلك وصفا لازما له ثابتا فيه • وفي زيادة كان في الثاني دون الاول ايماء الى ان صدور اعمال البر منهم
وان كان لغرض فاسد ليس في الاستمرار والدوام كصدور الاعمال التي هي من مقدمات مطالبهم الدنية • وقرئ
وبطل على الفعل اي ظهر بطلانه حيث علم هناك ان ذلك وما يستتبعه من الحظوظ الدنيوية مما لا طائل تحته
او انقطع اثره الدنيوي فبطل مطلقا • وقرئ وباطلا ما كانوا يعملون على ان ما ابهامية • او في معنى المصدر
كقوله ولا خارجا من في زور كلام • وعن انس رضه ان المراد بقوله تعالى من كان يريد الخ اليهود والنصارى
ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا

اولئك اي المؤمنون بكتاب موسى يؤمنون به اي بالقرآن او بالنبي صلى الله عليه وسلم ومن يكفر به اي بالقرآن او محمد
صلى الله عليه وسلم من الاحزاب اي الكفار المتحزبين على النبي صلى الله عليه وسلم فالنار موعده اي مصيره بوعدنا اياه
فلا تك يا محمد في مرية اي في شك منه اي من الموعد او من القرآن انه الحق من ربك اي ان القرآن الصدق
من الله تعالى • وهو رد لقولهم انه لقول شيطان رجيم اسمه الرئي يلقيه الى محمد ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
وهم اهل مكة لا يصدقون بانه من عند الله تعالى
انتهى العيون

جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسهم لهم في الغنائم وأنت خبير بأن ذلك إنما كان بعد
الهجرة والسورة مكية ● وقيل هم أهل الرياء يقال للقراء منهم أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك
وهكذا لغيرهم ممن يعمل أعمال البر لا لوجه الله تعالى فعلى هذا لا بد من تقييد قوله تعالى ليس لهم إلا النار بأن
ليس لهم بسبب أعمالهم الريائية إلا ذلك ● والذي يقتضيه جزالة النظم الكريم أن المراد به مطلق
الكفرة بحيث يندرج فيهم القادحون في القرآن العظيم اندراجا أوليا فإنه سبحانه وتعالى لما أمر نبيه
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بأن يزدادوا علما ويقينا بأن القرآن منزل بعلم الله وبأن لا قدرة
لغيره على شيء أصلا وهيجهم على الثبات على الإسلام والرسوخ فيه عند ظهور عجز الكفرة وما يدعون
من دون الله عن المعارضة وتبين أنهم ليسوا على شيء أصلا اقتضى الحال أن يتعرض لبعض
شئونهم الموهمة لكونهم على شيء في الجملة من نيلهم الحظوظ العاجلة واستيلائهم على المطالب
الدنيوية وبيان أن ذلك بمعزل عن الدلالة عليه ● ولقد بين ذلك أي بيان ثم أعيد الترغيب
فيما ذكر من الإيمان بالقرآن والتوحيد والإسلام فقيل أفمن كان على بينة من ربه أي برهان نير عظيم
الشأن يدل على حقية ما رغب في الثبات عليه من الإسلام وهو القرآن وباعتباره أو بتأويل البرهان ذكر
الضمير الراجع إليه في قوله تعالى ويتلوه أي يتبعه شاهد يشهد بكونه من عند الله تعالى وهو الإعجاز
في نظمه المطرد في كل مقدار سورة منه ● أو ما وقع في بعض آياته من الإخبار بالغيب وكلاهما وصف
تابع له شاهد بكونه من عند الله تعالى غير أنه على التقدير الأول يكون في الكلام إشارة إلى حال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في تمسكهم بالقرآن عند تبين كونه منزلا بعلم الله بشهادة الإعجاز منه
أي من القرآن غير خارج عنه ● أو من جهة الله تعالى فإن كلا منهما وارد من جهته تعالى للشهادة ● ويجوز
على هذا التقدير أن يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ذلك
أيضا من الشواهد التابعة للقرآن الواردة من جهته تعالى ● فالمراد بمن في قوله أفمن كل من اتصف
بهذه الصفة الحميدة فيدخل فيه المخاطبون بقوله فاعلموا فهل أنتم مسلمون دخولا أوليا ● وقيل هو النبي
صلى الله عليه وسلم ● وقيل مؤمنوا أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه ● وقيل المراد بالبينة
دليل العقل وبالشاهد القرآن ● فالضمير في منه لله تعالى أو البينة القرآن ● ويتلوه من التلاوة ●
والشاهد جبريل أو لسان النبي صلى الله عليه وسلم على أن الضمير له ● أو من التلو والشاهد ملك يحفظه
والأولى هو الأول ● ولما كان المراد بتلو الشاهد للبرهان إقامة الشهادة بصحته وكونه من عند الله
تعالى بحيث لا يفارقه في مشهد من المشاهد فإن القرآن بينة باقية على وجه الدهر مع شاهدها
الذي يشهد بأمرها إلى يوم القيامة عند كل مؤمن وجاحد ● عطف كتاب موسى في قوله تعالى
ومن قبله كتاب موسى على فاعله مع كونه مقدما عليه في النزول فكأنه قيل أفمن كان على بينة من
ربه ويشهد به شاهد منه وشاهد آخر من قبله هو كتاب موسى ● وإنما قدم في الذكر المؤخر في
النزول لكونه وصفا لازما له غير مفارق عنه ولعراقته في وصف التلو والتنكير في بينة وشاهد
للتفخيم إماما أي مؤتما به في الدين ومقتدى ● وفي التعرض لهذا الوصف بصدد بيان تلو الكتاب ما لا يخفى
من تفخيم شأن المتلو ورحمة أي نعمة عظيمة على من أنزل إليهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة باعتبار أحكامه الباقية
المؤيدة بالقرآن العظيم وهما حالان من الكتاب أولئك الموصوفون بتلك الصفة الحميدة وهي الكون على بينة
من الله تعالى ● ولما أن ذلك عبارة عن مطلق التمسك بها وقد يكون ذلك بطريق التقليد لمن سلف من
علماء الدين نبه على علو طبقتهم ووصفهم بأنهم يؤمنون به أي يصدقونه حق التصديق
حسبما تشهد به الشواهد الحقة المعربة عن حقيته ومن يكفر به أي بالقرآن ولم يصدق بتلك الشواهد الحقة
من الأحزاب من أهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده يردها لا محالة
حسبما نطق به قوله تعالى ليس لهم في الآخرة إلا النار ● وفي جعلها موعدا إشعار بأن له فيها ما لا يوصف
بأفانين العذاب فلا تك في مرية منه أي في شك من أمر القرآن وكونه من عند الله عز وجل غب ما شهدت
به الشواهد المذكورة وظهر فضل من تمسك به إنه الحق من ربك الذي يربك في دينك ودنياك ولكن أكثر
الناس لا يؤمنون بذلك إما لقصور أنظارهم واختلال أفكارهم وإما لعنادهم واستكبارهم ● ومن في قوله
أفمن كان على بينة من ربه مبتدأ خبره محذوف لإغناء الحال عن ذكره وتقديره أفمن كان على بينة من ربه كالذين
ذكرت أعمالهم وبين مصيرهم ومآلهم يعني أن بينهما تفاوتا عظيما بحيث لا يكاد يتراءى ناراهما ●

آمين

والمراد الفاء بعد الهمزة لإنكار ترتب توهم المماثلة على ما ذكر من صفاتهم وعد من هنأتهم كأنه قيل أبعد
ظهور حالهم في الدنيا والآخرة كما وصف توهم المماثلة بينهم وبين من كان على أحسن ما يكون في العاجل والآجل
كما في قوله تعالى أفاتخذتم من دونه أولياء ● وقوله أفمن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ●
انتهى أبا السعود
أبو السعود أفندي رحمه الله

ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا بأن نسب إليه ما لا يليق به كقولهم للملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا ●
وقولهم لأصنامهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ● يعني أنهم مع كفرهم بآيات الله تعالى مفترون عليه كذبا ● وهذا التركيب
وإن كان سبكه على إنكار أن يكون أحد أظلم منهم من غير تعرض لإنكار المساواة ونفيها ولكن المقصود به
قصدا مطردا إنكار المساواة ونفيها وإفادة أنهم أظلم من كل ظالم كما ينبئ عنه ما سيتلى من قوله
عز وجل لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون ● فإذا قيل من أكرم من فلان أو لا أفضل منه فالمراد منه حتما
... بالافتراء على الله تعالى ● وبهذه الإشارة حصلت الغنية عن إسناد العرض إلى أعمالهم والنفي بإسناده
إليهم حيث قيل يعرضون لأن عرضهم من تلك الحيثية وبذلك العنوان عرض لأعمالهم على وجه أبلغ
فإن عرض العامل بعمله أفظع من عرض عمله مع غيبته على ربهم الحق وفيه إيماء إلى بطلان رأيهم في اتخاذهم
أربابا من دون الله عز وجل ويقول الأشهاد عند العرض من الملائكة والنبيين ● أو من جوارحهم ●
وهو جمع شاهد أو شهيد كأصحاب وأشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم بالافتراء عليه كأن ذلك أمر واضح
غني عن الشهادة بوقوعه وإنما المحتاج إلى الشهادة تعيين من صدر عنه ذلك فلذلك لا يقولون هؤلاء
كذبوا على ربهم ● ويجوز أن يكون المراد بالأشهاد الحضار وهم جميع أهل الموقف على ما قاله قتادة و
مقاتل ويكون قولهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ذما لهم بذلك لا شهادة عليهم كما يشعر به قوله ويقولون
دون ويشهدون وتوطئة لما يعقبه من قوله ألا لعنة الله على الظالمين بالافتراء المذكور ● ويجوز أن يكون
هذا على الوجه الأول من كلام الله تعالى ● وفيه تهويل عظيم لما يحيق بهم من عاقبة ظلمهم اللهم إنا نعوذ بك
من الخزي على رؤوس الأشهاد الذين يصدون أي كل من يقدرون على صده أو يفعلون الصد عن سبيل الله
عن دينه القويم ويبغونها عوجا انحرافا أي يصفونها بذلك وهو أبعد شيء منه ● أو يبغون أهلها
أن ينحرفوا عنها ● يقال بغيتك خيرا أو شرا أي طلبت لك ● وهذا شامل لتكذيبهم بالقرآن ● وقولهم إنه
ليس من عند الله وهم بالآخرة كافرون أي يصفونها بالعوج والحال أنهم كافرون بها لا أنهم يؤمنون بها ويزعمون
أن لها سبيلا سويا يهدون الناس إليه ● وتكرير الضمير لتأكيد كفرهم واختصاصهم به كأن كفر غيرهم ليس بشيء
عند كفرهم أولئك مع ما وصفوا من أحوالهم الموجبة للتدمير لم يكونوا معجزين الله تعالى مفلتين بأنفسهم
من أخذه لو أراد ذلك في الأرض مع سعتها وإن هربوا منها كل مهرب وما كان لهم من دون الله من أولياء
ينصرونهم من بأسه ولكن أخر ذلك لحكمة تقتضيه ● والجمع إما باعتبار أفراد الكفرة كأنه قيل وما كان
لأحد منهم من ولي ● أو باعتبار تعدد ما كانوا يدعون من دون الله تعالى فيكون ذلك بيانا لحال آلهتهم من
سقوطها عن رتبة الولاية يضاعف لهم العذاب استئناف يتضمن حكمة تأخير المؤاخذة ● وقرأ ابن كثير
وابن عامر ويعقوب بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لفرط تصامهم عن الحق وبغضهم له كأنهم
لا يقدرون على السمع ● ولما كان قبح حالهم في عدم إذعانهم للقرآن الذي طريق تلقيه السمع أشد منه
في عدم قبولهم لسائر الآيات المنوطة بالإبصار بالغ في نفي الأول عنهم حيث نفى عنهم الاستطاعة ●
واكتفى في الثاني بنفي الإبصار فقال وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله المبسوطة في
الأنفس والآفاق ● وهو استئناف وقع تعليلا لمضاعفة العذاب ● وقيل هو بيان لما نفي من ولاية الآلهة
فإن ما لا يسمع ولا يبصر بمعزل من الولاية ● وقوله تعالى يضاعف لهم العذاب اعتراض وسط بينهما نعيا عليهم
من أول الأمر سوء العاقبة أولئك المنعوتون بما ذكر من القبائح الذين خسروا أنفسهم باشتراء عبادة
الآلهة بعبادة الله عز سلطانه وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها ● أو خسروا ما بذلوا وضاع
عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم فيه ثلاثة أوجه الأول أن لا نافية لما سبق
وجرم فعل بمعنى حق وأن مع ما في حيزه فاعله والمعنى لا ينفعهم ذلك الفعل حق أنهم في الآخرة هم الأخسرون

وهذا مذهب سيبويه والثاني جرم بمعنى كسب وما بعده مفعوله وفاعله ما دل عليه الكلام اي كسب ذلك خسرانهم فالمعنى
ما حصل من ذلك الا ظهور خسرانهم • والثالث ان لا جرم بمعنى لا بد اي لا بد انهم في الآخرة هم الاخسرون واياما كان
فمعناه انهم اخسر من كل خاسر فتبين انهم اظلم من كل ظالم • وهذه الآيات الكريمة كما ترى مقررة لما سبق من
انكار المماثلة بين من كان على بينة من ربه وبين من كان يريد الحيوة الدنيا ابلغ تقرير فانهم حيث كانوا اظلم من كل ظالم
واخسر من كل خاسر لم يتصور مماثلة بينهم وبين احد من الظلمة الاخسرين فما ظنك بالمماثلة بينهم وبين من هو
على مدارج الكمال • ولما ذكر فريق الكفار واعمالهم وبين مصيرهم ومآلهم شرع في بيان حال اضدادهم اعني فريق
المؤمنين وما يؤول اليه امرهم من العواقب الحميدة تكملة لما سلف من محاسنهم المذكورة في قوله تعالى افمن كان
على بينة من ربه الآية ليتبين ما بينهما من التباين البين حالا ومآلا فقيل ان الذين آمنوا اي بكل ما يجب ان يؤمن
به فيندرج تحته ما نحن بصدده من الايمان بالقرآن الذي عبر عنه بالكون على بينة من الله • وانما يحصل ذلك
باستماع الوحي والتدبر فيه ومشاهدة ما يؤدي الى ذلك في الانفس والآفاق • او فعلوا الايمان كما ينبغي ويتبع
وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اي اطمانوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخضوع والتواضع من الخبت
وهي الارض المطمئنة • ومعنى اخبت دخل في الخبت كانجد وانجد دخل في تهامة ونجد اولئك المنعوتون
بتلك النعوت الجميلة اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون • وبعد بيان تباين حاليهما عقلا اريد بيان تباينهما
حسا فقيل مثل الفريقين المذكورين اي حالهما العجيبة لان المثل لا يطلق الا على ما فيه غرابة من الاحوال
والصفات كالاعمى والاصم والبصير والسميع اي كحال هؤلاء فيكون ذواتهم كذواتهم • والكلام وان امكن
ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بالاعمى وبالاصم وتشبيه الفريق الثاني بالبصير والسميع لكن الادخل في
المبالغة والاقرب الى ما يشير اليه لفظ المثل والانسب بما سبق من وصف الكفرة بعدم استطاعة السمع
وبعدم الابصار ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بمن جمع بين العمى والصمم وتشبيه الفريق الثاني بمن جمع
بين البصر والسمع على ان يكون الواو في قوله تعالى والاصم وفي قوله والسميع لعطف الصفة على الصفة
كما في قول من قال الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم • واياما كان فالظاهر
ان المراد بالحال المدلول عليها بلفظ المثل وهي التي تدور عليها امر التشبيه ما يلازم الاحوال المذكورة المعتبرة
في جانب المشبه به من تعامي الفريق الاول عن مشاهدة آيات الله المنصوبة في العالم والنظر اليها بعين الاعتبار
وتصاممهم عن استماع آيات القرآن الكريم وتلقيها بالقبول حسبما ذكر في قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون
وانما لم يراع هذا الترتيب هنا لكون الاعمى اظهر واشهر في سوء الحال من الاصم ومن استعمال الفريق الثاني
لكل من ابصارهم واسماعهم فيما ذكر كما ينبغي المدلول عليه بما سبق من الايمان والعمل الصالح والاخبات حسبما
فسر به فيما مر فلا يكون التشبيه تمثيليا لاجميع الاحوال المعدودة لكل من الفريقين مما ذكر وما يؤدي اليه
من العذاب المضاعف والخسران البالغ في احدهما ومن النعيم المقيم في الآخر فان اعتبار ذلك ينزع الى
كون التشبيه تمثيليا بان ينتزع من حال الفريق الاول في تصاممهم وتعاميهم المذكورين ووقوعهم بسبب
ذلك في العذاب المضاعف والخسران الذي لا خسران فوقه هيئة • فتشبه بهيئة منتزعة ممن
فقد مشعري البصر والسمع فتخبط في مسلكه فوقع في مهاوي الردى ولم يجد الى مقصده سبيلا
وينتزع من حال الفريق الثاني في استعمال مشاعرهم في آيات الله تعالى حسبما ينبغي وفوزهم بدار الخلود
هيئة فتشبه بهيئة منتزعة ممن له بصر وسمع يستعملهما في مهماته فيهتدي الى سبيله وينال مرامه
هل يستويان يعني الفريقين المذكورين • والاستفهام انكاري مقرر لما سبق من انكار المماثلة في قوله عز وجل
افمن كان على بينة الآية مثلا اي حالا وصفة • وهو تمييز من فاعل يستويان افلا تذكرون اي اتشكون في عدم
الاستواء وما بينهما من التباين • او اتغفلون عنه فلا تتذكرونه بالتأمل فيما ضرب لكم من المثل • فيكون
الانكار واردا على المعطوفين معا • او اتسمعون هذا فلا تتذكرون فيكون راجعا الى عدم التذكر بعد
تحقق ما يوجب وجوده وهو المثل المضروب كما في قوله تعالى افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم • فان
المنكر هناك الانقلاب بعد تحقق ما يوجب عدمه من علمهم بخلو الرسل قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
او افلا تعقلون التذكر • او افلا تعقلون • ومعنى الهمزة انكار عدم التذكر واستبعاد صدوره عن
المخاطبين وانه ليس مما يصح ان يقع لا من قبيل الانكار في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه • وقوله تعالى
هل يستويان فان ذلك لنفي المماثلة ونفي الاستواء • ولما بين من فاتحة السورة الى هذا المقام انها كتاب

كتاب محكم الآيات مفصلها نازل في بيان التوحيد وترك عبادة غير الله سبحانه وان الذي انزل
عليه نذير وبشير من جهته تعالى وقوي في تضاعيف ذلك ما له مدخل في تحقيق هذا المرام
من الترغيب والترهيب والزام المعاندين بما يقارنه من الشواهد الحقة الدالة على كونه من
عند الله تعالى وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم مما عراه من ضيق الصدر العارض له من
افتراءاتهم الشنيعة وتكذيبهم له وتسميتهم للقرآن تارة سحرا واخرى مفترى وتثبيته عليه
والمؤمنين على التمسك به والعمل بموجبه على ابلغ وجه وابدع اسلوب شرع في تحقيق ما ذكر
وتقريره بذكر قصص الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين المشتملة على ما اشتمل عليه فاتحة السورة الكريمة
ليتأكد ذلك بطريقين احدهما ان ما امر به من التوحيد وفروعه مما اطبق عليه الانبياء عليهم السلام
قاطبة والثاني ان ذلك انما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي فلا يبقى في حقيته كلام
اصلا وليتسلى بما يشاهد من معاناة الرسل قبله من اممهم ومقاساتهم الشدائد من جهتهم
فقيل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه

من العيون

ومن اظلم ممن افترى اي اختلق على الله كذبا بان له ولدا او معه شريكا او كذب بآياته اي بالقرآن يعني
لا احد اظلم منه اولئك اي المكذبون يعرضون على ربهم حتى يشفعوا اليه يوم القيمة ويسألهم عن اعمالهم
ويقول الاشهاد اي الرسل المبلغون بالرسالة • او الملائكة الحافظون للاعمال هؤلاء الذين كذبوا على ربهم
بان القرآن ليس منه • او بنسبة الولد والشريك له الا لعنة الله اي غضبه وطرده على الظالمين
اي المشركين • ثم نعتهم بالوصف بقوله الذين يصدون اي يصرفون الناس عن سبيل الله اي عن دين الحق
وهو الاسلام ويبغونها اي يطلبون دين الاسلام عوجا اي ميلا عن الاستقامة وهم بالآخرة هم كافرون
اي هم المخصوصون بانكار البعث يوم القيمة • وكرر الضمير تاكيدا لكفرهم وبيانا لاختصاصهم بالكفر
اولئك اي الكاذبون على ربهم لم يكونوا معجزين اي فائتين الله لو اراد عذابهم في الارض
وما كان لهم من دون الله اي من غيره من اولياء اي ناصرين يحفظونهم من عذابه في الدنيا والآخرة
يضاعف لهم العذاب بتشديد العين من التضعيف وبالالف من المضاعفة يعني تزاد
الرؤساء منهم العذاب بكفرهم وبما اضلوا غيرهم قوله ما كانوا بدل من خبر المبتدا وهو اولئك
او هو خبر ثان له اي اولئك لم يكونوا يستطيعون اي يقدرون السمع اي الاستماع الى الحق
وهو كلام النبي صلى الله عليه وسلم لفرط تصاممهم عنه حسدا له وما كانوا يبصرون اي ينظرون الى النبي
صلى الله عليه وسلم من بغضه • ويجوز ان يراد من اولياء آلهتهم • ثم بين نفي كونها اولياء بقوله
ما كانوا يستطيعون السمع على الحقيقة وما كانوا يبصرونه كذلك فكيف يصلح للولاية وقوله يضاعف
لهم العذاب اعتراض بوعيد • ثم اخبر وبال الافتراء يرجع الى انفسهم بقوله اولئك الذين
خسروا انفسهم غبنوها باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى وضل عنهم وغاب ما كانوا
يفترون اي يزعمون ان آلهتهم او الملائكة تشفع لهم عنهم لا جرم اي حقا او لا بد اي
واصل جرم قطع • وقيل لا وجرم بنيا معا على الفتح محله رفع بالابتداء خبره
انهم في الآخرة هم الاخسرون اي الحق كونهم الاخسرين يوم القيمة

من تفسير ابن الجوزي

ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله • وقد مر ما يتعلق به في تفسير سورة الانعام اولئك يعرضون على ربهم يحبسون في الموقف وتعرض اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة والنبيين • جمع شاهد او شهيد كاصحاب واشراف • وانما وصفهم بذلك لانهم يختصون بهذا العرض لان العرض عام في كل العباد كما قال الله تعالى وعرضوا على ربك صفا بل اراد به انهم يعرضون فيفتضحون بقول الاشهاد عند عرضهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم بنسبة الولد والشريك اليه ونفي ما انزله عنه الا لعنة الله على الظالمين من قول الاشهاد او قول الله تعالى اي وردوا ولعنوا بسبب ظلمهم بالكذب على الله تعالى • وفيه تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج • او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد • والعوج الانحراف والميل المؤدي الى الفساد تقول بغيتك خيرا او شرا اي طلبت لك وهم بالآخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالآخرة • وتكرير هم لتاكيد كفرهم واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين اي ما كانوا معجزين الله تعالى في الدنيا ان يعاقبهم • ومعنى معجزين مفلتين لا يقدر عليهم وانما قال في الارض لان تصرف ابن آدم وتمتعه انما هو فيها وهي قصارى ما يستطيع التجاوز منها وما كان لهم من دون الله اثبت ذكر الله هنا واسقط فيما سبق وكان مقتضى الظاهر اثباته ثمة والاكتفاء بالضمير هنا • وانما عدل الى ما وقع احترازا عن اضافة العجز اليه تعالى صريحا

من تفسير النسفي

ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم يحبسون في الموقف وتعرض اعمالهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ويشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكاذبون على الله بانه اتخذ ولدا وشريكا الا لعنة الله على الظالمين الكاذبين على ربهم والاشهاد جمع شاهد كاصحاب وصاحب او شهيد كشريف واشراف الذين يصدون عن سبيل الله يصرفون الناس عن دينه ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد وهم بالآخرة هم كافرون هم الثانية لتاكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض ما كانوا يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما كان لهم من دون الله من اولياء من يتولاهم فينصرهم منها ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم الى هذا اليوم يضاعف لهم العذاب لانهم اضلوا الناس عن دين الله يضعف على وشامي ما كانوا يستطيعون السمع اي استماع الحق وما كانوا يبصرون الحق اولئك الذين خسروا انفسهم حيث اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون للصد والصدود

من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخرهم الى هذا اليوم ليشتد عذابهم فقوله يضاعف لهم العذاب استئناف في مقام التدارك بالجواب للسؤال عن وجه تاخير العقاب والله اعلم بالصواب ما كانوا يستطيعون السمع لفرط تصامهم كراهة استماع الحق كانهم لا يقدرون على استماعه وما كانوا يبصرون لفرط تعاميهم كراهة ابصاره وكانه العلة لمضاعفة العذاب اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الاوثان بعبادة الله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها او خسروا بما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم مذهب الخليل وسيبويه انه ركبت من لا وجرم وبني والمعنى حق وما بعده رفع به على الفاعلية • وقال الكسائي معناه لا صد ولا منع فيكون جرم اسم لا وهو مبني على الفتح انهم في الآخرة هم الاخسرون لما كان خسران النفس اعظم الخسران حكم عليهم بانهم الزائدون في الخسران على كل خاسر من سواهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا ٥

وفي لا جرم اقوال احدها ان لا رد لكلام سابق اي ليس الامر كما زعموا ومعنى جرم كسب وفاعله مضمر وانهم في محل النصب والتقدير كسب قولهم خسرانهم في الآخرة • وثانيها ان لا جرم كلمتان ركبتا فصار معناهما حقا وان في موضع رفع بانه فاعل لحق اي حق خسرانهم • وثالثها ان معناه لا محالة ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم واطمانوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع مشتق من الخبت وهي الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون • مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم • وفريق المؤمنين بالبصير والسميع هل يستويان يعني الفريقين مثلا تشبيها وهو نصب على التمييز افلا تذكرون فتنتفعوا بضرب المثل • انتهى المدارك

ثم اخبر عن حال المؤمنين في الآخرة بقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم واخبتوا اي اطمانوا بالاخلاص الى ربهم اي الى عبادته بالخشوع من الخبت وهو المكان المطمئن اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون اي لا يخرجون ولا يموتون • قيل هذه الآية في شان الصحابة رضي الله عنهم ومن مثلهم من المؤمنين • والآية التي قبلها في شان الكافرين • ثم بين مثلا لكل من الطائفتين تحقيقا للفرق بينهما وعدم تساويهما في الشبه ترغيبا في الايمان وترهيبا عن الكفر فقال مثل الفريقين اي الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم اي كمثلهما وهذا للكافر والواو بينهما كالواو الداخلة بين الصفة والموصوف للتاكيد وكما في قوله والبصير والسميع وكمثلهما للمؤمن هل يستويان اي الفريقان مثلا اي تشبيها تمييز يعني الرجل الذي لا يبصر ولا يسمع بالذي يبصر ويسمع • خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم كفار مكة فقالوا لا يستويان قال افلا تذكرون بالتخفيف والتشديد اي تتعظون بعد العلم بانهما لا يستويان فتؤمنون

انتهى العيون

٥ واخبتوا الى ربهم اطمانوا اليه بالخشوع من الخبت وهو الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر والمؤمن قدم الكافر اعتبارا للسباق كالاعمى والاصم والبصير والسميع شبه فريق الكافرين في عدم انتفاعهم بالمشاعر بالاعمى والاصم • وفريق المؤمنين بالسميع والبصير • والتشبيه يحتمل النظر من قبيل المفرق ويحتمل دقيقه من قبيل المركب لانه ابلغ • والتعبير بالمثل انسب • وذكر ان المقام يحتمل تشبيه الفريقين بالجامع بين العمى والصمم والجامع بين السمع والبصر على ان الواو في والاصم والبصير للجمع بين الصفتين كما في قول الشاعر فالغانم والآيب • وتشبيه احدهما بكل واحد من الاعمى والاصم والآخر بكل واحد من السميع والبصير فيكون كل منهما تشبيهان كما في قوله كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي • وهو من باب اللف والطباق • والوجه هو الاول لان تقسيم الكفار الى مشبه بالاول ومشبه بالثاني وكذلك المؤمنون غير مقصود في الآية بخلاف البيت المذكور بل المراد تشبيه هؤلاء الكفرة الصادين الموصوفين بالتصام عن آيات الله تعالى بحال من خلق اعمى اصم لا ينفعه انذار ولا عيان • وحال هؤلاء الذين امنوا وعملوا الصالحات فانتفعوا باسماعهم وابصارهم اهتداء الى الجنة واكتفاء عما كانوا خابطين فيه من ضلال الكفر والدخنة بحال من هو بصير سميع يستضيء بالانوار في الظلام ويتعين مغانم الانذار والابشار فوزا بالمرام هل يستويان اي الفريقان والاستفهام انكاري مثلا صفة او تشبيها افلا تذكرون بالتامل فيما ضربناه من المثل فالفاء لترتيب الاستفهام التقريري على ما تقدم وتاخيرها لفظا لرعاية ما للاستفهام من حق الصدارة في الكلام انتهى

ابو السعود

ابن كمال رحمه الله

ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير قرئ انى بالكسر على ارادة القول اى فقال او قال انى • وبالفتح فتقديره بانى اى ارسلناه بهذا الكلام فلما اتصل به الباء فتح والمعنى على الكسر كما فتح ان فى قولك ان زيدا كالاسد اذا اتصل الكاف فقيل كان زيدا الاسد والمعنى بحاله مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص عنه ان لا تعبدوا الا الله بدل من انى لكم على قراءة الفتح • وعلى قراءة الكسر ان مفسرة متعلقة بنذير • او بارسلنا • ويجوز ان يكون النفى بان تعبدوا على ان الباء صلة ارسلنا كانه قيل ارسلناه بنهيهم عن الشرك قائلا انى نذير انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم وصفا اليوم باليم من الاسناد المجازى لوقوع الالم فيه كقولهم نهاره صائم فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نريك الا بشرا مثلنا ارادوا به نفى رسالته بطريق البرهان بناء على زعمهم ان الرسول يجب ان يكون ملكا فقوله مثلنا لتحقيق البشرية فقوله وما نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا استدلال بانهم ضعفاء العقول لا تميز لهم • فجوزوا ان يكون الرسول بشرا • والاراذل جمع الارذل بمعنى الاخس فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر والارذل جمع رذل بادى الرأى قرئ بالهمز من بدأ يبدأ بدءا اذا ابتداء اى اول الرأى • وبغير الهمز من بدا يبدو بدوا اذا ظهر اى ظاهر الرأى • نصب على الظرف • والعامل اتبعك اى اتبعوك وقت حدوث اول رأيهم • او وقت حدوث ظاهر رأيهم • فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه • وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحيوة الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم اى لك ولمتبعيك • فغلب المخاطب على الغائبين علينا من فضل التنكير للتقليل فهذا القول منهم يستجمل بان دعوى النبوة باطلة لا دخاله عدم ولكن دار ذلك فى سلك على اسلوب يدل على انهم

نسفى الامام

ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين اى بانى والمعنى ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله انى لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح فى كان والمعنى على الكسر وبكسر الالف شامى ونافع وحمزة على ارادة القول الا تعبدوا الا الله ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم وصف اليوم بالاليم من الاسناد المجازى لوقوع الالم فيه فقال الملأ الذين كفروا من قومه يريد الاشراف لانهم يملؤن القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملاء بالاحلام والاراء الصائبة ما نريك الا بشرا مثلنا ارادوا انه كان ينبغى ان يكون ملكا او ملكا وما نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساؤنا جمع الارذل بادى الرأى وبالهمز ابو عمرو وبغير همز ابو عمرو اى اتبعوك ظاهر الرأى او اول الرأى من بدا يبدو اذا ظهر • او من بدأ يبدأ اذا فعل الشئ اولا • وانتصابه على الظرف اصله وقت حدوث ظاهر رأيهم او اول رأيهم فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه • ارادوا ان اتباعهم لك شئ عن لهم بديهة من غير روية ونظر ولو تفكروا ما اتبعوك وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهر الحيوة الدنيا فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زال عنهم ان التقدم فى الدنيا لا يقرب احدا من الله تعالى وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعفه وما نرى لكم علينا من فضل فى مال ورأى عنوا نوحا واتباعه بل نظنكم كاذبين اى نوحا فى الدعوة وانتم فى الاجابة والتصديق يعنى تواطأتم على الدعوة والاجابة تسببا للرياسة قال يا قوم ارأيتم اخبرونى ان كنت على بينة برهان من ربى منه يشهد لصحة دعواى وآتانى رحمة من عنده يعنى النبوة فعميت عليكم خفيت فعميت حمزة وعلى وحفص اى اخفيت اى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمى على القوم دليلهم فى المفازة بقوا بغير هاد وحقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدى ولا يهدى غيره انلزمكموها اى الرحمة وانتم لها كارهون والواو دخلت هنا تتمة للميم • وعن ابى عمرو اسكان الميم ووجهه ان الحركة كانت خلسة خفيفة فظنها الراوى سكونا وهو لحن لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا فى ضرورة الشعر • انتهى المدارك

اختلاس

التفضيل ليس فضلا عن الارتقاء الى درجة التفضيل بل نظنكم كاذبين اياك فى دعوى النبوة واياهم فى دعوى العلم بصدقك وكانهم اظهروا الاحتراز عن الجزاف والاقتصار على قدر الحاجة ولهذا عدلوا عن دعوى اليقين اى دعوى الظن الكافى فى ايجاب العامل على العاقل بموجبه قال يا قوم ارأيتم اخبرونى ان كنت على بينة من ربى اى حجة شاهدة بصحة دعواى وآتانى رحمة من عنده هى النبوة فعميت عليكم خفيت عليكم البينة لان خفاءها يوجب خفاء النبوة • او النبوة بعد ظهور البينة فحذف للاقتصار والاكتفاء بذكره مرة كقوله بنى ذراعى وجبهة الاسد • ويجوز ان يراد بالبينة الرحمة بمعنى النبوة وقرئ فعميت بالتشديد اى اخفيت • وقرئ فعماها على ان الفعل لله تعالى انلزمكموها انلزمكم على الاهتداء بها جواب ارأيتم سادّ مسدّ جواب الشرط • واذا اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف جاز فى الثانى الاتصال كما وقع هنا والانفصال كما لو قيل انلزمكم اياها وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتأملون فيها انتهى ابن كمال

والمعنى انكم زعمتم ان عهد النبوة لا ينال الا من له فضيلة على سائر الناس مستتبعة لاختصاصه به دونهم اخبرونى ان امتزت بزيادة مزية وحيازة فضيلة من ربى وآتانى بحسبها نبوة من عنده فخفيت عليكم البينة ولم تصيبوها ولم تنالوها ولم تعلموا بحيازتى لها وكونى عليها الى الآن حتى زعمتم انى مثلكم وهى متحققة فى نفسها انلزمكم قبول نبوتى التابعة لها والحال انكم كارهون لذلك فيكون الاستفهام للحمل على الاقرار وهو الانسب بمقام الحاجة وحينئذ يكون كلامه عليه السلام جوابا عن شبهتهم التى ادرجوها فى خلال مقالهم من قولهم ما نرى لكم علينا من فضل بتحرير ان مرادهم بذلك نفى فضله عليه السلام نظرا فى نفسه ان يكون سلما لهم من غير فضل له عليهم وقطعا لشأفة آرائهم الركيكة

ابو السعود رحمه الله

ابو السعود رحمه الله

لقد ارسلنا نوحا الى قومه الواو ابتدائية • واللام جواب قسم محذوف وحرفه الباء لا الواو كما في سورة الاعراف لئلا يجتمع واوان • ولا يكاد يطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها • ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن ادريس عليهما السلام وهو اول نبي بعث بعده • قال ابن عباس رض بعث عليه السلام على رأس اربعين من عمره ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة • وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره الفا وخمسين سنة ١٠٥٠ وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة • وقيل وهو ابن خمسين سنة • وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة ١٤٥٠ اني لكم نذير بالكسر على ارادة القول اي فقال • او قائلا انا • وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالفتح على اضمار حرف الجر • اي ارسلناه ملتبسا بذلك الكلام وهو اني لكم نذير بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في قولك كأن والفتح على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد • والاقتصار على ذكر كونه عم نذيرا لان دعوته عم كانت بطريق الانذار فقط • الا يرى الى قوله عم فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم اطوارا • بل لانهم لم ينتفعوا معا نم اتاني عم مبين اني لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص عنه لان الانذار اعلام المحذور للحجة التخويف والازعاج بل كل المحذور فيتعلق صفته بكلا وصفيه ان لا تعبدوا الا الله اي بان لا تعبدوا على ان ان مصدرية والباء متعلقة بارسلنا ولا ناهية اي ارسلناه ملتبسا بنهيهم عن الشرك الا انه وسط بينهما بيان بعض اوصافه الدعم وهو كونه عم نذيرا مبينا ليكون ادخل في القبول • ولم يفعل ذلك في صدر السورة لئلا يفرق بين الكتاب ومتعلقه بما ليس من احواله واوصافه • او مفسرة متعلقة به • او بنذير • او مفعول لمبين على قراءة الفتح بدل من اني لكم نذير مبين وتعيين لما يوجب وقوع المحذور وتبيين لوجه الخلاص او عبادة الله تعالى وقوله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم تعليل لموجب النهي وتصريح بالمحذور وتحقيق للانذار • والمراد به يوم القيمة • او يوم الطوفان • ووصفه بالاليم على الاسناد المجازي للمبالغة كما في نحو نهاره صائم • وهذه المقالة وما في معناها مما قاله عم في اثناء الدعوة على ما عزي اليه في سائر السور لما لم يصدر عنه عم مرة واحدة بل كان يكررها عليهم في تلك المدة المتطاولة على ما نطق به قوله رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا ولم يزدهم دعائي الا فرارا الخ عطف على فعل الارسال المقارن لها • او القول تبعه جوابهم المتعرض لاحوال المؤمنين الذين اتبعوه عليه السلام بعد اللتيا والتي بالفاء التعقيبية بل قيل قال الملأ الذين كفروا من قومه اي الاشراف منهم • من قولهم فلان مليء بكذا اي مطيق له لانهم ملؤا بكفايات الامور • او لانهم ملؤا القلوب هيبة والمجالس ابهة • او لانهم ملؤا بالاحلام والاراء الصائبة • ووصفهم بالكفر لذمهم والتسجيل عليهم بذلك من اول الامر لا لان بعض اشرافهم ليسوا بكفرة ما نراك الا بشرا مثلنا مرادهم ما انت الا بشر مثلنا ليس فيك مزية تخصك من دوننا بما تدعيه من النبوة ولو كان ذلك لرأيناه لا ان ذلك محقق ولكن نراه وكذا الحال في قولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي فالفعل من رؤية العين • وقوله الا بشرا مثلنا حال من المفعول وكذا قوله اتبعك في موضع الحال منه اما على حاله • او بتقدير قد عند من يشترط ذلك • ويجوز ان يكون من رؤية القلب وهو الظاهر • فهما المفعول الثاني • وتعلق الرأي في الاول بالمثلية لا بالبشرية فقط • وانما لم يثبتوا القول بذلك مع جزمهم به واصرارهم عليه اراءة بان ذلك لم يصدر عنهم جزافا بل بعد التأمل في امره والتدبر فيه • ولذلك اقتصروا على ذكر الظن فيما سيأتي ونقضًا من اول الامر اي المتبعين فكان قولهم فما نراك جواب عما يرد عليهم من انه عم

ان اشترت بل فيما او لسلم ذلك

ويجوز ان يكون المراد بالبينة دليل العقل الذي هو ملاك الفضل وبحسبه يمتاز افراد البشر بعضهم عن بعض وبه مناط الكرامة عند الله عز وجل ● والاجتباء للرسالة وبالكون على التمسك به والثبات عليه وبخفائها على الكفرة على ان يكون الضمير للبينة عدم ادراكهم لكونه ممن علاها بالرحمة النبوة التي انكروا اختصاصه عم بين ظهرانيهم والمعنى انكم زعمتم ان عهد النبوة لا ينال الا من له فضيلة على سائر الناس مستتبعة لاختصاصه به دونهم اخبروني ان اعترفت عنكم بزيادة مزية وحيازة فضيلة من ربي واتاني بحسبها نبوة من عنده فخفيت عليكم تلك البينة ولم تصيبوها ولم تنالوها ولم تعلموا حيازتي لها وكوني الى الحال الان حتى زعمتم اني مثلكم وهي متحققة في نفسها انلزمكم قبول نبوتي التابعة لها والحال انكم لها كارهون لذلك ● فيكون الاستفهام محمل على الاقران وهو الانسب بمقام المحاجة ● وحينئذ يكون رده عليه السلام بشرا قصارى امره ان يكون مثلهم من غير فضل له عليهم وقطعا لشأفة آرائهم الركيكة

انتهى ابو السعود

من العيون للامام السمرقندي رحمه الله

لقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين نزل لتهديد كفار مكة يعني ان لم يتعظوا بما ذكرنا فأنزل عليهم ما نزل بقوم نوح عم اذا ارسلناه الى قومه ملتبسا بالانذار من عذاب الدنيا والاخرة ● وقرئ اني بالفتح اي باني وبالكسر على ارادة القول المتضمن في الرسالة اي ارسلناه اليهم وقال يا قوم اني لكم نذير من الله ذو بيان بلغة تعرفونها

ان لا تعبدوا الا الله وهو بدل من اني اي بان لا توحدوا ولا تطيعوا غير الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم اي مؤلم بالغرق او بالنار يوم القيمة ● قيل بعث نوح عم بعد اربعين سنة او خمسين ● او مائة ● او مائتين وخمسين سنة ومكث فيهم يدعوهم تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره الفا وخمسين سنة فقال الملأ اي الذين يملؤن القلوب هيبة ● صفتهم الذين كفروا من قومه يعني رؤساء وقهر ما نراك يا نوح الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك اي آمن بك الا الذين هم اراذلنا جمع ارذل وهو الدون من كل شئ اي ضعفاؤنا وسفلتنا بادي الرأي اي اوله بالهمزة بعد الدال من بدا اذا فعل ابتداء اي امنوا بك من غير تفكر فيك ● ويترك الهمزة من بدا يبدو اذا ظهر فيما ظهر لنا ● او في وقت ظهور اول رأيهم ● فنصبه على الظرفية بحذف وقت المقدر المضاف وأقيم بادي مقامه وما نرى لكم خطاب لنوح عم ومن امن معه اي ما نعتقد لكم علينا من فضل اي من زيادة شرف علينا في مال وملك توجب كونكم اهلا للنبوة لانكم بشر مثلنا تأكلون وتشربون كما نأكل ونشرب بل نظنكم اي نحسبكم كاذبين في قولكم قال نوح لقومه يا قوم ارأيتم اي اخبروني ان كنت على بينة اي يقين وبصيرة يعني برهان شاهد على صحة دعوى من ربي واتاني اعطاني رحمة اي نعمة وهداية وهي الرسالة من عنده اكراما لي فعميت بالتخفيف معلوما اي خفيت ● وبضم العين والتشديد مجهولا اي خفيت والتبست بعد البينة عليكم تلك البينة انلزمكموها استفهام انكاري اي انكرهكم على قبولها ولا اكراه في الدين واجعلكم مضطرين وانتم لها كارهون لا تريدونها ● قال قتادة لو قدر الانبياء ان يلزموها قومهم لالزموا ولكن لم يقدروا اذ لا يقدر على ذلك الا الله تعالى ● ثم قال نوح عم اخبارا عن شفقته وبيانا لقلة طمعه في اموالهم يا قوم لا اسألكم عليه الخ

انتهى العيون

من انه عليه السلام ليس مثلهم حيث عاينوا دلائل نبوته واغتنم اتباعه ● جمع ارذل فانه صار بالغلبة جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر ● او جمع اراذل جمع رذل كالكلاب جمع اكلب وكلب ● يعنون انه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصالة رأي وقد كان ذلك منهم في بادي الرأي اي ظاهره من غير تعمق من البدو ● او في اوله من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها ● وقد قرأه ابو عمرو بها ● فانتصابه على الظرفية على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الرأي ● والعامل فيه اتبعك ● وانما استرذلوهم مع كونهم اولي الالباب الراجحة لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهر الحيوة الدنيا كان الاشرف عندهم الاكثر منها حظا والارذل من حرمها ولم يفقهوا ان ذلك لا يزن عند الله جناح بعوضة وان النعيم انما هو نعيم الاخرة والاشرف من فاز به والارذل من حرمه نعوذ بالله تعالى من ذلك وما نرى لكم اي لك ولمتبعيك ● فغلب المخاطبين على الغائبين علينا من فضل يعنون ان اتباعهم لك لا يدل على نبوتك ولا يجديكم فضيلة تستتبع اتباعنا لكم ● واقتصارهم هنا على ذكر عدم رؤية الفضل بعد تصريحهم برذالتهم فيما سبق باعتبار حالهم السابق واللاحق ومرادهم انهم كانوا اراذل قبل اتباعهم لك ولا نرى فيهم وفيك بعد الاتباع فضيلة علينا بل نظنكم كاذبين جميعا لكون كلامكم واحدا ودعواكم واحدة ● او اياك في دعوى النبوة واياهم في تصديقك ● واقتصارهم على الظن احترازا منهم عن نسبتهم الى المجازفة ومجاراة معه عليه السلام بطريق الاراءة على نهج الانصاف قال يا قوم ارأيتم اي اخبروني وفيه ايماء الى ركاكة رأيهم المذكور ان كنت على بينة برهان ظاهر من ربي وشاهد يشهد بصحة دعواي هي النبوة ● ويجوز ان يكون هي البينة نفسها جيء بها ايذانا بانها مع كونها بينة من الله تعالى رحمة ونعمة عظيمة من عنده ● فوحد الضمير في قوله تعالى فعميت عليكم حينئذ ظاهر وان اريد بها النبوة وبالبينة البرهان الدال على صحتها فالافراد لارادة كل واحدة منهما ● او لكون الضمير للبينة والاكتفاء بذلك لاستلزام خفائها خفاء النبوة ● او لتقدير فعل اخر بعد البينة ● ومعنى عميت اخفيت ● وقرئ عميت و معناه خفيت ● وحقيقته ان الحجة كما يجعل مبصرة وبصيرة يجعل عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره ● وفي قراءة ابي فعماها عليكم على الاسناد الى الله عز وجل انلزمكموها اي انكرهكم على الاهتداء بها وهو جواب ارأيتم وساد مسد جواب الشرط ● وقرأ ابو عمرو باخفاء حركة الميم ● وحيث اجتمع ضميران منصوبان وقد قدم اعرفهما جاز في الثاني الوصل والفصل فوصل كما في قوله تعالى فسيكفيكهم الله وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتأملون فيها ● ومحصول الجواب اخبروني ان كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة دعواي الا انها خافية عليكم غير مسلمة عندكم أيمكننا ان نكرهكم على قبولها وانتم معرضون عنها غير متدبرين فيها اي لا يكون ذلك ● وظاهره مشعر بصدوره عنه عليه السلام بطريق اظهار اليأس عن الزامهم والقعود عن محاجتهم كقوله ولا ينفعكم نصحي الخ لكنه محمول على ان مراده عليه السلام ردهم عن الاعراض عنها وحثهم على التدبر فيها بصرف الانكار الى الالزام حال كراهتهم لها لا الى الالزام مطلقا هذا ●

فان النبوة اعز من ان ينال باسباب دنيوية ودعواها بمعزل عن ادعاء المال والجاه **ولا اعلم الغيب** اي لا ادعي في قولي اني نذير مبين اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم علم الغيب حتى تسارعوا الى الانكار والاستبعاد **ولا اقول اني ملك** حتى تقولوا ما نراك الا بشرا مثلنا فان البشرية ليست من موانع النبوة بل من مبادئها يعني انكم اتخذتم هذه الامور الثلاثة ذريعة الى تكذيبي والحال اني لا ادعي شيئا من ذلك ولا الذي ادعيه يتعلق بشيء منها وانما يتعلق بالفضائل النفسانية التي بها تتفاوت مقادير الناس **ولا اقول** مساعدة لكم كما تقولون **للذين تزدري اعينكم** اي تستقبحهم وتستحقرهم من زراه اذا عابه واسناد الازدراء الى اعينهم للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الرأي من غير روية لما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم وكمالاتهم قولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا واما للاشعار بان ذلك لقصور نظرهم ولو تدبروا في شأنهم ما فعلوا ذلك اي لا اقول في شأن الذين استرذلتموهم لفقرهم من المؤمنين **لن يؤتيهم الله خيرا** في الدنيا او في الاخرة فعسى الله ان يؤتيهم خيري الدارين • ان قلت هذا القول ليس مما يستنكره الكفرة ولا يتوهم صدوره عنه عليه السلام اصالة او استتباعا كادعاء الملائكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن مما نفاه عليه السلام عن نفسه بطريق التبري والتنزه عنه فمن اي وجه عطف نفيه على نفيها قلت من جهة ان كلا النفيين رد لقياسهم الباطل الذي تمسكوا به فيما سلف فانهم زعموا ان النبوة تستتبع الاذكار وان العثور على مكانها وان العنوان مناطا للخير ليس من قبائل الاراذل فاجاب عنه عليه السلام بنفي ذلك جميعا فكانه قال لا اقول وجود تلك الاشياء من مواجب النبوة ولا عدم المال والجاه من موانع الخير **الله اعلم بما في انفسهم** من الايمان • وانما اقتصر على نفي القول المذكور مع انه عليه السلام جازم بان الله سبحانه سيؤتيهم خيرا عظيما في الدارين وانهم على يقين راسخ في الايمان جريا على سنن الانصاف مع القوم واكتفاء بمخالفة كلامهم وارشادا لهم الى مسلك الهداية بان اللائق لكل احد ان لا يبت القول الا فيما يعلمه يقينا ويبني اموره على الشواهد الظاهرة ولا يجازف فيما ليس فيه على بينة ظاهرة **اني اذا** اي اذا قلت ذلك **لمن الظالمين** لهم بحط مرتبتهم ونقص حقوقهم • او من الظالمين لانفسهم بذلك فان وباله راجع الى انفسهم • وفيه تعريض بانهم ظالمون في ازدرائهم واستذلالهم • وقيل اذا قلت شيئا مما ذكر من ادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن وهو بعيد لان تبعة تلك الاقوال معنية عن التعليل بلزوم الانتظام في زمرة الظالمين **قالوا يا نوح قد جادلتنا** خاصمتنا **فاكثرت جدالنا** اي اطلته او اتيته بانواعه فان اكثار الجدال يتحقق بعد وقوع اصله فلذلك عطف عليه بالفاء • او اردت ذلك فاكثرته كما في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله • ولما حجهم عليه السلام وابرز لهم بينات واضحة المدلول وحججا تتلقاها العقول بالقبول والقمهم الحجر بحيث لم يبق لهم شبهة باطلة ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وقالوا **فاتنا بما تعدنا** من العذاب المعجل • او العذاب الذي اشرت اليه في قولك اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم على تقدير ان لا يكون المراد باليوم يوم القيمة **ان كنت من الصادقين** فيما تقول **قال انما ياتيكم به الله ان** يعني ان ذلك ليس موكولا الي ولا هو مما يدخل تحت قدرتي وانما يتولاه الله الذي كفرتم به وعصيتموه ياتيكم به عاجلا او اجلا ان تعلقت به مشيئته التابعة للحكمة • وفيه ما لا يخفى من تهويل الموعود فكانه قيل الاتيان به امر خارج عن دائرة القوى البشرية وانما يفعله الله عز وجل **وما انتم بمعجزين** بالهرب او بالمدافعة كما تدافعونني في الكلام **ولا ينفعكم نصحي** النصح كلمة جامعة لكل ما يدور عليه الخير من فعل او قول • وحقيقته امحاض ارادة الخير والدلالة عليه ونقيضه الغش • وقيل هو اعلام موقع الغي ليتقى وموضع الرشد ليقتفى **ان اردت ان انصح لكم** شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه والتقدير ان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي وهذه الجملة دليل على ما حذف من جواب قوله **ان كان الله يريد ان يغويكم** والتقدير ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي • هذا ما ذهب اليه البصريون من عدم تقدم الجزاء على الشرط • واما على ما ذهب اليه الكوفيون من جوازه فقوله عز وجل ولا ينفعكم نصحي جزاء للشرط الاول • والجملة جزاء للشرط الثاني • وعلى التقديرين فالجزاء متعلق بالشرط الاول وتعلقه به معلق بالشرط الثاني وهذا الكلام متعلق بقولهم قد جادلتنا فاكثرت جدالنا • صدر عنه عليه السلام اظهارا للعجز عن الزامهم بالحجج والبينات لتماديهم في العناد • وايذانا بان ما سبق منه ليس بطريق الجدال والخصام بل بطريق النصيحة لهم والشفقة عليهم • وبانه لم يأل جهدا في ارشادهم الى الحق

وهدايتهم الى سبيله المستبين وامحاض النصح لهم ولكن لا ينفعهم ذلك عند ارادة الله تعالى لاغوائهم • وتقييد عدم نفع النصح بارادته مع انه محقق لا محالة للايذان بان ذلك النصح منه مقارن للارادة والاهتمام به • ولتحقيق المقابلة بين ذلك وبين ما وقع بازائه من ارادته تعالى لاغوائهم • وانما اقتصر في ذلك على مجرد ارادة الاغواء دون نفسه حيث لم يقل ان كان الله يغويكم مبالغة في بيان غلبة جنابه عز وجل حيث دل ذلك على ان نصحه المقارن للاهتمام به لا يجديهم عند مجرد ارادة الله سبحانه لاغوائهم فكيف عند تحقيق ذلك وخلقه فيهم • وزيادة كان للاشعار بتقدم ارادة الله تعالى زمانا كتقدمه رتبة وللدلالة على تجددها واستمرارها • وانما اقتصر على هذا الكلام ما يتعلق بقولهم فاتنا بما تعدنا من قوله تعالى انما ياتيكم به الله ان شاء ردا عليهم من اول الامر وتسجيلا عليهم بحلول العذاب مع ما فيه من اتصال الجواب بالسؤال • وفيه دليل على ان ارادته تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده غير واقع • وقيل معنى يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم وهلك **هو ربكم** خالقكم ومالك امركم **واليه ترجعون** فيجازيكم على اعمالكم لا محالة • انتهى ابو السعود رحمه الله

من العيون حاصل المعنى خذها ولا تخف

يا قوم لا اسالكم عليه اي على تبليغ الرسالة وانما كنى **مالا** اي اجرا **ان اجري** اي ما ثوابي **الا على الله** ثم كانوا يلتمسون منه طرد المؤمنين ليكفوا عنك حسدا عليهم • او لكونهم فقراء ضعفاء • فقال نوح عم **وما انا بطارد الذين امنوا** اي صدقوا بالله ودينه **انهم ملاقو ربهم** اي صائرون اليه في الميعاد فيشكونني الى الله تعالى ان لم اقبل منهم الايمان واطردهم فيعاقبني لطردي اياهم **ولكني اراكم قوما تجهلون** اي تسفهون على المؤمنين بتسميتهم اراذل الناس • او لا تدركون ما امرتكم به وهو دين الاسلام وما اخبرتكم به من البعث واللقاء **ويا قوم من ينصرني** اي يمنعني **من الله** اي من عذابه **ان طردتهم** عن مجلسي بعد نهي الله بذلك **افلا تذكرون** اي الا تتعظون ولا تفهمون ان من يؤمن بالله لا يطرد **ولا اقول** اي ولا احكم **للذين تزدري** اي على الذين تحتقرهم **اعينكم** من الضعفاء **لن يؤتيهم الله خيرا** اي ايمانا وتوفيقا لجهلي بحالهم كما تقولون انتم ولا على هواكم ومساعدة لكم يعني لا ادعي ما ليس عندي علمه **الله اعلم بما في انفسهم** من التصديق والانكار **اني اذا لمن الظالمين** انفسهم ان قلت شيئا من ذلك • او ان طردتهم ولم اقبل منهم الايمان بسبب جهلي بما في قلوبهم • فلما عجز قومه عن جواب نوح عم **قالوا يا نوح قد جادلتنا** اي خاصمتنا **فاكثرت جدالنا** اي اردت خصامنا يعني غلبتنا بدعائنا ووعظتنا ونحن لا نقبلها **فاتنا بما تعدنا** من العذاب المعجل **ان كنت من الصادقين** بان العذاب ينزل علينا **قال** لهم نوح عم **انما ياتيكم به** اي انما ياتيكم بالعذاب **الله ان شاء** ان يعذبكم **وما انتم بمعجزين** اي بفائتين من عذابه ان شاء تعذيبكم **ولا ينفعكم نصحي** اي نصيحتي ووعظي **ان اردت ان انصح لكم** لتستغفروا من الشرك فتؤمنوا **ان كان الله يريد ان يغويكم** اي يضلكم ويهلككم على الضلالة **هو ربكم** اي خالقكم ومتصرفكم كيف يشاء • ليس له شريك في خلقه **له الحكم** اي الامر كله في الهداية والضلالة **واليه ترجعون** فيجزيكم باعمالكم بعد الموت والبعث • ووجه ترادف الشرطين ان الشرط الثاني جزاؤه ما دل عليه لا ينفعكم نصحي فهو في حكم الجزاء • ثم توسعا فوصل بالشرط الثاني فهذا الشرط مع جزائه يكون في حكم جزاء الشرط المتقدم عليه وكذلك الحكم في كل شرط الى ان ينتهي الشروط السابقة • فلو قال رجل لامرأته انت طالق ان كلمت زيدا ان دخلت الدار ان اكلت خبزا كان تقديره ان اكلت خبزا انت طالق • فلو كلمت ثم دخلت ثم اكلت لم تطلق لكن ان اكلت ثم دخلت ثم كلمت طلقت فيكون تقدير الاية ايضا ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي • فمثل هذه التعليقات حكمها ان يتقدم المؤخر ويتأخر المقدم في الوقوع كما عرفته • ثم قالوا انه افترى من نفسه التوحيد والدعوة اليه ما ارسل لتبليغه فقال عز وجل

ام يقولون افتراه الاية

انتهى العيون رحمه الله

٥٢

ولا اسألكم عليه راجع الى قوله لهم انى لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله • وهذا انما الرجوع الى القول اولى من الرجوع الى المذكور
الاعم فى مقابلة الفعل فالقول الشامل على الانذار هو القابل بالاجر مالا جعلة حتى يتفاوت الحال بسبب كونكم المستجيب فقيرا او غنيا
الجواب عن قولهم ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا ان اجرى الا على الله بالترامه تفضلا لا بالايجاب شرعا او عقلا وما انا
بطارد الذين آمنوا جوابهم حين سألوا وهم ليؤمنوا به انفة من ان يكونوا معهم ولما لوح اليهم ما شكلهم فى امرهم وترددوا فى علته
انهم ملاقوا ربهم اى فائزون بلقاء ربهم وقربه فكيف اطردهم • ويجوز ان يكون جوابا عن قولهم اتبعك بادى الراى اى
اول بظاهر ما ارى فالتفى بظاهر ايمانهم واكل باطنهم الى الله تعالى فانهم ملاقوه فيجازيهم على سرائرهم ولكنى اريكم قوما تجهلون
تذكرك عما تقدم من قولهم ما نراك اى لا حقيقة لما رأيتم بكانكم ما رأيتم فينا شيئا ولكنى اريكم قوما تجهلون ما لا ينبغى
ان يخفى على الرجل من ان الانسان لا يتفاضلون بالاحساب والانساب والاموال بل بالاسباب المفضية الى الاعمال والاحوال •
وقد نأتيك وجه ادراج قوله فى الكلام وادماج دقيقة انيقة فى اثنائه لتقرير المرام ويا قوم تلطف نوح عليه السلام
بقوله يا قوم من ينصرنى من الله يدفع انتقامه منى ان طردتهم وهم بتلك المثابة من القرب والكرامة عند الله تعالى
افلا تذكرون لتعرفوا ان توقيف الايمان على طردهم ليس بصواب ولا اقول لكم عندى خزائن الله خزائن رزقه ونعمه
اى كما لا اسألكم مالا فكذلك لا ادعى انى املك مالا ادفعه لاتباعى
فلا غرض لى فى المال لا اخذا ولا دفعا

تفسير نسفي

ويا قوم لا اسألكم عليه على تبليغ الرسالة لانه مدلول قوله تعالى انى لكم نذير مالا اجرا يثقل عليكم ان اديتم او على ان ابيتم ان اجرى مدنى وشامى وابو عمرو وحفص الا على الله وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سألوا طردهم ليؤمنوا به انفة من المجالسة معهم انهم ملاقوا ربهم فيشكوننى اليه ان طردتهم ولكنى اريكم قوما تجهلون تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم اراذل • او تجهلون لقاء ربكم او انهم خير منكم ويا قوم من ينصرنى من الله من يمنعنى من انتقامه ان طردتهم افلا تذكرون تتعظون ولا اقول لكم عندى خزائن الله فادعى عليكم بالغنى حتى تجحدوا فضلى بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا اعلم الغيب حتى اطلع على ما فى نفوس اتباعى وضمائر قلوبهم • هو معطوف على عندى خزائن اى لا اقول عندى خزائن الله ولا اقول انا اعلم الغيب ولا اقول انى ملك حتى تقولوا لى ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدرى اعينكم ولا احكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا فى الدنيا والآخرة لهوانهم عليه مساعدة لكم ونزولا على هواكم الله اعلم بما فى انفسهم من صدق الاعتقاد وانا على قبول ظاهر اقرارهم اذ لا اطلع على خفى اسرارهم انى اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه واصله تزترى فابدلت التاء دالا

ولا اعلم الغيب حتى اصل الى ما اريده لنفسى ولاتباعى • عطف على لا اقول لكم عندى خزائن الله • وانما لم يأت فيه بنفى القول للفرق الدقيق بينه وبين ما اتى فيه بنفيه • وقد مر بيانه فى تفسير سورة الانعام • واما فائدة تكرار لا انك اذا اكدت به لازالة احتمال المعية فى النفى فقد اذنت انك فى الكلام تحقق بانه على اليقين بعيد عن الشكوك والتجوز ولا اقول انى ملك تعبير به جواب عن قولهم ما انت الا بشر مثلنا • وتبادرة جواب عن طعنهم فيه عليه السلام لمخالطة للفقراء اى لا اتعظم بذلك عليكم بل طريقى الخضوع والتواضع • ومن كان شأنه وطبعه كذلك فانه لا يستنكف عن مخالطة الفقراء والمساكين فكيف جعلتم ذلك عيبا على • ثم اكد هذا بقوله ولا اقول للذين تزدرى اعينكم اى فى شأن من استرذلتموه لفقرهم • الازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وازدرى به قصر به وازدريته اى احتقرته • واسناد الازدراء الى الاعين مجاز للمبالغة والتنبيه على انهم استحقروهم بادى الرؤية من غير روية هلا

يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين فى وعيدك
قال انما يأتيكم به الله ان شاء اى ليس الاتيان بالعذاب الى وانما هو الى من كفرتم به وما انتم بمعجزين اى لم تقدروا
على الهرب منه ولا ينفعكم نصحى هو اعلام موضع الغى ليتقى والرشد ليقتفى ولكنى انى نصحى مكنى ان اردت
ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم ان يضلكم • وهذا شرط دخل على شرط فيكون الثانى مقدما فى الحكم
تقديره ان كان الله يريد ان يغويكم لا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم وهو دليل بين لنا
فى ارادة المعاصى هو ربكم فيتصرف فيكم على قضية ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم انتهى المدارك النسفى

هلا
من غير روية بل بما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم من غير تامل فى معتقداتهم وكمالاتهم لن
يؤتيهم الله خيرا عسى ان يكون ما اعد الله تعالى لهم فى الآخرة او فى الدنيا والآخرة خيرا مما آتيكم من القوم الله
اعلم بما فى انفسهم من الايقان وعدمه انى اذا ان فعلت او قلت شيئا من ذلك لمن الظالمين انفسهم بطرد من
امرت بقبوله قالوا يا نوح قد جادلتنا اى خاصمتنا يقال جادله اذا خاصمه لترجعه عما عليه واصله الجدل
وهو الفتل فاكثرت جدالنا فاطلقه او اتيت بانواعه فاتنا بما تعدنا من العذاب المعجل ان كنت من
الصادقين فى الوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا ولا تفيد قال انما يأتيكم به الله ان شاء اى ليس الاتيان
به الى انما هو الى الذى عصيتموه وكفرتم به فيفعل ان شاء كما شاء عاجلا او آجلا وما انتم بمعجزين بدفع
العذاب او الهرب عنه ولا ينفعكم نصحى النصح الخالص ارادة الخير والدلالة ونقيضه الغش • وقيل هو
اعلام موضع الغى ليتقى والرشد ليقتفى ان اردت ان انصح لكم شرط ودليل جوابه • والجملة دليل جواب
قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم ان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم
نصحى وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل • وانما قال ان اردت ان انصح مع وقوع النصح
استظهارا فى الحجة لانهم ذهبوا الى انه ليس بنصح فقال لو كان نصحا ما نفع من لا يقبله • وفيه دلالة
على ان ارادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده تعالى غير واقع هو ربكم خالقكم ومبقيكم فى
الدنيا الى وقت اهلاككم واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم • انتهى ابن الكمال رحمه الله

ابو السعود رحمه الله

ويا قوم لا اسألكم عليه اى على ما قلته فى اثناء دعوتكم مالا تؤدونه الى بعد ايمانكم واتباعكم لى فيكون ذلك اجرا لى فى مقابلة
اهتدائكم ان اجرى الا على الله الذى يثيبنى فى الآخرة • وفى التعبير عنه حين نسبته اليهم بالمال ما لا يخفى من المزية وما انا
بطارد الذين آمنوا جواب عما لوحوا به بقولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا من انه لو اتبعه الاشراف
لوافقوهم وان اتباع الفقراء مانع لهم عن ذلك كما صرحوا به فى قولهم انؤمن لك واتبعك الارذلون فكان ذلك
التماسا منهم لطردهم وتعليقا لايمانهم به عليه السلام بذلك انفة من الانتظام معهم فى سلك واحد انهم ملاقوا ربهم
تعليل لامتناعه عن طردهم اى انهم فائزون فى الآخرة بلقاء الله عز وجل كانه قيل لا اطردهم ولا ابعدهم عن
مجلسى لانهم مقربون فى حضرة القدس • والتعرض لوصف الربوبية لتربية وجوب رعايتهم وتحتم الامتناع
عن طردهم • او مصدقون فى الدنيا بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة فكيف اطردهم •
وحمله على معنى انهم يلاقونه فيجازيهم على ما فى قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لى • او على خلاف ذلك مما تعرفونه
به من بناء ايمانهم على بادى الراى من غير نظر وتفكر وما على ان اشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى
اطردهم ان كان الامر كما تزعمون يأباه الجزم بترتب غضب الله تعالى على طردهم كما سيأتى • وايضا فهم انما قالوا
ان اتباعهم لك انما هو بحسب بادى الراى بلا تامل وتفكر وهذا لا يكاد يصلح مدارا للطرد فى الدنيا ولا للمؤاخذة
فى الآخرة • غايته ان لا يكونوا فى مرتبة المؤمنين وادعاء ان بناء الايمان على ظاهر الراى يؤدى الى الرجوع عنه
عند التامل فكانهم قالوا انهم اتبعوك بلا تامل فلا يثبتون على دينك بل يرتدون عنه تعسف لا يخفى •
ولكنى اراكم قوما تجهلون بكل ما ينبغى ان يعلم ويدخل فيه جهلهم بلقاء الله عز وعلا وبمنزلتهم عنده وباستيجاب
طردهم لغضب الله كما سيأتى وبركاكة رأيهم فى التماس ذلك وتوقيف ايمانهم عليه انفة عن الانتظام معهم فى
سلك واحد وزعما منهم ان الرذالة بالفقر والشرف بالغنى • وايثار صيغة الفعل للدلالة على التجدد والاستمرار
او تتسافهون على المؤمنين بنسبتهم الى الخساسة ويا قوم من ينصرنى من الله بدفع حلول سخطه عنى ان طردتهم
فانه امر لا مرد له لكون الطرد ظلما موجبا لحلول السخط قطعا • وانما يصرح به اشعارا بانه غنى عن البيان لاسيما عندما ذكر
ما يلوح به من احوالهم فكانه قيل من يدفع عنى غضب الله تعالى ان طردتهم وهم بتلك المثابة من الكرامة والزلفى كما ينبئ
عنه قوله تعالى افلا تذكرون اى اتستمرون على ما انتم عليه من الجهل المذكور فلا تتذكرون ما ذكر من حالهم حتى
تعرفوا ان ما تأتونه بمعزل عن الصواب ويكون هذه العلة مستقلة بوجه مخصوص ظاهر الدلالة على وجوب
الامتناع عن الطرد او غيرت عن التعليل اتيانى وصدرت بيا قوم ولا اقول لكم حين ادعى النبوة عندى
خزائن الله اى رزقه واموله حتى تستدلوا بعدمها على كذبى بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين

هذا ابن الكمال

أم يقولون افتراه قال مقاتل هذا كلام في شأن محمد صلى الله عليه وسلم اعترض في قصة نوح عم وهذا أظهر وأنسب لأنه كالتكرير لقوله أم يقولون افتراه دلالة على كمال العناد وأن مثله بعد الإتيان بالقصة على هذا الأسلوب المعجز لا ينبغي أن ينسب إلى افتراء فجاء زيادة إنكار كأنه قيل بل أمع بهذا البيان أيضا يقولون افتراه نظير اعتراض قوله وإن يكذبوك فقد كذب أمم من قبلك بين قصة إبراهيم على توجيهي قل إن افتريته فعلي إجرامي أي إن تثبت افترائي فعلي عقوبة إجرامي وكان حقي حينئذ أن تعرضوا عني وتعادون وأنا بريء مما تجرمون أي ولم يثبت ذلك بل فرض محال وأنا بريء من افترائكم أي نسبتكم إياي إلى الافتراء وأنما عدل إلى المنزل على طريقة المشاكلة ادماجا لكونهم مجرمين وأن المسئلة معكوسة وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن هذا الاستثناء على طريقة قوله إلا ما قد سلف على ما قيل إنه استثناء من اللفظ للمبالغة في التحريم فلا تبتئس بما كانوا يفعلون أقنطه الله تعالى في إيمانهم على وجه أبلغ ثم نهاه أن يغتم بما استمروا عليه من تجديد التكذيب والاستهزاء • والابتئاس حزن في استكانة واصنع الفلك بأعيننا ملتبسا بأعيننا • ولما كان العين هي الجارحة التي يحفظ الشيء عن تكنى بها عن المبالغة في الحفظ والرعاية عن الاختلال والزيغ في صنعته وعن مزاحمة العدولة وكيك فيما لنتع من عمله على طريقة التمثيل ووحينا إليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا نهي عن التكلم فيهم مبالغة في النهي عن الدعاء في استدفاع العذاب عنهم إنهم مغرقون محكوم عليهم بالإغراق فلا سبيل إلى كفه انتهى ابن الكمال •

ابو السعود

أم يقولون افتراه قال ابن عباس رض يعني نوحا عليه السلام ومعناه بل أيقول قوم نوح أن نوحا افترى ما جاء به مسندا إلى الله عز وجل قل يا نوح إن افتريته بالغرض البحت فعلي إجرامي أي وبال إجرامي وهو كسب الذنب • وقرئ بلفظ الجمع وينصره إن فسره الأولون بآثامي وأنا بريء مما تجرمون من إجرامكم في إسناد الافتراء إلي فلا وجه لإعراضكم عني ومعاداتكم لي • وقال مقاتل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ومعناه بل أيقول مشركو مكة افترى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر نوح عم فكأنه إنما جيء به في تضاعيف القصة عند سوق طرف منها تحقيقا لحقيتها وتأكيدا لوقوعها وتشويقا للسامعين إلى استماعها لا سيما وقد قص منها طائفة متعلقة بما جرى بينه عم وبين قومه من المحاجة وبقيت طائفة مستقلة بعذابهم وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك أي المصرين على الكفر وهو إقناط له عليه السلام من إيمانهم وإعلام لكونه كالمحال الذي لا يصح توقعه إلا من قد آمن إلا من وجد منه ما كان يتوقع من إيمانهم • وهذا الاستثناء على طريقة إلا ما قد سلف فلا تبتئس بما كانوا يفعلون أي لا تحزن حزن بائس مستكين ولا تغتم بما كانوا يتعاطونه من التكذيب والاستهزاء والإيذاء في هذه المدة الطويلة فقد انتهى أفعالهم وحان وقت الانتقام منهم واصنع الفلك ملتبسا بأعيننا أي بحفظنا وكلاءتنا كأن معه من الله عز وجل حفاظا وحراسا يكلؤنه بأعينهم من التعدي من الكفرة ومن الزيغ في الصنعة ووحينا إليك كيف تصنعها وتعليمنا وإلهامنا • وعن ابن عباس رض لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله تعالى إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر • والأمر للوجوب إذ لا سبيل إلى صيانة الروح من الغرق إلا به فيجب كوجوبها هللا

هذا النسفي

أم يقولون افتريه بل أيقولون افتريه قل إن افتريته فعلي إجرامي إن صح إني افتريته فعلي عقوبة إجرامي • يقال أجرم الرجل إذا أذنب وأنا بريء ولم يثبت ذلك وأنا بريء منه ومعنى مما تجرمون من إجرامكم في إسناد الافتراء إلي فلا وجه لإعراضكم ومعاداتكم وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن أقناط من إيمانهم وأنه غير متوقع • وفيه دليل على أن للإيمان حكم التجدد لأنه قال إن الذي آمن يؤمن في حادث الوقت وعلى ذلك يخرج الزيادة التي ذكرت في الإيمان في القرآن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون فلا تحزن حزن بائس مستكين • والابتئاس افتعال من البؤس وهو الحزن والفقر والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك فقد حان وقت انتقامي من أعدائك واصنع الفلك بأعيننا هو في موضع الحال أي اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا بأعيننا كأن الله تعالى معه أعينا تكلؤه أن يزيغ في صنعته عن الصواب ووحينا وإنا نوحي إليك ونلهمك كيف تصنع • وعن ابن عباس رض لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك إنهم مغرقون محكوم عليهم بالإغراق قد قضي به وجف القلم فلا سبيل إلى كفه

انتهى المدارك النسفي

برفع الفلك

أما للتعهد بأن يحمل على أن هذا مسبوق بوحي الله تعالى إليه عليه السلام أنه سيهلكهم بالغرق وينجيه ومن معه ...بسفينة يصنعها بأمره تعالى ووحيه من شأنه كيت وكيت واسمه كذا • وأما الجنس قيل صنعها عليه السلام في سنتين ...في أربعمائة سنة وكانت من خشب الساج • وجعلت ثلاثة بطون حمل في البطن الأول الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الأوسط الدواب والأنعام وفي البطن الأعلى جنس البشر هو ومن معه مع ما يحتاجون إليه من الزاد ...وحمل معه جسد آدم عم • وقيل حمل الأول الدواب والوحوش وفي الثاني الإنس وفي الأعلى الطير • قيل ...طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وسمكها ثلاثين ذراعا • وقال الحسن كان طولها ألفا ومائتي ذراع ...وعرضها ستمائة ذراع • وقيل إن الحواريين قالوا لعيسى عم لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها ...فانطلق بهم حتى انتهى إلى كثيب من تراب فأخذ كفا من ذلك التراب فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب بعصاه فقال قم بإذن الله فإذا هو قائم ينفض التراب ...عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى عم أهكذا هلكت قال لا مت وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة ...فمن ثم شبت فقال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ...طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة للإنس وطبقة للطير ثم قال عد بإذن الله كما كنت فعاد ...ترابا ولا تخاطبني في الذين ظلموا أي لا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم • وفيه من المبالغة ...في لو قيل ولا تدعني فيهم وحيث كان فيه ما يلوح بما يستتبعه أكد التعليل فقيل إنهم مغرقون أي محكوم ...عليهم بالإغراق قد مضى به القضاء وجف القلم فلا سبيل إلى كفه ولزمتهم الحجة فلم يبق إلا أن يجعلوا عبرة للمعتبرين ومثلا للآخرين انتهى

من العيون للإمام السهروردي

أبو السعود رحمه الله

...أم يقولون الاستفهام للتقرير وبزيادة الميم أي قوم نوح افتراه أي اختلقه نوح قل لهم ...يا نوح إن افتريته من ذات نفسي فعلي إجرامي أي عقوبة افترائي وأنا بريء مما تجرمون أي مما تأثمون ...في إسناد الافتراء إلي لإعراضكم ومعاداتكم • وقيل هو خطاب لأهل مكة في تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم ...وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن أقناط له من إيمان قومه سوى من آمن به فدعا عليهم عند ذلك ...لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا • ثم قال تعالى له بعد ندامته على دعائه وتحزنه عليهم فلا تبتئس ...فلا تحزن يا نوح بما كانوا يفعلون أي بسبب فعلهم من تكذيبك وإيذائك فقد حان وقت الانتقام منهم • قيل ...إن قوم نوح كانوا يضربون نوحا حتى يسقط فيلفونه في لبد ويلقونه في بيت يظنون أنه قد مات فيخرج إليهم ...في اليوم الثاني ويدعوهم إلى الله تعالى فقال واصنع الفلك بأعيننا أي بحفظنا وهو في موضع الحال يعني ...اصنعها محفوظا أنت من تزيغ في صنعتك عن الصواب وأن لا يحول بينك وبين عملك أحد من أعدائك • ...وقيل بمنظر منا ووحينا إليك صنعها وقيل بتعليمنا إياها لك قيل لما أمر بعمل الفلك لم يعلم كيف يصنعه فأوحي إليه ...أن اصنعها كجؤجؤ الطائر وهو عظم الصدر منه فأخذه القدوم وجعل يضرب ولا يخطي ولا تخاطبني أي لا تراجعني ...بالكلام في الذين ظلموا أي في إهلاك الكفار من قومك وابنك كنعان وامرأتك إنهم مغرقون أي محكوم عليهم بالغرق

انتهى العيون

ويصنع الفلك حكاية حال ماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل تقديره واخذ يصنع الفلك او اقبل يصنعها فاقتصر على يصنع واياما كان ففيه ملائمة للاستمرار المفهوم من الجملة الواقعة حالا من ضميره اعني قوله وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزأوا به لعمله السفينة اما لانهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها والانتفاع بها فتعجبوا من ذلك وسخروا منه واما لانه كان يصنعها في برية بهماء في ابعد موضع من الماء في وقت عزته عزة شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا وقيل لانه عم كان ينذرهم الغرق فلما طال مكثه فيهم ولم يشاهدوا منه عينا ولا اثرا عدوه من باب المحال ثم لما رأوا اشتغاله باسباب الخلاص من ذلك فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع انكارهم ان يكون لعمله عليه السلام عاقبة حميدة مع ما فيه من تحمل المشاق العظيمة التي لا تكاد تطاق عليه السلام في ذلك والاستجهال قال ان تسخروا منا مستجهلين لنا فيما نحن فيه فانا نسخر منكم اي نستجهلكم فيما انتم عليه واطلاق السخرية عليه للمشاكلة وجمع الضمير في منا اما لان سخريتهم منه عليه السلام سخرية من المؤمنين ايضا او لانهم كانوا يسخرون منهم ايضا الا انه اكتفي بذكر سخريتهم منه عليه السلام ولذلك تعرض الجميع للمجازاة في قوله فانا نسخر منكم الخ فتكافأ الكلام من الجانبين وتعليق استجهاله عليه السلام اياهم بما فعلوا من السخرية باعتبار انها من اخلاقهم وعما فيه عليه السلام اياهم بذلك والا فاستجهاله عليه السلام اياهم جاهلين فيما يأتون ويذرون امر مطرد لا تعلق له بسخريتهم منه لكنه عليه السلام لم يكن يتصدى لاظهاره جريا على الاخلاق الجميلة وانما اظهره جزاء بما صنعوا بعد اللتيا والتي فان سخريتهم كانت مستمرة ومتجددة حسب تجدد مرورهم به ولم يكن يجيبهم في كل مرة والا لقيل ويقول ان تسخروا منا الخ بل انما اجابهم بعد بلوغ اذاهم الغاية كما يؤذن به الاستئناف فكأن سائلا سأل فقال فما صنع نوح عم عند بلوغهم منه هذا المبلغ فقيل قال ان تسخروا منا اي ان تستجهلونا فيما نحن بصدده من التأهب والمباشرة لاسباب الخلاص من العذاب الى الحيل وتسخروا منا لاجله فانا نستجهلكم فيما انتم فيه من الاعراض عن استدفاعه بالايمان والطاعة ومن الاستمرار على الكفر والمعاصي والتعرض لاسباب حلول سخط الله تعالى التي من جملتها استجهالكم ايانا وسخريتكم منا والتشبيه في قوله عز وجل كما تسخرون اما في مجرد التحقق او في التجدد والتكرر حسبما صدر عن ملأ بعد ملأ لا في الكيفيات والاحوال التي لا تليق بشأن النبي عم فكلا الامرين واقع في الحال وقيل نسخر منكم في المستقبل سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة ولعل مراده نعاملكم معاملة من يفعل ذلك لان نفس السخرية مما لا يليق بمنصب النبوة ومع ذلك لا سداد له لان حالهم اذ ذاك مما لا يلائمه السخرية او ما يجري مجراها فتأمل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه عذاب الغرق ويحل عليه حلول الدين المؤجل عذاب مقيم هو عذاب النار الدائم وهو تهديد بليغ ومن عبارة عنهم وهي اما استفهامية في حيز الرفع او موصولة في محل النصب بتعلمون ساد مسد مفعوليه او مفعول واحد ان جعل العلم بمعنى المعرفة ولما كان مدار سخريتهم استجهالهم اياه عليه السلام في مكابدة المشاق الفادحة لدفع ما لا يكاد يدخل تحت الصحة على زعمهم من الطوفان ومقاساة الشدائد في بناء السفينة وكانوا يعدونه عذابا قيل بعد استجهالهم فسوف تعلمون من يأتيه العذاب يعني ان ما اباشره ليس فيه عذاب لاحق بي فسوف تعلمون من المعذب ولقد اصاب العلم بعد استجهالهم محزه ووصف العذاب بالاخزاء لما في الاستهزاء والسخرية من لحوق الخزي والعار عادة والتعرض لحلول العذاب المقيم للمبالغة في التهديد وتخصيصه بالمؤجل وايراد الاول بالاتيان في غاية الجزالة حتى اذا جاء امرنا حتى هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لقوله ويصنع وما بينهما حال من الضمير فيه وسخروا منه جواب كلما وقال استئناف على تقدير سؤال سائل كما ذكرناه وقيل هو الجواب وسخروا منه بدل من مر او صفة لملأ وقد عرفت ان الحق هو الاول لان المقصود بيان تناهيهم في ايذائه عم وتحمله لاذيتهم لا مسارعته عم الى جوابهم كلما وقع منهم ما يؤذيهم من الكلام وفار التنور نبع منه الماء وارتفع بشدة كما تفور القدر بغليانها والتنور تنور الخبز وهو قول الجمهور وروي انه قيل لنوح عم اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب ومن معك في السفينة فلما نبع الماء اخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم عم وكان من حجارة فصار الى نوح وانما نبع منه وهو ابعد شيء من الماء

ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه حين عمل السفينة وكان يعملها في برية بعيدة من الماء اوان عزته استهزاء كانوا يضحكون منه ويقولون يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا والسخر الاستجهال مع الاستهزاء ومصدره سخري وما المصدر من السخرة سخري بكسرها قال ان تسخروا منا فيه تنزيل المحقق منزلة المشكوك تمهيدا لما قصده من تجهيلهم فيما فعلوه فانا نسخر منكم كما تسخرون المراد من سخريته عليه السلام تجديد الاستجهال واطلاق السخرية عليه [illegible]

على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان عمل السفينة في ذلك الموضع او في الهند او في موضع بالشام يقال له عين وردة وعن ابن عباس رض وعكرمة والزهري ان التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر قلنا احمل فيها اي في السفينة وهو جواب اذا من كل اي من كل نوع لا بد منه في الارض زوجين الزوج ما له مشاكل من نوعه فالذكر زوج للانثى كما هي زوج له وقد يطلق على مجموعهما فيقابل الفرد و[illegible] ذلك الاحتمال قيل اثنين كل منهما زوج للآخر وقرئ على الاضافة وانما قدم ذلك على اهله وسائر المؤمنين لكونه عريقا فيما امر به من الحمل لانه يحتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام في تمييز بعضه من بعض وتعيين الازواج فانه روي انه عليه السلام قال يا رب كيف احمل من كل زوجين اثنين فحشر الله تعالى اليه السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى في اليسرى فيجعلها في السفينة واما البشر فانما يدخل الفلك باختيارهم فيخفف فيه معنى الحمل او لانه انما يحمل بما [illegible] البشر وهم انما يدخلونها بعد حملهم اياها واهلك عطف على زوجين او على اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين بسبب ظلمهم في قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا الآية والمراد به ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين والاستثناء منقطع ان اريد بالاهل الاهل ايمانا وهو الظاهر كما ستعرفه او متصل ان اريد به الاهل قرابة ويكفي في صحة الاستثناء المعلومية عند المراجعة الى احوالهم والتفحص عن اعمالهم وجيء بعلى لكون السابق ضارا لهم كما جيء باللام فيما هو نافع لهم في قوله عز وجل ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ومن آمن من غيرهم وافراد الاهل منهم للاستثناء المذكور وايثار صيغة الافراد في آمن محافظة على لفظ من للايذان بقلتهم كما اعرب عنه قوله تعالى وما آمن معه الا قليل قيل كانوا ثمانية نوح عم واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن ابن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وعنه ايضا انهم كانوا عشرة سوى نسائهم وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء واعتبار المعية في ايمانهم للايماء الى المعية في مقر الامان والنجاة انتهى ابو السعود رحمه الله

من العيون للسهروردي

ويصنع الفلك حكاية حال ماضية قيل امر الله تعالى نوحا ان يغرس الاشجار فغرسها اربعين سنة حتى ادركت وقطعها وجففها اربعين سنة ثم اتخذ منها السفينة ثلثين سنة واستأجر اجراء ينحتون معه والواو للحال في وكلما مر عليه ملأ اي جماعة من قومه يعني اشرافهم سخروا منه استهزأوا به ومن عمله السفينة في مكان بعيد من الماء وهو جواب كلما وقالوا يا نوح انك كنت تزعم انك نبي والآن صرت نجارا بعد النبوة ثم استأنف قال ان تسخروا منا اليوم فانا نسخر منكم عند هلاككم بالغرق او عند البعث يوم القيمة كما تسخرون الآن منا وهذا من ازدواج الكلام اذ لا يجوز من الانبياء السخرية فسوف تعلمون من احق بالسخرية ثم اكده بقوله وعيدا لهم من يأتيه عذاب وهو الغرق يخزيه اي يهلكه ويحل اي يجب عليه عذاب مقيم اي دائم وهو عذاب الآخرة فصنعها من خشب الساج وجعل طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وارتفاعها ثلثين ذراعا وكانت ثلث طبقات السفلى للسباع والهوام والوحوش والوسطى للدواب والانعام والعليا للانس وما يحتاج اليه من الزاد وطلاها بالقير قوله حتى اذا جاء امرنا غاية ليصنع اي كان يفعل السفينة الى ان جاء عذابنا الموعود لاهلاكهم وفار التنور الذي يختبز فيه بارتفاع الماء خارجا عنه من ناحية الكوفة قيل كان من حجارة لحواء تختبز فيه فصار الى نوح عم وقيل معناه طلع الفجر وظهر نور الصبح وكان ذلك علامة لركوب السفينة قلنا لنوح عم احمل فيها اي في السفينة من كل زوجين اثنين ذكر تأكيد وقرئ من كل بالتنوين وبالاضافة الى زوجين فمفعول احمل اثنين اي صنفين من الحيوان وهما اللذان لا يستغني احدهما عن الآخر ذكر وانثى فيقال للكل واحد منهما زوج وقيل عند فوران التنور بالماء حشر الحيوان لنوح عم بامره تعالى بعد ما قال يا رب كيف احمله فجعل يضرب بيديه فيقع الذكر في اليمنى والانثى في اليسرى فيلقيهما في السفينة قوله

ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكان يعملها في برية بعيدة من الماء او ان عزة وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه من عمل السفينة فيضحكون منه ويقولون يا نوح صرت نجارا بعدما كنت نبيا • والسخر الاستجهال مع الاستهزاء • ومصدره سخرى والسخرة مصدر من السخرة سخري بكسرها قال ان تسخروا منا فيه تنزيل المحقق منزلة المشكوك تهيينا لما قصدوه فانا نسخر منكم كما تسخرون المراد من سخريته عليه السلام تجهيلهم فيما فعلوه • اي انا نستجهلكم فيما تستجهلونا كم آباءنا بناء على ظاهر الحال وجهلا بحقيقة الامر كما هو عادة الجهال • والسخرية عليه المعنى منه عم في الحال • ومن قال اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة فقد حملها على الحقيقة وكانه فسوف تعلمون تهديد بليغ من ياتيه عذاب يخزيه يعني من ياتيه ايام وبعذاب الغرق في الدنيا ويحل عليه حلول الدين اللازم الذي لا انفكاك له عنه في الاخرة عذاب مقيم دائم هو عذاب حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه • او حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور كما يقول القدر بالغليان اي نبع الماء وارتفع من الارض بشدة الانتفاع • والتنور تنور الخبز • ابتداء منه نبوع على خرق العادة قلنا احمل فيها الغير للسفينة وكانت ذات بطون • والمحمولون كانوا في بطونها على طبقاتهم • من كل زوجين من كل نوع لا بد منه الزوج لا يشكل فالذكر زوج الانثى نعم وقد يطلق الزوج على مجموعهما وترتفع هذا الاحتمال حال اثنين • وانما لم يقل من كل نوع اثنين اخراجا لمثل البغل عن حيز الامر بالحمل لعدم الحاجة اليه • وقرئ من كل زوجين بالاضافة على معنى احمل اثنين من كل زوجين

تفسير نسفي

ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ومن عمله السفينة وكان يعملها في برية في ابعد موضع من الماء وكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعدما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم عند رؤية الهلاك كما تسخرون منا عند رؤية الفلك • روي ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة من خشب الساج في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع او الفا ومائتي ذراع وعرضها خمسون ذراعا او ستمائة ذراع وطولها في السماء ثلثون ذراعا وجعل لها ثلثة بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام معترضا بين الرجال والنساء فسوف تعلمون من ياتيه في محل النصب بتعلمون اي فسوف تعلمون الذي ياتيه عذاب يخزيه ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ويحل عليه وينزل عليه عذاب مقيم وهو عذاب الاخرة حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام ادخلت على الجملة من الشرط والجزاء وهو غاية لقوله ويصنع الفلك اي وكان يصنعها الى ان جاء وقت الموعد • وما بينهما من الكلام حال من يصنع اي يصنعها والحال انه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه وجوابه كلما سخروا • وقال استيناف على تقدير سؤال سائل • او قال جواب وسخروا بدل من مر او صفة لملأ اذا جاء امرنا عذابنا وفار التنور هو كناية عن اشتداد الامر وصعوبته • وقيل معناه جاش الماء من تنور الخبز وكان من حجر لحواء فصار الى نوح عليه السلام • وقيل التنور وجه الارض قلنا احمل فيها في السفينة من كل زوجين اثنين تفسيره في سورة المؤمنين واهلك الا من سبق عليه القول عطف على اثنين وكذا ومن آمن اي واحمل اهلك والمؤمنين من غيرهم • واستثنى من اهله من سبق عليه القول انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا للعلم بانه يختار الكفر وتقدير الله خالق العباد في الكون على خلاف ما اراد وما آمن معه الا قليل قال صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلثة ونساؤهم • وقيل كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة • وقيل كانوا

فاقتصر على يصنع واتيانها كان ففيه ملائمة للاستمرار المفهوم من الجملة الواقعة حالا من ضمير اعني قوله وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزاء به لعمله السفينة اما لانهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية الانتفاع بها

قوله واهلك بنصبه عطف على مفعول احمل اي احمل ولدك وعيالك الا من سبق عليه القول بالهلاك يعني امرأته واعلة وابنه الكافر به كنعان ومن آمن اي واحمل من صدقك انك نبي وما آمن معه اي لم يؤمن مع نوح الا قليل من الناس وقيل ثمانون انسانا نصفهم رجال ونصفهم نساء. وحمل معهم جسد آدم عليه السلام فجعله معترضا بين الرجال والنساء. قال ابن عباس رض اول ما حمل نوح من الذرة وآخر ما حمل الحمار فلما دخل صدره تعلق ابليس بذنبه فلا يستطيع ان تدخل حتى قال نوح عم ويحك ادخل وان كان معك الشيطان فلما دخل قال اخرج عني يا عدو الله قال ما لك بد من ان تحملني معك وكان فيما يزعمون في ظهر الفلك • وروي ان الحية والعقرب اتيا نوحا فقالتا احملنا فقال انكما سبب الضر والبلاء قالتا نحن نضمن لك ان لا نضر احدا ذكرك فمن قرأ حين خاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين ما ضرتاه قال يا رب كيف اصنع بالاسد والبقر وبالعناق والذئب وبالحمام والهرة قال يا نوح من القى بينهم العداوة يؤلف بينهم حتى يتراضوا • وقيل كثرت الفار في السفينة فخافوا على حبالها فاوحى الله اليه ان امسح جبهة الاسد فمسحها فعطس فخرج منها سنوران الذكر والانثى فاهلكا الفار وكثرت العذرة فيها فشكوا الى نوح عم ان امسح ذنب الفيل فمسحه فخرج منه خنزيران فاكلا العذرة فلما علم بهم الماء وعلا دعاهم الى الركوب في السفينة وقال اركبوا فيها

من العيون

كقولك آتيك وقت خفوق النجم

هذا ابن الكمال

وقال اي قال نوح عم لمن آمن معه اركبوا فيها والركوب العلو على ظهر الشيء وهو يتعدى بنفسه فيقال ركبت السفينة وزيادة في انه عم امرهم ان يكونوا في جوفها لا على فوقها بسم الله متعلق باركبوا حال من ضمير الفاعل اي اركبوا مسمين او قائلين بسم الله مجريها ومرسيها نصب على الظرف اي وقت اجرائها وارسائها لانهما اسما زمان النجم ويجوز ان يكونا اسمي مكان وانتصابهما بما في اسم الله من معنى الفعل وارادة القول ويجوز ان يكون بسم الله مجريها ومرسيها جملة من مبتدأ وخبر في موضع الحال من ضمير الفلك اي اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله بمعنى التقدير كقوله تعالى ادخلوها خالدين او جملة تقتضيه على ان نوحا عم امرهم بالركوب فيها ثم اخبرهم بان اجراءها وارساءها باسم الله فيكونان كلامين له يروى انه اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ مجراها ومرساها بفتح الميم من جرى ورسى مصدرين او زمانين او مكانين وقرئ مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجرورين صفتين لله تعالى ان ربي لغفور رحيم لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهي تجري بهم والباء كالتي في قولك دخلت عليه بثياب السفر والجري مرور سريع والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار تلك الحالة العجيبة في موج جمع موجة وهي عظيمة ترتفع عن جملة الماء الكثير عند اضطرابه كالجبال شبه كل موجة بجبل في تراكمها وارتفاعها وفي قول من زعم انه قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه اذ حينئذ لا مجال للموج والحمل على انه في ابتداء الحال يأباه المقام لانه مقام المبالغة في بيان تلك الاهوال ولا وجه للاكتفاء بذكر اوائلها ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه بفتح الهاء اكتفاء بالفتحة عن الالف والضمير لامرأته على انه كان ربيبه وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف

وهذا نسفي

وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها بسم الله متصل باركبوا حالا من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ويجوز ان يكون بسم الله مجريها ومرسيها جملة برأسها غير متعلقة بما قبلها وهي مبتدأ وخبر يعني ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجراها ومرساها بذكر اسم الله تعالى

بسم الله اجراؤها وارساؤها وكان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت وكان اذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست مجريها بفتح الميم وكسر الراء من جرى اما مصدر او وقت حمزة وعلي وحفص (او اسم زمان او وقت جريانها) ان ربي لغفور لمن آمن منهم رحيم حيث خلصهم وهي تجري بهم بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم اي تجري وهم فيها في موج كالجبال يريد موج الطوفان (ارتفاعه) وهو جمع موجة كتمر وتمرة وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه بدخول الرياح الشديد في خلاله شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها ونادى نوح ابنه كنعان وقيل يام والجمهور على انه ابنه وقيل كان ابن امرأته وكان في معزل عن ابيه وعن السفينة مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده معزل عن دين ابيه يا بني بفتح الياء عاصم اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة من قولك يا بنيا غيره بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة اركب معنا في السفينة اي اسلم واركب ولا تكن مع الكافرين قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء يمنعني من الغرق قال لا عاصم اليوم من امر الله الا الراحم وهو الله تعالى او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله اي الا مكان من رحم الله من المؤمنين وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه (يعني السفينة) سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله تعالى ونجاهم يعني السفينة او هو استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن وحال بينهما الموج بين ابنه والجبل او بين نوح وابنه فكان من المغرقين فصار او فكان في علم الله تعالى انتهى المدارك

وكان في معزل المعزل الموضع منقطع عن غيره وكان كنعان في ناحية منفصلة عن موضعه عم يا بني قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت الالف والياء لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة اركب اي اركب السفينة معنا فتنجو وقرئ بادغام الباء في الميم لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين فتهلك حاله كانت ملتبسة عم لان السؤال بانه كيف ساغ الامر بركوبه في السفينة بعد العلم بانه من جملة المستثنى من اهله المأمور بحملهم فقد تم وجه اندفاعه قال ساوي الى جبل عظيم يعصمني من الماء يعني بارتفاعه قال لا عاصم اليوم من امر الله اما قال اليوم لان في سائر الايام توجد عاصم من امر الله على ما نطق به قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله والمراد من امر الله الآفات الواقعة على خلاف العادة الا من رحم اي الا الله الذي قد رحمنا بما امننا من الغرق صح

مما دل عليه انه كان داخلا في الاهل المأمور بحملهم

هذا ابو السعود

صح في العدول من الضمير الى الموصول زيادة تفخيم وتحقيق لرحمته وان رحمته هي المعتصم لا الجبل وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله وحال بينهما الموج بين نوح عم وابنه والجبل لما تالتقريع في قوله فكان من المغرقين اذ لا دخل للحيلولة بينه وبين الجبل في صيرورته من المهلكين بالماء لما ان انه ليس بعاصم انتهى

وقال اي نوح عم لمن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى ان ربي لغفور رحيم لو رحمة التفريع الى الله لما تاب من تعالى ان ربكم ولعل ذلك بعد ادخال ما امر بحمله في الفلك من الازواج كانه قيل فحمل الازواج او ادخلها في الفلك وقال للمؤمنين اركبوا فيها كما سيأتي مثله في قوله تعالى وهي تجري بهم والركوب العلو على شيء متحرك ويتعدى بنفسه واستعماله ههنا بكلمة في ليس لان المأمور به كونهم في جوفها لا فوقها كما ظن فان اظهر الروايات انه عليه السلام جعل الوحوش ونظائرها في البطن الاسفل والانعام في الاوسط وركب هو ومن معه في الاعلى بل لرعاية جانب المحلية المكانية في الفلك والسر فيه ان معنى الركوب العلو على شيء له حركة اما ارادية كالحيوان او قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما فاذا استعمل في الاول يوفر حظ الاصل فيقال ركبت الفرس وعليه قوله عز من قائل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وان استعمل في الثاني يلوح بمحلية المفعول بكلمة في فيقال ركبت في السفينة وعليه الآية الكريمة وقوله عز قائلا فاذا ركبوا في الفلك وقوله تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بسم الله متعلق باركبوا حال من فاعله اي اركبوا مسمين الله او قائلين بسم الله مجريها ومرساها نصب على الظرفية اي وقت اجرائها وارسائها على انهما اسما زمان او مصدران كالاجراء والارساء بحذف الوقت كقولك آتيك خفوق النجم او اسما مكان انتصبا بما في بسم الله من معنى الفعل او ارادة القول ويجوز ان يكون بسم الله مجراها ومرساها مستقلة من مبتدأ وخبر في موضع الحال من ضمير الفلك اي اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله بمعنى التقدير كقوله تعالى ادخلوها خالدين او جملة مقتضبة على ان نوحا امرهم بالركوب فيها ثم اخبرهم بان اجراءها وارساءها باسم الله فيكونان كلامين له عليه السلام قيل كان عليه السلام اذا اراد ان تجري يقول بسم الله فتجري واذا اراد ان ترسو يقول بسم الله فترسو ويجوز ان يكون الاسم مقحما كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ مجريها ومرسيها على صيغة الفاعل مجرورا المحل صفتين لله عز اسمه ومجراها ومرساها بفتح الميم مصدرين او زمانين او مكانين من جرى ورسا ان ربي لغفور للذنوب والخطايا رحيم لعباده ولذلك نجاكم من هذه الطامة والداهية التامة ولولا ذلك لما فعله وفيه دلالة على ان نجاتهم ليست بسبب استحقاقهم لها بل بمحض فضل الله سبحانه وتعالى وغفرانه ورحمته على ما عليه رأي اهل السنة وهي تجري بهم متعلق بمحذوف دل عليه الامر بالركوب اي فركبوا فيها مسمين وهي تجري ملتبسة بهم في موج كالجبال وهو ما ارتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة من ذلك كجبل في ارتفاعها وتراكمها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه كالحوت فغير ثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا او اربعين ذراعا ولئن صح ذلك فهذا الجريان انما هو قبل ان يتفاقم الخطب كما يدل عليه قوله تعالى ونادى نوح ابنه فان ذلك انما يتصور قبل ان ينقطع العلاقة بين السفينة والبر اذ حينئذ يكون جريانها ما جرى بين نوح عم وبين ابنه من المفاوضة بالاستدعاء الى السفينة والجواب بالاعتصام بالجبل وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبة وما يقال من انه كان لغير رشدة لقوله تعالى فخانتاهما فارتكاب عظيمة لا يقادر قدرها فان جناب الانبياء صلوات الله تعالى عليهم وسلامه ارفع من ان يشار اليه باصبع الطعن وانما المراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف حرفها وانت خبير بانه لا يلائمه الاستدعاء الى السفينة فانه صريح في انه لم يقع من حيوته يأس بعد وكان في معزل اي في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه واخوته وقومه بحيث لم يتناوله الخطاب باركبوا واحتاج الى النداء المذكور وقيل في معزل من الكفار قد انفرد عنهم وظن انه يريد مفارقتهم ولذلك دعاه الى السفينة وقيل كان ينافق اباه فظن انه مؤمن وقيل كان يعلم انه كافر الى ذلك الوقت لكنه عليه السلام ظن انه عند مشاهدة تلك الاهوال ينزجر عما كان عليه ويقبل الايمان وقيل ولم يكن الذي تقدم من قوله تعالى الا من سبق عليه القول نصا في كونه داخلا تحته بل كان كالمجمل فحملته شفقة الابوة على ذلك يا بني قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة اركب معنا قراءة ابو عمرو والكسائي وحفص بادغام الباء في الميم

ليتقاربها في الخرج • واما اطلق الركوب عن ذكر الفلك لتعتبلها وللايذان بضيق المقام حيث حال الجريض دون القريض
مع اغناء المعية عن ذكره ولا تكن مع الكافرين اي في المكان وهو وجه الارض خارج الفلك لا في الدين وان كان ذلك مما يوجبه
كما يوجب ركوبه معه عليه السلام كونه معه في الايمان لانه بصدد التحذير عن المهلكة فلا يلائمه النهي عن الكفر قال
سآوي الى جبل من الجبال يعصمني بارتفاعه من الماء زعما منه ان ذلك كسائر المياه في ازمنة السيول
المعتادة التي ربما يتقى منها بالصعود الى الربى وانى له ذلك وقد بلغ السيل الزبى وجهلا بان ذلك انما كان
لاهلاك الكفرة وان لا محيص من ذلك سوى الالتجاء الى ملجأ المؤمنين فلذلك اراد عليه السلام ان يبين له
حقيقة الحال ويصرفه عن ذلك الفكر المحال وكان مقتضى الظاهر ان يجيبه بما ينطبق على كلامه ويتعرض
لنفي ما اثبته للجبل من كونه عاصما له من الماء بان يقول لا يعصمك منه مفيدا لنفي وصف العصمة عنه
فقط من غير تعرض لنفيه عن غيره ولا لنفي الجنس اصلا لكنه عليه السلام حيث قال لا عاصم اليوم من امر الله
سلك طريقة نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد العاصم ذاتا وصفة كما في قولهم ليس فيه داع ولا مجيب
اي احد من الناس للمبالغة في نفي كون الجبل عاصما بالوجهين المذكورين • وزاد اليوم للتنبيه
على انه ليس كسائر الايام التي تقع فيها الوقائع وتلم فيها الملمات المعتادة التي ربما يتخلص من
ذلك بالالتجاء الى بعض الاسباب العادية • وعبر عن الماء في محل الاضمار بامر الله اي عذابه الذي
اشير اليه حيث قيل حتى اذا جاء امرنا تفخيما لشانه وتهويلا لامره وتنبيها لابنه على خطائه في
تسميته ماء وتوهمه انه كسائر المياه التي يتفصى منها بالهرب الى بعض المهارب المعهودة وتعليلا
للنفي المذكور فان امر الله لا يغالب وعذابه لا يرد • وتمهيدا لحصر العصمة في جناب الله عز جاره
بالاستثناء كانه قيل لا عاصم من امر الله الا هو وانما قيل الا من رحم تفخيما لشانه الجليل بالابهام ثم
التفسير وبالاجمال ثم التفصيل واشعارا بعلية رحمته في ذلك بموجب سبقتها على غضبه وكل
ذلك لكمال عنايته عليه السلام بتحقيق ما يتوخاه من نجاة ابنه ببيان شان الداهية وقطع
اطماعه الفارغة وصرفه عن التعلل بما لا يغني عنه شيئا وارشاده الى العياذ بالمعاذ الحق
عز حماه • وقيل لا مكان يعصم من امر الله الا مكان من رحم الله وهو الفلك • وقيل معناه لا عاصم
لكن ذا عصمة الا من رحمه الله تعالى وحال بينهما الموج اي بين نوح وبين ابنه فانقطع ما بينهما من المجاوبة
لا بين ابنه وبين الجبل لقوله فكان من المغرقين اذ هو انما يتفرع على حيلولة الموج بينه
وبين ابنه لا بينه وبين الجبل لانه بمعزل من كونه عاصما وان لم يحل بينه وبين الملتجى اليه
موج • وفيه دلالة على هلاك سائر الكفرة على ابلغ وجه فكان ذلك امرا مقررا الوقوع غير
مفتقر الى البيان • وفي ايراد كان دون صار مبالغة في كونه منهم • انتهى ابو السعود

هذا من العيون للسهروردي

وقال اركبوا فيها اي في السفينة قيل ركبوا فيها يوم الجمعة من عاشر رجب
فاتت السفينة الكعبة فطافت بها اسبوعا • وقيل رفع البيت الذي بناه آدم عم الى السماء
السادسة وهو البيت المعمور وجعل الحجر الاسود على جبل ابي قبيس مودعا له وخرجوا من السفينة
يوم عاشوراء فذلك ستة اشهر قوله بسم الله مجريها جملة اسمية من الخبر المقدم والمبتدأ
ومرساها عطف على المبتدا • كلاهما بفتح الميم والامالة • وبفتحها في الاول مع الامالة دون الثاني
على معنى المصدرين يعني اذا ركبتموها قولوا بسم الله اجراؤها • او جريها وارساؤها وكان
نوح اذا اراد ان يجري السفينة قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو وتثبت قال
بسم الله فرست • ومحل الجملة الاسمية نصب على الحال المقدرة من الضمير في اركبوا اي قائلين
بسم الله اجراؤها وارساؤها • وقيل لفظة اسم صلة اي بالله اجراؤها اي عشية وقفه
ان ربي لغفور رحيم بانجائه وعفوه عن ذنوب المؤمنين وبانجائهم من الغرق فركبوا فيها وهي اي
السفينة تجري بهم وهم فيها في موج اي في ارتفاع الماء واضطرابه • او الموج موج الطوفان
وهو ما علا فوق الماء كالجبال في تراكمها وارتفاعها وعظمها وذلك اذا اشتدت الريح فصار
كل موج كالجبل وذلك قبل هذا قيل تطبيق الماء الارض لم يكن موج صار كل موج كالجبل

واما اذا طبق الماء

ونادى نوح ابنه كنعان وكان في معزل اي في مكان منقطع عن نوح ومن وعن مركب المؤمنين • وقيل
معزل عن دين ابيه يا بني اركب معنا بفتح الياء وبالكسر اقتصارا عليه من بنيا ومن بني بالاضافة
وهو تصغير ابن لامه ياء او واو وحذفت كما في اسم ثم لما جاء بالتصغير رد اللام
وجيء بياء المتكلم فاجتمعت ثلث ياءات فحذفت ياء المتكلم تخفيفا لدلالة الكسرة عليها وكذا
حذفت الالف المبدلة عن ياء الاضافة في بنيا يعني اسلم وادخل في السفينة لتسلم ولا تكن
مع الكافرين اي لا تتخلف معهم بكفرك قال ابن نوح سآوي اي ساصعد الى جبل
يعصمني من الماء اي يمنعني من الغرق ولا اسلم ولا اركب السفينة قال نوح لابنه لا عاصم اليوم
من امر الله اي لا مانع من عذابه اليوم وهو الغرق لا جبل ولا غير الجبل اعظم منه الا من رحم
اي الا الله الراحم من يشاء • ومن في محل الرفع خبر المبتدا • او عاصم بمعنى المعصوم من الغرق
الا من رحمه الله • او الاستثناء منقطع بمعنى لكن من رحمه الله ينجي من الغرق وحال بينهما
الموج اي فرق بين نوح وابنه كنعان الموج • او بين الجبل وابنه فكان اي فصار ابنه من المغرقين
بالماء قيل علا الماء رؤس الجبال بقدر اربعين ذراعا • وقيل خمس عشرة ذراعا وذلك
بعد ما عقمت النساء اربعين سنة • واذن الصغار على دين آبائهم وماتت البهائم
باجالها ثم اهلكوا بالطوفان فاخبر الله تعالى ايا ذلك الى قدرته بقوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك
انتهى العيون

هذا من العيون

وقيل يا ارض ابلعي ماءك اي ادخلي الماء الذي خرج منك فيك ويا سماء اقلعي اي امسكي عن انزال المطر
وكانت قبل ذلك لا تقلع وغيض الماء اي انتقص من غاض اذا نقص وهو متعد ولازم وقضي الامر اي فرغ
من اغراق الكفار ومن انجاء المؤمنين واستوت اي استقرت السفينة على الجودي وهو جبل بارض الجزيرة بقرب
الموصل وقيل بعدا اي هلاكا من بعد بعدا وبعدا للقوم الظالمين اي الكافرين المكذبين برسل الله من رحمة الله
عن قتادة كانت السفينة في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء
فصام نوح عم يوم هبوطه وامر من معه من المؤمنين فصاموا شكرا لله تعالى • وروي ان نوحا عم
بعث الغراب ليأتيه بخبر الارض فوقع على جيفة فلم يرجع فبعث الحمامة فجاءت بورق زيتون في
منقارها ولطخت رجليها بالطين فعلم نوح ان الماء قد نضب فدعا على الغراب بالخوف ولذلك لا يألف البيوت
ودعا للحمامة بالامان فمن ثمة تألف البيوت • وروي انه ما نجا من الكفار من الغرق غير عوج بن عنق
وكان سبب نجاته ان نوحا عم احتاج الى خشب للسفينة فلم يمكنه نقله فحمله عوج اليه من الشام
فانجاه الله من الغرق ونادى اي اراد الدعاء نوح ربه تعالى بالفاء ولو اراد النداء بنفسه لقال
قال بغير فاء استينافا فقال رب ان ابني كنعان من اهلي وان وعدك الحق وقد وعدتني ان تنجيني واهلي
ولا خلف في وعدك وانت احكم الحاكمين اي اعدلهم واعلمهم لان حكمك بالعدل تحكم على قوم بالنجاة
وعلى قوم بالهلاك لحكمة تعلمها ونحن لا نعلمها قال الله تعالى يا نوح انه اي ان ابنك ليس من اهلك الذي
وعدتك ان انجيهم انه عمل غير صالح قرئ بكسر الميم وفتح اللام ونصب غير اي عمل عمل المشركين دون
عمل المؤمنين وبفتح الميم ورفع اللام وتنوينه ورفع غير اي ذو عمل غير صالح • او جعلت ذاته عملا
غير صالح لانه مبالغة في ذمه وهو تعليل لانتفاء كونه من اهله • وقيل الضمير في انه لنداء نوح عم اي
ان سؤالك اياي ان انجيه عمل غير صالح لانه التماس غير صواب وانت لا تعلمه وليس بشيء • وانما لم يعلم
عمل فاسد ليوقن ان النجاة بسبب الصلاح فقط فلا تسألني ما ليس لك به علم اي لا تلتمس مني شيئا
حتى تقف على كنهه بالصواب او بغير الصواب • وذكر السؤال يدل على ان النداء كان قبل ان يغرق
حين خاف عليه • وانما سمي دعاؤه سؤالا مع انه لا سؤال فيه لان دعاءه قد تضمن معنى السؤال لذكره
الموعود لنجاة اهله في وقت مشارفة ولده الغرق • وقرئ بفتح اللام وتشديد النون مكسورة تاكيدا
ارادة العتاب الاضافة وبفتح النون ايضا مشددة باسكان اللام وكسر النون مخففا ثم اكده بقوله
اني اعظك ان تكون من الجاهلين اي امنعك ان تسأل ما لا تعرف كنهه جهلا وغباوة تبعد من الجاهلين
بسؤال نجاة الكافرين او بدعائك اهلاك الكفار ثم بسؤال نجاة كافر منهم • وانما عاتبه ونسبه الى الجهل
مع انه وعد ان ينجي اهله ولم يعلم ان ابنه كافر • ولما ثاني ان ابنه شارف الغرق اشتبه عليه الامر

فاقتضى المقام أن يبنا لإماطة الشبهة لأن تقدير الوعد له بإنجاء أهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم كان مستوجبا أن يعتقد أن في جملة أهله من ليس بناج لكونه غير صالح بلا شبهة فعوتب على أن اشتبه عليه ما يجب عليه أن لا يشتبه والأكثر أنه كان ابن نوح من صلبه لقوله ونادى نوح ابنه وقوله ليس من أهلك يعني من أهل دينك قال ابن عباس رضي الله عنهما ما بغت امرأة نبي قط ولما كان نداء نوح عم ربه متضمنا معنى السؤال قال رب أعوذ بك أن أسألك فيما اليوم ما ليس لي به علم يعني اعصمني واحفظني من سؤال ذلك حتى لا أعود اليه ولا إلى أمثاله وإلا اي وإن لم تغفر لي ما فرط مني من ذلك وترحمني وإن لم ترحمني بالتوبة أكن من الخاسرين أعمالا ۞ قيل هذه عادة الصالحين أنهم إذا وعظوا اتعظوا وإذا نبهوا للخطأ استغفروا وتعوذوا وإنما حكى الله تعالى ما صدر عن الأنبياء من التعوذ والاستغفار بعدهم لتقتدي بهم في ذلك من غير قنوط من رحمته انتهى

هذا أبو السعود

وقيل يا أرض ابلعي أي انشفي استعير له من ازدراد الحيوان ما يأكله للدلالة على أن ذلك ليس كالنشف المعتاد التدريجي ماءك أي ما عليك وجهك من ماء الطوفان دون المياه المعهودة فيها من العيون والأنهار ۞ وعبر عنه بالماء بعد ما عبر عنه فيما سلف بأمر الله تعالى لأن المقام مقام النقص والتقليل لا مقام التفخيم والتهويل ويا سماء أقلعي أي أمسكي عن إرسال المطر ۞ يقال أقلعت السماء إذا انقطع مطرها ۞ وأقلعت الحمى أي كفت وغيض الماء أي نقص ما بين السماء والأرض من الماء ۞ وقضي الأمر أي أنجز ما وعد الله تعالى نوحا من إهلاك قومه وإنجائه بأهله أو أتم الأمر واستوت استقرت الفلك على الجودي هو جبل بالموصل أو بالشام أو بآمل ۞ روي أنه عليه السلام ركب في الفلك في عاشر رجب ونزل عنها في عاشر المحرم فصام ذلك اليوم شكرا فصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين أي هلاكا لهم والتعرض لوصف الظلم للإشعار بعليته للهلاك ولتذكير ما سبق من قوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ۞ ولقد بلغت الآية الكريمة من مراتب الإعجاز قاصيتها وملكت من غرر المزايا ناصيتها ولقد تصدى لتفصيلها المهرة المتقنون ۞ ولعمري إن ذلك فوق ما يصفه الواصفون فحري بنا أن نوجز الكلام في هذا الباب ونفوض الأمر إلى تأمل أولي الألباب والله عنده علم الكتاب ونادى نوح ربه أي أراد ذلك بدليل الفاء في قوله تعالى فقال رب إن ابني من أهلي وقد وعدتني إنجاءهم في ضمن الأمر بحملهم في الفلك ۞ أو النداء على الحقيقة والفاء لتفصيل ما فيه من الإجمال وإن وعدك الحق أي وعدك ذلك أو أن كل وعد تعده حق لا يتطرق إليه خلف فيدخل فيه الوعد المعهود دخولا أوليا وأنت أحكم الحاكمين لأنك أعلمهم وأعدلهم ۞ أو أنت أكثر حكمة من ذوي الحكم على أن الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع ۞ وهذا الدعاء منه عليه السلام على طريقة دعاء أيوب عليه السلام إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ۞ قال يا نوح لما كان دعاؤه عليه السلام بتذكير وعد حل ذكره مبنيا على كون كنعان من أهله نفى أولا كونه منهم بقوله تعالى إنه ليس من أهلك أي ليس منهم أصلا لأن مدار الأهلية هو القرابة الدينية ولا علاقة بين المؤمن والكافر ۞ أو ليس من أهلك الذين أمرتك بحملهم في الفلك لخروجه عنهم بالاستثناء ۞ وعلى التقديرين ليس هو من الذين وعد بإنجائهم ثم علل عدم كونه منهم على طريقة الاستئناف التحقيقي بقوله إنه عمل غير صالح أصله إنه ذو عمل غير صالح فجعل نفس العمل مبالغة كما في قول الخنساء ۞ فإنما هي إقبال وإدبار ۞ وإيثار غير صالح على فاسد إما لأن الفاسد ربما يطلق على ما فسد ومن شأنه الصلاح فلا يكون نصا فيما هو من قبيل الفاسد المحض كالقتل والظلم ۞ وإما للتلويح بأن نجاة من نجا إنما هي لصلاحه ۞ وقرأ الكسائي ويعقوب إنه عمل غير صالح أي عمل عملا غير صالح ۞ ولما كان دعاؤه عليه السلام مبنيا على ما ذكر من اعتقاد كون كنعان من أهله وقد نفى ذلك وحقق ببيان علته فرع على ذلك النهي عن سؤال إنجائه إلا أنه جيء بالنهي على وجه عام يندرج فيه ذلك اندراجا أوليا فقيل فلا تسألني أي إذا وقفت على جلية الحال فلا تطلب مني ما ليس لك به علم أي مطلبا لا تعلم يقينا أن حصوله صواب وموافق للحكمة على تقدير كون ما عبارة عن المسؤول الذي هو مفعول للسؤال أو طلبا لا تعلم أنه صواب على تقدير كونه عبارة عن المصدر الذي هو مفعول مطلق فيكون وإن اختص بحكم في كل معلوم الفساد ومشتبه الحال ۞ ويجوز أن يكون المعنى ما ليس لك علم بأنه صواب أو غير صواب فيكون النهي واردا في مشتبه الحال ويفهم منه حال معلوم الفساد بالطريق الأولى ۞ وعلى التقديرين فهو عام يندرج تحته ما نحن فيه كما ذكرناه ۞ وهذا كما ترى صريح في أن نداءه عليه السلام ربه عز وعلا ليس استفسارا عن سبب عدم إنجاء ابنه مع سبق وعده بإنجاء أهله وهو منهم كما قيل فإن النهي عن استفسار ما لم يعلم غير موافق للحكمة إذ عدم العلم بالشيء داع إلى الاستفسار عنه لا إلى تركه بل هو دعاء منه لإنجاء ابنه حين حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد إما بتقريبه إلى الفلك بتلاطم الأمواج أو بتقريبها إليه

لا

ابنه محمولة في السفينة مع كونه من الكفار الذين ورد البيان في حقهم بذلك فلا يناسب النهي عنه خصوصا مع التقييد ... إني أعظك الوعظ الزجر عن القبيح بما يدعو إلى الجميل على

وقيل أو بإنجائه في قلة الجبل وبإباه تذكر الوعد في الدعاء فإنه مخصوص بالإنجاء في الفلك ۞ وقوله لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وتجدد حيلولة الموج بينهما لا يستوجب هلاكه لتضاد عن العلم به لظهور إمكان عصمة الله تعالى إياه برحمته وقد وعد بإنجاء أهله ولم يكن ابنه مجاهرا بالكفر كما ذكرنا ۞ حتى لا يجوز عليه عليه السلام أن يدعو إلى الفلك أو يدعو ربه لإنجائه واعتزاله عنه عليه السلام وقصده الالتجاء إلى الجبل ليس بنص في الإصرار على الكفر لظهور جواز أن يكون ذلك لجهله بانحصار النجاة في الفلك وزعمه أن الجبل أيضا يجري مجراه ۞ أو لكراهة الاحتباس في الفلك بل قوله سآوي إلى جبل يعصمني من الماء بعد ما قال له نوح عليه السلام ولا تكن مع الكافرين ربما يطمعه عليه السلام في إيمانه حيث لم يقل أكون معهم أو سأوي إلى بعض ما أمر به عليه السلام إلا أنه عليه السلام لو تأمل في شأنه حق التأمل وتفحص عن أحواله في كل ما يأتي ويذر لما اشتبه عليه أنه ليس بمؤمن وأنه المستثنى من أهله ولذلك قيل إني أعظك أن تكون من الجاهلين فتعرض ترك الأولى بذلك ۞ وقرئ فلا تسألن بغير ياء الإضافة وبنون الثقيلة بياء وبغير ياء انتهى أبو السعود

من تفسير المدارك للإمام النسفي

والنظر في هذه الآية من أربع جهات ۞ من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها فنقول إن الله تعالى لما أراد أن يبين معنى أردنا أن نرد ما انفجر من الأرض إلى بطنها فارتد ۞ وأن نقطع طوفان السماء فانقطع ۞ وأن نغيض الماء من السماء فغاض ۞ وأن نقضي أمر نوح وهو إنجاز ما كنا وعدنا من إغراق قومه فقضي ۞ وأن نسوي السفينة على الجودي فاستوت ۞ وأبقينا الظلمة غرقى بنى الكلام على تشبيه المراد بالمأمور الذي لا يتأتى منه لكمال هيبته العصيان ۞ وتشبيه تكوين المراد بالأمر الجزم النافذ في تكوين المقصود تصويرا لاقتداره العظيم ۞ وأن السموات والأرض منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة لإرادته فيها تغييرا وتبديلا كأنها العقلاء المميزون قد عرفوه حق معرفته وأحاطوا علما بوجوب الانقياد لأمره والإذعان لحكمه وتحتم بذل المجهود عليهم في تحصيل مراده ۞ ثم بنى على تشبيه هذا نظم الكلام فقال وقيل يا أرض ابلعي على سبيل المجاز عن الإرادة الواقع بسببها قول القائل وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد وهو يا أرض ويا سماء ۞ ثم قال مخاطبا لها يا أرض ويا سماء على سبيل الاستعارة للتشبيه المذكور ۞ ثم استعار لغور الماء في الأرض البلع الذي هو إعمال الجاذبة في المطعوم للشبه بينهما وهو الذهاب إلى مقر خفي ۞ ثم استعار الماء للغذاء تشبيها له بالغذاء لتقوي الأرض بالماء في الإنبات كتقوي الآكل بالطعام ۞ ثم قال ماءك بإضافة الماء إلى الأرض على سبيل المجاز لاتصال الماء بالأرض كاتصال الملك بالمالك ۞ ثم اختار لاحتباس المطر الإقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم الإتيان ثم قال وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا ولم يصرح بمن غاض الماء ولا بمن قضى الأمر وسوى السفينة وقال بعدا كما لم يصرح بقائل يا أرض ويا سماء سلوكا في كل واحد من ذلك لسبيل الكناية أن تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وأن فاعلها واحد لا يشارك في فعله فلا يذهب الوهم إلى أن يقول غيره تعالى يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي ۞ ولا أن يكون الغائض والقاضي والمسوي غيره تعالى ۞ ثم ختم الكلام بالتعريض تنبيها لسالكي مسلكهم في تكذيب الرسل ظلما لأنفسهم إظهارا لمكان السخط ۞ وأن ذلك العذاب الشديد ما كان إلا لظلمهم ومن جهة علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتأخير فيما بين جملها وذلك أنه اختير يا دون أخواتها لكونها أكثر استعمالا ۞ ولدلالتها على بعد المنادى الذي تستدعيه مقام إظهار العظمة والملكوت وإبداء العزة والجبروت وهو تبعيد المنادى المؤذن بالتهاون به ۞ ولم يقل يا أرضي لزيادة التهاون إذ الإضافة تستدعي القرب ۞ ولم يقل يا أيتها الأرض للاختصار واختير لفظ الأرض والسماء لكونهما أخف وأدور ۞ واختير ابلعي على ابتلعي لكونه أخصر ولتجانس تجنيسه وبين أقلعي ۞ وقيل أقلعي ولم يقل من المطر ۞ وكذا لم يقل يا أرض ابلعي ماءك فبلعت ويا سماء أقلعي فأقلعت اختصارا ۞ واختير غيض على غيض ۞ وقيل الماء دون أن يقال ماء الطوفان ۞ والأمر ولم يقل أمر نوح وقومه لقصد الاختصار والاستغناء بحرف التعهد عن ذلك ۞ ولم سويت على الجودي أي أقرت على نحو قيل وغيض اعتبارا لبناء الفعل للفاعل مع السفينة في قوله وهي تجري بهم إرادة للمطابقة ۞ ثم قيل بعدا للقوم ولم يقل ليبعد القوم طلبا للتأكيد مع الاختصار هنا من حيث النظر إلى تركيب الكلم وأما من حيث النظر إلى ترتيب الجمل فذلك أنه قدم النداء على الأمر فقيل يا أرض ابلعي ويا سماء أقلعي ولم يقل ابلعي يا أرض وأقلعي يا سماء جريا على مقتضى الكلام فيمن كان مأمورا حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الأمر الوارد عقيبه في نفس المنادى قصدا بذلك لمعنى الترشيح ۞ ثم قدم أمر الأرض على أمر السماء وابتدئ به لابتداء الطوفان

فاقتضى المقام ان يسال لإزالة الشبهة لان تعديد الوعد له بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم كان مستوجبا ان يعتقد ان في جملة اهله من ليس بناج [illegible]

فيها ● ثم اتبع وغيض الماء ولا اتصال له بنقصه الماء واخذه بحذفها ● ثم ذكر ما هو المقصود وهو قوله وقضي الامر اي انجز الموعود من اهلاك الكفرة وانجاء نوح ومن معه في الفلك وعلى هذا فاعتبر ومن جهة الفصاحة المعنوية وهي كما ترى نظم للمعاني لطيف وتأدية ملخصة مبينة لا تعقيد يعثر الفكر في طلب المراد ولا التواء يشيك الطريق الى المرتاد ومن جهة الفصاحة اللفظية فالفاظها على ما ترى عربية مستعملة سليمة عن التنافر بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات سلسلة على الاسلات كل منها كالماء في السلاسة وكالعسل في الحلاوة وكالنسيم في الرقة ومن ثم اطبق الفائدون على ان طوق البشر قاصر عن الاتيان بمثله ولله در شان التنزيل لا يتامل العالم من آياته الا ادرك لطائف لا تسع الحصر ولا تظن الآية مقصورة على المذكور فلعل المتروك اكثر من المسطور انتهى

هذا ابن الكمال

وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي التبلع الازدراد ● والمراد به نشف الماء على طريقة الاستعارة لا غور الماء في الارض لان فعل الارض هو النشف دون الغور فانه فعل الماء بطبعه ● والاقلاع اذهاب الشيء من اصله حتى لا يبقى له اثر ● يقال اقلعت السماء اذا ذهب مطرها حتى لا يبقى شيء منها ● شبهت السماء والارض في سرعة انقيادهما لامر ربهما وانفعالهما بفعله فيهما بلا توقف وقبول ما يريد منهما كما تعلق الارادة من غير امتناع بالمامور المطيع لامر المطاع القادر على ما يشاء الذي اذا امر سارع الى الامتثال من غير ريث وبادر الى الطاعة بلا لبث خشية وهيبة من عظمته وجلاله فنودي دينا بما ينادى به العاقل المميز المطلوب اقباله وامر بما يؤمر به المدرك المتفطن لما امر به تنبيها على كمال قدرته ونفاذ ارادته ومشيئته في الكل وغيض الماء من غاضه اذا نقصه وقضي الامر وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت واستقرت السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا اذا صار بعيدا بحيث لا يرجى عوده ● ثم استعير للهلاك ● وخص بدعاء السوء ● وايراد الافعال على الفعل المبني للمفعول للدلالة على عظمة الفاعل وجلال قدره وعلو شانه ● وانه لا يمكن ان يكون تلك الافعال والآثار الا لله الواحد القهار القادر على ما يشاء ويختار ● وانه متعين عند العقل بدليل ابين من اللفظ اذ يستحيل ان يشاركه فيه ولا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ولا ان يقضي ذلك الامر العظيم الهائل بل سواه ولا ان يستقر السفينة بعد اضطرابها الا بامره وتقديره ولا ان يهلك الظلمة ذلك الهلاك العظيم الا بقهره وتدميره ● وقد جمع الآية من فخامة المعنى وجزالة اللفظ وحسن النظم ورصافة التركيب في وضوح الدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي من الاخلال ما تاهت الافهام في محاوره واستقلت به الالباب من كثرة النكات ولطائفها التي يحويه بدائع الطائف والمحاسن التي فيه لا تزال وان كانت تحسن ظاهر الكلام وتزين ديباجة النظام لكنها بالنسبة الى اللطائف المعنوية كالعش من اللباب وكالدرري من صفو الشراب ونادى نوح ربه اريد النداء نفسه ولا دلالة في عطف قوله فقال على تعقيب الارادة فانه من قبيل عطف المفصل على المجمل بل بقوله وجه لتقدير ها لان الاخبار عنه خلوع [illegible] الجمل كقوله رب ان ابني من اهلي الذين وعدتني انجاءهم بالركوب في السفينة هذا الوعد غير مذكور في القرآن صريحا بل يفهم من الامر بحملهم في السفينة وان وعدك الحق وان كل وعد يعد لا يتطرق اليه الخلف وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم فلا يشوب حكمك دخل ولا خلل فترجع ● وهذا ابني قد حرم عن الركوب في السفينة فعرفني التبيين فيه حتى اكون على علم فيسكن قلبي ● ومبنى هذا على زعمه ان ابنه ليس بكافر لما انه كان ينافقه على ما تقدم بيانه وهذا النداء منه عم وان كان بعد مكالمته مع ابنه لكن قوله ساوي الى الجبل الخ لا يدل على كفره لجواز ان يكون ظن ان الصعود على الجبل الشامخ يجيه منجيه وكون السفينة وانه يصونه عن الغرق وبعد اخبار ابيه انه لا عاصم اليوم من امر الله حال الموج بينه وبين ابيه فلم يبق له مجال الركوب ● وانما قلنا انه كان بعد المكالمة لانه لو كان قبله لما ساغ له عليه السلام ان يقول يا بني اركب معنا اذ حينئذ يكون معلوما له عم انه من الذين نهي عن حملهم في السفينة قال يا نوح انه ليس من اهلك لانقطاع الولاية بين المؤمنين والكافرين واشار اليه بقوله انه عمل غير صالح فانه تعليل لنفي كونه من اهله ● وابدل فاسد بغير صالح تصريحا بالمنافاة بين ومنعهما الموجبة لانتفاء القرابة بينهما وتنبيها لما اوجبا النجاة لمن نجا من اهله وايماء الى ان من اهله انما نجا بالصلاح لا بقرابته ● ووجه انه عمل اي عمل عملا غير صالح وجعل ذاته نفس العمل للمبالغة في ذمه واصله ذو عمل فاسد بحذف ذو فلا تسألن قرئ بكسر النون من غير ياء وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء ما ليس لك به علم اي لا تطلب مني ما لا تعلم اصواب هو ام ليس بصواب حتى تبين لك وجه كونه صوابا ● وانما نهاه عن ذلك لتضمن كلامه بتذكير الوعد بنجاة اهله استنجازه في حق ولده وهذا لانه عم لم يكن حينئذ عالما بهلاك ابنه ولا دلالة على هلاكه في حيلولة الموج بينهما واما ظاهر كلامه عم وهو سؤال استفسار عن المانع

محمولة في السفينة مع كونه من اهله الذين ورد البشارة في حقهم بذلك فلا يناسب النهي عنه خصوصا مع التقييد بما ليس لك به علم فانه باعث للاستفسار دون الانكار عند اني اعظك الوعظ الزجر عن القبيح بما يدعو الى الجميل على سبيل الترغيب والترهيب ان تكون من الجاهلين انما سماه جهلا وزجره عنه لانه لما استثنى عند الموعد الا من سبق عليه القول فقد نبهه ان من اهلك من يهلك فكان الواجب عليه ان يوطن نفسه على ان من اهله من تستوجب العذاب وقد دل ظاهر حال ابنه منهم فلا يخصصه في حقه سؤال الاستخبار قبل ان يتبين حاله فعوتب على ذلك بما سؤال الاستفسار وان كان ينتظمه ايضا هذا القول لكن القيد المتقدم ذكره لا يتحمله على ما نبهت عليه ولفا وان ما قيل ان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله الحال واستغناه عن السؤال لكن شغله حب الولد عنه حتى اشتبه عليه الامر فمبناه على ان يكون الاستثناء المذكور من لفظ اهله وقد عرفت ما فيه من الاشكال فانه بعد علمه عليه السلام ان ابنه مستثنى من الذين امر بحملهم في السفينة يكون قوله يا بني اركب معنا عصيانا والاعتذار بما ذكر لا يجدي نفعا

وقيل يا ارض ابلعي ماءك انشفي وتشربي ● والبلع النشف ويا سماء اقلعي امسكي وغيض الماء نقص من غاضه اذا نقصه وهو لازم ومتعد وقضي الامر وانجز ما وعد الله نوحا من اهلاك قومه واستوت واستقرت السفينة بعد ان طافت الارض كلها ستة اشهر على الجودي وهو جبل بالموصل وقيل بعدا للقوم الظالمين اي سحقا لقوم نوح الذين غرقوا يقال بعد بعدا وبعدا اذا ارادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ولذلك اختص بدعاء السوء ونادى نوح ربه فقال رب نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية اهله ان ابني من اهلي اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه ● او كان ربيبا له فهو بعض اهله وان وعدك الحق وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي وانت احكم الحاكمين اي اعلم الحكام واعدلهم اذ لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ● ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب اقضى القضاة ● ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر قال يا نوح انه ليس من اهلك ثم علل لانتفاء كونه من اهله بقوله انه عمل غير صالح وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد منك ● وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها فانما هي اقبال وادبار ● او التقدير انه ذو عمل غير صالح ● وفيه اشعار بانه انما انجى من انجى من اهله لصلاحهم لا لانهم اهله ● وهذا لما انتفى الصلاح لم ينفعه ابوته ● قال الشيخ ابو منصور رحمه الله كان عند نوح ان ابنه كان على دينه لانه كان ينافق والا لا يحتمل ان يقول ان ابني من اهلي ويسأله نجاته وقد سبق منه النهي عن سؤال مثله بقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فكان يسأل على الظاهر الذي عنده كما كان اهل النفاق يظهرون الموافقة لرسولنا صلى الله عليه وسلم ويضمرون الخلاف له ولم يعلم بذلك حتى اطلعه الله عليه ● وقوله تعالى ليس من اهلك اي من الذين وعدت النجاة لهم المؤمنون حقيقة في السر والظاهر فلا تسألن اجتزاء بالكسر عن الياء كوفي تسألني عاصم تسألني مدني تسألن بحذف الياء واثبتها بالكسر والنون نون التاكيد تسألن بن مكي ما ليس لك به علم بجواز مسألته اني اعظك ان تكون من الجاهلين هو كما نهي لرسولنا صلى الله عليه وسلم بقوله فلا تكونن من الجاهلين انتهى المدارك للنسفي

اختلفوا في هذا الابن فقال مجاهد والحسن كان ولد خبيثة من غير نوح ولذلك قال ما ليس لك به علم وقرأ الحسن فخانتاهما ● وقال ابو جعفر الباقر كان ابن امرأته وكان يعلمه نوح عم فلذلك قال من اهلي ولم يقل مني والاكثرون على انه كان ابن نوح عم من صلبه قال ابن عباس رضي ما بغت امرأة نبي قط ● وقوله انه ليس من اهلك اي من اهل دينك لانه كان مخالفا لنوح عم في الدين فخانتاهما اي في الدين والعمل لا في الفراش انتهى معالم التنزيل للامام البغوي

انتهى ابن كمال

واراد نداءه بدليل عطف قوله فقال فاصح

هذا ابن الكمال

قال رب إني أعوذ بك العياذ الاعتصام بما يمنع من الشر أن أسألك أن أطلب منك ما ليس لي به علم بحاله لاحتماله
وهذا توبة منه عليه السلام عن أن يعود إلى مثله في المستقبل تأدبا بتأديب الله تعالى وإلا تغفر لي ما فرط مني وترحمني
بالتفضل علي بقبول توبتي أكن من الخاسرين أعمالا • طلبا المغفرة والرحمة بهذه الطريقة الكنائية أبلغ وأكد
من قولهم اللهم اغفر لي وارحمني لما فيه من قطع الرجاء من غيره تعالى مع إخباره أنه لا يهلك أحد ذكر عنه
بخلاف ما صرح فيه بالطلب قيل يا نوح اهبط أي انزل من الجبل إلى قرار الأرض • فالهبوط نزول من
أعلى مكان إلى ما دونه بسلام منا أي تحية كما قال تعالى سلام على نوح في العالمين • وقيل أي بسلامة من
الآفات وبركات عليك جمع بركة وهو ثبوت الخير ونماؤه • وهي في حقه عليه السلام تكثير ذريته وأتباعه
وسائر المنافع لما كان الطوفان عاما فعندما خرج نوح عم من السفينة علم أنه ليس في الأرض ما ينتفع به من
النبات والحيوان فكان كالخائف في أنه كيف يعيش وكيف يدفع جميع الحاجات عن نفسه من المأكول والمشروب
فأزال الله تعالى ذلك الخوف عنه بالبشارة بحصول السلامة
عن الآفات وسعة الرزق والمهمات وعلى أمم ممن معك
من للابتداء الغاية أي أمم ناشئة
ممن معك في السفينة إلى آخر الدهر •
ويجوز أن يكون للبيان ويراد الأمم
الذين كانوا معه في السفينة لأنهم كانوا
جماعات • أو لأن الأمم تتشعب منهم
وأمم مبتدأ سنمتعهم صفة له
والخبر محذوف دل عليه ممن معك أي
وممن معك أمم سنمتعهم • والملخص
أن أمما ناشئة ممن معه بالسلام والبركات
وهم المؤمنون المتناسلون إلى أن منهم أمما
ممتعين في الدنيا معذبين في الآخرة وهم
الكافرون • وقيل هم قوم هود وصالح
ولوط وشعيب عليهم السلام • ومحلها
الرفع بالابتداء وخبرها ثم يمسهم منا
عذاب أليم ما نزل بهم تلك إشارة
إلى قصة نوح عم ومحلها الرفع بالابتداء
وخبرها من أنباء الغيب أي بعض نوحيها
إليك خبر ثان والضمير لها أي موحاة
إليك • أو حال من الأنباء • أو هو الخبر
ومن أنباء متعلق به • أو حال من الهاء
ما كنت تعلمها أنت ولا قومك خبر آخر
أي مجهول عندك وعند قومك من
قبل هذا من قبل إيحائنا إليك • أو حال
من الهاء في نوحيها • أو الكاف في إليك
أي جاهلا أنت وقومك بها • والفائدة
في قوله ولا قومك أن قومك مع كثرتهم
لم يسمعوا علم القصص والأخبارات
وأنت أحدهم فلم يكن تعلمك منهم و
لا بمخالطة غيرهم فما علمت إلا بالوحي
فاصبر على أداء الرسالة وأذى قومك
كما صبر نوح عم وتوقع في العاقبة لك ولمن تبعك ما حصل له ولقوله إن العاقبة بالظفر في الدنيا والفوز في
للمتقين عن الكفر والمعاصي

ابو المعين النسفي

قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم أي من أن أطلب
منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدبا بأدبك واتعاظا بموعظتك
وإلا تغفر لي ما فرط مني وترحمني بالعصمة عن العود إلى مثله أكن من
الخاسرين • قيل يا نوح اهبط بسلام منا بتحية منا أو سلامة من
الغرق وبركات عليك هي الخيرات النامية وهي في حقه بكثرة ذريته
وأتباعه • فقد جعل أكثر الأنبياء من ذريته وأئمة الدين في القرون
الباقية من نسله وعلى أمم ممن معك من للبيان فتراد الأمم الذين
كانوا معه في السفينة لأنهم كانوا جماعات • أو للابتداء الغاية أي على
أمم ناشئة ممن معك وهي الأمم إلى آخر الدهر وهو الوجه وأمم
سنمتعهم في الدنيا بالسعة في الرزق والخفض في العيش صفة
والخبر محذوف تقديره وممن معك أمم سنمتعهم • وإنما حذف لأن
ممن معك يدل عليه ثم يمسهم منا عذاب أليم في الآخرة •
والمعنى أن السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشؤون
ممن معك وممن معك أمم ممتعون في الدنيا منقلبون إلى النار
والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة • وعن محمد بن
كعب دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة وفيما بعده
من المتاع والعذاب كل كافر تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت
تعلمها أنت ولا قومك أخبار أي تلك القصة بعض أنباء الغيب موحاة
إليك مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا الوقت أو من قبل
إيحائي إليك وإخبارك بها فاصبر على تبليغ الرسالة وأذى قومك
كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما كان لنوح
ولقومه إن العاقبة في الفوز والنصر والغلبة للمتقين عن الشرك

ابو السعود افندی

قال رب إني أعوذ بك أن أسألك أي أطلب منك من بعد ما ليس لي به علم أي مطلوبا لا أعلم أن حصوله
مقتضى الحكمة • أو طلبا لا أعلم أنه صواب سواء كان معلوم الفساد أو مشتبه الحال • أو لا أعلم أنه صواب
أو غير صواب على ما مر • وهذه توبة منه عليه السلام مما وقع منه • وإنما لم يقل أعوذ بك منه أو من
ذلك مبالغة في التوبة وإظهارا للرغبة والنشاط فيها وتبركا بذكرها لقنه الله تعالى وهو أبلغ من
أن يقول أتوب إليك أن أسألك لما فيه من الدلالة على كون ذلك أمرا هائلا محذورا لا محيص
منه إلا بالعوذ بالله تعالى • وأن قدرته قاصرة عن النجاة من المكاره إلا بذلك وإلا تغفر لي ما صدر عني
من السؤال المذكور وترحمني بقبول توبتي أكن من الخاسرين أعمالا بسبب ذلك فإن الذهول
عن شكر الله تعالى لا سيما عند وصول مثل هذه النعمة الجليلة التي هي النجاة وهلاك الأعداء والاشتغال
بما لا يعني خصوصا بمبادي خلاص من قيل في شأنه إنه عمل غير صالح • والتضرع إلى الله تعالى
في أمره معاملة غير رابحة وخسران مبين • وتأخير ذكر هذا النداء عن حكاية الأمر الوارد على
الأرض والسماء وما يتلوه من زوال الطوفان وقضاء الأمر واستواء الفلك على الجودي والدعاء
بالهلاك على الظالمين مع أن حقه أن يذكر عقيب قوله تعالى فكان من المغرقين حسبما وقع في الخارج
إذ حينئذ يتصور الدعاء بالإنجاء لا بعد العلم بالهلاك ليس لما قيل من استقلاله بغرض مهم
هو جعل قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وأن لا يقدم في الأمور الدينية الأصولية إلا بعد
اليقين قياسا على ما وقع في قصة البقرة من تقديم ذكر الأمر بذبحها على ذكر القتيل الذي هو
أول القصة وكان حقه أن يقال وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه
ببعضها كما قرر في موضعه فإن تغيير الترتيب هناك للدلالة على كمال سوء حال اليهود بتعديد
جناياتهم المتنوعة وتثنية التقريع عليهم بكل نوع على حدة فقوله تعالى وإذ قال موسى لقومه
إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة الخ لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع
ذلك وقوله فقتلتم نفسا الخ للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الأمور العظيمة
ولو قصت القصة على ترتيبها لفات الغرض الذي هو تثنية التقريع ولظن أن المجموع تقريع
واحد وأما ما نحن فيه فليس مما يمكن أن يراعى فيه مثل تلك النكتة أصلا وما ذكر من جعل القرابة
الدينية غامرة للقرابة النسبية إلخ لا يفوت على تقدير سوق الكلام على ترتيب الوقوع أيضا
بل لأن ذكر هذا النداء كما ترى مستدع لذكر ما مر من الجواب المستدعي لذكر ما مر من توبته عليه السلام
المؤدي ذكرها إلى ذكر قبولها في ضمن الأمر الوارد بنزوله عليه السلام من الفلك بالسلام والبركات
الفائضة عليه وعلى المؤمنين حسبما يجيء مفصلا ولا ريب في أن هذه المعاني آخذ بعضها بحجزة
بعض بحيث لا يكاد يفرق بين الآيات الكريمة المنطوية عليها بعضها من بعض وأن ذلك إنما يتم بتمام
القصة ولا ريب أن ذلك إنما يكون بتمام الطوفان فلا جرم اقتضى الحال ذكر تمامها قبل هذا النداء
وذلك إنما يكون عند ذكر كون كنعان من المغرقين ولهذه النكتة ازداد حسن موقع الإيجاز البليغ
وفيه فائدة أخرى هي التصريح بهلاكه من أول الأمر ولو ذكر النداء الناشئ عقيب قوله فكان
من المغرقين لربما توهم من أول الأمر إلى أن يرد قوله إنه ليس من أهلك الخ أنه ينجو بدعائه عم
فنص على هلاكه من أول الأمر ثم ذكر الأمر الوارد على الأرض والسماء الذي هو عبارة عن تعلق
الإرادة الربانية الأزلية بما ذكر من الغيض والإقلاع وبين بلوغ أمر الله محله وجريان
قضائه ونفوذ حكمه عليهم بهلاك من هلك ونجاة من نجا بتمام الطوفان واستواء الفلك
على الجودي فقصت القصة إلى هذه المرتبة وبين ذلك أتم بيان ثم تعرض لما وقع في
تضاعيف ذلك مما جرى بين نوح وبين رب العزة جلت حكمته فذكر بعد توبته عم
قبولها بقوله قيل يا نوح اهبط

قيل يا نوح اهبط اى انزل من الفلك • وقرئ بضم البا، بسلام ملتبسا بسلامة من المكاره كائنة منا او بسلام وتحية منا عليك كما قال سلام على نوح في العالمين وبركات عليك اى خيرات نامية في نسلك وما يقوم به معاشك ومعاشهم من انواع الارزاق وقوى بركة • وهذا اعلام وبشارة من الله تعالى بقبول توبته وخلاصه من الخسران بفيضان انواع الخيرات عليه في كل ما ياتى ويذر • وعلى امم ناشية ممن معك متشعبة منهم • من ابتدائية والمراد الامم المؤمنة المتناسلة ممن معه الى يوم القيمة وامم سنمتعهم اى ومنهم على انه خبر حذف لدلالة ما سبق عليه فان ارادة الامم المبارك عليهم المتشعبة منهم نكرة يدل على ان بعض من يتشعب منهم ليسوا على صفتهم يعنى ليس جميع من تشعب منهم مسلما عليهم ومباركا عليه بل منهم امم ممتعون في الدنيا معذبون في الاخرة • وعلى هذا لا يكون الكائنون مع نوح عم مسلما عليهم ومباركا صريحا • وانما يفهم ذلك من كونهم مع نوح عم ومن كون ذريتهم كذلك بدلالة النص • ويجوز ان يكون من بيانية اى وعلى امم هم الذين معك • وانما سموا امما لانهم امم متحزبة وجماعات متفرقة • او لان جميع الامم انما تشعبت منهم فحينئذ يكون المراد بالامم المشار اليهم في قوله تعالى وامم سنمتعهم بعض الامم المتشعبة منهم وهي الامم الكافرة المتناسلة منهم الى يوم القيمة وتبقى امم الامم المؤمنة الناشية منهم مبهما غير متعرض له ولا مدلول عليه ومع ذلك ففي دلالة المذكور على خبر المحذوف خفاء لان من المذكورة بيانية والمحذوفة تبعيضية او ابتدائية فتامل ثم يمسهم اما في الاخرة او في الدنيا ايضا منا عذاب اليم عن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر • وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب • وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وبالعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى ما قص من قصة نوح عليه السلام اما لكونها بتقضيها في حكم البعيد او للدلالة على بعد منزلتها وهي مبتدا خبره من انباء الغيب اى من جنسها اى ليست من قبيل سائر الانباء بل هي نسيج وحدها متفردة عما عداها او بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اى موحاة اليك • او هو الخبر ومن انباء متعلق به والتعبير بصيغة المضارع لاستحضار الصورة • او حال من انباء الغيب اى موحاة اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك خبر اخر اى مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا اى من قبل ايحائنا اليك واخبارك بها • او من قبل هذا العلم الذى كسبته بالوحى • او من قبل هذا الوقت • او حال من الهاء في نوحيها • او الكاف في اليك اى جاهلا انت وقومك بها • وفي ذكر جهلهم تنبيه على انه عم لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يعلموه فكيف يؤخذ منهم فاصبر متفرع على الايحاء • او العلم المستفاد منه المدلول عليه بقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا اى واذ قد اوحيناها اليك او علمتها بذلك فاصبر على مشاق تبليغ الرسالة واذية قومك كما صبر نوح على ما سمعته من انواع البلايا في هذه المدة المتطاولة • وهذا ناظر الى ما سبق من قوله تعالى ولعلك تارك بعض ما يوحى اليك الخ ان العاقبة بالظفر في الدنيا وبالفوز في الاخرة للمتقين كما شاهدته في نوح عم وقومه وكذا فيه اسوة حسنة وهي تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليل للامر بالصبر فان كون العاقبة الجميلة للمتقين وهو اقصى درجات التقوى والمؤمنون كلهم متقون مما يسليه صلى الله عليه وسلم ويهون عليه الخطوب

الخطوب ويذهب عنه ما عسى يعتريه من ضيق صدر • وهذا على تقدير ان يراد بالتقوى الدرجة الاولى منه التي هي التوقي من العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله والزمهم كلمة التقوى • ويجوز ان يراد الدرجة الثالثة منه وهي ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فان التقوى بهذا المعنى منطو على الصبر المذكور فكانه قيل فاصبر فان العاقبة للصابرين

انتهى ابو السعود رحمه الله

من العيون للامام السهروردي

رب انى اعوذ بك ان اسئلك بعد اليوم ما ليس لى به علم يعنى اغفر لى واحفظنى من سؤال ذلك حتى لا اعود اليه والى امثاله والا اى وان لم تغفر لى ما فرط منى من ذلك وترحمنى وان لم ترحمنى بالتوبة اكن من الخاسرين اعمالا قيل هذه عادة الصالحين انهم اذا وعظوا اتعظوا واذا نبهوا للخطاء استغفروا وتعوذوا وانما حكاه الله تعالى ما صدر من الانبياء من التعوذ والاستغفار بعدهم ليقتدى بهم في ذكر من غير قنوط من رحمته قوله تعالى قيل يا نوح اهبط بسلام منا خطاب لنوح عم بالهبوط من السفينة بعدما استوت على الجودى اى انزل من السفينة مسلما محفوظا من الغرق من جهتنا وبركات اى بخيرات ناميه وسعادات كاملة عليك وعلى امم ممن معك في السفينة لانهم كانوا امما مختلفة بكثرة التوالد والتناسل • ومن للبيان • والسلام والبركة تختص لمن كان معه • ويجوز ان يكون من ابتدائية بمعنى وعلى امم ناشية ممن معك فيعم السلام جميع المؤمنين الى يوم القيمة قوله وامم مبتدا صفته سنمتعهم خبره محذوف مع معك بتقدير التقدير على امم يعنى ينشا من الذين معك امم يتمتعون في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم في الاخرة فدخل في التمتيع والعذاب كل كافر وكافرة الى يوم القيمة قيل مات الامم الذين كانوا معه في السفينة ولم يبق منهم نسل الا من اولاد نوح سام وهو ابو العرب والفرس واكثر الناس والعجم والروم • وحام وهو ابو السودان والزنج ونوبة • ويافث وهو ابو الترك والخزر وياجوج وماجوج لقوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين قوله تعالى تلك خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى ما سبق ذكره من اخبار نوح وقومه يا محمد من انباء الغيب اى من اخبار ما غاب عنك نوحيها اليك بجبرئيل ما كنت تعلمها انت ولا قومك كفار مكة من قبل هذا اى قبل نزول القران اليك فاصبر على القيام بامر الله تعالى وعلى تكذيبهم كما صبر نوح على تكذيب قومه ان العاقبة اى اخر الامر بالسعادة والنصرة للمتقين اى للموحدين المطيعين بالتقوى انتهى العيون

والى عاد متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ارسلنا في قصة نوح عم وهو الناصب لقوله تعالى اخاهم اي وارسلنا الى عاد
اخاهم واحدا منهم في النسب كقولهم يا اخا العرب • وتقديم المجرور على المنصوب ههنا للحذار عن الاضمار قبل الذكر
وقيل متعلق بالفعل المذكور فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا وقد مر في سورة الاعراف وقوله هودا عطف بيان
لاخاهم وكان عليه السلام من جملتهم فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن العوص بن ارم بن سام
بن نوح • وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد • وانما جعل منهم لانهم افهم لكلامه
واعرف بحاله وارغب في اقتفائه قال لما كان ذكر ارساله عليه السلام اليهم مظنة للسؤال عما قال لهم و
دعاهم اليه اجيب عنه بطريق الاستيناف فقيل قال يا قوم اعبدوا الله اي وحده كما ينبئ عنه قوله تعالى
ما لكم من اله غيره فانه استيناف يجري مجرى البيان للعبادة المأمور بها • والتعليل للامر بها كانه قيل خصوه
بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ ليس لكم من اله سواه • وغير بالرفع صفة لاله باعتبار محله • وقرئ بالجر حملا
على لفظه ان انتم ما انتم باتخاذكم الاصنام شركاء له • او بقولكم ان الله امرنا بعبادتها الا مفترون
عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني خاطب به كل نبي قومه
ازاحة لما عسى يتوهمونه وامحاضا للنصيحة فانها ما دامت مشوبة بالمطامع بمعزل عن التأثير • وايراد
الموصول للتفخيم • وجعل الصلة فعل الفطرة لكونه اقدم النعم الفائضة من جناب الله تعالى المستوجبة للشكر
الذي لا يتأتى الا بالجريان على موجبها غير متعلق بالمطالب الدنيوية التي من جملتها الاجر افلا تعقلون
اي اتغفلون عن هذه القضية • او لا تتفكرون فيها فلا تعقلونها • او اتجهلون كل شيء فلا تعقلون شيئا اصلا فان
هذا مما لا ينبغي ان يخفى على احد من العقلاء ويا قوم استغفروا ربكم اي اطلبوا مغفرته لما سلف منكم من الذنوب بالايمان والطاعة
ثم توبوا اليه اي توسلوا اليه بالتوبة وايضا التبري عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله تعالى والرغبة فيما عنده يرسل السماء
اي المطر عليكم مدرارا اي كثير الدرور ويزدكم قوة مضاعفة ومنضمة الى قوتكم اي يضاعفها لكم • وانما رغبهم بكثرة المطر
لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات • وقيل حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم
كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل على الايمان والتوبة ولا تتولوا اي لا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين
مصرين على ما كنتم عليه من الاجرام قالوا يا هود ما جئتنا ببينة اي بحجة تدل على صحة دعواك • وانما قالوه لفرط
عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من البينات الفائتة للحصر وما نحن بتاركي آلهتنا اي بتاركي عبادتها
عن قولك اي صادرين عنه اي صادرا تركنا عن ذلك باسناد حال الوصف الى الموصوف ومعناه التعليل على ابلغ
وجه لدلالته على كونه علة فاعلية ولا يفيده الباء واللام وهذا كقولهم المنقول عنهم في سورة الاعراف اجئتنا
لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا وما نحن لك بمؤمنين اي بمصدقين في شيء مما تأتي وتذر • فيندرج
تحته ما دعاهم اليه من التوحيد وترك عبادة الالهة • وفيه من الدلالة على شدة الشكيمة وتجاوز الحد في العتو
ما لا يخفى ان نقول الا اعتراك اي ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها
وصدك عن عبادتها وحطك لها عن رتبة الالوهية والمعبودية بما مر من قولك ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون •
والتنكير في سوء للتقليل كانهم لم يبالغوا في العتو كما ينبئ عنه نسبة ذلك الى بعض آلهتهم دون كلها • والجملة مقول القول
والا لغو لان الاستثناء مفرغ • وهذا الكلام مقرر لما مر من قولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين لان
اعتقادهم بكونه عليه السلام كما قالوا وحاشاه عن ذلك يوجب عدم الاعتداد بقوله وعده من قبيل الخرافات فضلا عن التصديق
والعمل بمقتضاه يعنون انا لا نعتقد كلامك الا من قبيل ما لا يحتمل الصدق والكذب من الهذيانات الصادرة عن
المجانين فكيف نصدقه ونؤمن به ونعمل بموجبه • ولقد سلكوا في طريقة المخالفة والعناد الى سبيل الترقي
من الادنى الى الاعلى حيث اخبروا اولا عن عدم مجيئه بالبينة مع احتمال كون ما جاء به حجة في نفسه
وان لم يكن واضحة الدلالة على المراد وثانيا على ترك الامتثال بقوله عم بقولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك
مع امكان تحقق ذلك بتصديقهم له عم في كلامه ثم نفوا تصديقهم له عم بقولهم وما نحن لك بمؤمنين مع
مع كون كلامه عم مما يقبل التصديق ثم نفوا عنه تلك المرتبة ايضا حيث قالوا ما قالوا قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه اي من اشراككم من دون الله اي من غير ان ينزل به
سلطانا كما قال في سورة الاعراف اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان •
او مما تشركون من آلهة غير الله • اجاب به عن مقالاتهم الحمقاء المبنية على اعتقاد كون آلهتهم مما يضر او ينفع وانها
بمعزل عن ذلك • ولما كان ما وقع اولا منه عم في حق آلهتهم من كونها بمعزل عن الالوهية وانما وقع
في ضمن الامر بعبادة الله تعالى واختصاصه بها وقد شق عليهم ذلك وعدوه مما يورث شيئا حتى زعموا انها اصابته
بسوء مجازاة لصنيعه صرح به عم بالحق وصدع به حيث اخبر ببراءته القوية عنها بالجملة الاسمية
المصدرة بان واشهد الله على ذلك وامرهم بان يسمعوا ذلك ويشهدوا به استهانة بهم ثم امرهم بالاجتماع و
الاحتشاد مع آلهتهم جميعا دون بعض منها حسبما يشعر به قولهم بعض آلهتنا والتعاون في ايصال الكيد اليه عم
ونهاهم عن الانظار والامهال في ذلك فقال فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون

فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اي ان صح ما لوحتم به من كون آلهتكم مما يقدر على اضرار من ينال منها
ويصد عن عبادتها ولو بطريق ضمني فاني بريء منها فكونوا انتم معها جميعا وباشروا كيدي ثم لا تمهلوني
ولا تسامحوني في ذلك • فالفاء لتفريع الامر على زعمهم في قدرة آلهتهم على ما قالوا وعلى البراءة كليهما •
وهذا من اعظم المعجزات فانه عم كان رجلا مفردا بين الجم الغفير والجمع الكثير من عتاة عاد الغلاظ الشداد
وقد خاطبهم بما خاطبهم وحقرهم وآلهتهم وهيجهم على مباشرة مبادي المضادة والمضارة وحثهم على التصدي
لاسباب المعاداة والمضارة فلم يقدروا على مباشرة شيء مما كلفوه وظهر عجزهم عن ذلك ظهورا بينا كيف لا
وقد التجأ الى ركن منيع رفيع واعتصم بحبل متين حيث قال اني توكلت على الله الخ انتهى ابو السعود افندي

من العيون للشيخ السهروردي

والى عاد اخاهم هودا عطف على نوحا اي وارسلنا الى قوم عاد اخاهم في النسب نبيا هو هود قال يا قوم
اعبدوا الله اي وحدوه ما لكم من اله غيره اي رب سواه ان انتم اي ما انتم الا مفترون اي كاذبون في قولكم
ان معه شريكا يا قوم لا اسألكم عليه اي على تبليغ الرسالة والايمان اجرا اي رشوة وجعلا ان اجري اي ما ثوابي
الا على الذي فطرني اي خلقني افلا تعقلون ان الله تعالى هو احق بالعبادة دون غيره • ولما حبس المطر عن قومه
ثلث سنين قال هود عم يا قوم استغفروا ربكم من الشرك وآمنوا به ثم توبوا اليه اي الى الله تعالى من ذنوبكم يرسل
السماء عليكم مدرارا اي متتابعا كلما تحتاجون اليه تسقي الزروع والبساتين ويزدكم قوة الى قوتكم اي شدة
الى شدتكم الموجودة لكم في العدد والعدد والمال والدين والجسد والولد وطول العمر ولا تتولوا اي
لا تعرضوا عما ادعوكم اليه من الايمان والعبادة لله تعالى مجرمين اي مشركين آثمين

وإلى عاد أخاهم واحداً منهم عطف على نوحاً الى قومه هوداً عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله اى لا تعبدوا غيره دل عليه تعقيبه بقوله ٥٦
ما لكم من إله غيره وذلك يدل على ان المقصود من هذا منعهم عن عبادة الاصنام وغيره صفة له قرئ بالرفع حملاً على محله وبالجر على
اللفظ ان انتم الا مفترون على الله تعالى في قولكم انه امرنا بعبادة الاصنام واما ما قيل باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء فبناؤه
على الفرق بين الكذب والافتراء ويا قوم لا اسألكم عليه اجراً ان اجرى الا على الذي فطرني ما من رسول الا خاطب قومه بهذا
إزاحة للتهمة وتمحيضاً للنصيحة فانها ما دامت مشوبة بالمطامع لا تنجع اى لا تنفع ولا تؤثر افلا تعقلون فتميزون بين الحق والباطل
وتعلمون ان من لا غرض له في النصيحة لا يرد نصيحته ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه انما قدم الاستغفار على التوبة لانه لطلب المغفرة الذي
هو الغرض ثم بين ما به يتوصل اليه من التوبة فكلمة ثم هنا كالتي في قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها يرسل
السماء عليكم مدراراً المدرار كثير الدرور والمراد من السماء المطر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بذلك لانهم
كانوا اصحاب زروع وعمارات قيل حبس عنهم القطر وعقمت نساؤهم ثلث سنين فالمراد بالقوة كثرة الاولاد ولا تتولوا ولا تعرضوا
عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك قالوا ذلك عناداً وجحوداً مع كثرة
معجزاته كقول قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك حال من
الضمير في تاركي اى صادرين عن قولك والجملة الاسمية وسكون اسم الفاعل من نترك وزيادة الباء في الخبر في قولهم وما نحن لك بمؤمنين
لما يصح من امثالنا مع وفور العقل والكياسة ان يصدقوا مثلك اقناط له من الاجابة والتصديق على وجه المبالغة
والتأكيد ان نقول الا اعتراك اعتراك مقول القول والا لغو لان الاستثناء

ابو المعين النسفي

وإلى عاد أخاهم واحداً منهم وانتصابه للعطف على ارسلنا نوحاً اى وارسلنا
الى عاد اخاهم هوداً عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم
من إله غيره بالرفع نافع صفة على محل الجار والمجرور وبالجر علي على
اللفظ ان انتم الا مفترون تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان
له شريكاً يا قوم لا اسألكم عليه اجراً ان اجرى الا على الذي فطرني
ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شأنهم النصيحة ولا يمحضها
الا حسم المطامع وما دام يتوهم شيء منها لم تنجع ولم تنفع افلا تعقلون
اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجراً الا من الله وهو ثواب الآخرة
ولا شيء انفى للتهمة من ذلك ويا قوم استغفروا ربكم آمنوا به ثم توبوا
اليه من عبادة غيره يرسل السماء اى المطر عليكم مدراراً حال اى
الكثيرة الدرور ويزدكم قوة الى قوتكم انما قصد استمالتهم الى الايمان
بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وبساتين
فكانوا احوج شيء الى الماء وكانوا مدلين بما اوتوا من شدة البطش
والقوة وقيل اراد القوة بالمال او على النكاح [مطعوا] وقيل حبس
عنهم القطر وعقمت ارحام نسائهم فوعدهم هود عليه السلام المطر والاولاد على الايمان والاستغفار
وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه وفد الى معاوية فلما خرج قال بعض حجابه اني رجل ذو مال ولا يولد لي
علي شيئاً لعل الله يرزقني ولداً فقال الحسن عليك بالاستغفار وكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر
في يوم واحد سبعمائة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى
فسأله الرجل فقال الم تسمع قول هود عليه السلام ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح عليه السلام ويمددكم باموال وبنين

مفرغ اى ما نقول الا قولنا اعتراك هي
من اعتراه اى قصده وهو الغناء و
الشامة والمراد الاصابة بطريق الكناية
بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها فانت
صدك عنا ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات
والعقوبة كانوا جفاة بالهتين قال اني اشهد الله
واشهدوا اني بريء مما تشركون ما مصدرية
او موصولة واشهاده تعالى كلام جار على مثله
جيء به ليؤكد به ما ذكر من البراءة عن شركهم
وشركائهم واما اشهادهم على البراءة
فلا اذ لا يقول احد لمن يعاديه اشهدك اني
بك بريء الا وهو يريد عدم المبالاة و
الاستهانة بعداوته وطلباً جازماً واستهانة
من دونه اى انتم تجعلونها شركاء ولم يجعلها
هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطاناً لما واجهوه
بكلمتهم الحمقاء وبهتوه بتضليل الآلهة وتسمية
التوحيد الذي دعاهم اليه والارشاد الذي
نصحهم به جنة وخبطاً ولم يعتدوا ببيانه
وخوفوه من آلهتهم وايسوه من الايمان
بما جاء به اجابهم بالبراءة عن آلهتهم وبآيتهم
بعدم المبالاة بهم وبآلهتهم ثقة بالله واكد البراءة
وتحقق بشهادة الله وشهادة العباد على مجرى
العادة وبالغ في ذلك بان قال اني اشهد الله
مخالف بين اشهاد الله تعالى واشهادهم هذا

ولا تتولوا ولا تعرضوا عني ولا ادعوكم مجرمين مصرين على اجرامكم واثامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة كذب
منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر وما نحن
بتاركي آلهتنا عن قولك هو حال من الضمير في تاركي آلهتنا كانه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك
بمؤمنين وما يصح من امثالنا ان يصدقوا مثلك فيما يدعوهم اليه اقناطاً له من الاجابة ان نقول الا اعتراك بعض
آلهتنا بسوء ان حرف نفي تنفي جميع القول الا قولاً واحداً وهو قولهم اعتراك اى اصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون
وخبل وتقديره ما نقول قولنا الا هذه المقالة اى الا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال اني اشهد الله
واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه اى من اشراككم آلهة من دونه والمعنى

قالوا اى تعنته يا هود ما جئتنا ببينة اى بحجة واضحة على قولك وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك اى لا نترك
عبادة آلهتنا بقولك هذا وما نحن لك بمؤمنين اى بمصدقين بانك رسول الله ان نقول اى ما نقول لك
قولاً هو الا اعتراك اى اصابك بعض آلهتنا بسوء وهو الجنون والتخبل لسبك اياها حتى قلت ما قلت
فلا نتبعك فثم قال هود رداً عليهم واستخفافاً بهم وبآلهتهم بتأكيد براءته من شركهم كما هو عادة
من توثيقهم الامور بشهادة الله وبشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشهادة العباد اني اشهد الله
نفسي واشهدوا انتم علي ايضاً اني بريء مما تشركون من اشراككم آلهة من دونه اى من غيره ولم يقل اني
اشهدكم كما اشهد الله لان اشهاد الله على البراءة من الشرك اشهاد صحيح في معنى التوحيد واما
اشهادهم فما هو الا تهاون بهم وتحقيق بجالهم فيها بلفظ الامر تهكماً بهم فكيدوني اى اقصدوا هلاكي
انتم وهم جميعاً ثم لا تنظرون اى تمهلون
من العيون

هـ‍ بأن بت في الأول واكد الاخبار تثبيتاً للتوحيد وانجاءً لما قبله وعدل عن الجملة الاخرى في الثاني قلة مبالاة بهم وبدينهم وآلهتهم واستهانة بما زعموا واعتقدوا من عقوبتهم ثقة بالله وقوة اعتماد عليه وصحة توكل وزاد على ذلك ان امرهم بالاجتماع على الكيد في اهلاكه والاستبداد فيه وعدم الانظار و التوقف بقوله فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون كقول نوح عليه السلام ثم اقضوا الي ولا تنظرون وذلك من اعظم المعجزات فانه كان رجلاً واحداً بين الجم الغفير والعدد الوهم من الاقوياء الغلاظ الشداد وخاطبهم بما خاطب وحقرهم وآلهتهم واحقر وهيجهم على نفسه فلم يقدروا على اضراره ولم يتجسروا على بطشه وما ذلك الا بعصمة الله تعالى اياه وحسن كلاءته ولذلك عقبه بقوله اني توكلت على الله الخ

يحتاج هذا المحل الى تصحيح بليغ ومقابلة صحيحة

اسماعيل آغا

هذا ابن كمال

انى توكلت على الله ربى وربكم تقريرا له اى انكم ان اجتمعتم وتعاونتم انتم والهتكم على وبذلتم وسعكم فى قصدى بالكيد لم تقدروا على اهلاكى فانى توكلت على الله مالكى ومالككم لم تمكنكم اصابتى بما لم تريدونى • ثم برهن على ذلك بقوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها اى الا وهو مالكها ومتصرف على مقتضى مشيئته فى قبضته وملكته وتحت قهره وسلطنته • والاخذ بالنواصى تمثيل لذلك حتى صار الاخذ بالناصية عرفا فى القدرة على التصرف • وكانت العرب تجز ناصية الاسير الممنون عليه علامة انه قد قدر عليه وقبض على ناصيته ان ربى على صراط مستقيم على طريق الحق والعدل فى ربوبيته لا يسلط على من توكل عليه ما لا يضيع عنده معتصم به ولا يغلب احد احدا الا باذنه • وفى قوله ان ربى من غير اعادة وربكم كما فى الاول نكتة سرية بعد الاختصاص المغنى عن الحشو فيه ما يدل على زيادة اختصاصه • وانه رب الكل استحقاقا وربهم دونهم شرفا وارتقاء فان تولوا اى فان تتولوا وجواب الشرط ماض صريح فلذلك جاء بالفاء فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم اى فان تعرضوا لم اعاتب والحجة عليكم فانى ما فرطت فى الابلاغ واداء ما ارسلت به اليكم وانتم ما زدتم الا تكذيب الرسالة ومكافاة الرسول بالعقاوة ويستخلف ربى قوما غيركم كلام مستانف بالوعيد لهم اى ويهلككم ويأتى بقوم اخرين يخلفكم فى دياركم واموالكم ولا تضرونه شيئا من الضرر بتوليكم لاستحالة ذلك عليه • وقرئ يستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه بحذف النون عطفا على محل فقد ابلغتكم اى ان تتولوا يعذرنى ويستخلف قوما غيركم ولا تضروا الا انفسكم ان ربى على كل شئ حفيظ رقيب مهيمن يحفظ اعمالكم ويؤاخذكم بها او حافظ على الاشياء كلها والكل محتاج الى حفظه من الضرر ومن كان كذلك لا يمكن ان يضره شئ ولما جاء امرنا فى التعبير بمجئ الامر عن نزول عذاب الاستيصال على عاد ما لا يخفى من الدلالة على العظمة والجلال فى جانب الامر وسرعته الامتثال فى جانب المامور نجينا هودا والذين امنوا معه قيل كانوا اربعة الاف برحمة منا من سوء مغاصى العاصين فانه لو لم يتداركهما الرحمة من الله تعالى لما نجا من العذاب النازل على ما دل عليه قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ونجيناهم من عذاب غليظ الغلظة كناية عن الشدة والتنكير فى عذاب ورحمة للتعظيم • ثم اخبر اولا بان الايمان الذى وفقوا له صار سبب انجائهم • ثم اخبر بان ذلك الانجاء كان من عذاب اى عذاب

ابو المعين النسفى

انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها اى مالكها ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة فى قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بالناصية تمثيل لذلك ان ربى على صراط مستقيم ان ربى على الحق لا يعدل عنه او ربى يدل على صراط مستقيم فان تولوا تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم هو فى موضع فقد ثبتت الحجة عليكم ويستخلف ربى قوما غيركم كلام مستانف اى ويهلككم الله ويجئ بقوم اخرين يخلفونكم فى دياركم واموالكم ولا تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر قط اذ لا يجوز عليه المضار وانما تضرون انفسكم ان ربى على كل شئ حفيظ رقيب عليه مهيمن فما يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم • او من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت الاشياء مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه وكانوا اربعة الاف برحمة منا اى بفضل منا لا بعملهم • او بالايمان الذى انعمنا عليهم ونجيناهم من عذاب غليظ وتكرار نجينا للتاكيد او الثانية من عذاب الاخرة ولا عذاب اغلظ منه وتلك عاد اشارة الى قبورهم واثارهم كانه قال سيحوا فى الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استانف وصف احوالهم فقال جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله تعالى لا نفرق بين احد من رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد يريد رؤساءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل لانهم الذين يجبرون الناس على الاثام ويعاندون ربهم • ومعنى اتباع امرهم طاعتهم واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة لما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم فى الدارين الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد تكرير حرف التنبيه النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم • والدعاء ببعدا بعد هلاكهم للدلالة على انهم كانوا مستاهلين له قوم هود عطف بيان لعاد • وفيه فائدة لان عادا عادان الاولى القديمة التى هى قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم اسمى الله ادرى

رقم

ئ عذاب دلالة له على كمال الاعتناء وتحريضا على الايمان • او هما متغايران فالاول انجاء الدنيا والثانى انجاء الاخرة • والاول اوفق لمقتضى المقام • وعلى الوجه الاول ايضا لا تكرير • ومن غفل عن هذا التكرير لبيان ما يجاه عنه وتلك الاشارة الى مصارعهم حثا للاعتبار بهم واحضار لهم كانهم يشاهدون بما يعاين من الاثار • وفى الاتيان باسم الاشارة وما يدل على البعد تهويلا وتفخيم لما نزل بهم لا تعظيم شانهم او تحقير جحدوا بايات ربهم استيناف لبيان الوصف الذى استوجبوا به العذاب • وانما قال وعصوا رسله ولم يرسل اليهم غير هود عليه الصلاة والسلام لان الانبياء كلهم دعوا الى التوحيد والاسلام متوافقين وصدق بعضهم بعضا فاذا عصوا واحدا منهم فقد عصوا كلهم واتبعوا امر كل جبار عنيد اى رؤساءهم وكبراءهم الطاغين • وعنيد من عند عندا وعندا وعنودا اذا طغى واتباع امرهم طاعتهم اى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة لما اتبعوا الجبابرة الطغاة وجعلت اللعنة تابعة لهم فى الدارين تكبهم على وجوههم فى عذاب الله الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به • وانما عدى بالذات حملا على نقيضه الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك • والمراد الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكى عنهم • وتكرير حرف التنبيه مع اسمهم فى الموضعين وايراد حرف التحقيق مع وضعهم الموجب للهلاك والعذاب تهويل وتفظيع لامرهم وحث على الحذر من مثل حالهم والاعتبار بهم وايماء الى انهم فى التعين والاستحقاق لما نزل بهم بسبب كفرهم كالعلم حتى صار دعاء مثلا مشهورا قوم هود عطف بيان لعاد • وفائدته التمييز بينهم وبين عاد الثانية والايماء الى ان استيلهم لغاية البعد بالهلاك بسبب ما جرى بينهم وبين هود انتهى

ابن كمال

ابو السعود افندى رحمه الله

انى توكلت على الله ربى وربكم يعنى انكم وان بذلتم فى مضارتى مجهودكم لا تقدرون على شئ مما تريدون بى فانى متوكل على الله تعالى • وانما جئ بلفظ الماضى لكونه ادل على الانشاء المناسب للمقام وواثق بكلاءتى وحفظى عن غوائلكم وهو مالكى ومالككم لا يصدر عنكم شئ ولا يصيبنى امر الا بارادته ومشيئته ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها اى الا هو مالك لها قادر عليها يصرفها كيف يشاء غير مستعصية عليه فان الاخذ بالناصية تمثيل لذلك ان ربى على صراط مستقيم تعليل لما يدل عليه التوكل من عدم قدرتهم على اضراره اى هو على الحق والعدل فلا يكاد يسلطكم على اذ لا يضيع عنده معتصم ولا يفتات عليه ظالم • والاقتصار على اضافة الرب الى نفسه اما بطريق الاكتفاء لظهور المراد واما لان فائدة كونه تعالى مالكا لهم ايضا راجعة اليه عليه السلام فان تولوا اى تتولوا بحذف احدى التائين اى ان تستمروا على ما كنتم عليه من التولى والاعراض فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم لم اعاتب على تفريط فى الابلاغ وكنتم محجوجين بان بلغكم الحق فابيتم الا التكذيب والجحود ويستخلف ربى قوما غيركم استيناف بالوعيد لهم بان الله تعالى يهلكهم ويستخلف ديارهم واموالهم قوما اخرين • او عطف على الجواب بالفاء • ويؤيده قراءة ابن مسعود رضى الله عنه بالجزم عطفا على الموضع كانه قيل فان تعلوا يعذبنى ويهلككم ويستخلف مكانكم اخرين

وفي اقتصار اضافة الرب عليه عليه السلام رمز الى اللطف به والتدمير للمخاطبين ولا تضرونه
شيئا من الضرر لاستحالة ذلك عليه ومن جزم ويستخلف اسقط منه النون
ان ربي على كل شيء حفيظ اي رقيب مهيمن فلا يخفى عليه اعمالكم فيجازيكم بحسبها • او حافظ
مستول على كل شيء فكيف يضره شيء وهو الحافظ للكل ولما جاء امرنا اي نزل عذابنا • وفي
التعبير عنه بالامر مضافا الى ضميره جل جلاله وعن نزوله بالمجيء ما لا يخفى من التفخيم والتهويل
او ورد امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين امنوا معه وكانوا اربعة الاف برحمة عظيمة كائنة
منا وهي الايمان الذي انعمنا به عليهم بالتوفيق له والهداية اليه ونجيناهم من عذاب غليظ
اي كانت تلك التنجية تنجية من عذاب غليظ وهي السموم التي كانت تدخل انوف الكفرة
وتخرج من ادبارهم فتقطعهم اربا اربا • وقيل اريد بالثانية التنجية من عذاب الاخرة
ولا عذاب اغلظ منه واشد • وهذه التنجية وان لم تكن مقيدة بمجيء الامر لكن جيء بها
تكملة للنعمة عليهم وتعريضا بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في
الاخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة • او لان الاشارة
الى قبورهم واثارهم جحدوا بايات ربهم كفروا بها بعدما استيقنوها وعصوا رسله جمع الرسل مع انه
لم يرسل اليهم غير هود عليه السلام تفظيعا لحالهم واظهارا لكمال كفرهم وعنادهم ببيان ان عصيانهم له
عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين لاتفاق كلمتهم على التوحيد لا نفرق بين احد من رسله
فيجوز ان يراد بالايات ما اتى به هود وغيره من الانبياء عليهم السلام • وفيه زيادة ملائمة
لما تقدم من جميع الايات وما تأخر من قوله واتبعوا امر كل جبار عنيد من كبرائهم ورؤسائهم
الدعاة الى الضلال والى تكذيب الرسل فكانه قيل عصوا كل رسول واتبعوا امر كل جبار •
وهذا الوصف ليس كما سبق من جحود الايات وعصيان الرسل في الشمول لكل فرد منهم
فان الاتباع للامر من اوصاف الاسافل دون الرؤساء • والعنيد فعيل من عند عندا
وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الهدى واطاعوا من دعاهم الى الردى واتبعوا
في هذه الدنيا لعنة ابعادا عن الرحمة وعن كل خير اي جعلت اللعنة لازمة لهم • وعبر عن ذلك
بالتبعية للمبالغة فكانها لا تفارقهم وان ذهبوا كل مذهب بل تدور معهم حيثما داروا •
ولوقوعه في صحبة اتباعهم ورؤسائهم يعني انهم لما اتبعوهم اتبعوا ذلك جزاء لصنيعهم
وفاقا ويوم القيمة اي اتبعوا يوم القيمة ايضا لعنة وهي عذاب النار المخلد حذفت لدلالة
الاولى عليها وللايذان بكون كل من اللعنتين نوعا براسه لم تجتمعا في قرن واحد بان يقال
واتبعوا في هذه الدنيا ويوم القيمة لعنة كما في قوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة
ايذانا باختلاف نوعي الحسنتين فان المراد بالحسنة الدنيوية نحو الصحة والكفاف والتوفيق
للخير وبالحسنة الاخروية الثواب والرحمة الا ان عادا كفروا ربهم اي بربهم او نعمة ربهم حملا له
على نقيضه الذي هو الشكر او جحدوه الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك مع كونهم هالكين اي هلاكا
تسجيلا عليهم باستحقاق الهلاك واستيجاب الدمار وتكرير حرف التنبيه واعادة عاد للمبالغة
في تفظيع حالهم والحث على الاعتبار بقصتهم قوم هود عطف بيان لعاد فائدته التمييز عن عاد الثانية
عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بسبب ما جرى بينهم وبين هود عليه السلام وهم قومه

انتهى ابو السعود

من العيون للشيخ السهروردي البكري

اني توكلت على الله اي فوضت امري اليه ربي وربكم اي خالقي وخالقكم ما من دابة الا هو اي ما حيوان يتحرك
في الارض الا الله تعالى اخذ بناصيتها اي قادر ومالك في كل دابة بالاحياء والاماتة وهو يرزقها في ملكه • وذكر الناصية
ليدل على انه تعالى يقهر كل دابة بسهولة يقال ناصية فلان بيد فلان اذا كان مسكونا له بالمذلة ان ربي على صراط
مستقيم فهو يدعوكم اليه وهو دين الاسلام بارسالي اليكم فامنوا به فان تولوا اي ان اعرضوا عن الايمان به فقد
ابلغتكم ما ارسلت به اليكم اي فلا اعاتب بعد تبليغي اياكم ما امرت به من الرسالة فلم يبق لي عذر لعلة حتى
الام عليه • وهذا التقدير يدفع قول من قال الابلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط ثم قال
ويستخلف ربي قوما غيركم اي يستبدل ان شاء يعني خيرا منكم اطوع له تعالى ولا تضرونه شيئا اي
لا تنقصون من ملكه شيئا ان لم تؤمنوا ان ربي على كل شيء حفيظ لا يغيب عنه شيء يحفظه ويجازي كلا بعمله
ولما جاء امرنا اي عذابنا نجينا هودا والذين امنوا معه في الدنيا وهم كانوا اربعة الاف من الذكور والاناث برحمة منا ونجيناهم
في الاخرة من عذاب غليظ اي شديد بسبب الايمان كما نجيناهم من العذاب في الدنيا بسببه وهو الريح التي اهلكت بها عاد
قيل ان الله تعالى بعث عليهم ريح السموم وكانت تدخل في اذانهم وانوفهم وتخرج من ادبارهم فيقطعهم عضوا عضوا
وتلك عاد اشارة الى قبور هود الهالكين في طريقهم الى الشام اي تلك الاثار اثار عاد يا اهل مكة جحدوا بايات ربهم اي
علامات توحيده وعصوا رسله اي هودا وحده بلفظ الجمع لان من كذب رسولا كمن كذب جميع الرسل
واتبعوا امر كل جبار عنيد اي معاند معرض عن الحق • قيل الجبار الذي يضرب ويقتل عند الغضب • والعنيد
الذي لا يقول الحق ولا يقبله من القائل وان عرفه • والمعنى انهم عملوا بقول الباطل واعرضوا عن قول الحق
فلاجرمهم ثم بين عقوبتهم بقوله واتبعوا في هذه الدنيا لعنة اي والحقوا في الحيوة الدنيا العذاب
وهو الريح العقيم ويوم القيمة اي والحقوا في الاخرة لعنة اخرى وهي عذاب النار الى الابد الا ان عادا
كفروا ربهم تنبيه للكفار مكة على انهم جحدوا نعمة ربهم وهي دين الاسلام فاهلكوا بذلك ثم عقبه بتكبيت اخر
بقوله الا بعدا لعاد قوم هود اي الا سحقا وخزيا لهم من رحمة الله وهم قوم هود وهو عطف بيان بعد البيان
لقوله اخاهم هودا لقطع مادة الشبهة بوجه كلي لانهم عاد الاولى والثانية عاد ارم هو قوم صالح •
والبعد يستعمل لضد القرب من بعد يبعد بضم العين فيهما والهلاك من بعد بكسر العين يبعد بفتحها
والدعاء عليهم بالهلاك بعد هلاكهم ليدل على استحقاقهم به يقينا   انتهى العيون

ايضا من العيون

والى ثمود اي وارسلنا الى قبيلة ثمود اخاهم صالحا في النسب لا ينصرف للتانيث والتعريف وفي موضع ينصرف
وهو اسم القوم قال يا قوم اعبدوا الله اي وحدوه واطيعوه ما لكم من اله غيره هو انشاكم اي خلقكم ابتداء
من الارض يعني خلقكم من ادم وادم منها واستعمركم فيها اي اطال عمركم بطول الحيوة في الارض او اسكنكم
فيها واسكن من بعدكم من العمرى يعني جعلها لكم ما عشتم قيل كانت اعمارهم الف سنة الى ثلثمائة فاستغفروه
اي الله من الشرك ثم توبوا اليه بالطاعة والدعوة ان ربي قريب اي سهل المطلب داني الرحمة مجيب لدعاء
من دعاه من اهل طاعته قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا اي كنا نرجو منك الانتفاع بك في ديننا
وتدبيرا مورنا قبل هذا اي قبل ان تدعونا الى دين اباءنا فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك
وعلمنا ان لا خير فيك اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا من الالهة وانا لفي شك مما تدعونا اليه مريب
اي موقع في الريبة والتهمة من ارابني فلان اذا رايت منه ما يريبك • وفي معناه رابني يعني لا طمانينة لنا
فيما دعوتنا اليه باليقين قال صالح لهم يا قوم ارايتم اي اخبروني ان كنت على بينة من ربي اي على حجة واضحة
اتيقن منه واتاني اي اعطاني منه رحمة اي من عنده نبوة وحكمة لا بلغكم اياها ثم تركت امره ودعوتكم الى دينه
فمن ينصرني اي يمنعني من الله اي من عذابه ان عصيته وتركت امره لدينكم الباطل فما تزيدونني بقولكم هذا
غير تخسير الا نسبتي اياكم الى الخسران والضلال يعني اقول لكم انكم خاسرون • او معناه انكم تخسرون اعمالي
وتبطلونها وهو كالتفسيق بمعنى النسبة الى الفسق ثم قال ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية اي علامة لنبوتي
وعبرة لتعتبروا بها فتؤمنوا • وهو نصب على الحال ولكم متعلق به بمعنى لانه ايضا حال من اية متقدما عليه كانه
صفة لها •

وذلك ان قومه طلبوا منه ان يخرج ناقة عشراء من هذه الصخرة فدعا صالح عم وخرجت تلك الناقة وولدت في الحال مثلها
ثم قال فذروها تأكل اي اتركوها ترتع في ارض الله اي في وادي الحجر ولا تمسوها بسوء اي ولا تصيبوها بعقر وبأي
اي ان عقرتموها عذاب قريب اي عاجل لا يتأخر عن قسكم لها بسوء الا يسيرا وذلك ثلثة ايام ثم تقع عليكم ●
وكانت لهم بئر واحدة عذبة فجعل صالح للناقة شرب يوم لا يقربونها ولهم شرب يوم لا تحضرها وكانت امرأة جميلة
تتأذى بالناقة لاجل سائمتها فقالت من عقر الناقة ازوج نفسي منه فخرجت جماعة منهم قدار بن سالف ومصدع وجاء
الى ممرها فرماها مصدع بسهم فاصاب رجلها ثم ضربها قدار بالسيف فعقرها وقسموا لحمها على جميع اهل القرية فلذلك
قال فعقروها اي قتلوها يوم الاربعاء فقال لهم صالح تهديدا تمتعوا اي عيشوا في داركم اي في دنياكم ثلثة ايام
ثم تهلكوا بالعذاب ذلك اي نزول العذاب بكم وعد غير مكذوب اي غير كذب وهو مصدر كالمصدوق بمعنى الصدق
روي انه قال يأتيكم العذاب بعد ثلثة ايام فتصبحون في اليوم الاول باصفرار الوجوه وفي الثاني باحمرارها وفي الثالث
باسودادها فكان كما قال واتاهم العذاب يوم السبت فاهلكوا فيه انتهى العيوه

ابو السعود رحمه الله

والى ثمود اخاهم صالحا عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا ● وثمود قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم
الاكبر ثمود بن ارم بن سام ● وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل ● وصالح عم هو ابن
عبيد بن آسف بن ماسخ بن عبيد بن حادر بن ثمود ● ولما كان الاخبار بارساله اليهم مظنة لان يسأل ويقال
ماذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستيناف يا قوم اعبدوا الله اي وحده وعلل ذلك بقوله ما لكم
من اله غيره ثم زيد فيما يبعثهم على الايمان والتوحيد ويحثهم على زيادة الاخلاص فيه بقوله هو انشأكم من الارض
اي هو كونكم وخلقكم منها لا غيره فقد قلب او قصر افراد فان خلق آدم عم منها خلق لجميع افراد البشر منها
لما مر مرارا من ان خلقته عم لم تكن مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على خلق جميع
ذرياته التي ستوجد الى يوم القيمة انطواء اجماليا ● وقيل ان خلق آدم عم وانشاء مواد
النطف التي منها خلق نسله من التراب انشاء لجميع الخلق من الارض فتدبر واستعمركم فيها اي عمركم
واستبقاكم فيها او من العمارة اي اقدركم على عمارتها ● او امركم بها ● وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها
دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم ● او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لمن بعدكم
فاستغفروه ثم توبوا اليه فان ما فصل من فنون الاحسان داع الى الاستغفار عما وقع منهم من التفريط
والتوبة عما كانوا يباشرونه من القبائح ● وقد زيد في بيان ما يوجب ذلك فقيل ان ربي قريب اي قريب الرحمة
لقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين مجيب لمن دعاه وسأله ● وقد روعي في النظم الكريم نكتة حيث قدم
ذكر العلة الباعثة المتقدمة على الامر بالاستغفار والتوبة واخر عنه ذكر الغاية التابعة عنهما في الوجود
اعني الاجابة قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا اي كنا نرجو منك لما كنا نرى منك من دلائل السداد و
مخائل الرشاد ان تكون لنا سيدا ومستشارا في الامور ● وعن ابن عباس رضي فاضلا خيرا فنقدمك على
جميعنا ● وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه قبل هذا الذي باشرته من الدعوة
الى التوحيد وترك عبادة الآلهة ● او قبل هذا الوقت فكانهم لم يكونوا الى الآن على يأس من ذلك ولو بعد الدعوة
الى الحق فالآن قد انصرم عنك رجاؤنا ● وقرئ طلحة مرجوءا بالمد والهمزة اتنهانا ان نعبد ما يعبد
آباؤنا اي عبدوه ● والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية وانا لفي شك مما تدعونا اليه من
التوحيد وترك عبادة الاوثان وغير ذلك من الاستغفار والتوبة مريب اي موقع في الريبة ● من ارابه
اي اوقعه في الريبة اي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة ● او من اراب اذا كان ذا ريبة واسنادها الى الشك
مجازي والتنوين فيه وفي شك للتفخيم قال يا قوم ارأيتم اي اخبروني ان كنت في الحقيقة على بينة
اي حجة ظاهرة وبرهان وبصيرة من ربي مالكي ومتولي امري وآتاني منه من جهته رحمة نبوة وهذه الامور
وان كانت محققة الوقوع لكنها صدرت بكلمة الشك اعتبارا لحال المخاطبين ورعاية لحسن المحاورة لاستنزالهم
من المكابرة فمن ينصرني من الله اي ينجيني من عذابه ● والعدول الى الاظهار لزيادة التهويل ● والفاء لترتيب
انكار النصرة على ما سبق من ايتاء النبوة وكونه على بينة من ربه على تقدير العصيان حسبما يعرب عنه
قوله تعالى ان عصيته اي بالمساهلة في تبليغ الرسالة والمجاراة معكم فيما تأتون وتذرون فان العصيان
ممن ذلك شأنه ابعد والمؤاخذة عليه الزم وانكار نصرته ادخل فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي
كما ينبئ عنه قولهم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اي لا تفيدونني اذ لم يكن فيه اصل الخسران حتى
يزيدون غير تخسير اي غير ان تجعلوني خاسرا بابطال اعمالي وتعريضي لسخط الله تعالى

او فما تزيدونني بما تقولون غير ان انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم لخاسرون فالزيادة على معناه ●
والفاء لترتيب عدم الزيادة على انتفاء الناصر المفهوم من الكلام على تقدير العصيان مع تحقق ما ينفيه
من كونه عليه السلام على بينة من ربه وايتائه النبوة ويا قوم هذه ناقة الله الاضافة للتشريف والتنبيه
على انها مفارقة لسائر ما يجانسها من حيث الخلقة ومن حيث الخلق لكم آية معجزة دالة على صدق نبوتي
وهي حال من ناقة الله والعامل ما في هذه من معنى الفعل ولكم حال منه لانه متقدمة عليها لكونها نكرة ولو تأخرت
لكانت صفة لها ● ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان ولكم خبرا وعاملا في آية فذروها خلوها
وشأنها تأكل في ارض الله ترعى نباتها وتشرب ماءها ● واضافة الارض الى الله عز وجل لتربية استحقاقها
لذلك وتعليل الامر بتركها وشأنها ولا تمسوها بسوء بولغ في النهي عن التعرض لها بايذائها حيث نهى عن المس
الذي هو من مبادي الاصابة ● ونكر السوء اي لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من السوء فضلا
عن عقرها وقتلها فيأخذكم عذاب قريب اي قريب النزول ● روي انهم طلبوا منه ان يخرج من صخرة
تسمى الكاتبة ناقة عشراء مخترجة جوفاء وبراء فقالوا ان فعلت ذلك صدقناك فاخذ صالح عليهم
مواثيقهم لئن فعلت ذلك ليؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها
فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم انتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو
في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم فمكث
الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تنفحج
فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها
انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق عليهم ذلك فعقروها قيل زينت عقرها لهم
عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلثا
فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغائه
فدخلها فقال لهم صالح تمتعوا اي عيشوا في داركم اي في منازلكم او في الدنيا ثلثة ايام

والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد مر تفسيره هو انشاكم من الارض اى لم ينشكم الا هو
فان الانسان يخلق من دم او يخلق من النطف التى خلقوا منها من التراب واستعمركم فيها عمركم فيها واستبقاكم
من العمر • او اقدركم على عمارتها وامركم بها • قيل هو من العمرى يعنى اعمركم فيها وورثكم بعد انصرام اعماركم • او
جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه قد مر تفسيره •
والفاء فيهما عاطفة على معقب معناه وقابلتم الاحسان بالعصيان ان ربى قريب اى داني الرحمة مجيب
لداعيه • استيناف للترغيب فى الامتثال بما امر به قالوا يا صالح قد كنت فينا فيما بيننا مرجوا قبل هذا اى كنا
نرى فيك مخايل الرشد وامارات الصلاح فنرجوا ان تكون فينا سيدا ومستشارا ومسترشدا
فى التدابير • او مقدما فى ديننا فلما تكلمت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد ما
يعبد اباؤنا حكاية حال ماضية وانا لفى شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبرى من الاوثان مريب
اسم فاعل من متعدى يقال ارابه اذا اوقعه فى الريبة وهى قلق النفس وانتفاء الطمانينة • او من لازم
يقال اراب الرجل اذا كان ذا ريبة • والاسناد الى الشك مجازى على كلا الوجهين

ابو المعين النسفى

والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض لم ينشئكم منها الا هو وانشاؤهم منها خلق ادم
من التراب ثم خلقهم من ادم واستعمركم فيها وجعلكم عمارها او
اراد منكم عمارتها • او استعمركم من العمر اى اطال اعماركم فيها
وكانت اعمارهم من ثلثمائة الى الف • وكان ملوك فارس قد
اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال
مع ما فيهم من الظلم فسال نبى من انبياء زمانهم ربه عن
سبب تعميرهم فاوحى اليه انهم عمروا بلادى فعاش فيها عبادى
فاستغفروه فاسئلوا مغفرته بالايمان ثم توبوا اليه ان ربى
قريب دانى الرحمة مجيب لمن دعاه قالوا يا صالح قد كنت فينا
فيما بيننا مرجوا قبل هذا للسيادة والمشاورة فى الامور • او
كنا نرجو ان تدخل فى ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه اتنهانا
ان نعبد ما يعبد اباؤنا حكاية حال ماضية وانا لفى شك
مما تدعونا اليه من التوحيد مريب موقع فى الريبة • من اراب
اذا اوقعه فى الريبة • وهى قلق النفس وانتفاء الطمانينة قال
يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى واتانى منه رحمة نبوة
اتى بحرف الشك مع انه على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحد
فكانه قال قدروا انى على بينة من ربى وانى نبى على الحقيقة وانظروا
ان تابعتكم وعصيت ربى فى اوامره فمن ينصرنى من الله فمن يمنعنى من عذاب الله ان عصيته فى تبليغ
رسالته ومنعكم عن عبادة الاوثان فما تزيدوننى بقولكم اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا غير تخسير
بنسبتكم اياى الى الخسار • او بنسبتى اياكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية نصب على الحال
قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل • ولكم يتعلق باية حالا منها متقدمة لانها لو تاخرت
لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصب على الحال فذروها تاكل فى ارض الله اى ليس عليكم رزقها مع ان لكم
نفعها ولا تمسوها بسوء عقر او نحر فياخذكم عذاب قريب عاجل فعقروها يوم الاربعاء فقال صالح تمتعوا
استمتعوا بالعيش فى داركم فى بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها اى يتصرف فيها او فى دار الدنيا

مجازى على كلا الوجهين قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة اتى بحرف الشك
باعتبار المخاطبين الجاحدين اى
قدروا انى على برهان من ربى
واتانى منه رحمة نبوة فمن
ينصرنى من الله فمن يمنعنى من
عذاب الله • والعدول من
المضمر الى الظاهر للتفخيم ان
عصيته فى تبليغ الرسالة
والمنع من الاشراك به على هذا
التقدير فما تزيدوننى اذا
باستتباعكم اياى غير تخسير
غير ان تخسرونى بابطال اعمالى
والتعرض لعقابه • او فما تزيدوننى
بما تقولون لى غير ان اخسركم
وانسبكم الى الخسران ويا قوم هذه
ناقة الله الاضافة للتعظيم لكم اية
حال والعامل فيها ما فى اسم الاشارة
من معنى الفعل لكم حال من اية
لتقدمها عليها ولو تاخرت عنها
كانت صفة لها فذروها تاكل فى
ارض الله ترعى نباتها وتشرب
ماءها • وانما اضاف الارض الى الله
اظهارا لوجه التقريع يعنى ان
الارض ارض الله والناقة ناقة الله
فذروها تاكل فى ارض صاحبها
ولا تمسوها بسوء

[margin, written vertically:] ... فعقروها ... [illegible] ... تمتعوا ... [illegible]

ثلثة ايام قيل قال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب
ذلك اشارة الى ما يدل عليه الامر بالتمتع ثلثة ايام من نزول العذاب عقيبها والمراد بما فيه من معنى البعد تفخيمه
وعد غير مكذوب اى غير مكذوب فيه فحذف الجار للاتساع المشهور كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا •
او غير مكذوب كان الواعد قال له اى بك فان وفى به صدقه والا كذبه • او وعد غير كذب على انه مصدر
كالمجلود والمعقول انتهى
ابن كمال

ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسكم
لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلثة ايام فعقروها العقر قطع العضو الذى له تاثير في النفس
فقال تمتعوا اى تلذذوا بما تريدون من اسباب العيش فى داركم فى بلدكم بقول العرب
الذين فى حوالى مكة نحن من عرب الدار اى من عرب البلد • وقيل فى دنياكم ثلثة ايام قيل
عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت ذلك وعد غير مكذوب اى غير مكذوب فيه
فاتسع فى الظرف بحذف حرف الجر واجرائه مجرى المفعول به كقوله يوم مشهود • او وعد
غير كذب على ان المكذوب كالمجلود والمعقول وكالمصدوق بمعنى الصدق • ويجوز ان يكون
من باب الاسناد المجازى كانه قيل للوعد نفى به فان وفى به فقد صدق ولم يكذب
انتهى ابن كمال

هذا ابن الكمال

فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا قدم تفسيره ومن خزي يومئذ متعلق بمحذوف اى ونجيناهم من خزي
على وفق ما تقدم فى قصة هود عم ● والمراد من الخزي هلاكهم بالذل والفضيحة ● وقرى ومن خزي بالتنوين
وبنصب يومئذ على الظرف معمولا بخزي ● وقرى بالاضافة وفتح الميم والتنوين فى اذ تنوين عوض من الجمل
المحذوفة المتقدمة الذكر اى ومن فضيحة يوم اذا جاء الامر وحل بهم ان ربك هو القوي العزيز القادر على كل شيء
الغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين قد سبق تفسيره فى سورة الاعراف كان لم يغنوا فيها
اى كانهم لم يوجدوا ● والغنى المقام الذى يقيم الحي به الا ان ثمود كفروا ربهم قرئ ثمود بفتح الدال من غير
تنوين ● وقرى بالتنوين وبخفض الدال فى قوله الا بعدا لثمود ذاهبا الى الحي او الاب الاكبر ولقد جاءت
اللام لتاكيد الخبر وقد للتوقع لان السامع لقصص الانبياء يتوقع قصة بعد قصة رسلنا ابراهيم اى الملائكة
بالبشرى اى بالبشارة بالولد ● وقيل بهلاك قوم لوط ويأباه ما فى الذاريات من قوله وبشروه بغلام عليم
ثم قوله فما خطبكم ايها المرسلون قالوا سلاما سلمنا عليكم سلاما ● ويجوز نصبه بما فى قالوا من معنى ذكروا قال سلام
اى عليكم سلام ● او سلام عليكم حياهم باحسن من تحيتهم ● والتنكير لدلالته على التعظيم ابلغ من التعريف
وقرى سلم بمعنى السلام كحرم وحرام ● وقيل المراد به الصلح فما لبث فما مكث اذ كان عنده طعام معد للاضياف
كل يوم ● والفاء للتفريع على ما ظهر من اسالة انهم جاؤا للخير دون الشر ان جاء بعجل اما فى محل الجر على
تقدير فما لبث فى المجيء او فما تاخر عن المجيء به ● او النصب على حذف حرف الجر ● او الرفع على الفاعلية اى
اى فما لبث مجيئه ● والعجل ولد البقرة
سمى به لتعجيل امره بقرب ميلاده ●
ولا يخفى لطف موقعه بعد ما فهم من
قوله لبث من معنى العجلة حنيذ ●
والحنيذ هو الذى يقطر دسمه من حنذت
الفرس اذا القيت عليه الجل حتى تقطر
عرقا ويدل عليه قوله فى موضع آخر
بعجل سمين ● وقيل المشوي بالرضف
فى الاخدود ● وفيه ان اعتبار قيد لا يتم
لا ظهور فى المقام مما يعد هجنة فى الكلام
فلما راى ايديهم لا تصل اليه روي انهم كانوا
ينكتون بقداح كانت فى ايديهم فى
اللحم ولا تصل ايديهم اليه وعلى هذا
يظهر وجه الاتيان بالفاء الفصيحة ●
والعدول عن لا يمدون اليه ايديهم
ومن وهم ان المذكور كناية عن المتروك
فقد وهم نكرهم هذا صريح فى ان انكاره
عليه السلام اياهم كان بعد ما راى
انهم لم يمدوا ايديهم الى الطعام والظاهر
من قوله سلام قوم منكرون انه كان
قبل ذلك والتوفيق ...

فلما جاء امرنا بالعذاب او عذابنا نجينا صالحا والذين معه برحمة منا
قال الشيخ رحمه الله هنا يدل على ان من نجا انما نجا برحمة الله لا بعمله
كما قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة احد الا برحمة الله ومن خزي
يومئذ باضافة الخزي باليوم وانجرار اليوم بالاضافة وبفتحها
مدنى وعلي لانه مضاف الى المبني وهو مبني وظروف الزمان
اذا اضيفت الى الاسماء المبهمة والافعال الماضية بنيت واكتسبت
البناء من المضاف اليه كقوله على حين عاتبت المشيب على الصبا
والواو للعطف تقديره من تجيناهم من خزي يومئذ اى
من ذله وفضيحته ولا خزي اعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله
تعالى وانتقامه ● وجاز ان يريد بيومئذ يوم القيمة كما فسر
العذاب الغليظ بعذاب الآخرة ان ربك هو القوي العزيز الغالب
باهلاك اعدائه واخذ الذين ظلموا الصيحة اى صيحة جبريل عليه السلام
فاصبحوا فى ديارهم منازلهم جاثمين ميتين كان لم يغنوا فيها لم يقيموا
الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود على فالصرف بالذهاب الى الحي
او الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتانيث بمعنى القبيلة ولقد جاءت
رسلنا جبريل وميكائيل واسرافيل ● او جبريل مع احد عشر ملكا ابراهيم بالبشرى هى البشارة بالولد
او هلاك قوم لوط والاول اظهر قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما قال سلام امركم سلام ● سلم
وعلى بمعنى السلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ مشوي بالحجارة المحماة فلما راى ايديهم لا تصل اليه
نكرهم نكر وانكر بمعنى ● وكانت عادتهم انه اذا مس من يطرقهم طعامهم امنوه والا خافوه والظاهر
انه احس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله تعالى عليه او لتعذيب قومه
دليله قوله تعالى واوجس منهم خيفة اى اضمر منهم خوفا قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط بالعذاب
وانما كان هذا لانه عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا ● وانما قالوا لا تخف لانهم راوا اثر الخوف والتغير فى
وجهه وامراته قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم او على رؤسهم تخدمهم فضحكت سرورا بزوال
الخيفة او بهلاك اهل الخبائث ● او من غفلة قوم لوط مع قرب العذاب او حاضت فبشرناها باسحق

والتوفيق انه عليه السلام انكرهم بعينه حين راهم ونكره بقلبه بعد ما راى منهم اما رة الخوف
قال ابو العالية يقال نكره بقلبه وانكره بعينه واوجس منهم خيفة الايجاس الاحساس وذلك
لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم ياكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير ● قيل اوجس بمعنى اضمر
ويرده قوله تعالى فى سورة الحجر قال انا منكم وجلون ● وكذا يرده ما قيل وانما قالوا لا تخف
لانهم راوا اثر الخوف والتغير فى وجهه ● او عرفوه بتعريف الله ● او علموا ان علمه بانهم ملائكة
موجب الخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب فان مبنى هذا ايضا الغفول عن انه عليه السلام
افصح عن خوفه باوضح عبارة قالوا له عليهم السلام لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط يعنى بالعذاب
على ما افصح عنه فى موضع آخر بقوله لنرسل عليهم حجارة ● قيل انما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم
ارسلوا مبناه ايضا الغفول عن التفصيل الواقع فى سورة الحجر فان هذا القول منهم بعد ابتدائه
عليه السلام بالكلام واستفساره بقوله فما خطبكم ايها المرسلون وكذا مبنى ما قيل هنا انا ملائكة
مرسلة اليهم بالعذاب ● وانما لم تمد اليه ايدينا لانا لا ناكل مبناه الغفول عما ذكر وامراته قائمة
يعنى فى الخدمة وكانت تسمع منهم لا على رؤسهم كما قيل لانه مردود بقوله فى موضع آخر
فاقبلت امراته فى صرة فضحكت سرورا بالامن وبهلاك اهل الفساد ● قيل باصابة رايها فانها
كانت تقول لابراهيم عم اضمم اليك لوطا فانى اعلم ان العذاب ينزل بهذا القوم ورد
عليه انه حكي اى على تقدير ان يكون المعنى فضحكت من اصابة رايها يخرج الكلام مخرج الالغاز
واما ما قيل ان ضحكت بمعنى حاضت ورد بان التعجب بعده يبعده اذ لا تعجب من الولادة
فى زمن الحيض وادخاله فى سياق التعجب يأباه اللفظ والمعنى

ابن كمال

ابو السعود افندى رحمه الله

فلما جاء امرنا اى عذابنا او امرنا بنزوله ● وفيه ما لا يخفى من التهويل نجينا صالحا والذين امنوا
معه متعلق بنجينا او بامنوا برحمة بسبب رحمة عظيمة منا وهى بالنسبة الى صالح النبوة والى المؤمنين الايمان
كما ان او ملتبسين برحمة ورافة منا ومن خزي يومئذ اى ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة
... ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى انه وكانت تلك التنجية تنجية من خزي يومئذ اى من ذله
ومهانته ● او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة كما فسر به العذاب الغليظ فيما سبق فيكون المعنى ونجيناهم
من عذاب يوم القيمة بعد تنجيتنا اياهم من عذاب الدنيا ● وعن نافع بالفتح على اكتساب المضاف
البناء من المضاف اليه هنا وفى المعارج فى قوله من عذاب يومئذ ● وقرى بالتنوين ونصب يومئذ
ان ربك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه لا غيره وتكون الاخبار
بتنجيه الاولياء لا سيما عند الانباء بحلول العذاب اهم ذكرها اولا ثم اخبر بهلاك الاعداء فقال واخذ الذين ظلموا
... عن الضمير الى الظاهر تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بعليته لنزول العذاب بهم الصيحة اى صيحة جبريل عم ●
وقيل اتتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء فى الارض فتقطعت قلوبهم فى صدورهم ●
وفى سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة ولعلها وقعت عقيب الصيحة المستتبعة لتموج الهواء فاصبحوا اى صاروا
فى ديارهم اى بلادهم او مساكنهم جاثمين هامدين موتى لا يتحركون ● والمراد كونهم كذلك عند ابتداء
نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون ذلك عند الموت المعتاد ● ولا يخفى ما فيه من الدلالة على شدة
الاخذ وسرعته

اللهم انا نعوذ بك من حلول غضبك • قيل لما رأوا العلامات التي بينها صالح من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عم فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع وهو يوم السبت تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فتقطعت قلوبهم فهلكوا كأن لم يغنوا اي كانهم لم يقيموا فيها في بلادهم او في مساكنهم وهو في موضع الحال اي اصبحوا جاثمين مماثلين لمن لم يوجد ولم يقم في مقام قط الا ان ثمود وضع موضع المضمر لزيادة البيان • ونونه ابو بكر ههنا وفي النجم وقرأ حفص ههنا وفي الفرقان والعنكبوت بغير تنوين كفروا ربهم صرح بكفرهم مع كونه معلوما مما سبق من احوالهم تقبيحا لحالهم وتعليلا لاستحقاقهم بالدعاء عليهم بالبعد والهلاك في قوله الا بعدا لثمود وقرأ الكسائي بالتنوين ولقد جاءت رسلنا ابراهيم وهم الملائكة • عن ابن عباس رض انهم جبرئيل وميكائيل • وقيل هم جبرئيل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام • وقال الضحاك كانوا تسعة • وعن محمد بن كعب جبرئيل ومعه سبعة • وعن السدي احد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم • وعن مقاتل كانوا اثني عشر ملكا عليهم السلام • وانما اسند اليهم مطلق المجيء بالبشرى دون الاهلاك لانهم لم يكونوا مرسلين اليه عليه السلام بل الى قوم لوط لقوله تعالى انا ارسلنا الى قوم لوط • وانما جاؤوه لداعية البشرى • ولما كان المقصود في السورة الكريمة ذكر سوء صنيع الامم السالفة مع الرسل المرسلة اليهم ولحوق العذاب بهم بسبب ذلك ولم يكن جميع قوم ابراهيم عم ممن لحق بهم العذاب بل انما لحق بقوم لوط منهم خاصة غير الاسلوب المطرد فيما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا ثم رجع اليه حيث قيل والى مدين اخاهم شعيبا بالبشرى اي ملتبسين بها قيل هي مطلق البشرى المنتظمة للبشارة بالولد من سارة لقوله تعالى فبشرناها باسحاق • وقوله وبشرناه بغلام حليم وقوله وبشروه بغلام عليم وللبشارة بعدم لحوق الضرر به لقوله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يظهر تفرع المجادلة على مجيئها كما سيأتي • وقيل هي البشارة بهلاك قوم لوط ويأباه مجادلته عم في شأنهم والاظهر انها البشارة بالولد وستعرف سر تفرع المجادلة على ذلك • ولما كان الاخبار بمجيئهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع بانهم ماذا قالوا اجيب بانهم قالوا سلاما اي سلمنا او نسلم عليك سلاما • ويجوز ان يكون نصبه بقالوا اي قالوا قولا ذا سلام • او ذكروا سلاما قال سلام اي عليكم سلام او سلام عليكم حياهم باحسن من تحيتهم • وقرئ سلم كحرم في حرام • وقرأ ابن ابي عبلة قال سلاما • وعنه انه قرأ بالرفع فيهما فما لبث اي ابراهيم ان جاء بعجل اي في المجيء به او ما لبث مجيئه بعجل حنيذ اي مشوي بالرضف في الاخدود • وقيل سمين يقطر ودكه كقوله بعجل سمين من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم للاكل نكرهم اي انكرهم يقال نكره وانكره واستنكره بمعنى • وانما انكرهم لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم يأكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير • وقد روي انهم كانوا ينكتون بقداح كانت في ايديهم في اللحم ولا يصل اليه ايديهم • وهذا الانكار منه عم راجع الى فعلهم المذكور • واما انكاره المتعلق بانفسهم فلا تعلق له برؤية عدم اكلهم • وانما وقع ذلك عند رؤيته لهم لعدم كونهم من جنس ما كان يعهده من الناس • الا يرى الى قوله تعالى في سورة الذاريات سلام قوم منكرون واوجس منهم اي احس واضمر من جهتهم خيفة لما ظن ان نزولهم لامر انكره الله تعالى عليه • او لتعذيب قومه • وانما اخر المفعول الصريح عن الظرف لان المراد الاخبار بان ابراهيم عم اوجس من جهتهم شيئا هو الخيفة لا انه اوجس الخيفة من جهتهم لا من جهة غيرهم وتحقيقه ان تأخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن •

تفعيل من المبني للمفعول

قالوا لا تخف ما قالوه بمجرد ما رأوا منه مخايل الخوف ازالة له منه بل بعد اظهاره منه عم له كما قال تعالى في سورة الحجر قال انا منكم وجلون ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بذلك انا ارسلنا ظاهره انه استيناف في معنى التعليل للنهي المذكور كما ان قوله تعالى انا نبشرك تعليل لذلك فان ارسالهم الى قوم آخرين يوجب امنهم من الخوف اي انا ارسلنا بالعذاب الى قوم لوط خاصة الا انه ليس كذلك فان قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين صريح في انهم قالوه جوابا عن سؤاله عليهم السلام وقد اوجز الكلام اكتفاء بذلك وامرأته قائمة وراء الستر بحيث تسمع محاورتهم او على رؤوسهم للخدمة حسبما هو المعتاد والجملة حال من ضمير قالوا اي قالوا وهي قائمة تسمع مقالتهم فضحكت سرورا بزوال الخوف او بهلاك اهل الفساد او بهما جميعا • وقيل بوقوع الامر حسبما كانت تقول فيما سلف فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فاني ارى ان العذاب نازل بهؤلاء القوم • وقيل ضحكت حاضت ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وهو بعيد وقرئ بفتح الحاء • انتهى ابو العود افندي •

من العيون للشيخ السهروردي

لما جاء امرنا اي عذابنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا اي بنعمة من عندنا ومن خزي عطف على نجينا اي ونجيناهم من هوانه يومئذ بكسر الميم اعرابا للاضافة الى الجملة المضاف اليه • وبفتح الميم بناء للاضافة يوم الى المبني وهو اذ لان ظرف الزمان متى اضيف الى المبني جاز فيه الاعراب والبناء • وحرمهم اياها في الدنيا او في الآخرة ان ربك هو القوي العزيز اي المتين في اخذه بالشدة المنتقم ممن عصاه واخذ الذين ظلموا اي كفروا بالرسل الصيحة اي صياح جبرئيل وهو الصوت الذي سمعوا من السماء فتقطعت قلوبهم في صدورهم جاثمين فاصبحوا اي فصاروا في ديارهم جاثمين اي صرعى خامدين هالكين كأن لم يغنوا فيها اي كأن لم يكونوا مقيمين في ديارهم الا ان ثمودا قرئ ثمود بالصرف اسم للحي وبعدم الصرف علم للقبيلة كفروا ربهم الا بعدا لثمود اي تنبيه للكفار مكة فاحذروا من عقوبته كيلا يصيبكم بكفركم مثل ما اصابهم بكفرهم ولقد جاءت رسلنا وهم الملائكة من السماء ثم اختلفوا في عددهم والاصح وهو قول ابن عباس رض انهم كانوا ثلثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل جاؤوا ابراهيم بالبشرى اي ببشارة الولد وهم في صورة غلمان امرد وسلموا عليه قالوا سلاما قال ابراهيم سلام اي عليكم سلام • وقرئ سلم بكسر السين وسكون اللام بمعنى السلام او تقديره اي امري سلم بمعنى السلامة اي ما اريد عليكم الا الامن والصلح فما لبث ابراهيم ان جاء اي عن المجيء بعجل حنيذ اي مشوي بالحجارة في حفرة يقطر دسمه • والعجل ولد البقرة • قيل كان عامة مال ابراهيم عم البقر فلما قربه اليهم ووضعه بين ايديهم كفوا عنه ولم يأكلوا منه فلما رأى ابراهيم عم ايديهم لا تصل اليه اي الى العجل نكرهم اي استنكرهم وهو ضد المعرفة وكان من عادة ابراهيم عم وقومه انه اذا اكل الضيف من طعامهم آمنوا منه فلما لم يأكلوا منه خاف ان يريدوا به سوء او لم يعرفهم واوجس اي اضمر في قلبه منهم خيفة اي خوفا فاظهر اثره عليه او عرفوه بتعريف الله تعالى اياهم قالوا اي الملائكة لا تخف يا ابراهيم انا ملائكة ارسلنا الى قوم لوط اي لاهلاكهم وقيل علم ابراهيم عم انهم ملائكة ولكنه خاف ان يكونوا جائين بعذاب قومه فردوا عليه ذلك وامرأته اي سارة بنت هاران عمه قائمة خلف الستر تسمع كلامهم او قائمة تخدمهم وابراهيم جالس معهم فضحكت سرورا بزوال الخوف عنها وعن ابراهيم بقولهم لا تخف او تعجبا من عدم اكلهم وهم اضياف وقيل بمعنى حاضت من قولهم ضحكت الارنب اذا حاضت •

... اسيل

فبشرناها باسحق اى عقبنا سرورها بسرور اتم منه على ألسنة رسلنا ومن وراء اسحق يعقوب
بالنصب على انه مفعول لما دل عليه قوله بشرناها اى ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب • وقرئ بالرفع على
الابتداء خبره الظرف اى من بعد اسحق يعقوب مولود او موجود كلاهما سميان داخل في
البشارة كيحيى او واقع في الحكاية بعد ان ولدا فسميا بذلك • وتوجيه البشارة هنا اليها مع
ان الاصل في ذلك ابراهيم عليه السلام وقد وجهت اليه حيث قيل وبشرناه بغلام حليم • وبشروه
بغلام عليم للايذان بان ما بشر به يكون منهما ولكونها عقيمة حريصة على الولد قالت استئناف ورد
جوابا عن سؤال من سأل وقال فماذا فعلت اذ بشرت بذلك فقيل قالت يا ويلتا اصل الويل الخزي
ثم شاع في كل امر فظيع • والالف مبدلة من ياء الاضافة كما في يا لهفا ويا عجبا • وقرئ الحسن على الاصل •
وامالها ابو عمرو وعاصم في رواية ومعناه يا ويلتى احضري فهذا اوان حضورك • وقيل هي الف الندبة
ويوقف عليها بهاء السكت أألد وانا عجوز بنت تسعين او تسع وتسعين سنة وهذا الذي تشاهدونه بعلي
اى زوجي واصل البعل القائم بالامر شيخا وكان ابن مائة وعشرين سنة • ونصبه على الحال والعامل معنى
الاشارة • وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو شيخ • او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل من
اسم الاشارة او بيان له وكلتا الجملتين وقعت حالا من الضمير في أألد لتقرير ما فيه من الاستبعاد و
تعليله اى أألد وكلانا على حالة منافية لذلك • وانما قدمت بيان حالها على بيان حاله عليه السلام لان
مباينة حالها لما ذكر من الولادة اكثر اذ ربما يولد للشيوخ من الشواب اما العجائز داؤهن عقام
ولان البشارة متوجهة اليها صريحا ولان العكس في البيان ربما يتوهم من اول الامر نسبة المانع عن
الولادة الى جانب ابراهيم عليه السلام وفيه ما لا يخفى من المحذور واقتصارها على الاستبعاد على ذلك من
غير تعرض لحال النافلة لانها المستبعد واما ولادة ولدها فلا يتعلق بها استبعاد ان هذا اى ما ذكر من
حصول الولد من هرمين مثلنا لشيء عجيب بالنسبة الى سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده • وهذه الجملة
لتعليل الاستبعاد بطريق الاستئناف التحقيقي ومقصدها استعظام نعمة الله تعالى عليها في ضمن الاستعجاب
العادي لا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه وتعالى قالوا أتعجبين من امر الله اى قدرته وحكمته او تكوينه
او شأنه انكروا عليها تعجبا من ذلك لانها كانت ناشئة في بيت النبوة ومهبط الوحي والآيات ومظهر المعجزات
والامور الخارقة للعادات فكان حقها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء من امثال هذه الخوارق من
الطاف الله تعالى الخفية ولطائف صنعه الفائضة على كل احد ممن يتعلق بذلك مشيئته الازلية لا سيما على اهل
بيت النبوة التي ليست مرتبتهم عند الله سبحانه كمراتب سائر الناس وان تسبح الله تعالى وتحمده وتمجده والى ذلك
اشاروا بقولهم تعالى رحمة الله التي وسعت كل شيء واستتبعت كل خير • وانما وضع المظهر موضع المضمر لزيادة تشريفها
وبركاته اى خيراته النامية المتكاثرة في كل باب التي من جملتها هبة الاولاد • وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط
من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم عليهم السلام عليكم اهل البيت نصب على المدح او الاختصاص
لانهم اهل بيت خليل الرحمن • وصرف الخطاب من صيغة الواحدة الى الجمع المذكر لتعميم حكمه لابراهيم عليه السلام ايضا ليكون جوابهم
لها جوابا ايضا ان خطر بباله مثل ما خطر ببالها • والجملة كلام مستأنف علل به انكار تعجبها كأنه قيل ليس المقام مقام
التعجب فان الله تعالى على كل شيء قدير وانتم يا اهل بيت النبوة والكرامة والزلفى كسائر الطوائف بل رحمته
المستتبعة لكل خير الواسعة لكل شيء وبركاته اى خيراته النامية الفائضة منه بواسطة تلك الرحمة الواسعة
لازمة لكم لا تفارقكم انه حميد فاعل ما يستوجب الحمد مجيد كثير الخير والاحسان الى عباده • والجملة لتعليل ما سبق من
قوله رحمة الله وبركاته عليكم فلما ذهب عن ابراهيم الروع اى ما اوجس منهم من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وعرفان
سبب مجيئهم • والفاء لربط بعض احوال ابراهيم عليه السلام ببعض غب انفصالها بما ليس باجنبي من كل وجه بل له مدخل تام
في السباق والسياق • وتأخير الفاعل عن الظرف لانه مصب الفائدة فان التأخير عما حقه التقديم تبقى النفس مترقبة
الى وروده فيتمكن فيها عند وروده اليها فضل تمكن وجاءته البشرى ان فسرت البشرى بقولهم لا تخف فسببية ذهاب
الخوف ومجيء السرور للمجادلة المدلول عليها بقوله تعالى يجادلنا في قوم لوط اى جادل رسلنا في شأنهم • وعدل الى صيغة
الاستقبال لاستحضار صورتها او طفق يجادلنا ظاهرة • وان فسرت ببشارة الولد او بما يعمهما فلعل سببيتها لها
من حيث انها تفيد زيادة اطمئنان قلبه بسلامته وسلامة اهله كافة ومجادلته اياهم انه قال لهم حين قالوا انا مهلكو
اهل هذه القرية أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين أتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا
حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرأيتم ان كان فيها رجل مسلم أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال

…سند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله • ان قيل المتبادر من هذا الكلام
ان يكون ابراهيم عليه السلام قد علم انهم مرسلون لاهلاك قوم لوط قبل ذهاب الروع عن نفسه ولكن لم يقدر
على مجادلتهم في شأنهم لاشتغاله بشأن نفسه فلما ذهب عنه الروع فرغ لها مع ان ذهاب الروع انما هو
قبل العلم بذلك بقوله تعالى قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط قلنا كان لوط عليه السلام على شريعة ابراهيم عليه السلام
وقومه مكلفين بها فلما رأى من الملائكة ما رأى خاف على نفسه وعلى كافة امته التي من جملتهم قوم لوط
ولا ريب في تقدم هذا الخوف على قولهم لا تخف واما الذي علمه عليه السلام بعد النهي عن الخوف فهو اختصاص
قوم لوط بالهلاك لا دخولهم تحت العموم فتأمل والله الموفق ان ابراهيم لحليم غير عجول على الانتقام
ممن اساء اليه اواه كثير التأوه على الذنوب والتأسف على الناس منيب راجع الى الله تعالى والمقصود
تعداد صفاته الجميلة المذكورة بيان ما حمله عليه السلام على ما صدر عنه من المجادلة يا ابراهيم اى قالت الملائكة
يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال انه اى الشأن قد جاء امر ربك اى قدره الجاري على وفق قضائه الازلي
الذي هو عبارة عن الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص
حسب تعلقها بالاشياء في اوقاتها وهو المعبر عنه بالقدر وانهم آتيهم عذاب غير مردود لا بجدال ولا بدعاء
ولا بغيرهما انتهى ابو السعود افندي

من العيون

فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق اى بعده يعقوب عطف على باسحق عند من قرأ بنصب الباء
…او مبتدأ خبره الظرف قبله عند من قرأه مرفوعا كأنه قيل ومن وراء اسحق يعقوب موجود او مولود وهو
…الولد قالت يا ويلتا كلمة نداء ندبة تقال عند ورود امر عظيم اى ويلتي • فالالف مبدلة من ياء
الاضافة بمعنى يا عجبا أألد وانا عجوز اى عقيم لم الد قط وقد كبرت فذا سن وهذا بعلي اى زوجي
…مبتدأ وخبر • ومحل الجملة حال بما دل عليه ذا من معنى الاشارة كأنها اشارت الى المعروف عندهم بقولها
بعلي ثم قالت شيخا يعني اشير اليه في حال كبره ولو لم يقدر كونه معروفا عندهم لزم ان يكون
ابراهيم عليه السلام بعلها مدة شيخوخته ولم يكن بعلها في مدة شبيبته ومثله قولك هذا زيد قائما
اذا اخبرت به من يعرفه استقام المعنى فان اخبرت من لا يعرفه لم يستقم لانه يفهم انه زيد ما دام قائما
فاذا زال القيام لم يكن زيدا قيل بشرت سارة بالولد وهي بنت ثمان وتسعين سنة وكان ابراهيم عليه السلام
ابن تسع وتسعين سنة اكبر منها بسنة وقيل كان ابراهيم عليه السلام ابن مائة وعشرين سنة وسارة
بنت تسعة وتسعين سنة فانكرت ذلك عادة وقالت ان هذا اى حدوث الولد من الكبيرين
لشيء عجيب اى لامر مستبعد عجيب من حيث العادة قالوا اى الملائكة انكارا عليها وهي من اهل بيت النبوة
أتعجبين يا سارة كسائر النساء من امر الله بايجاد الولد من كبيرين يعني لا تعجبي من امره ذلك
رحمت الله اى نعمته ونبوته وبركاته اى وزيادات خيره تحل ان عليكم يا اهل البيت اى بيت النبوة
…يعلمن ان نبوة الوحي من الله واكثر الانبياء من الاسباط وهم من هذا البيت يعني من ولد ابراهيم عليه السلام
روى ان جبرائيل عليه السلام اخذ عودا من الارض يابسا فدلكه بين اصبعيه فاذا هي شجرة تهتز فعرفت
انه من الله تعالى ثم قال تعالى انه اى الله تعالى حميد محمود في فعاله مجيد اى واسع الكرم كثير الاحسان
فلما ذهب عن ابراهيم الروع اى الخوف وجاءته البشرى باسحق ويعقوب حال بتقدير قد وجواب لما
محذوف اى اقبل علينا يجادلنا في قوم لوط اى في شأنهم حال اقيم مقام الجواب اى يجادل رسلنا
…ان ابراهيم لا يجادل ربه المعنى انه يسأل ربه ويطلب تضرعا والحاحا • وقيل مجادلته اياهم انه قال لهم
…تهلكون قوما فيهم خمسون مؤمنا من مداين قوم لوط قالوا لا قال واربعون قالوا لا او ثلاثون قالوا لا

هذا ابن الكمال

فبشرناها باسحق هذه البشارة ايضا على لسان الملائكة • والفاء للتعقيب اى بشرناها بالولد وبولدها الولد عقيب ما اوجب
سرورها • والاسمان يحتمل وقوعهما فى البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما فى الحكاية ومن وراء اسحق يعقوب رفع بالابتداء
خبره الظرف اى ومن بعد اسحق يعقوب مولود • وقرئ بالنصب بفعل دل عليه بشرناها اى ووهبنا له من وراء اسحق يعقوب
قالت يا ويلتى يا عجبا واصله فى الشر ثم اطلق فى كل امر فظيع • والالف فيه مبدلة من ياء الاضافة • وقرئ بالياء على الاصل
االد وانا عجوز ابنة تسعين سنة قيل كانت فى تسع وتسعين • ولم يدخلها الهاء لانها وضعت للانثى خاصة وهذا بعلى زوجى •
واصله القائم بالامر شيخا حال والعامل فيه معنى الاشارة فى هذا • وقرئ شيخ على انه خبر مبتدا محذوف اى هذا بعلى هو شيخ
او خبر ثانيا وبعلى بدل منه او خبر بعد خبر ان هذا لشئ عجيب يعنى الولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة
وانما انكرت الملائكة تعجبا بقولهم اتعجبين من امر الله لانها كانت فى بيت الآيات والمعجزات وخوارق العادات فكان حقها
ان لا تستقر بل تستقر وتشكر نعمة الله تعالى وتحمده وتمجده ولا تتعجب منه لاعتيادها بامثالها ولهذا قالت الملائكة
رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت كلام مستانف علل به انكار التعجب كانه قيل ليس هذا بمكان التعجب فان الله تعالى
خصكم من بين الناس بامثال هذه الكرامات واكرمكم يا اهل بيت النبوة • ونصبه على المدح • او على النداء لقصد
التخصيص • قيل الرحمة النبوة • والبركات الاسباط من بنى اسرائيل لان الانبياء كانوا فيهم كثيرا انه حميد فاعل ما
يستوجب به الحمد مجيد كريم يستحق التمجيد و
الثناء بكثرة الاحسان والانعام على عباده

فبشرناها باسحق وخصت بالبشارة لان النساء اعظم سرورا
بالولد من الرجال ولانه لم يكن لها ولد وكان لابراهيم ولد
هو اسمعيل ومن وراء اسحق ومن بعده يعقوب بالنصب شامى
وحمزة وحفص بفعل مضمر دل عليه فبشرناها اى فبشرناها
باسحق ووهبنا لها يعقوب من وراء اسحق • وبالرفع غيرهم
على الابتداء والظرف قبله خبر كما تقول فى الدار زيد قالت
يا ويلتى الالف مبدلة من ياء الاضافة • وقرأ الحسن يا ويلتى
بالياء على الاصل ءالد وانا عجوز ابنة تسعين سنة وهذا بعلى
شيخا ابن مائة وعشرين سنة • هذا مبتدا وبعلى خبره وشيخا
حال • والعامل معنى الاشارة التى دلت عليه ذا او معنى التنبيه
الذى دل عليه ها ان هذا لشئ عجيب ان يولد ولد من هرمين
وهو استبعاد من حيث العادة قالوا اتعجبين من امر الله قدرته و
حكمته • وانما انكرت الملائكة تعجبها لانها كانت فى بيت الآيات
ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها ان تتوقر
ولا يزدهيها ما يزدهى سائر النساء الناشئات فى غير بيت النبوة
وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك اشارت الملائكة حين
قالوا رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت ارادوا ان هذه وامثالها
مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة
فليست بمكان عجيب وهو كلام مستانف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة

فلما ذهب عن ابراهيم الروع الافزاع عما
اوجس من الخيفة واطمان قلبه بعرفانهم
وعرفان سبب مجيئهم • والفاء لترتيب
بعض ما يتعلق بابراهيم من
الكلام على بعض وقد تخلل بينهما ما يتعلق
بامراته وكله ايضا مدخل فى ذهاب روعه
وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا فى
قوم لوط يجادل رسلنا فى شانهم ومجادلته
اياهم قوله ان فيها لوطا وجواب لما محذوف
ويجادلنا كلام مستانف دال على تقديره
اجتراء على خطابنا او فزع لجادلنا
نحو ذلك • وقيل الجواب يجادلنا على
حكاية الحال الماضية • وقيل لما يرد
المضارع الى معنى الماضى كما يرد الماضى
الى المستقبل معنى • وقيل معناه اخذ
يجادلنا • او اقبل يجادلنا او ما فى معناها
ان ابراهيم لحليم متحمل غير عجول
على الانتقام ممن اساء اليه اواه كثير التاوه
من الذنوب والتاسف على الناس منيب
رجاع الى الله تعالى بما يحب ويرضى والمقصود
من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو
الرافة والرحمة والرقة على ابناء الجنس يا ابراهيم
على ارادة القول اى قالت الملائكة له يا ابراهيم
اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة دعتك
اليه فربهم اعلم بهم وبما يستحقونه انه قد
جاء امر ربك اى قضاؤه وحكمه وانهم

سابقة من الله عليكم • وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بنى اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد
ابراهيم • واهل البيت نصب على النداء • او على الاختصاص انه حميد محمود بتعجيل النعم مجيد ظاهر الكرم بتاجيل النعم
فلما ذهب عن ابراهيم الروع الفزع وهو ما اوجس من الخيفة حين انكر اضيافه وجاءته البشرى بالولد يجادلنا فى
قوم لوط فى معناه اى لما اطمان قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى فرغ للمجادلة وجواب لما محذوف
تقديره اقبل يجادلنا او يجادلنا جواب لما • وانما جئ به مضارعا لحكاية الحال • والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته
اياهم انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية فقال ارايتم لو كان فيها خمسون مؤمنا اتهلكونها قالوا لا قال ظ

ابو السعود افندي

فبشرناها باسحق اى عقبنا سرورها بسرور اتم منه على السنة رسلنا ومن وراء اسحق يعقوب
بالنصب على انه مفعول لما دل عليه قوله بشرناها اى ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب • وقرئ بالرفع على
الابتداء خبره الظرف اى من بعد اسحق يعقوب مولود او موجود كلا الاسمين داخل فى
البشارة كيحيى او واقع فى الحكاية بعد ان ولدا فسميا بذلك • وتوجيه البشارة هنا اليها مع
ان الاصل فى ذلك ابراهيم عليه السلام وقد وجهت اليه حيث قيل وبشرناه بغلام حليم • وبشروه

حتى بلغ خمسة قالوا لا قال ارايتم لو كان فيها واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا قال ابراهيم عند ذلك ان فيها
لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين قال ابن عباس لو كان فيهم خمسة يصلون
رفع عنهم العذاب ان ابراهيم لحليم اى غير عجول على المسئ اواه يتاوه اذا ذكر ابه منيب اى رجاع اليه
بالتوبة والاستغفار • فهذه الصفات حملته على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع عنهم العذاب ويمهلوا
لعلهم يحدثون التوبة والانابة ثم قال له جبريل يا ابراهيم اعرض عن هذا اى عن جدالك فان الرافة
عادتك ولا تنفعهم لانه اعلمه انه قد جاء امر ربك بعذابهم واهلاكهم وحكم به وانهم اتيهم اى نازل بهم
عذاب غير مردود اى غير مصروف عنهم بجدال ولا دعاء ولا شفاعة ثم خرجوا من عنده متقبلين الى قوم لوط
بضيفه لها الحجارة يستقين من الماء فابصرتهم ابنة لوط فقالت لهم ما شانكم ومن اين اقبلتم فقالوا
اقبلنا من مكان كذا مسافرين هل احد يضيفنا قالت ليس فيها احد يضيفكم الا ذلك الشيخ فانتهت الى ابيها
لوط وهو على بابه فدخلوا
اليه ولما جاءت رسلنا

انتهى العيون

ظ
قال فاربعون قالوا لا قال فثلثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم ان كان فيها رجل
واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله
ان ابراهيم لحليم غير عجول على كل من اساء اليه • او كثير الاحتمال ممن اذاه الصفوح عمن
عصاه اواه كثير التاوه من خوف الله تعالى منيب تائب راجع الى الله تعالى وهذه الصفات دالة
على رقة القلب والرافة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع عنهم
ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة كما حمله على الاستغفار لابيه فقالت الملائكة يا ابراهيم اعرض
عن هذا الجدال وان كانت الرحمة ديدنك انه قد جاء امر ربك قضاؤه وحكمه وانهم اتيهم عذاب
غير مردود لا يرد بجدال وغير ذلك • عذاب مرتفع باسم الفاعل وهو اتيهم تقديره وانهم
ياتيهم عذاب غير مصروف عنهم انتهى المدارك

هذا ابن الكمال

ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم اسف واغتم بمجيئهم لانهم جاءوا في صورة غلمان حسان فحسبهم انسانا فخاف عليهم خبث قومه وعجزه عن مدافعتهم وضاق بهم ذرعا كناية عن شدة الانقباض عن مدافعة المكروه كانه ضاق بمكانهم صدره وقال هذا يوم عصيب شديد من قولك عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون يسرعون اليه كانما يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا عليها ولم يستحيوا منها فلذلك جاءوا يهرعون واليه مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي فتزوجوهن فدى بهن اضيافه كرما وفتوة وحمية وكان اذ ذاك تزويج المسلمات من الكفار جائزا ● ومن ذا دعلى هذا قولهم وكانوا يخطبونهن من قبل ذلك ولا يجيبهم اليهن بخبثهم وعدم كفاءتهم فكانه لم يتامل في قولهم لقد علمت ما لنا في بناتك من حق فانه ظاهر في عدم رغبتهم فيهن ● وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه وازواجه امهاتهم وهو اب لهم فيأباه قولهم لقد علمت ما لنا في بناتك من حق ● واما ما قيل انه عم مبالغة في تناهي خبث ما يرد منه حتى ان ذلك اهون منه او اظهار لشدة امتعاضه من ذلك في ترغيبها فلا يناسب شأنه ولا يلائم قوله هن اطهر لكم اراد المبالغة في الطهارة لا تفضيلهن فهو على من زاعمونه كقوله عم الله اعلى واجل في مقابلة قول ابي سفيان اعل هبل ● وقرئ اطهر بالنصب على تقدير خذوا هؤلاء اطهر لكم وقوله بناتي هن جملة معترضة تعليلا للامر وكونهن اولى بذلك للاهتمام كانه قيل خذوا هؤلاء العفائف اطهر لكم ان بناتي هن و انتم تعلمون طهارتهن وطهارة بناتي ● ويجوز ان يكون هؤلاء مبتدأ وبناتي خبر وهن تاكيدا للمستكن في بناتي لانه وصف مشتق واطهر حالا فاتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون من الخزي وهو الهوان او من الخزاية وهي الخجالة في ضيفي بسببهم فان

التعدي لضيفا لرجل اخزاء له وترتبه على المحذوف لا على المذكور على ما افصح عنه في موضع آخر حيث قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون وقد علم منه ان المراد من الخزي معنى الخزاية كما عن الفضاحة اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح فيرشد اصحابه اليه ويمنعهم عنه والمراد هنا ولذلك قال منكم دون فيكم لعموم الاجنبي وكلامه لا يوثر تاثير كلام الذي منهم قالوا الخ انتهى ابن الكمال

ابو السعود افندي

ولما جاءت رسلنا لوطا قال ابن عباس رض انطلقوا من عند ابراهيم عم الى لوط عم وبين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا عليه في صورة غلمان مرد حسان الوجوه فلذلك سيء بهم اي ساءه مجيئهم لظنه انهم اناس فخاف ان يقصدهم قومه ويعجز عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن عامر والكسائي وابو عمرو سيء وسيئت باشمام السين الضم ● وروي ان الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرها قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته فاخبرت به قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط وضاق بهم ذرعا اي ضاق بمكانهم صدره او قلبه او وسعه وطاقته وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقيل ضاقت نفسه عن هذا الحادث وذكر الذرع مثل وهي المساحة وكانه قدر البدن مجازا اي ان بدنه ضاق قدره من احتمال ما وقع وقيل الذرع اسم للجارحة من المرفق الى الانامل والذرع مدها ومعنى ضيق الذرع في قوله تعالى ضاق بهم ذرعا قصرها كما ان معنى سعتها وبسطتها طولها ووجه التمثيل بذلك ان القصير الذرع اذا مدها ليتناول ما يتناوله الطويل الذرع تقاصر عنه وعجز عن تعاطيه فضرب مثلا للذي قصرت طاقته دون بلوغ الامر وقال هذا يوم عصيب

للشيخ ابو المعين النسفي

ولما جاءت رسلنا لوطا لما اتوه ورأى هيئاتهم وجمالهم سيء بهم احزن لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وضاق بهم ذرعا تمييز اي وضاق بمكانهم صدره وقال هذا يوم عصيب شديد ● وروي ان الله قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا قال ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته فاخبرت به قومها وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون كانما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيئات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش حتى مرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاءوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء قال يا قوم هؤلاء بناتي فتزوجوهن اراد ان يقي اضيافه ببناته وذلك غاية الكرم وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا في ذلك الوقت كما جاز في الابتداء في هذه الامة فقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن ابي لهب وابي العاص وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد لوط ان يزوجهما ابنتيه هن اطهر لكم احل هؤلاء مبتدأ وبناتي عطف بيان وهن فصل واطهر خبر المبتدأ او بناتي خبر وهن اطهر مبتدأ وخبر فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي ● او ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء وبالياء ابو عمرو في ضيفي في حق ضيفي فانه اذا خزي ضيف الرجل او جاره فقد خزي وذلك من عراقة الكرم واصالة المروءة اليس منكم رجل رشيد اي رجل واحد يهتدي الى طريق الحق وفعل الجميل والكف عن السوء انتهى المدارك

وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه اي لوطا وهو في بيته مع اضيافه قومه يهرعون اليه اي يسرعون كانما يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه والجملة حال من قومه وكذا قوله ومن قبل اي من قبل هذا الوقت كانوا يعملون السيئات اي جاءوا مسرعين والحال انهم كانوا منهمكين في عمل السيئات فضروا بها وتمرنوا فيها حتى لم يبق عندهم قباحتها ولذلك لم يستحيوا مما فعلوا من مجيئهم مهرعين مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعيته فان تزويج المسلمات من الكفار كان جائزا وقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن الربيع قبل الوحي وهما كافران ● وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه واياما كان فقصد اراد به وقاية ضيفه وذلك غاية الكرم ● وقيل ما كان ذلك القول منه مجرى على الحقيقة من ارادة النكاح بل كان ذلك مبالغة في التواضع لهم واظهارا لشدة امتعاضه مما اوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فينزجروا عما اقدموا عليه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم جميعا بان لا مناكحة بينهم وهو الانسب بقولهم لقد علمت ما لنا في بناتك من حق كما ستقف عليه فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون في ضيفي اي لا تفضحوني في شأنهم فان اخزاء ضيف الرجل وجاره اخزاء له او لا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق الصريح ويرعوي عن الباطل القبيح انتهى ابو السعود

من العيون

ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم اي تحزن لمجيئهم لانهم اتاهم على صورة الغلمان وضاق بهم ذرعا اي ضاق صدره اغتماما ومخافة عليهم من خبث قومه وعجزا عن مقاومتهم لا يدري انهم ملائكة ولا امر بالرجوع لما رأى جمالهم وقال هذا يوم عصيب اي شديد فجاء بهم منزله سرا وقال لامرأته قومي واخبزي ولا تعلمي احدا وكانت امرأته منافقة فانطلقت تطلب بعض حاجتها فاخبرت قومها ان عندنا اضيافا من هيئتهم كذا وكذا ولما جاءه قومه يهرعون اي يسرعون اليه يدفعون دفعا ● والهرع مشي بين مشيين لنيل شهوتهم ومن قبل اي قبل ان بعث اليهم لوطا او قبل اتيان الرسل كانوا يعملون السيئات اي الفواحش وهو الاتيان من الادبار فلما ارادوا الدخول في بيته قال لهم لوط يا قوم هؤلاء مشيرا الى نساء امته او الى ابنتيه بناتي اضافهن الى نفسه على التقدير الاول لان كل نبي ابو امته هن اطهر لكم بالتزويج بشرط الاسلام وقيل كان في ذلك الوقت تزويج المسلمة من الكافر جائزا كما زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته من عتبة بن ابي لهب قبل الوحي وكان كافرا وقيل ذكر ذلك على سبيل الدفع واظهار التواضع ليستحيوا منه لا على التحقيق ولم يرضوا بهذا فقال فاتقوا الله ولا تخزون اي لا تفضحوني في ضيفي بفعلكم الخبيث لانه اذا خزي ضيف الرجل او جاره فقد خزي ذلك الرجل والضيف مصدر يعم القليل والكثير اي في اضيافي اليس منكم رجل رشيد اي مرشد صالح او عاقل يزجركم عن هذا الفعل انتهى العيون

يدلهم الى الصواب ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر كرماني

اي احل لكم بالنكاح وقال الحسين بن الفضل اي على شرط اسلامكم وقال الاخفش لعله في ذلك الوقت كان يباح نكاح المشرك المسلمة وكان ذلك جائزا في ابتداء الامر في هذه الامة فان النبي صلى الله عليه وسلم زوج ابنته من عتبة بن ابي لهب والى العاص بن الربيع وكانا كافرين وقال الحسن وكان حينئذ تحل المسلمة للمشرك وكان في اول الاسلام وكانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت ابي العاص بن الربيع حتى نزلت ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن الخ انتهى من تفسير الثعلبي

قوله هؤلاء بناتي قال القاشاني رحمه الله بنات قومي لان النبي كالاب لقومه وازواجه امهاتهم واولادهم كاولاده انتهى

ابو السعود افندي

قالوا معرضين عما نصحهم به من الامر بتقوى الله تعالى والنهي عن اخزائه مجيبين عن اول كلامه لقد علمت ما لنا في بناتك
من حق مستشهدين بعلمه بذلك يعنون انك قد علمت ان لا سبيل الى المناكحة بيننا وبينك وما عرضك الا عرض سابري
ولا مطمع لنا في ذلك وانك لتعلم ما نريد من اتيان الذكران ولما يئس عليه السلام من ارعوائهم عما هم عليه من الغي قال
لو ان لي بكم قوة اي لفعلت بكم ما فعلت وصنعت بكم ما صنعت كقوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض
او كلم به الموتى او آوي الى ركن شديد عطف على ان لي بكم لما فيه من معنى الفعل اي لو قويت على دفعكم بنفسي او اويت الى ناصر
عزيز قوي اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في الشدة والمنعة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان
يأوي الى ركن شديد وروي انه عليه السلام اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار
فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا اي الرسل لما شاهدوا عجزه عن مدافعة قومه يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك
بضرر ولا مكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه رب العزة جل جلاله في
عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو
براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم كما قال عز وعلا فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق
فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع
بالوصل حيث جاء في القرآن من السري والفاء لترتيب الامر بالاسراء على الاخبار برسالتهم المؤذنة بورود الامر والنهي
من جنابه عز وجل اليه عليه السلام بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد اي لا يتخلف او لا ينظر الى ورائه احد منكم
ومن اهلك وانما نهوا عن ذلك ليجدوا في السير فان من يلتفت الى ما وراءه لا يخلو عن ادنى وقفة او لئلا يروا
ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم الا امرأتك استثناء من قوله تعالى فاسر باهلك ويؤيده انه قرئ فاسر باهلك
بقطع من الليل الا امرأتك وقرئ بالرفع على البدل من احد كلا التفات بمعنى التخلف لا بمعنى النظر الى الخلف كيلا يلزم
التناقض بين القراءتين المتواترتين فان النصب يقتضي كونها غير مأمور بالاسراء بها والرفع كونها مأمورا بذلك
والاعتذار بان مقتضى الرفع انما هو مجرد كونها معهم وذلك لا يستدعي الامر بالاسراء بها حتى يلزم المناقضة لجواز ان تسري
هي بنفسها كما روي انه عليه السلام لما اسرى باهله تبعتهم فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر
فقتلها وان يسرى بها عليه السلام من غير امر بذلك اذ موجب النصب انما هو عدم الامر بالاسراء بها لا النهي عن الاسراء
حتى يكون الاسراء بها مخالفا للنهي لا يجدي نفعا لان انصراف الاستثناء الى الالتفات يستدعي بقاء الاهل
على عمومه فيكون الاسراء بها مأمورا به قطعا وفي حمل الاهلية في احدى القراءتين على الاهلية الدينية وفي الاخرى
على النسبية مع ما فيه مما لا يخفى من التحكم والاعتساف كر على ما فر منه من المناقضة كما لا يخفى وجعل الاستثناء
على القراءتين من قوله ولا يلتفت مثل الذي في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل منهم فان ابن عامر قرأه بالنصب وان كان
الافصح الرفع على البدل ولا بعد في كون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها
عنه بطريق الاستصلاح ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم من العذاب وهو امطار الحجارة
وان لم يصبها الخسف والضمير في انه للشأن وقوله تعالى مصيبها خبر وقوله ما اصابهم مبتدأ والجملة خبر لان الذي
اسمه ضمير الشأن وفيه ما لا يخفى من تفخيم شأن ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان
موعدهم الصبح اي موعد عذابهم وهلاكهم تعليل للامر بالاسراء والنهي عن الالتفات المشعر بالحث على الاسراع اليس
الصبح بقريب تأكيد للتعليل فان قرب الصبح داع الى الاسراع في الاسراء للتباعد عن مواقع العذاب وروي انه
قال للملائكة عليهم السلام متى موعد هلاكهم قالوا الصبح قال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب وانما جعل
ميقات هلاكهم الصبح لانه وقت الدعة والراحة فيكون حلول العذاب حينئذ افظع ولانه انسب بكون ذلك عبرة للناظرين
فلما جاء امرنا اي وقت عذابنا وموعده وهو الصبح جعلنا عاليها اي عالي قرى قوم لوط وهي التي عبر عنها بالمؤتفكات
وهي خمس مدائن فيها اربعمائة الف الف سافلها اي قلبناها على تلك الهيئة وجعل عاليها مفعولا اول للجعل وسافلها
مفعولا ثانيا له وان تحقق القلب بالعكس ايضا لتهويل الامر وتفظيع الخطب لان جعل عاليها وان كان
~~روي انه جعل جبريل عليه السلام جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء عاليها الذي هو مقارهم ومساكنهم سافلها اشد~~
واشق من جعل سافلها عاليها وان كان مستلزما له روي انه جعل جبريل عليه السلام جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى
سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واسناد الجعل والامطار الى ضميره سبحانه باعتبار انه المسبب
لتفخيم الامر وتهويل الخطب وامطرنا عليها

قوله استثناء الى قوله والاعتذار عنى تعريض للفاضل
قوله والاعتذار الجواب الطيبي عن ابن الحاجب بلزوم التناقض اه
قوله لا يجدي خبر المبتدأ وهو الاعتذار
قوله كما روي الى قوله تعالى انه مصيبها عنى كلام المولى ابن الكمال وغيرهما وقد وافقوا العاجب فيه
ابن الحاجب اسم

[وامط]رنا عليها على اهل المداين او شذاذهم حجارة من سجيل من طين متحجر كقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب
وقيل من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او مثل العطية في الادرار او من السجل اي
مما كتب الله تعالى ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت لامه نونا منضود نضد في السماء نضدا
معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه اثر بعض كقطار الامطار مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة
او بسيما تتميز به عن حجارة الارض او باسم من ترمى به عند ربك في خزائنه التي لا يتصرف فيها غيره عز وجل وما هي
اي الحجارة الموصوفة من الظالمين من كل ظالم ببعيد فانهم بسبب ظلمهم مستحقون لها وملابسون بها وفيه وعيد شديد
لاهل الظلم كافة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه السلام فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم
الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم
الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجارة بالحجر او اجرائه على موصوف مذكر اي شيء بعيد
او بمكان بعيد فانها وان كانت في السماء وهي في غاية البعد من الارض الا انها حين هوت منها فهي اسرع شيء
لحوقا بهم فكانها بمكان قريب منهم او لانه على زنة المصدر كالزفير والصهيل والمصادر يستوي في الوصف بها
المذكر والمؤنث انتهى ابو السعود افندي رحمه الله تعالى

من العيون للشيخ السيواسي

لقد علمت يا لوط ما لنا في بناتك من حق اي حاجة لان اتيان الاناث ليس بمذهبنا وانك لتعلم ما نريد من اتيان الذكور
قال لوط عليه السلام لو ان لي بكم قوة اي طاقة او آوي الى ركن شديد اي او انضم الى عشيرة مانعة امتنع بهم
شبه العشيرة المانع بركن الجبل في الالتجاء به وجواب لو محذوف اي لفعلت بكم ما عملت او لقاتلتكم ولمنعتكم
عما تريدون يعني ان لوطا عليه السلام قد اغلق عليه وعلى اضيافه بابه وارادوا الدخول فسلخ جبريل جناحه على
وجوههم فذهبت اعينهم وجعلوا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم وقالوا يا لوط جئت بالسحرة حتى طمسوا
اعيننا والله لنهلكنك غدا فلما سمع لوط عليه السلام تهديدهم اياه خاف وقال الملائكة عند ذلك فاسر يا لوط
باهلك بسكون الالف من السير وبفتحها من الاسراء وهو السير بالليل اي سر باهلك اي بنتيك وامرأتك
بقطع من الليل اي بقطعة منه وهو آخر السحر ولا يلتفت اي لا يتخلف منكم احد الا امرأتك بالرفع بدل من
احد وبالنصب استثناء من اهلك لا من احد لانه غير فصيح لقوة البدل قيل على قراءة النصب الاستثناء من
اهلك تناقض في الاخبار لانه يلزم ان تكون امرأة لوط مسراة وغير مسراة لثبوت القراءتين البدل والاستثناء
واجيب بان الامر بالاسراء امر من لوط بالنهي عن الالتفات بها والعطف الجامع بينهما في شكل واحد
فالاستثناء اذا وقع عن اسراء مقيد بترك الالتفات فهو كقولك يا قوم ائتوني راكبين الا زيدا فزيد
مستثنى عن الاتيان المقيد بالركوب لا عن اتيانه مطلقا حتى لو اتاك راجلا لا ينافي الاستثناء فكذلك امرأته
مستثناة من الاسراء المقيد بترك الالتفات لا عن الاسراء المطلق فلا ينافي الاسراء بالتخلف
الاسراء بامرأتك مع اهلك انه اي الشأن مصيبها ما اصابهم من العذاب يعني انها لو سرت فتلتفت
فتهلك قيل كان لوط قد اخرجها معه ونهى من تبعه ممن اسرى بهم ان يلتفت سوى زوجته فانها
لما سمعت صوت العذاب من خلفها التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وقيل سأل لوط عليه السلام
ان يخلف امرأته مع قومها لانها كانت منهم فقال للملائكة متى وقت هلاكهم فقالوا ان موعدهم الصبح فقال لوط عليه السلام
اريد اسرع من ذلك قالوا اليس الصبح بقريب فحمل جبريل لوطا وبنتيه وماله على جناحه فاوصلهم الى مدينة
من مداين لوط الخمسة ولم يكن قومها على شرك عملهم الخبيث فلما كان وقت الصبح ادخل جبريل جناحه
تحت المداين الاربعة فاقتلعها من الماء الاسود ورفعها الى السماء حتى سمعت الملائكة نباح الكلاب وصياح
الديكة ثم قلبها فاخبر الله عن ذلك بقوله فلما جاء امرنا اي عذابنا جعلنا عاليها سافلها فاقبلت تهوي من
السماء الى الارض وامطرنا عليها اي على اهلها حجارة من سجيل اي من طين وقيل سجيل كلمة فارسية معربة من سنك و كل

فلتلتفت

هذا ابن الكمال

قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق حاجة بالقول في النفي بتنكير حق وزيادة من كما بالفعل في النفي باثبات علمه له على ابلغ وجه واكده وانك لتعلم ما نريد من اتيان الذكران قال لو ان لي بكم قوة لما كان فيه معنى الفعل عطف عليه قوله او آوي الى ركن شديد اي لو تقويت عليكم بنفسي او اويت الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني منكم • شبه القوي العزيز الذي يحتمي به من ياوي اليه ويحميه بالركن من الجبل في شدته ومنعته وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم • وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كانه قال لو ان لي بكم قوة او اويا • قالت الملائكة ما على لوط عم من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك فلن يصلوا الينا ولا احتمل ان يفرع لعدم حصول بغيتهم دفعه بقوله لن يصلوا اليك فهو استيناف في غاية الجزالة • ومن لم يتنبه له قال لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا ثم انه لم يدر ان حق الكلام ح الوصل بالفاء دون الفصل فاسر باهلك بالقطع من الاسراء • وقرئ بالوصل من السري

ترتبه على المحذوف المذكور في موضع آخر بقوله واتيناك بالحق وانا لصادقون بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف او ولا ينظر الى ورائه والنهي عام له عم ولاهله والمخصوص به انما هو تبليغه اليهم ومن وهم انه في اللفظ لاحد و في المعنى للوط عم فقد وهم الا امراتك بالنصب استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه قراءة فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك • قيل وذلك انما يصح على تاويل الالتفات بالتخلف لا بالنظر الى الخلف لئلا يناقض قراءة من قرا بالرفع بدلا من احد ولا الزم على القراء تين ان يكون امراته مسريا بها وغير مسري بها وفيه نظر لان الاستثناء من الاهل تقتضي ان لا يكون لوط عم مامورا بالاسراء ولا عنع انها سرت بنفسها ويكفي لصحة الاستثناء من هذا التقدير كيف ولم ينه عن اخراجها ولكنه امر باخراج غيرها وبهذا اندفع ايضا ما قيل انه اما ان اسري بها فلا استثناء من قوله احد يتعين اولا فتعين من قوله فاسر باهلك والقصة واحدة ٥٥

ابو المعين النسفي

قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق حاجة لان نكاح الاناث امر خارج من مذهبنا فمذهبنا اتيان الذكران وانك لتعلم ما نريد عنوا اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد جواب لو محذوف اي لفعلت بكم وصنعت والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او اويت الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته • روي انه اغلق بابه حين جاؤا وجعل يرادهم ما حكى الله تعالى عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط ان ركنك لشديد انا رسل ربك فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم كما قال تعالى فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون ان في بيت لوط قوما سحرة لن يصلوا اليك جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره فاسر وبالوصل حجازي من سرى باهلك بقطع من الليل طائفة منه او نصفه ولا يلتفت منكم احد بقلبه الى ما خلف • او لا ينظر الى ما وراءه • او لا يتخلف منكم احد الا امراتك مستثنى من فاسر باهلك وبالرفع مكي وابو عمرو على البدل من احد وفي اخراجها مع اهله روايتان • روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها • وروي انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القرائتين لاختلاف الروايتين انه مصيبها ما اصابهم اي ان الامر • وروي انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا ان موعدهم الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها جعل جبريل عم جناحه في اسفلها اي اسفل قراها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها واتبعوا الحجارة من فوقهم وذلك قوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين منضود نعت لسجيل اي متتابع • او مجموع معد للعذاب مسومة نعت لحجارة اي معلمة للعذاب • قيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به عند ربك في خزائنه • او في حكمه وما هي من الظالمين ببعيد بشيء بعيد ٥

وقيل اسم لسجيل في السماء منضود اي متتابع بنضد بعضه فوق بعض في السماء معدا للعذاب وهو صفة لسجيل مسومة نصب على الحال من الحجارة اي معلمة لا تشاكل حجارة الارض • وقيل مكتوب في كل حجر اسم من يرمى به عند ربك وما هي اي تلك الحجارة المعلمة عند الله من الظالمين اي من المشركين او من ظلمة الامة ببعيد اي بشيء بعيد او بمكان بعيد لانها وان كانت في السماء الا انها تهوي بسرعة للحوق بالمرمي وهو تهديد لاهل مكة وغيرهم لكيلا يفعلوا مثل عملهم • ويروى ان الحجر اتبع شذاذهم ومسافريهم اينما كانوا في البلاد ودخل رجل منهم في الحرم فكان الحجر معلقا في السماء اربعين يوما حتى خرج منه فاصابه فاهلكه انتهى العيون

وجه التناقض

انه يلزم على تقدير الاستثناء من اهلك ان لا يكون مراة ولا يقع الالتفات عنها وعلى تقدير البدل يلزم ان يكون مراة ويقع الالتفات عنها ولا شك ان القرائتين ثابتتان فيكون النقيضان ايضا ثابتين وهو محال فيكون احد التاويلين باطلا قطعا فيحمل الاستثناء على ما حمل عليه البدل وان كان غير فصيح ولا يفسد المعنى لكنه يلزم فيه ترك المختار وذلك جائز ليس ببعيد او نقول يجوز ان يكون سارية بنفسها فلا يناقض خاتمه

والقصة واحدة فان احد التاويلين باطل قطعا والقراءتان الثابتتان قطعا لا يجوز حملها على ما يوجب بطلان احدها • واما ما قيل وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هذا العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها • وروي انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها فاختلاف القرائتين فاعترض عليه بانه لا يجوز لان القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة واجيب بان معناه اختلاف القراءتين جالب وسبب لاختلاف الروايتين كما يقول السلاح للغزو اذاه وصالح له ولم يرد ان اختلاف القراءتين لاجل الروايتين قد حصل ورد عليه انه حينئذ ينقلب الرواية دراية لاتخاذها من ظاهر القراءة وايضا فيه التزام ما استلزم اختلاف القراءتين امرا محذورا وهو الجمع بين المتناقضين والاولى حمل الاستثناء في القراءتين قوله ولا يلتفت منكم احد كما في قوله ما فعلوه الا قليل والا قليلا ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح فان النصب اخف وان كان البدل افصح انه مصيبها ما اصابهم استيناف علل به استثناؤها من اهله ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسراء اليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط عم واستبطائه العذاب وانما جعل الصبح ميقاتا لانه لان النفوس فيه اودع والراحة فيه اجمع فيكون العذاب فيه افظع فلما جاء امرنا وقت امرنا واما الامر نفسه فقد ورد قبل هذا واما المامور به فنفس ما ذكر في قوله جعلنا عاليها سافلها جواب لما وانما عدل عن الظاهر وهو جعلوا اي الملائكة المامورون به واسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر وامطرنا عليها على المدن حجارة روي ان جبريل عم ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم والتنكير في حجارة للتعظيم من سجيل من طين متحجر لقوله حجارة من طين كلمة معربة من سنك كل • وقيل هي من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين لقوله لنرسل عليهم حجارة • وقيل مما كتب الله ان يعذب به من السجل وسجل لفلان منضود الموصول يرسل بعضها اثر بعض كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به او نضد معد للعذاب مسومة معلمة للعذاب او بسيماء يتميز به عن حجارة الارض • او باسم من يرمي به عند ربك في خزائنه التي لا يتصرف فيها الا هو وما هي من الظالمين ببعيد لاستحقاقهم لذلك وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سال جبريل عم عن هذا فقال يعني من ظالمي امتك ٥

هذا ابن الكمال

والى مدين اخاهم شعيبا قد مر نظايره ومدين مدينة بناها مدين بن ابراهيم عم فسميت باسمه والمراد اهلها ولاولاده قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد سبق تفسيره ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد اولا لانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعارض انى اريكم بخير بسعة وثروة تغنيكم عن التطفيف او بنعمة حقها ان تقابل بالشكر لا بما تفعلون او بخير فلا تزيلوه عنكم بما تفعلون وهو على كل الوجوه علة النهي وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد او مهلك من قوله واحيط بثمره • والمراد عقاب يوم القيمة • او عذاب الاستيصال • وتوصيف اليوم بالاحاطة من باب الاسناد المجازي وهو ابلغ من وصف العذاب بها لانه مشتمل على حوادث مع اشتماله على العذاب فاذا كان مهلكا فما اشتمل عليه الحوادث كان مجتمعا على العذب في اهلاكه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان امر بالايفاء بعد النهي عن ضده قصدا الى تقبيح المنهي وتعييبه لان التصريح بالمنهي عنه توبيخ للنهي وتعييره لينكر وينزجر فاذا ورد الامر بعده مصرحا به كان اوقع في نفسه واسرع الى القبول والامتثال لانه ترغيب وحث بعد ترهيب وزجر عن ضده فكان ابلغ بالقسط بالعدل والتسوية من غير زيادة ونقصان • وانما قيده به قصرا على ما هو الواجب وتنبيها على ان المطلوب من الايفاء القسط ولهذا قد يكون الفضل محرما في الربويات ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص لان نقص الحقوق مطلقا اعم من النقص في الكيل والوزن وكذا ولا تعثوا في الارض لانه التمادي في انواع الفساد درجهم في النهي مما غلب عليهم الى ساير القبايح • ويجوز ان يريد بالعثي البخس مبالغة وتعريضا بانه شر انواع الفساد وانما قال مفسدين اخراجا لما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر بقية الله ما يبقى عليكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم بشرط ان تؤمنوا • وانما قيد به ليظهروا فائدتها معه وان كان مع الكفر ايضا نجاة عن تبعتها وذلك لان حصول الثواب بها مشروط بالايمان ولا يظهر على الكافر اثر النجاة من البقية البخس لانغماسه في غمرات الكفر وفي ذلك تعظيم للايمان وتنبيه على جلالة قدره وايماء الى انه لا فائدة بحسنات بدونه • او ان كنتم مصدقين لي في نصحي اياكم • وقيل البقية الطاعة اي ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير مما تعني كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا • واضافتها الى الله تعظيم لها وتشريف تنبيها اليه • وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي والقبايح وما انا عليكم بحفيظ تقدير الظرف والايذان حرف النفي وعيد بليغ اي ان الله حفيظ عليكم ومجازيكم بها لا انا انما انا نذير مبلغ وقد انذرت وبلغت ونصحت واعذرت انتهى ابن كمال

ابو المعين النسفي

والى مدين اخاهم شعيبا وهو اسم مدينتهم • او اسم جدهم مدين ابن ابراهيم اي وارسلنا شعيبا الى ساكني مدين • او الى بني مدين قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال المكيل بالمكيال والميزان والوزن بالميزان انى اريكم بخير بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف • او اريكم بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تفعلون وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط مهلك من قوله واحيط بثمره • واصله من احاط العدو والمراد عذاب الاستيصال في الدنيا • او عذاب الاخرة ويا قوم اوفوا المكيال والميزان اتموهما بالقسط بالعدل نهوا اولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول لزيادة الترغيب فيه • وجيء مقيدا بالقسط اي ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان ولا تبخسوا الناس اشياءهم البخس النقص كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك ولا تعثوا في الارض مفسدين العثي والعيث اشد الفساد نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز ان تجعل البخس والتطفيف عثيا منهم في الارض بقية الله ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا نعم بقية الله خير للكفرة ايضا لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف الا ان فائدتها تظهر مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب ولا تظهر مع عدمه لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك تعظيم للايمان وتنبيه على جلالة شانه • او المراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح به اياكم وما انا عليكم بحفيظ لنعمه عليكم فاحفظوها بترك البخس انتهى المدارك

ابو السعود

والى مدين اي اولاد مدين بن ابراهيم عم • او جعل اسما للقبيلة بالغلبة • او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه اخاهم اي نسيبهم شعيبا وهو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين • وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه • والجملة معطوفة على قوله تعالى وإلى ثمود اخاهم صالحا اي وارسلنا الى مدين شعيبا قال استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا عن صدر الكلام كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال كما قال من قبله من الرسل عليهم السلام يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ما لكم من اله غيره تحقيق للتوحيد وتعليل للامر به وبعدما امرهم بما هو ملاك امر الدين واول ما يجب على المكلف نهاهم عن ترتيب مبادي ما اعتادوه من البخس والتطفيف عادة مستمرة فقال ولا تنقصوا المكيال والميزان كي تتوسلوا بذلك الى بخس حقوق الناس انى اريكم بخير اي ملتبسين بثروة وسعة تغنيكم عن ذلك • او بنعمة من الله تعالى حقها ان تقابل بغيرما تاتونه من المسامحة والتفضل على الناس شكرا عليها • او اراكم بخير فلا يليق بكم ما انتم عليه من الشر • وهو على كل حال علة للنهي عقبت بعلة اخرى اعني قوله عز وجل وانى اخاف عليكم ان لم تنتهوا عن ذلك عذاب يوم محيط لا يشذ منه شاذ منكم • وقيل عذاب يوم القيمة • او عذاب الاستيصال • ووصف اليوم بالاحاطة وهو حال العذاب على الاسناد المجازي • وفيه من المبالغة ما لا يخفى • فان اليوم زمان يشتمل على ما وقع فيه من الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه • ويجوز ان يكون هذا تعليلا للامر والنهي جميعا ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط اي بالعدل من غير زيادة ولا نقصان فان الزيادة في الكيل والوزن وان كان تفضلا مندوبا اليه لكنها في الالة محظورة كالنقص فلعل الزائد للاستعمال عند الاكتيال والناقص للاستعمال وقت الكيل • وانما امر بتسويتهما وتعديلهما صريحا بعد النهي عن نقصهما مبالغة في الحمل على الايفاء والمنع من البخس وتنبيها على انه لا يكفيهم مجرد الكف عن النقص والبخس بل يجب عليهم اصلاحها ما افسدوه وجعلوه معيارا لظلمهم وقانونا لعدوانهم ولا تبخسوا الناس اشياءهم بسبب نقصها وعدم اعتدالها التي تشترون بها • وقد صرح بالنهي عن البخس بعدما علم ذلك في ضمن النهي عن نقص المكيال والامر بايفائه اهتماما بشانه وترغيبا في ايفاء الحقوق بعد الترهيب والزجر عن نقصها • ويجوز ان يكون المراد بالامر بايفاء المكيال والميزان بايفاء المكيلات والموزونات ويكون النهي عن البخس عاما للنقص في القدر وغيره تعميما بعد التخصيص كما في قوله تعالى ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثي يعم نقص الحقوق وغيره من انواع الفساد • وقيل البخس المكس كاخذ العشور في المعاملات • قال الزهير بن ابي سلمى • افي كل اسواق العراق اتاوة • وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم • والعثي في الارض السرقة وقطع الطريق والغارة • وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام • وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر اخرتكم ومصالح دينكم بقية الله اي ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عن تعاطي المحرمات خير لكم مما تجمعون بالبخس والتطفيف فان ذلك هباء منثور بل شر محض • وان زعمتم ان فيه خيرا كقوله تعالى يمحق الله الربوا ويربي الصدقات ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان لا محالة • او ان كنتم مصدقين لي في مقالتي لكم • وقيل البقية الطاعة كقوله تعالى والباقيات الصالحات خير عند ربك وقرئ تقية الله بالفوقانية وهي تقواه عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ احفظكم من القبايح • او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت اذ انذرت فلم ال في ذلك جهدا • او ما انا بحافظ ومستبق عليكم نعم الله تعالى ان لم تتركوا ما انتم عليه من سوء الصنيع انتهى ابو السعود افندي

من العيون للسهروردي

والى مدين اي وارسلنا الى اهل مدينة اخاهم شعيبا نزل اخبارا عن حالهم التي هي التطفيف اي النقص في الكيل والاكتيال مع شركهم تهديدا لكفار مكة قال شعيب عم يا قوم اعبدوا الله اي وحدوه واطيعوه ما لكم من اله غيره اي رب سواه ولا تنقصوا المكيال والميزان في البيع والشرا انى اريكم بخير اي موسرين في نعمة وخصب وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط اي يحيط بكم فيهلككم جميعا • ووصف اليوم بالاحاطة ابلغ من وصف العذاب بها لان اليوم اذا احاط بعذابه فقد اجتمع للعذب ما اشتمل اليوم عليه منه قيل حذرهم بزوال النعمة وغلاء السعر وحلول النقمة في الدنيا ان لم يتوبوا عن عملهم السوء وقيل هو يوم القيمة نهوا اولا عن صريح النقص القبيح تعييرا لهم ثم امروا بالايفاء الحسن ترغيبا فيه بقوله ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط اي اتموهما بالعدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان • وفي ورود الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول بعد النهي عن النقصان زيادة ترغيب فيه وحث عليه ثم اكد ذلك بقوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي لا تنقصوا حقوقهم ولو شيئا قليلا كالتطفيف ولا تعثوا في الارض مفسدين اي تسعوا فيها بالفساد قاصدين بنقص حقوق الناس على وجه السرقة والغارة وغيرهما بقية الله اي ما يبقى لكم من الحلال بعد ترك الحرام • او طاعة الله تعالى وعطاؤه خير لكم من التطفيف في البيع والشرا ان كنتم مؤمنين اي مصدقين فيما اقول لكم وما انا عليكم بحفيظ اي بوكيل احفظ اعمالكم عليكم واجازيكم عليها وانما علي البلاغ والتنبيه على الخير وانما قال ذلك لانه لم يؤمر بقتالهم • وكان شعيب عم كثير الصلوة وكان قومه اذا راوه يصلي تضاحكوا واستهزءوا به ولذلك قالوا يا شعيب الخ

انتهى العيون

قالوا يا شعيب أصلوتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا من الأوثان أجابوا بذلك أمره عليه السلام إياهم بعبادة الله
وحده المتضمن لنهيهم عن عبادة الأصنام ● ولقد بالغوا في ذلك وبلغوا أقصى مراتب الخلاعة والمجون والضلال حيث
لم يكتفوا بإنكار الوحي الآمر بذلك حتى ادعوا أن لا آمر به من العقل واللب أصلاً وأنه من أحكام الوسوسة والجنون و
على ذلك بنوا استفهامهم وقالوا بطريق الاستهزاء أصلوتك التي هي من نتائج الوسوسة وأفاعيل المجانين تأمرك
بأن نترك عبادة الأوثان التي توارثناها أباً عن جد ● وإنما جعلوه عليه السلام مأموراً مع أن الصادر عنه
إنما هو الأمر بعبادة الله تعالى وغير ذلك من الشرائع لأنه عليه السلام لم يكن يأمرهم من تلقاء نفسه بل من جهة الوحي
وأنه كان يعلمهم بأنه مأمور بتبليغه إليهم ● وتخصيصهم بإسناد الأمر إلى الصلوة من بين سائر أحكام النبوة
لأنه عليه السلام كان كثير الصلوة معروفاً بذلك وكانوا إذا رأوه يصلي يتغامزون ويتضاحكون فكان هي من
بين سائر شعائر الدين ضحكة لهم ● وقرئ أصلواتك أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء جواب عن أمره عليه السلام
بإيفاء الحقوق ونهيه عن البخس والنقص ● معطوف على ما أي أو أن نترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء
من الأخذ والإعطاء والزيادة والنقص ● وقرئ بالتاء في الفعلين عطفاً على مفعول تأمرك أي أصلوتك تأمرك
أن تفعل أنت في أموالنا ما تشاء ● وتجويز العطف على ما قيل يستدعي أن يراد بالترك معنيان متخالفان
والمراد بفعله عليه السلام الإيفاء والعدل في معاملاتهم لا نفس الإيفاء فإن ذلك ليس من أفعاله عليه السلام بل من
أفعالهم ● وإنما لم يجعل عطفاً على أن نترك لأن الترك ليس مأموراً به على الحقيقة بل المأمور به تكليفه عليه السلام
إياهم وأمره بذلك والمعنى أصلوتك تأمرك أن تكلفنا أن نترك ما يعبد آباؤنا ● وحمله على معنى أصلوتك تأمرك
بما ليس في وسعك وعهدتك من أفاعيل غيرك ليكون ذلك تعريضاً منهم بركاكة رأيه عليه السلام واستهزاء به
من تلك الجهة يأباه دخول الهمزة على الصلوة دون الأمر ويستدعي أن يصدر عنه عليه السلام في أثناء الدعوة
ما يدل على ذلك أو يوهمه وأنى ذلك فتأمل ● وقرئ بالنون في الأول والتاء في الثاني عطفاً على أن نترك أي
أو تفعل نحن في أموالنا عند المعاملة ما تشاء أنت من التسوية والإيفاء إنك لأنت الحليم الرشيد وصفوه عليه السلام
بالوصفين على طريقة التهكم ● وإنما أرادوا بذلك وصفه بضدهما كقول الخزنة ذق إنك أنت العزيز الكريم ● ويجوز
أن يكون تعليلاً لما سبق من استبعاد ما ذكر على معنى إنك لأنت الحليم الرشيد على زعمك ● وأما وصفه بهما على
الحقيقة فيأباه مقام الاستهزاء اللهم إلا أن يراد بالصلوة الدين كما قيل قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة
حجة واضحة وبرهان نير عبر بهما عما آتاه الله تعالى من النبوة والحكمة رداً على مقالتهم الشنعاء في جعلهم أمره
ونهيه غير مستند إلى سند من ربي ومالك أموري ● وإيراد حرف الشرط مع جزمه عليه السلام بكونه على
ما عليه من البينات والحجج لاعتبار حال المخاطبين ومراعاة حسن المحاورة معهم كما ذكرناه في نظائره ورزقني
منه أي من لدنه رزقاً حسناً هو النبوة والحكمة أيضاً ● عبر عنهما بذلك تنبيهاً على أنهما مع كونهما بينة رزق
حسن كيف لا وذلك مناط الحياة الأبدية له ولأمته ● وجواب الشرط محذوف يدل عليه فحوى الكلام أي
أتقولون في شأني ما تقولون والمعنى أنكم نظمتموني في سلك السفهاء الغواة وعددتم ما صدر عني من
الأوامر والنواهي من قبيل ما لا يصح أن يتفوه به عاقل وجعلتموه من أحكام الوسوسة والجنون و
استهزأتم بي وبأفعالي حتى قلتم إن ما أمرتكم به من التوحيد وترك عبادة الأصنام والاجتناب عن البخس
والتطفيف ليس مما يأمر به أمر العقل ويقضي به قاضي الفطنة وإنما يأمر به صلوتك التي هي من أحكام
الوسوسة والجنون فأخبروني إن كنت من جهة ربي ومالك أموري ثابتاً على النبوة والحكمة التي ليس
وراءها غاية للكمال ولا مطمح لطامح ورزقني بذلك رزقاً حسناً أتقولون في شأني وشأن أفعالي ما
تقولون مما لا خير فيه ولا شر وراءه ● هذا هو الجواب الذي يستدعيه السباق ويساعده النظم الكريم ●
وأما ما قيل من أن المحذوف أيصح لي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصي ● أو هل يسع لي
مع هذا الإنعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية أن أخونه في وحيه وأخالفه في أمره ونهيه فبمعزل
من ذلك وإنما يناسب تقديره أن حمل كلامهم على الحقيقة وأريد بالصلوة الدين على معنى أدينك يأمرك
أن تكلفنا بترك عبادة آلهتنا القديمة وترك التصرف المطلق في أموالنا وتخالفنا في ذلك وتشق عصانا
وهذا مما لا ينبغي أن يصدر عنك فإنك أنت المشهور بالحلم الفاضل والرشد الكامل فيما بيننا كما كان قول قوم
صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا مسروداً على ذلك النمط فأجيبوا بما أجيبوا به ● وعلى هذا الوجه يكون المراد
بالرزق الحسن الحلال الذي آتاه الله تعالى والمعنى حينئذ أخبروني إن كنت نبياً من عند الله تعالى ورزقني مالاً
حلالاً أستغني به عن العالمين أيصح أن أخالف أمره وأوافقكم فيما تأتون وما تذرون وما أريد بنهيي إياكم
عما أنهاكم عنه من البخس والتطفيف أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه أي أقصده بعدما وليتم عنه وأستبد به دونكم
يقال خالفت زيداً إلى كذا إذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عن كذا إذا كان الأمر على العكس إن أريد
أي ما أريد بما أباشره من الأمر والنهي إلا الإصلاح إلا أن أصلحكم بالنصيحة والموعظة ما استطعت

ما استطعت أي مقدار ما استطعته من الإصلاح والتقييد به للاحتراز عن الاكتفاء بالإصلاح في الجملة
لا عن إرادة ما ليس في وسعه منه وما توفيقي أي كوني موفقاً لتحقيق ما أنتحيه من إصلاح حكم إلا بالله أي بتأييده
ومعونته بل الإصلاح من حيث الخلق مستند إليه سبحانه وإنما أنا من مبادئه الظاهرة قال عليه تحقيقاً
وإزاحة لما عسى يوهمه إسناد الاستطاعة إليه بإرادته من استبداده بذلك عليه توكلت في ذلك معرضاً
عما عداه فإنه القادر على كل مقدور وما عداه عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة
الاعتبار بمعزل من رتبة الاستمداد به والاستظهار وإليه أنيب أي أرجع فيما أنا بصدده ● ويجوز
أن يكون المراد وما كوني موفقاً لإصابة الحق والصواب في كل ما آتي وأذر إلا بهدايته ومعونته عليه
توكلت وهو إشارة إلى محض التوحيد الذاتي والفعلي وإليه أنيب أي عليه أقبل بشراشر نفسي
في مجامع أموري ● وإيثار صيغة الاستقبال على الماضي الأنسب للتقريب كما في التوكل لاستحضار
الصورة والدلالة على الاستمرار ● ولا يخفى ما في جوابه عليه السلام من مراعاة لطف المراجعة ورفق
الاستنزال والمحافظة على قواعد حسن المجادلة والمحاورة وتمهيد معاقد الحق بطلب
التوفيق من جناب الله عز وجل والاستعانة به في أموره وحسم أطماع الكفار وإظهار الفراغ
عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وأما تهديدهم بالرجوع إلى الله تعالى للجزاء كما قيل فلا لأن الإنابة
إنما هي الرجوع الاختياري بالفعل إلى الله تعالى لا الرجوع الاضطراري للجزاء أو ما يعمه انتهى أبو السعود

من العيون للسمهوردي

قوله وما أنا عليكم بحفيظ وإنما قال ذلك لأنه لم يؤمر بقتالهم وكان شعيب كثير الصلوة وكان قومه
إذا رأوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا واستهزؤوا به ولذلك قالوا طنزاً أو سخرية يا شعيب أصلوتك مفرداً وجمعاً
تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا من الأصنام فجعلوا صلوته آمرة على سبيل التهكم بصلاته وعطف
أو أن نفعل على ما نعبد أي أو تأمرك أن نترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء من الزيادة والنقصان
وقيل كانوا يقطعون الدنانير والدراهم وحكم عليهم بأنه حرام لينتهوا عن ذلك ثم قالوا على
سبيل المبالغة في الاستهزاء إنك لأنت الحليم الرشيد أي السفيه الضال قالوا على سبيل التهكم به ●
والعرب تصف الشيء بضده مدحاً أو ذماً أو تفاؤلاً كما يقولون للجبان شجاع وللأسود كافور و
للديغ سليم ● وقيل هو حقيقة أي إنك يا شعيب حليم رشيد فينا فلا يحسن منك مخالفة دين قومك و
لا تهدمه قال شعيب يا قوم أرأيتم أخبروني إن كنت على بينة أي على دين الحق وبيان على بصيرة
من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً أي نبوة وعلماً من لدنه ● أو حلالاً طيباً ● وكان شعيب كثير المال

قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاصنام • اجابوا به بعد امرهم بعبادة الله وترك عبادة الاصنام وايفاء الحقوق على طريقة السخرية والاستهزاء حيث اسندوا الاموال الى الصلوة اشعارا بان المامور به مما لا يامر به العقلاء الا نتيجة امر وسوسة وجنون لا اثر فطنة وعقل • واما تخصيص الصلوة بالاسناد اليها لانه عليه السلام كان يصلي و كانوا يقولون له ما تستفيد بهذا • فيقول انها تامر بالمحاسن وتنهى عن المساوي كما عرف الله تعالى عباده بقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر • فقالوا له على وجه التهكم به اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا الخ وفي تفسير التيسير قال فعيه استهزاء من وجه اخر واما جمعها فلانه كان كثير الصلوة وكانوا اذا راوه يصلي يتغامزون ويضحكون استبعادا منهم ان يفعل مثل ذلك الافعال • ففي اتيانها على صيغة الجمع اشارة الى نوع اخر من الاستهزاء • ثم انهم جعلوه عليه السلام مامورا بفعل الغير دلالة على افراطه في ذلك كان نفسه مامور به وذلك ان في الامر ونهي الغير يكفي الابلاغ مرة او مرتين وهو عليه السلام قد واظب على ذلك فنزلوه منزلة المامور باتيان الترك الواجب على الغير • وهذا ايضا نوع من الاستهزاء منهم مبناه على اعتبار دقيق ولهذا غفل عنه الناظرون في هذا المقام حتى ذهبوا تقدير المضاف اي تامرك بتكليف ان نترك فاذهبوا حسن الكلام ولطف الاعتبار المناسب للمقام او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما اي او ان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا والعطف باو دون الواو للاشعار بان المراد بواحد منهما على سبيل البدل يكفي في السفاهة والنسبة الى الضلال فكيف اذا امر بهما معا • ولا يخفى ما فيه من الدلالة على انهم كانوا ابلغ في الجهالة قد بلغوا غاية الضلالة • وقرئ بالتاء في تفعل وتشاء على ان العطف على ان نترك هذا على ما ذكره واما على ما ذكروا انك لانت الحليم الرشيد تهكم به وبعقله لانهم ارادوا وصفه بغاية والغي على ما يقتضيه السياق والسباق فعكسوا تهكما كقول خزنة الجحيم ذق انك انت العزيز الكريم • واما ما قيل عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك فيا باه ما في سياق الكلام من الاقدام على السخرية والاستهزاء من وجوه شتى قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اشارة الى ما اتاه من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى ما اتاه من المال الحلال وتقييد حسنا للاحتراز عن الرزق القبيح • وفيه اشارة الى ان الحرام رزق • وجواب لو محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخونه في وحيه واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من الاقدام على تغيير المالوف والنهي عن دين الاباء • ولا يخفى ما فيه من لطف المراجعة وحسن الاستنزال ورفق الاستدعاء ولذلك قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك خطيب الانبياء • والتوفيق منه لله تعالى اي من عنده وباعانته بلا كد مني في تحصيله • وقد ادرج فيه الجواب عن قولهم وان نفعل في اموالنا ما نشاء على القراءة بالتاء فيها وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وما اريد ان اقصد الى ما انهاكم عنه من المعاصي واللذات لاستبد بها دونكم فلو كان صوابا لاثرته ولم اعرض عنه فضلا عن النهي عنه ...

ابو المعين النسفي

قالوا يا شعيب اصلوتك وبالتوحيد كوفي غير ابي بكر تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء كان شعيب عم كثير الصلوات وكان قومه يقولون له ما تستفيد بهذا فكان يقول انها تامر بالمحاسن وتنهى عن القبائح فقالوا له على وجه الاستهزاء اصلواتك تامرك ان تامرنا بترك عبادة ما كان يعبد اباؤنا او ان نترك التبسط في اموالنا ما نشاء من ايفاء ونقص • وجاز ان تكون الصلوة امرة مجازا كما سماها الله تعالى ناهية مجازا انك لانت الحليم الرشيد اي السفيه الضال وهذه تسمية على القلب استهزاء • او انك حليم رشيد عندنا ولست تفعل بنا ما تقتضيه حالك قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا يعني النبوة والرسالة • او مالا حلالا من غير بخس وتطفيف وجواب ارايتم محذوف اي اخبروني ان كنت على حجة واضحة من ربي وكنت نبيا على الحقيقة ايصح لي ان لا امركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك • يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتساله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم ان اريد الا الاصلاح ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت ظرف اي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا الوفيه جهدا اي لا اقصر فيه طاقتي وما توفيقي الا بالله وما كوني موفقا لاصابة الحق الا ي فادن الا بمعونته وتاييده عليه توكلت اعتمدت واليه انيب ارجع في السراء والضراء ومنه قوله تعالى ويا قوم لا يجرمنكم الله

اسمي المبارك

وجواب لو محذوف للعلم به من معنى الكلام وهو اتبع الضلال مثلكم واشوب الحلال بالحرام ... نبوته ولا امركم بترك الشرك والكف كالانبياء • وما اريد به ان اخالفكم الى ما انهاكم اي الى الذي امنعكم عنه وارتكبه انا ولست بواعظ من يعظ الناس بلسانه دون عمله ان اريد اي ما اقصد بوعظكم الا الاصلاح اي الا اصلاحكم وبيان ما فيه مصلحة لكم وهو العدل ما استطعت في محل النصب على الظرف اي مدة استطاعتي وما توفيقي اي وما كوني موفقا لاصابة الحق فيما اعمل واذع الا بالله اي الا بتاييده واعانته • وفي ضمنه تهديد للكفار وقطع لاطماعهم فيه لانه طلب من الله في امضاء امره التاييد والاظهار على عدوه • واصل التوفيق تسهيل الخير والطاعة عليه توكلت اي اعتمدت واليه انيب اي ارجع في جميع اموري والنوائب النازلة على انتهى العيعه

يقال خالفني الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي ما امكنني فلو عجبت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيت عنه ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شان وهو التنبيه على ان العاقل يجب عليه ان يراعي فيما ياتيه ويذره احد ثلاثة حقوق • اوكدها واعلاها حق الله تعالى • وثانيها حق نفسه • وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي ان امركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه • وما مصدرية واقع موقع الظرف اي مدة استطاعتي • او خبرية بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته منه • او على تقدير حذف المضاف اي الا الاصلاح ما استطعت • او مفعول اي الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم • وفيه ان اعمال المصدر المعرف قليل وما توفيقي الا بالله اي وما توفيقي لاصابة الحق والصواب فيما اتي وما اذر الا بهدايته ومعونته عليه توكلت لا على غيره فانه القادر على ما يشاء دون غيره فان من عداه عاجز ساقط عن درجة الاعتبار في الوجود فضلا عن القدرة واليه انيب لا الى غيره • وفي الاية طلب التوفيق من الله تعالى لاصابة الحق فيما هو بصدده على ابلغ وجه وحسم لاطماعهم وعدم المبالاة بهم بمعاداتهم بتوكله على الله تعالى وتهديد للكفار بانا بنتهم اليه تعالى للجزاء اسمي الكمال

هذا ابن الكمال

ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم معاداتي شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من الغرق أو قوم هود من الريح أو قوم صالح من الرجفة وأن بصلتها ثاني مفعولي جرم فإنه مثل كسب في معناه • وتعديته الى مفعول واحد والى مفعولين وقرئ لا يجرمنكم بضم الياء من أجرمته اذا جعلته جارما • وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما تقال اكسبه المال من كسب • والأول أفصح فإن أجرم أقل دورانا على ألسنة الفصحاء • وقرئ مثل بالفتح لإضافته الى المبني وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا أو مكانا فإنهم أقرب الهالكين منكم • أو ليسوا منكم في الكفر والمعاصي وما يستحق به العقاب فحالكم حالهم • وأفراد البعيد قد مر وجهه فتذكر واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه قد سبق بيانه بما يعتنا إن ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود لعباده يفعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده • وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار تحول الدعوة واحد الحبل الحبل فيه قالوا يا شعيب ما نفقه الفقه فهم الكلام على ما تعني من المعنى وفي نفيه دون نفي الفهم دلالة على انهم لم يريدوا قصوره في أداء الكلام كما سبق الى بعض الأوهام حيث قال في وجه ما ذكر انه عم كان التنفي وانما قالوا ذلك استهانة بكلامه حيث كنوا بعدم فقههم ما قاله عن عدم دلالته على معنى صحيح فنزلوه منزلة الهذيان والتخليط وفي التعبير بقوله كثيرا الطف والتنزه عن المكابرة وهذا أبلغ في المبالغة عن الكلام الخالي عن ذلك القيد ومن هذا القبيل قولهم في وصف سيف الشجاع يقطر دما دون سبيل قيل كانوا يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم لم يفقهوه • ولا يذهب عليك أن هذا التنزيل إنما يناسب اعتبار أن لو كان في الحكاية دون المحكي وإنا لنريك فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عزة فيما بيننا وفي قوله فينا نوع تقوية لما ارادوه من اثبات العجز له عن المدافعة كأنهم يقولون انك لست بخارج عنا حتى لا تصل اليك أيدينا ولا قوة في نفسك فلا مانع ولا دافع لا من جهة شأنك ولا من جهة مكانك وكذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا والرهط من الثلثة الى العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولا رهطك لرجمناك احتراما لهم لكونهم على ملتهم لا خوفا منهم ولدفع هذا الوهم عبروا عنهم بالرهط دون العشيرة والقبيلة ونحو ذلك • والرجم الرمي بالحجارة والمراد قتله به يعني قتلناك شر قتلة بأصعب وجه وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وما أنت علينا بعزيز أي لست علينا بممتنع فلا نقدر على رجمك وهذا هو المناسب لسياق الكلام على هذا لا مفهوم فيه ومن فهم منه المفهوم قائلا كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا فقد حمل العزة على الكرامة على ما صرح به حيث قال أي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك عن الرجم صح

ابو المعين النسفي

ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم أي لا يكسبنكم خلافي إصابة العذاب مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وهو الغرق والريح والرجفة وما قوم لوط منكم ببعيد في الزمان فهم أقرب الهالكين منكم • أو في المكان فمنازلهم قريبة منكم • أو فيما يستحق به الهلاك وهو الكفر والمساوي • وسوي في قريب وبعيد وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوها واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم يغفر لأهل الجفاء من المؤمنين ودود يحب أهل الوفاء من الصالحين قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول أي لا نفهم صحة ما تقول والا كيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الأنبياء وإنا لنريك فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان أردنا بك مكروها ولولا رهطك لرجمناك ولولا عشيرتك لقتلناك بالرجم وهو شر قتلة وكان رهطه من أهل ملتهم فلذلك أظهروا الميل اليهم والاكرام لهم يريد الزمخشري وما أنت علينا بعزيز أي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لأنهم من أهل ديننا • وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي على أن الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا ولذلك قال في جوابهم يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب • وانما قال أرهطي أعز عليكم من الله والكلام واقع فيه وفي رهطه • وأنهم الأعزة عليهم دونه لأن رهطه أعز عليهم من اهانة الأمرين الى قوله من يطع الرسول فقد أطاع الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به • والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغيير النسب كقولهم في النسبة الى الأمس أمسي إن ربي بما تعملون محيط قد أحاط بأعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها انتهى المدارك

ومن وهم انه للتعظيم فقد وهم لانه لا يناسب المقام فإنهم في صدد الاستهانة له عليه السلام منه

فقد غفل عن أن المناسب حينئذ أن يقولوا عندنا بدل علينا • ومنطوق قولهم ولولا رهطك لرجمناك أعني عن اعتبار المفهوم المذكور لما عرفت أن معناه ولولا حرمة رهطك وعزتهم عندنا لرجمناك فاعتباره بعد هذا كالاستضاءة بالمصابيح بعد طلوع الصباح • وايلاء الضمير حرف النفي لتقوية الحكم وتأكيده كما في قوله تعالى وما هم بمؤمنين • وتقديم علينا لمحافظة الفاصلة • وزيادة الباء في بعزيز لتأكيد النفي • وتنكيره للتقليل أي ليس لك عندنا شيء من جنس العزة وما هو بمعنى • وأما ما قيل [illegible] وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي على أن الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا ولذلك قال في جوابهم أرهطي أعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب فيرد عليه انه لا دلالة في مفهوم قوله وما أنت علينا بعزيز على أن رهطه هم الأعزة انما دلالته على أنهم هم العزيزون لأن المفهوم تابع للمنطوق والمنفي عنه بطريق المنطوق انما هو أصل العزة لا زيادتها • ثم ان قوله لو قيل وما عززت علينا الخ فقد مر ما به يظهر انه ليس بصواب قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله لما كان نبيا مبعوثا من عند الله تعالى كانت الاستهانة به استهانة بالله تعالى بقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله فجعل كون رهطه أعز عليهم منه كونهم أعز من الله لأن أمره أمر الله وهو يحتمل الانكار التوبيخي على أن المعنى أرهطي أعز عليكم منه تعالى في الواقع وعلى الأول يدخل قوله واتخذتموه وراءكم ظهريا أيضا في حيز الاستفهام • والاتخاذ أخذ الشيء لأمر يستمر في المستأنف كاتخاذ البيت واتخاذ المركوب فدلالته على المعنى المقصود أقوى من دلالة الجعل عليه والظهري منسوب الى الظهر كالأمسي بالكسر منسوب الى الأمس والكسر في مثل هذا من تغييرات النسب والكناية عن الترك وعدم الاعتداد به قد تمت بقوله واتخذتموه وراءكم الا أنه زاد فيه نسبته الى الظهر ايماء لحق المبالغة وافادة لمعنى الاعراض عنه بالكلية إن ربي بما تعملون محيط قد أحاط بأعمالكم علما فلا يخفى منها شيء وهو يجازيكم عليها انتهى ابن الكمال

ابو السعود افندي

ويا قوم لا يجرمنكم أي لا يكسبنكم من جرمته ذنبا مثل كسبته مالا شقاقي معاداتي وأصلها أن أحد المتعاديين يكون في عدوة وشق والآخر في آخر أن يصيبكم مفعول ثان ليجرمنكم أي لا يكسبنكم معاداتكم لي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من الغرق أو قوم هود من الريح أو قوم صالح من الصيحة والرجفة • وقرأ ابن كثير بضم الياء من أجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له أي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب المال فكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه لا فرق بين جرمته ذنبا وأجرمته اياه في المعنى الا أن الأول أصح وأدور على ألسنة الفصحاء • وقرأ ابو حيوة مثل ما أصاب بالفتح لإضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت حمامة في غصون ذات أوقال • وهذا وإن كان بحسب الظاهر نهيا للشقاق عن كسب اصابة العذاب لكنه في الحقيقة نهي للكفرة عن مشاقته عليه السلام على ألطف أسلوب وأبدعه كما مر في سورة المائدة عند قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا أو مكانا فإن لم تعتبروا بمن قبلهم من الأمم المعدودة فاعتبروا بهم فكأنه انما غير أسلوب التحذير بهم ولم يصرح بما أصابهم بل اكتفى بذكر قربهم ايذانا بأن ذلك مغن عن ذكره لشهرة كونه منظوما في سمط ما ذكر من دواهي الأمم المرقومة • أو ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمعاصي فلا يبعد أن يصيبكم مثل ما أصابهم • وافراد البعيد مع تذكيره لأن المراد وما اهلاكهم على نية المضاف أو وما هم بشيء بعيد لأن المقصود افادة عدم بعدهم على الاطلاق لا من حيث خصوصيته كونهم قوما أو وما هم في زمان بعيد أو مكان بعيد • ولا يبعد أن يكون ذلك لكونه على زنة المصادر كالنهيق والشهيق • ولما أنذرهم عليه السلام بسوء عاقبة صنيعهم عقبه طمعا في ارعوائهم عما كانوا فيه يعمهون من طغيانهم بالحمل على الاستغفار والتوبة فقال واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه

من العيون

قوله تعالى ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي اي لا يحملنكم من جرم ذنبا اذا كسبه نهي عن مخالفتهم لشعيب عليه السلام فيما امرهم ونهاهم
اي لا يحملنكم شقاقي اي مخالفتي • وهو فاعل لا يجرمنكم يعني مخالفتكم اياي • او عداوتكم وبغضكم علي •
ومفعوله الثاني ان يصيبكم اي على فعل يصيبكم بسببه بلا توبة عنه مثل ما اي الذي اصاب قوم نوح من
الطوفان او قوم هود من الريح او قوم صالح من الصيحة وما قوم لوط منكم ببعيد اي لم يبعد عذابهم منكم
وانما لم تقل ببعيدة على تانيث القوم يعني ان طال عهدكم بعذاب نوح وقوم هود وصالح فاعتبروا بعذاب من هو
قريب منكم وهم قوم لوط • وقيل تقديره بمكان او زمان بعيد واستغفروا ربكم عن الشرك
ثم توبوا اليه عن عمل المعاصي ان ربي رحيم بعباده بقبول توبتهم ودود اي يحب لاهل طاعته
منهم • او محبوب لهم فهو بمعنى الواد او المودود • قيل ان شعيبا كان خطيب الانبياء عليهم السلام
فهو يعظهم ويدعوهم الى التوحيد قالوا على سبيل الاستهزاء يا شعيب ما نفقه اي ما نعقل كثيرا مما تقول اي مما تدعونا
اليه من الايمان وترك نقصان الكيل والوزن وذلك خلاف ما عليه اباؤنا وانا لنراك فينا ضعيفا اي ذليلا لا قوة لك لتمتنع عنا
او ضرير البصر لا تصلح للنبوة فينا قيل ذهب بصره من كثرة بكائه من خشية الله او محبته له ولولا رهطك اي عشيرتك لرجمناك
اي لقتلناك بالحجر والرجم اقبح القتل وقالوا ذلك تاليفا لقومه لا خوفا منهم لان الرهط دون العشرة وما انت علينا بعزيز
اي بكريم لتكون لك حرمة عندنا بل الفرق لقومك فينا قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله والاصل ان يقول مني مكان من الله
لان الكلام واقع فيه وفي رهطه الا انه لما عز عليهم رهطه دون نبي الله كان رهطه اعز من الله اي ارهطي اهيب عندكم
من خوف الله ان تركتم قتلي لمكان رهطي فاولى ان تحفظوني في الله لاني نبيه • او هم اعز عندكم من امر الله وكتابه واتخذتموه
اي الله تعالى وراءكم ظهريا اي نسيتموه الى الظهر وكسر الظاء من تغيير النسب كما يقال امسي في النسبة الى امس يعني جعلتم امر الله
امر الله وراء ظهوركم فتركتموه تهاونا به ان ربي بما تعملون محيط اي عالم بجميع اعمالكم فيجازيكم بها والاحاطة ادراك الشيء
بكماله ° انتهى العيون °
قال الامام ابو منصور رحمه الله اي حق ان يود اذ منه كل احسان والناس جبلوا على حب من احسن اليهم انتهى
اي لا نفهم لانك تحملنا على امور غائبة وانا لنراك فينا ضعيفا قال الحسن مهينا وقال سفيان اي ضعيف البصر وقال
سعيد بن جبير وقتادة اي اعمى • وقيل اي ضعيف البدن وقيل لا مالك ولا اعوانك فلا تقدر ان تحملنا على مرادك ولا تمنع
عنا قصدك انتهى
اي عشيرتك وهم على ديننا لرجمناك قيل لرميناك بالحجارة انتهى

واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه مر تفسيره في اول السورة ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود
مبالغ في فعل ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من اللطف والاحسان • وهذا تعليل للامر بالاستغفار
والتوبة وحث عليهما قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول الفقه معرفة غرض المتكلم من كلامه
اي ما نفهم مرادك • وانما قالوه بعدما سمعوا منه دلائل الحق المبين على احسن وجه وابلغه و
ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل فلم يجدوا الى محاورته سبيلا سوى الصد عن منهج
العقل والسلوك الى سبيل الشقاء كما هو ديدن المفحم المحجوج يقابل البينات بالسب
والابراق والارعاد فجعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ وانواع العلوم و
المعارف من قبيل ما لا يفهم معناه ولا يدرك فحواه وادمجوا في ضمن ذلك ان في تضاعيفه
ما يستوجب اقصى ما يكون من المؤاخذة والعقاب ولعل ذلك ما فيه من التحذير من
عواقب الامم السالفة ولذلك قالوا وانا لنراك فينا فيما بيننا ضعيفا لا قوة لك ولا قدرة
على شيء من الضر والنفع والايقاع والدفع ولولا رهطك لولا مراعاة جانبهم لا لولا خوفهم
مما يعنون ويدا فعون لرجمناك فان مما نعة الرهط وهو اسم للثلاثة الى السبعة والى
العشرة لهم وهم الوف مؤلفة مما لا يكاد يتوهم وقد ايد ذلك بقوله عز وجل وما انت علينا
بعزيز مكرم محترم حتى نمتنع من رجمك وانما نكف عنه للمحافظة على حرمة رهطك الذين ثبتوا على ديننا
ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا • وايلاء الضمير حرف النفي وان لم يكن الخبر فعليا غير خال عن الدلالة
على رجوع النفي الى الفاعل دون الفعل لا سيما مع قرينة قوله ولولا رهطك كانه قيل وما انت علينا بعزيز
بل رهطك هم الاعزة علينا وحيث كان غرضهم من عظيمتهم هذه عائدا الى نفي ما فيه عليه السلام
من القوة والعزة الربانيتين حسبما يوجبه كونه على بينة من ربه مؤيدا من عنده ويقتضيه
قضية طلب التوفيق منه والتوكل عليه والانابة اليه والى اسقاط ذلك كله عن درجة الاعتداد
والاعتبار قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله فان الاستهانة بمن لا يتعزز الا به عز وجل استهانة
بجنابه العزيز • وانما انكر عليهم اعزية رهطه منه تعالى مع ان ما اثبتوه انما هو مطلق عزة
رهطه لا اعزيتهم منه عز وجل مع الاشتراك في اصل العزة لتثنية التقريع وتكرير التوبيخ
حيث انكر عليهم اولا ترجيح جنبة الرهط على جنبة الله تعالى وثانيا نفي العزة بالمرة والمعنى
ارهطي اعز عليكم من الله فانه مما لا يكاد يصح والحال انكم لم تجعلوا له تعالى حظا من العزة اصلا
واتخذتموه بسبب عدم اعتدادكم بمن لا يرد ولا يصدر الا بامره وراءكم ظهريا شيئا منبوذا
وراء الظهر منسيا لا يبالى به منسوب الى الظهر والكسر لتغيير النسب كالامسي في النسبة الى الامس
ان ربي بما تعملون من الاعمال السيئة التي من جملتها عدم مراعاتكم لجانبه محيط لا يخفى عليه منها
خافية وان جعلتموه منسيا فيجازيكم عليها • ويجوز ان يكون الانكار للرد والتكذيب فانهم لما ادعوا
انهم لا يكفون عن رجمه عليه السلام لقوته وعزته بل لمراعاة جانب رهطه رد عليهم ذلك بانكم
ما قدرتم الله حق قدره العزيز ولم تراعوا جنابه القوي فكيف تراعون جانب رهطي الاذلة
انتهى ابو السعود

قال عليه السلام في جوابهم °

ابو السعود ايضا

ومن ياتيه عذاب يخزيه وصف العذاب بالاخزاء تعريضا بما اوعدوه عليه السلام به من الرجم فانه مع كونه عذابا
ليس فيه خزي ظاهر حيث لا يكون الا بجناية عظيمة توجبه ومن هو كاذب عطف على من ياتيه لا على فيه بل حيث
اوعدوه بالرجم وكذبوه • قيل سوف تعلمون من المعذب والكاذب • وفيه تعريض بكذبهم في ادعائهم القوة
والقدرة على رجمه عليه السلام • وفي نسبته الى الضعف والهوان وفي ادعائهم الابقاء عليه لرعاية جانب
الرهط • والاختلاف بين المعطوفين بالفعلية والاسمية لان كذبا الكاذب ليس يترقب كاتيان العذاب
بل انما المرتقب ظهور الكذب الثابت المستمر • ومن استفهامية معلقة لفعل العلم عن العمل كانه قيل سوف تعلمون
اينا ياتيه عذاب يخزيه واينا كاذب • وانها موصولة اي سوف تعرفون الذي ياتيه عذاب والذي هو كاذب
وارتقبوا وانتظروا مآل ما اقول اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالقريب • او المراقب كالعشير
او المرتقب كالرفيع • وفي زيادة معكم اظهار منه عليه السلام لكمال الوثوق بامره ولما جاء امرنا اي عذابنا
كما ينبئ قوله تعالى سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه • او وقته فان الارتقاب مؤذن بذلك نجينا شعيبا
والذين امنوا معه برحمة منا وهي الايمان الذي وفقناهم له • او بمرحمة كائنة منا لهم • وانما ذكر بالواو كما في قصة عاد
اذ لم يسبقه فيها ذكر وعد يجري مجرى السبب المقتضي لدخول الفاء في معلوله كما في قصتي صالح ولوط فانه
قد سبق هنالك سابقة الوعد بقوله ذلك وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح واخذت الذين ظلموا
عدل اليه عن الضمير تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بان ما اخذهم انما اخذهم بسبب ظلمهم الذي فصل فيما سبق
فنونه الصيحة قيل صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا • وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة • وفي سورة العنكبوت
فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء المفضي اليها كما مر فيما قبل
فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها • ولما لم يجعل متعلق العلم في قوله تعالى
سوف تعلمون من ياتيه عذاب الخ نفس مجيء العذاب بل من يجيئه ذلك جعل مجيئه ذلك امرا مسلم الوقوع
غنيا عن الاخبار به حيث جعل شرطا وجعل تنجية شعيب عليه السلام واهلاك الكفرة جوابا له •
ومقصود الافادة • وانما قدم تنجيته اهتماما بشانها وايذانا بسبق الرحمة التي هي مقتضى الربوبية

° بالنسبة الى شعيب عليه السلام النبوة وبالنسبة الى المؤمنين الايمان منه

ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون سبق مثله في سورة الانعام والفاء في سوف ثمة للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذف هنا للاستيناف كانه قيل فماذا يكون اذا عملنا على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون وهو ابلغ من الوصل بالفاء من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب قياس الكلام ومن هو صادق بدل قوله ومن هو كاذب ليكونا قسمين لمن يتصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا اجرى الكلام على حسب زعمهم فقال ومن هو كاذب اى على زعمكم ودعواكم او اراد سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم لانهم كذبوه ودعوه وارتقبوا وانتظروا ما اقول اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الفاعل كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا انما ذكر ساقتي قصة عاد وقصة مدين بالواو وساق قصتي ثمود ولوط بالفاء لانه لم يسبق فيهما وعد يقتضي التسبب فجيء بحرف الجمع عطف قصة على قصة واما في قصتي ثمود ولوط فقد سبق وعد يقتضي التسبب وهو قوله في الاولى ذلك وعد غير مكذوب وفي الثانية ان موعدهم الصبح فجيء بما كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت واخذت الذين ظلموا الصيحة صاح بهم جبرائيل عم صيحة فهلكوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا في ديارهم مترددين في تقربها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود

ابو المعين النسفي

ويا قوم اعملوا على مكانتكم هي بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة او مصدر من مكن مكانة فهو مكين اذا تمكن من الشيء يعني اعملوا قارين على جهتكم التي انتم عليها من الشرك والشنآن لي او اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها اني عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكنني سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كانه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه اى يفضحه واينا هو كاذب او موصولة قد عمل فيها كانه قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب في زعمكم ودعواكم وادخال الفاء في سوف وصل ظاهر بحرف وضع للوصل ونزعها وصل تقديري بالاستيناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون والاتيان بالوجهين للتفنن في البلاغة وابلغهما الاستيناف وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما اقول لكم اني معكم رقيب منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب بمعنى الضارب او بمعنى المراقب كالعشير بمعنى المعاشر ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة صاح بهم جبريل صيحة فهلكوا وانما ذكر في آخر قصة عاد ومدين ولما جاء وفي آخر قصة ثمود ولوط فلما جاء لانها وقعا بعد ذكر الموعد وذلك قوله تعالى ان موعدهم الصبح وذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للتسبب كقولك وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان فقد وقعتا مبتدأتين فكان حقهما ان تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة فاصبحوا في ديارهم جاثمين الجاثم اللازم لمكانه لا يريم يعني ان جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو بغتة كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا في ديارهم احياء متصرفين مترددين ألا بعدا لمدين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد الا ترى الى قوله كما بعدت ثمود وقرئ كما بعدت والمعنى في البنائين واحد وهو نقيض القرب الا انهم فرقوا بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد واوعد انتهى المدارك

ملاكهم لانهم ايضا اهلكوا بالصيحة الا ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون سبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور انتهى ابن الكمال

ابو السعود افندي

ويا قوم اعملوا لما رأى عليه السلام اصرارهم على الكفر وانهم لا يرعوون عما هم عليه من المعاصي حتى اجترؤوا على العظيمة التي هي الاستهانة به والعزيمة على رجمه لولا حرمة رهطه قال لهم على طريقة التهديد اعملوا على مكانتكم اى على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وانا قاله عم ردا لما ادعوا انهم اقوياء قادرون على رجمه وانه ضعيف فيما بينهم لا عزة له او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة والمعنى اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر والمشاقة لي وسائر ما انتم عليه مما لا خير فيه وابذلوا جهدكم في مضارتي وايقاع ما في نيتكم واخراج ما في امنيتكم من القوة الى الفعل اني عامل على مكانتي حسبما يؤيدني الله ويوفقني بانواع التأييد والتوفيق سوف تعلمون لما هددهم عليه السلام بقوله اعملوا على مكانتكم اني عامل كان مظنة ان يسأل منهم فيقول فماذا يكون بعد ذلك فقيل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه

من العيون للشيخ السهروردي

ويا قوم اعملوا على مكانتكم اى على قوتكم طالبين هلاكي وابطال امري اني عامل في ابطال كيدكم وهلاك دينكم بقوة الله ونصره والمكان والمكانة بمعنى التمكن من عمل شيء ثم حذف هنا مستانفا بترك الفاء التي للوصل الظاهر اكتفاء بالوصل الخفي التقديري لكونه جوابا لسؤال مقدر كانهم قالوا ماذا يكون لنا بعد ذلك فقال سوف تعلمون اينا الجاني على نفسه والمخطي في فعله من يأتيه عذاب من الله يخزيه اى يذله ويهلكه ومن هو كاذب على الحقيقة لا بزعمكم والاصل ان يقولوا ومن هو صادق وانما ذكر تجهيلا لهم لانهم كانوا يدعونه كاذبا اى ويخزي الكاذب على الله بان له شريكا فمن عطف على الضمير المفعول وارتقبوا اى انتظروا العذاب اني معكم رقيب اى بمعنى الراقب اى منتظر بكم العذاب ونزوله في الدنيا ولما جاء امرنا اى عذابنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا اى اشركوا بالله وعصوا امره الصيحة اى صيحة جبريل فخرجت ارواحهم من ابدانهم فاصبحوا في ديارهم جاثمين اى ميتين في اماكنهم لا يتحركون كأن لم يغنوا فيها اى كأن لم يقيموا في الارض ولم ينعموا متقربين الا بعدا لمدين من رحمة الله كما بعدت ثمود من رحمته والبعد ضد القرب وقيل معناه الاهلاك لمدين كهلاك ثمود قيل لم يعذب امتان بعذاب واحد الا قوم صالح وشعيب صاح بهم جبرئيل فاهلكهم الله تعالى انتهى

على الغضب الذي يظهرانه بموجب جرائرهم وجرائمهم كأن لم يغنوا اى لم يقيموا فيها متصرفين في اطرافها متقلبين في اكنافها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود العدول عن الاضمار الى الاظهار ليكون ادل على طغيانهم الذي اداهم الى هذه المرتبة وليكون انسب بمن شبه هلاكهم بهلاكهم اعني ثمود وانما شبه هلاكهم بهلاكهم لانهما اهلكتا بنوع من العذاب وهو الصيحة غير ان هؤلاء صيح بهم من فوقهم واولئك من تحتهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر للمكسور انتهى ابو السعود

كأن لم يكونوا في الارض قط ألا بعدا لمدين لقوم شعيب من رحمة الله كما بعدت ثمود قوم صالح من رحمة الله وكان عذاب قوم صالح وقوم شعيب سواء كلاهما كانت الصيحة بالعذاب اصابهم حتى شديد فقوم صالح اتاهم من تحت ارجلهم العذاب وقوم شعيب اتاهم من فوق رؤوسهم العذاب انتهى من تفسير ابو الليث

أبو المعين النسفي

ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين المراد به العصا لأنها أبهرها إلى فرعون وملائه فاتبعوا اي الملأ أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد هو تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على أمره وهو في ضلال مبين وذلك أنه ادعى الألوهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالظلم والشر الذي لا يأتي إلا من شيطان ومثله بمعزل عن الألهية وفيه أنهم عاينوا الآيات والسلطان المبين وعلموا أن مع موسى الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه إلى اتباع من ليس في أمره رشد قط او المراد وما أمره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه يوم القيمة اي يتقدمهم وهم على عقبه تفسيرا له وإيضاحا اي كيف يرشد أمر من هذه عاقبته والرشد يستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويقال قدمه بمعنى تقدمه فأوردهم النار أدخلهم وجيء بلفظ الماضي لأن الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة يعني كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه وبئس الورد المورود الورد المورود الذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة إلى الماء وشبه أتباعه بالواردة ثم قال بئس الورد الذي يردونه النار لأن الورد إنما يراد لتسكين العطش والنار ضده وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة بئس الرفد المرفود رفدهم اي بئس العون عونهم أو بئس العطاء المعطى انتهى المدارك اي العون المعان وقيل العطاء المعطى

ابو السعود تتمة

ولكن ظلموا انفسهم بان جعلوها عرضة للهلاك باقتراف ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا دفعت باس الله عنهم
الهتهم التي يدعون اي تعبدونها من دون الله اوثر صيغة المضارع حكاية للحال الماضية او دلالة على استمرار عبادتهم
من شيء في موضع المصدر اي شيئا من الاغناء لما جاء امر ربك اي حين مجيء عذابه • وهو منصوب باغنت
وقرئ الهتهم اللاتي ويدعون على البناء للمجهول وما زادوهم غير تتبيب اي اهلاك وتخسير فانهم انما هلكوا
وخسروا بسبب عبادتهم لها وكذلك اي ومثل ذلك الاخذ الذي مر بيانه • وهو رفع على الابتداء وخبره
قوله اخذ ربك وقرئ اخذ ربك فمحل الكاف النصب على انه مصدر مؤكد اذا اخذ القرى اي اهلها • [illegible]
اسند اليها للاشعار بسريان اثره اليها حسبما ذكر • وقرئ اذ اخذ وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة
لاهلها لكنها لما اقيمت مقامهم في الاخذ اجريت الحال عليها • وفائدتها الاشعار بانهم انما اخذوا بظلمهم ليكون
ذلك عبرة لكل ظالم ان اخذه اليم شديد وجيع صعب على الماخوذ لا يرجى منه الخلاص • وفيه ما لا يخفى
من التهديد والتحذير ان في ذلك اي في اخذه تعالى للامم المهلكة او في قصصهم لاية لعبرة لمن خاف
عذاب الاخرة فانه المعتبر به حيث يستدل بما حاق بهم من العذاب الشديد بسبب ما عملوا من
السيئات على احوال عذاب الاخرة • واما من انكر الاخرة واحال فناء العالم وزعم ان ليس هو ولا شيء
من احواله مستندا الى الفاعل المختار وان ما يقع فيه من الحوادث فانما يقع لاسباب تقتضيه
من اوضاع فلكية تتفق في بعض الاوقات لا لما ذكر من المعاصي التي يقترفها الامم الهالكة فهو
بمعزل من هذا الاعتبار تبا لهم ولما لهم من الافكار ذلك اشارة الى يوم القيامة المدلول عليه بذكر
الاخرة يوم مجموع له الناس اي يجمع له الناس للمحاسبة والجزاء • والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع وتحقق
وقوعه لا محالة وعدم انفكاك الناس عنه فهو ابلغ من قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وذلك اي يوم القيامة
مع ملاحظة عنوان جمع الناس له يوم مشهود اي مشهود فيه حيث يشهد فيه اهل السموات والارضين
فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كما في قوله في محفل من نواصي الناس مشهود اي كثير شاهدوه • ولو
جعل نفس اليوم مشهودا لفات ما هو الغرض من تعظيم اليوم وتهويله وتمييزه عن غيره فان سائر الايام
ايضا كذلك

من العيون للشيخ السمرقندي البكري

ذلك النباء اي الخبر مبتدأ خبره من انباء القرى اي بعض اخبار القرى المهلكة نقصه خبر بعد خبر
للمبتدأ اي مقصوص منا عليك بنزول جبرئيل لتقرأ عليهم دلالة على نبوتك • ثم استانف قوله منها اي
من القرى قائم اي عامر بقيام الحيطان دون اهله وحصيد اي ومنها خراب هالك بهلاك اهله وحيطانه
وهو بمعنى المحصود وما ظلمناهم اي لم نهلكهم ظلما ولكن ظلموا انفسهم بالكفر والمعصية فما اغنت اي ما نفعت
عنهم الهتهم التي يدعون اي تعبدونها من دون الله من شيء اي من صرف عذاب الله تعالى عنهم لما اي حين جاء
امر ربك اي عذابه وما زادوهم اي ما زادت الهتهم اياهم بعبادتهم غير تتبيب اي غير تدمير واهلاك
وكذلك اي مثل ذلك العقاب اخذ ربك اي عقوبته اذا اخذ القرى اي عاقبهم وهي ظالمة والحال ان اهلها
جاحدون بتوحيد الله ومتخذون للشرك به ان اخذه اي عقوبته اليم شديد وجيع صعب على الماخوذ
وهو تحذير عن عاقبة الظلم لكل قرية ظالمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا
اخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك اخذ ربك الاية ان في ذلك اي في الاخبار عن الامم الخالية الهالكة بذنوبهم
لاية اي لعبرة وعظة لمن خاف عذاب الاخرة اي لمن ايقنه واقر به ذلك اي يوم القيمة يوم مجموع له الناس
اي يوم يجمع له الاولون والاخرون للحساب والجزاء • وصف اليوم بلفظ الاسم دون الفعل ليدل على ثبات
الجمع في ذلك اليوم وتمكنه البتة وذلك يوم مشهود اي يشهدونه فيه من اهل السماء والارض
لا يغيب عنه احد منهم جعل اليوم مشهودا فيه تهويلا وتمييزا من بين الايام كتمييز يوم الجمعة عن ايام
الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها

انتهى العيون

ذلك مبتدأ من انباء القرى خبره اي ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة نقصه عليك خبر بعد خبر اي مقصوص عليك
منها قائم وحصيد جملة مستأنفة لا محل لها اي بعضها باق على اثره كالزرع القائم على ساقه وبعضها عاف الاثر كالزرع
الحصيد وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب الشرك والمعاصي التي اهلكوا بها فما اغنت عنهم الهتهم
فما قدرت ان تدفع عنهم باس الله التي يدعون حكاية حال ماضية اي التي كانوا تعبدونها من دون الله اي اصنامهم التي
اعتقدوها الهة معبودة من شيء غناء قليلا لما جاء امر ربك حتى جاء عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب تخسير
وكذلك مثل ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل ويكون محل الكاف النصب على المصدر اذا اخذ
القرى اي اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت
مقامهم اجريت عليها وهي في الحقيقة لاهلها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا بظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره
من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد من باب الاسناد المجازي لان الاخذ مولم كقوله ضرب وجيع و
معناه صعب على الماخوذ حتى كان الاخذ تألم من صعوبته ولا يخفى ما فيه من المبالغة في التهديد والتحذير
ان في ذلك اي فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله تعالى لاية لعبرة لمن خاف عذاب الاخرة لانه ينظر الى ما نزل
بهم بسبب ذنوبهم فيعتبر به حال الاخرة ويعلم من شدته شدة العذاب الموعود وعظمته فينزجر •
واما الذي ينكر الاخرة او لا يخطر بباله اهوالها فلا خطر له من ذلك الاعتبار ذلك اشارة الى يوم القيمة لدلالة
عذاب الاخرة عليه يوم مجموع له الناس للحساب والجزاء • والناس فاعل مجموع كانه قيل يوم يجمع له الناس •
والعدول من لفظ الفعل الى لفظ اسم المفعول للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه موصوف به صفة
لازمة لا محالة • واثبت الاسناد والجمع الى الناس لانه يفيد انهم لا ينفكون عن الجمع الذي هو وصف لليوم
كما لا ينفكون عن الموصوف الذي هو ظرف لهم فهو ابلغ من
قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وذلك يوم
مشهود اي مشهود فيه فاتسع في الظرف
باجرائه مجرى المفعول به اي يشهد
فيه الخلايق الموقف لا يغيب عنه احد
والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه
كما يقال لفلان مجلس مشهود وطعام
محضور تريد الكثرة ولو جعل اليوم
مشهودا في نفسه لفات الغرض وهو
التعظيم لليوم وتميزه فان سائر الايام
كذلك والتهويل الحاصل من عدم ذكر
الشهود

ابو المعين النسفي

ذلك مبتدأ من انباء القرى خبره نقصه عليك خبر بعد خبر
اي ذلك النباء بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك
منها من القرى قائم وحصيد اي بعضها باق وبعضها عافي
الاثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد • والجملة مستانفة
لا محل لها من الاعراب وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا
انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا فما اغنت عنهم الهتهم فما قدرت
ان ترد عنهم باس الله التي يدعون يعبدون وهي حكاية حال
ماضية من دون الله من شيء لما جاء امر ربك عذابه •
ولما منصوب بما اغنت وما زادوهم غير تتبيب تخسير
يقال تب اذا خسر وتببه غيره اوقعه في الخسران يعني
وما افادتهم عبادة غير الله شيئا بل اهلكتهم وكذلك
محل الكاف الرفع اي ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك اذا اخذ القرى
اي اهلها وهي ظالمة حال من القرى ان اخذه اليم مولم شديد
صعب على الماخوذ • وهذا تحذير لكل قرية ظالمة من كفار
مكة وغيرها • فعلى كل ظالم ان يبادر التوبة ولا يغتر بالامهال
ان في ذلك فيما قص الله من قصص الامم الهالكة لاية لعبرة لمن خاف عذاب الاخرة اي اعتقد
صحته ووجوده ذلك اشارة الى يوم القيمة لان عذاب الاخرة دل عليه يوم مجموع له الناس هو مرفوع
بمجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس • وانما اوثر اسم المفعول على فعله لما في اسم المفعول
من الدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه اثبت ايضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه يجمعون
للحساب والثواب والعقاب وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به
اي يشهد فيه الخلايق الموقف لا يغيب عنه احد
انتهى المدارك

ابو السعود افندي

ذلك اشارة الى ما قص من انباء
الامم وبعده باعتبار تقضيه في الذكر
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم •
وهو مبتدأ خبره من انباء القرى المهلكة
بما جنته ايدي اهلها نقصه عليك
خبر بعد خبر اي ذلك النباء بعض انباء
القرى مقصوص عليك منها اي من تلك
القرى قائم وحصيد اي ومنها حصيد
حذف لدلالة الاول عليه • شبه
ما بقي منها بالزرع القائم على ساقه و
ما عفي وبطل بالحصيد • والجملة
مستانفة لا محل لها من الاعراب
وما ظلمناهم باهلاكنا ولكن ظلموا
انفسهم

هذا ابن الكمال

وما نؤخره اي اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة قليلة على حذف المضاف وارادة مدة التأجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود يوم يأتي وقرئ بكسر التاء والاكتفاء بالكسرة عن الياء الفاعل هو الله تعالى كقوله اوياتي ربك • ويؤيده قراءة وما يؤخره بالياء • وقوله باذنه او اليوم كقوله تعالى الا ان تاتيهم الساعة والمراد من اتيان اليوم اتيان هوله وشدائده فلا يلزم ان يكون الزمان ظرفا لنفسه والعامل في الظرف لا تكلم او الانتهاء المحذوف اي ينتهي الاجل يوم يأتي ولا حاجة الى التقدير اذ لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة الا باذنه الا باذن الله تعالى كقوله تعالى الا من اذن له الرحمن • وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر وقوله يجادلون عن انفسهم في موقف آخر وقوله اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم في موقف آخر • ولما كان القول بتعدد المواقف مما لا بد منه توفيقا بين الايات المذكورة فلا حاجة الى تخصيص الممنوع عنه بالاعذار الباطلة والماذون فيه بالجواب فمنهم الضمير للناس المذكور او لاهل الموقف المدلول عليه بقوله لا تكلم نفس شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد تفصيل لما فهم من قوله لا تكلم نفس الا باذنه انقسامهم الى قسمين اجمالا وتقديم الشقي على السعيد لان المفهوم اولا في مرتبة الاجمال وسعيد وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والاصل ومنهم سعيد فحذف منهم اختصارا والتنكير للتنويع فاما الذين شقوا ففي النار شرع في تفصيل احوال الصنفين المذكورين بعد تفصيلهما لهم فيها تقديم الظرف للتخصيص زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده • واستعمالهما في اول النهيق واخره وهما من اصوات المكروبين ففيه تشبيه حالهم بحال من استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه للدلالة على شدة كربهم وغمهم

ابو المعين النسفي

وما نؤخره اي اليوم المذكور • الاجل يطلق على مدة التاجيل كلها وعلى منتهاها والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف • او ما نؤخر هذا اليوم الا لتنتهي المدة التي ضربناها لبقاء الدنيا يوم يأتي وبالياء مكي وافقه ابو عمرو و نافع وعلي في الوصل واثبات الياء هو الاصل اذ لا علة توجب حذفها وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل ونظيره ما كنا نبغ وفاعل يأتي ضمير يرجع الى قوله يوم مجموع له الناس لا اليوم المضاف الى يأتي • فيوم منصوب باذكر • او بقوله لا تكلم اي لا تتكلم نفس الا باذنه اي لا يشفع احد الا باذن الله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه فمنهم الضمير لاهل الموقف لدلالة لا تكلم نفس عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس شقي معذب وسعيد اي ومنهم سعيد منعم فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير هو اول نهيق الحمار وشهيق هو آخره او هما اخراج النفس ورده والجملة في موضع الحال والعامل فيها الاستقرار الذي في النار خالدين فيها حال مقدرة ما دامت السماوات والارض في موضع النصب اي مدة دوام السماوات والارض • والمراد سماوات الاخرة وارضها وهي دائمة مخلوقة للابد والدليل على ان لها سماوات وارضا قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات • وقيل ما دام فوق وتحت • ولانه لا بد لاهل الاخرة مما يقلهم ويظلهم اما سماء او عرش كل ما اظلك فهو سماء • او هو عبارة عن التابيد ونفي الانقطاع كقول العرب ما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التابيد الا ما شاء ربك هو استثناء من الخلود في عذاب النار وذلك لان اهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وانواع من العذاب سوى عذاب النار • او ما شاء بمعنى من شاء وهم قوم يخرجون من النار ويدخلون الجنة فيقال لهم الجهنميون وهم المستثنون من اهل الجنة ايضا لمفارقتهم اياها بكونهم في النار اياما ظ

خالدين فيها ما دامت السماوات والارض انتصاب خالدين على انه حال مقدرة وما مصدرية ظرفية اي مدة دوام السماوات والارض والمراد

ع اي فمنهم من سبقت له الشقاوة ومنهم من سبقت له السعادة وعن علي بن ابي طالب رض قال خرجنا على جنازة فبينا نحن بالبقيع اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيده مخصرة فجاء فجلس ثم نكت بها الارض ساعة ثم قال ما من نفس منفوسة الا قد كتب مكانها من الجنة او النار والا قد كتب شقية او سعيدة قال اي الراوي قال رجل افلا نتكل على كتابنا يا رسول الله وندع العمل قال لا ولكن اعملوا فكل ميسر اما اهل الشقاء فييسرون لعمل اهل الشقاء واما اهل السعادة فييسرون لعمل اهل السعادة ثم قرا فاما من اعطى واتقى الا، من معالم التنزيل

ظ فهو لم يشق ... الشقاوة من يدخل النار ومن ... سعد والسعادة من ... وقال سعيد عن ابن عباس والضحاك ... بالشقي التابيد وهو ... الناس وقتادة ان ربك فعال لما يريد والسعيد اسماء المالكين

كان م

والمراد بهذا التوقيت التابيد على طريقة العرب في قولهم ما اقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك مما يذكرونه في مقام المبالغة في نفي الانقطاع ولا سبق الى الفهم منها الا التابيد لا تعليق مدتها بمدة بقائها ولو كان الاثر كذا التعليق على ان المراد منها سماوات الاخرة وارضها فانه لا بد لاهلها من مقلة ومظلة ولا يلزم في التعليق بهما علمنا بكيفيتها بل يكفي تعلق ابديتهم بين مقلة ومظلة وهو معلوم من النصوص كقوله يوم تبدل غير الارض والسماوات • وقوله واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء . وليس فيه تشبيه ما يعرف بما لا يعرف كما توهم الا ما شاء ربك استثناء من الخلود في عذاب النار لان الكفار ينقلون من حر النار الى برد الزمهرير والرد بان النار عبارة عن دار العقاب غير وارد لانا لا ننكر استعمال النار فيها تغليبا اما دعوى الغلبة حتى يصح الاصل فلا الا يرى الى قوله تعالى نارا تلظى نارا وقودها الناس والحجارة وكم وكم • واما ما قيل لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقوه عن الجنة ايام عذابهم فان التابيد من مبدا . معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء . ان موجب ذلك اندراج الفساق في القسمين فيفوت ما قصد بالتنكير من التفريع والتمييز بينهما بحيث لا يندرج احدهما في حكم الاخر والتقابل المتعارف بينهما المفهوم من قوله السعيد سعيد في بطن امه والشقي شقي في بطن امه ولا يجدي الجمع بينهما بالاعتبارين • ثم ان الزفير والشهيق من خواص الكفار وعلى ما ذكر يلزم شريك الفساق معهم فيه • واما ما ذكر ثانيا ففيه انه لا دلالة في اللفظ على المبدا المعين ولو سلم فالاستثناء يقتضي اخراجا عن حكم الخلود وهو لا محالة بعد الدخول • ولا يجوز ان يكون الاستثناء من قوله لهم فيها زفير وشهيق لان حق النظم ح ان يقع قوله خالدين فيها ما دامت السماوات والارض على قوله لهم فيها زفير وشهيق ان ربك فعال لما يريد فلا يتجه الاعتراض عليه في تخصيصه بعض اوقات الشقاوة باحد نوعي العذاب وبعضها بنوعه الاخر اسمها باسمها

ابو السعود افندي

وما نؤخره اي ذلك اليوم الملحوظ بعنوان الجمع والشهود الا لاجل معدود الا لانقضاء مدة قليلة مضروبة حسبما تقتضيه الحكمة يوم يأت اي حين يأتي ذلك اليوم المؤخر بانقضاء اجله كقوله تعالى ان تاتيهم الساعة • وقيل يوم يأتي الجزاء الواقع فيه • وقيل اي الله عز وجل فان المقام مقام تفخيم شان اليوم • وقرئ باثبات الياء على الاصل لا تكلم نفس اي لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو العامل في الظرف او الانتهاء المحذوف في قوله تعالى الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم يأتي • او المضمر المعهود اعني اذكر الا باذنه عز سلطانه في التكلم كقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موطن من مواطن ذلك اليوم وقوله عز وجل هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر من مواقفه كما ان قوله سبحانه يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها في آخر منها والماذون فيه الجوابات الحقة والممنوع عنه الاعذار الباطلة نعم قد يؤذن فيها ايضا لاظهار بطلانها كما في قول الكفرة والله ربنا ما كنا مشركين ونظائره فمنهم شقي وجبت له النار بموجب الوعيد وسعيد اي ومنهم سعيد حذف الخبر لدلالة الاول عليه وهو من وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والضمير لاهل الموقف المدلول عليهم بقوله لا تكلم نفس او للناس • وتقديم الشقي على السعيد لان المقام مقام التحذير والانذار فاما الذين شقوا

فاما الذين شقوا اي سبقت لهم الشقاوة ففي النار اي مستقرون فيها لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق ردّه • واستعمالهما في اول النهيق وآخره قال الشماخ يصف حمار الوحش بعيد مدى التطريب اول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج • والمراد بهما وصف شدة كربهم وتشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة وانحصر فيه روحه • او تشبيه صراخهم باصوات الحمير • وقرئ شقوا بالضم والجملة مستأنفة كان سائلا قال ما شانهم فيها فقيل لهم فيها كذا وكذا • او منصوبة المحل على الحالية من النار • او من الضمير في الجار والمجرور كقوله عز وجل خالدين فيها خلدا ان ان اريد حدوث كونهم في النار فالحال مقدرة ما دامت السموات والارض اي مدة دوامهما • وهذا التوقيت عبارة عن التابيد ونفي الانقطاع بناء على منهاج قول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وما اختلف الليل والنهار وما طما البحر وغير ذلك من كلمات التابيد لا تعليق قرارهم فيها بدوام هذه السموات والارض فان النصوص القاطعة دالة على تابيد قرارهم فيها وانقطاع دوامهما وان اريد التعليق فالمراد سموات الاخرة وارضها كما يدل عليه النصوص كقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وجزم كل احد بان اهل الاخرة لا بد لهم من مظلة ومقلة دائميتين يكفي في تعليق دوام قرارهم فيها بدوامها ولا حاجة الى الوقوف على تفاصيل احوالها وكيفياتها الا ما شاء ربك استثناء من الخلود على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء وقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط غير ان استحالة الامور المذكورة معلومة بحكم العقل واستحالة تعلق المشيئة بعدم الخلود معلومة بحكم النقل يعني انهم مستقرون في النار في جميع الازمنة الا في زمان مشيئة الله تعالى لعدم قرارهم فيها واذ لا امكان لتلك المشيئة ولا لزمانها بحكم النصوص القاطعة الموجبة للخلود فلا امكان لانتهاء مدة قرارهم فيها وليدفع ما عسى يتوهم من كون استحالة تعلق مشيئة الله تعالى بعدم الخلود بطريق الوجوب على الله تعالى قال ان ربك فعال لما يريد يعني في تخليد الاشقياء في النار بحيث يستحيل وقوع خلافه بموجب ارادته قاض بمقتضى مشيئته الجارية على سنن حكمته الداعية الى ترتيب الاجزية على افعال العباد • والعدول من الاضمار الى الاظهار لتربية المهابة وزيادة التقرير • وقيل هو استثناء من الخلود في عذاب النار فانهم لا يخلدون فيه بل يعذبون بالزمهرير وبانواع اخر من العذاب وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله تعالى عليهم وخسؤه لهم واهانته اياهم • وانت تدري انا وان سلمنا ان المراد بالنار ليس مطلق دار العذاب المشتملة على انواع العذاب بل نفس النار فما خلا عذاب الزمهرير من تلك الانواع مقارن لعذاب النار فلا يتحقق في ذلك الاستثناء وكما ان تحققوا انهم ليسوا بمخلدين في العذاب الجسماني الذي هو عذاب النار بل لهم افانين العذاب ما لا يعلمه الا الله سبحانه وهي العقوبات والالام الروحانية التي لا يقف عليها في هذه الحياة الدنيا المنغمسون في احكام الطبيعة القاصرة ادراكهم على ما الفوا من الاحوال الجسمانية وليس لهم استعداد لتلقي ما وراء ذلك من الاحوال الروحانية اذا القي اليهم ولذلك لم يتعرض لبيانه واكتفى بهذه المرتبة الاجمالية المنبئة عن التهويل وهذه العقوبات وان كانت تعتريهم وهم في النار لكنهم ينسون بها عذاب النار ولا يحسون به وهذه المرتبة كافية في تحقيق معنى الاستثناء هذا وقد قيل الا بمعنى سوى وهو وفق بما ذكر وقيل انها بمعنى من على ارادة معنى الوصفية فالمعنى ان الذين شقوا في النار مقدرين الخلود فيها الا الذين شاء الله عدم خلودهم فيها وهم عصاة المؤمنين انتهى

من العيون للشيخ السهروردي البكري

وما نؤخره اي ذلك اليوم ونحن قادرون على ان نقيمه الآن الا لاجل معدود اي لوقت معلوم محسوب بعد انقضاء الدنيا يوم يأت اي ذلك اليوم والفاعل الله كما في قوله او يأتي ربك اي امره • وقرئ باثبات الياء وبحذفها كما في مصحف عثمان رضي الله عنه وهو لغة هذيل • والعامل في الظرف محذوف اي اذكر يوم ياتي هوله وشدائده او العامل لا تكلم اي لا تتكلم لهول ذلك اليوم وشدته نفس في الشفاعة الا باذنه اي الا بامره تعالى • والقيمة مواطن ففي بعضها يتكلمون وفي بعضها يمنعون عن التكلم فمنهم شقي اي من سبقت له الشقاوة وسعيد ومنهم سبقت له السعادة فاما الذين شقوا ففي النار لشركهم ومعاصيهم لهم فيها زفير اي الصوت الشديد وشهيق اي الصوت الضعيف • وهما صفتان صوت الحمار يعني اول ما ينهق وآخر ما ينهق عند الفراغ من نهيقه خالدين فيها ما دامت السموات والارض اي سماء الجنة وارضها فانهما خلقتا للابد لقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات الخ • وقيل هو كناية عن التابيد على عادة العرب اي مدة دوامها في ظنهم الا ما شاء ربك اي لكن من آمن في الدنيا اخرجهم الله تعالى من الاشقياء الداخلين في النار بايمانهم • فما بمعنى من والاستثناء منقطع لكون الاخراج من غير جنس الداخلين فيها لانهم سعداء اخرجوا من النار • او متصل من داخلي النار بالمعصية • او من الواردين فيها فاخرجوا وادخلوا الجنة بالشفاعة او برحمة الله تعالى او استثناء من اوقات الخلود لانهم استحقوا الخلود في النار من حين خرجوا من القبور لكنهم اخروا عليه قدر الحساب في المحشر ان ربك فعال لما يريد باهل النار ان شاء اخرج من في النار ويدخله الجنة بايمانه وان شاء ابقاه معذبا في النار ابدا بكفره

واما الذين سعدوا بضم السين وبفتحها اي الذين خلقوا للسعادة او استوجبوا دخول الجنة بالايمان والطاعة ففي الجنة خالدين فيها ابدا ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك استثناء من اوقات الخلود وهو مقدار الحبس في المحشر وعلى الصراط • او تنعمهم في الدنيا وحبسهم في البرزخ وهو ما بين الموت والبعث اربعين سنة قبل مصيرهم الى الجنة والنار • او استثناء من الواردين فيخرجون من النار ثم يدخلون الجنة خالدين فيها • وقيل معناه سوى ما شاء الله من الزيادة على قدر مدة بقاء السموات والارض وذلك هو الخلود في الموضعين • وقيل الا بمعنى الواو اي وما شاء ربك من خلود هؤلاء في النار وهؤلاء في الجنة • وقيل معناه لو شاء ربك لاخرجهم منها ولكنه لا يشاء لانه حكم لهم بالخلود فيهما عطاء غير مجذوذ اي رزقا غير منقطع عنهم • وهو مصدر منصوب بفعل مقدر اي يعطون عطاء غير منقوص ثم قال تعالى لنبيه والمراد غيره فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء الخ انتهى العيون

قوله تعالى ما دامت السموات والارض كدوام السموات والارض منذ خلقت الى ان تفنى الا ما شاء ربك قد شاء ربك ان يخلدوا في النار • ويقال يخلد من كتب عليه الشقاوة ما دامت السموات والارض [illegible] الا ما شاء ربك ان يحوله من الشقاوة الى السعادة بقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت • ويقال دائمين في النار ما دامت السموات والارض سماء النار وارض النار الا ما شاء ربك ان يخرجهم من اهل التوحيد من كان شقاوته بذنب دون الكفر فيدخله الجنة بايمانه خالصا ان ربك فعال لما يريد كما يريد انتهى الكرماني

وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض وقرئ سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى أسعده إلا ما شاء ربك قال الزجاج هذا من باب حتى يلج الجمل في سم الخياط ولا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى • وقيل أهل الجنة ينعمون بما هو أعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه وردّ بأن ما ذكر يحصل وهم في الجنة فيأبى الاستثناء. عطاء نصب على المصدر المؤكد أي أعطوا إعطاء • أو الحال من الجنة غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بأن الثواب لا ينقطع وتنبيه على أن المراد من الاستثناء هاهنا الانقطاع وقوله في الاشقياء إن ربك فعال لما يريد في مقابلة هذا القول في السعداء يرجح نقل الاشقياء إلى ما هو أغلظ من عذاب النار من عقوبات يقتضيها سخط الله تعالى وما يعلمه إلا هو انتهى

ابو السعود افندي

وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض الكلام فيه كالكلام فيما سبق خلا أنه لم يذكر هاهنا أن لهم فيها بهجة وسرورا كما ذكر في أهل النار من أن لهم فيها زفير وشهيق لأن المقام مقام التحذير والإنذار إلا ما شاء ربك إن حمل على طريقة التعليق بالمحال فقوله سبحانه عطاء غير مجذوذ نصب على المصدرية من معنى الجملة لأن قوله ففي الجنة خالدين فيها يقتضي إعطاء وإنعاما فكأنه قيل يعطيهم عطاء • وهو إما اسم مصدر هو الإعطاء • أو مصدر بحذف الزوائد كقوله تعالى أنبتكم من الأرض نباتا وإن حمل على ما أعد الله تعالى لعباده الصالحين من النعيم الروحاني الذي عبر عنه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهو نصب على الحالية من المفعول المقدر للمشيئة أو تمييز فإن نسبة مشيئة الخروج إلى الله تعالى يحتمل أن يكون على جهة عطاء مجذوذ وعلى جهة عطاء غير مجذوذ فهو رافع للإبهام عن النسبة • قال ابن زيد أخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لأهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار • ويجوز أن يتعلق بكلا النعيمين أو بالأول دفعا لما يتوهم من ظاهر الاستثناء من انقطاعه

قال الفاضل الكرماني في تفسيره كذا دامت السموات والأرض منذ خلقتا إلا ما شاء ربك أن يحوله من السعادة إلى الشقاوة لقوله يمحو الله ما يشاء من السعادة والشقاوة ويثبت ويقال يكونون في الجنة دائمين ما دامت السموات والأرض سماء الجنة وأرض الجنة إلا ما شاء ربك أن يعذبه في النار قبل أن يدخله الجنة ثم يخرجه من النار ويدخله الجنة فيكون بعد ذلك دائما في الجنة عطاء منا بأنهم غير مجذوذ غير منقوص وغير مقطوع انتهى

ابو المعين النسفي

وأما الذين سعدوا سعدوا حمزة وعلي وحفص • سعد لازم وسعده يسعده متعد ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك هو استثناء من الخلود في نعيم الجنة وذلك أن لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وهو رؤية الله تعالى ورضوانه • ومعناه إلا من شاء أن يعذبه بعد ذنبه قبل أن يدخله الجنة • وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الاستثناء في الآيتين لأهل الجنة ومعناه ما ذكرنا أنه لا يكون للمسلم العاصي الذي دخل النار خلود في النار حيث يخرج منها ولا يكون له أيضا خلود في الجنة لأنه لم يدخل الجنة ابتداء • والمعتزلة لما لم يروا خروج العصاة من النار ردوا الأحاديث المروية في هذا الباب وكفى به إثما مبينا عطاء غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد إلى غير نهاية كقوله لهم أجر غير ممنون • وهو نصب على المصدر أي أعطوا عطاء • وقيل كفرت الجهمية بأربع آيات • عطاء غير مجذوذ • أكلها دائم • وما عند الله باق • لا مقطوعة ولا ممنوعة انتهى المدارك

وفي معالم التنزيل للإمام البغوي رحمه الله قال وأما الذين سعدوا قرأ حمزة والكسائي وحفص بضم السين وكسر العين أي رزقوا السعادة • وسعد وأسعد بمعنى واحد وقرأ الآخرون بفتح السين قياسا على شقوا إلا ما شاء ربك قال الضحاك إلا ما مكثوا في النار حتى أدخلوا الجنة عطاء غير مجذوذ أي غير مقطوع قال ابن زيد أخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لأهل الجنة • فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار • وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعد ما كانوا يلبثون فيها أحقابا • وعن أبي هريرة رضي الله عنه مثله ومعناه عند أهل السنة إن ثبت أن لا يبقى فيها أحد من أهل الإيمان وأما مواضع الكفار فممتلئة أبدا انتهى • وقيل إن الاستثناء في أهل الشقاوة يرجع إلى قوم من المؤمنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم منها فيكون ذلك استثناء من غير الجنس لأن الذين أخرجوا من النار سعداء استثناهم الله تعالى من جملة الأشقياء وهكذا روي عن قتادة عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليصيبن أقواما سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله

٥ الجنة بفضل رحمته فيقال لهم الجهنميون • وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميون • وأما الاستثناء في أهل السعادة فيرجع إلى مدة لبثهم في النار قبل دخول الجنة • وقيل إلا ما شاء ربك من الفريقين من تعميرهم في الدنيا واحتباسهم في البرزخ ما بين الموت والبعث قبل مصيرهم إلى الجنة أو النار • يعني هم خالدون في الجنة أو النار إلا هذا المقدار • وقيل معنى إلا ما شاء ربك سوى ما شاء ربك ومعناه خالدين فيها ما دامت السموات والأرض سوى ما شاء الله من الزيادة على قدر مدة بقاء السموات والأرض وذلك هو الخلود فيها كما تقول لفلان علي ألف إلا الألفين أي سوى الألفين اللتين تقدمتا • وقيل إلا بمعنى الواو أي وقد شاء ربك خلود هؤلاء في النار وهؤلاء في الجنة كقوله تعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا أي ولا الذين ظلموا انتهى المعالم

هذا ابن الكمال

فلا تك في مرية المرية التردد الحاصل مع الشك لما قص عليه عم قصص عبدة الاوثان وما حل بهم من انواع العذاب والنعم قيل عليه مسليا له بقوله هذا اي لا تكن في تردد بعدما انزل اليك فيه بسوء عاقبة قومك ومال عبادتهم الاوثان مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين فانها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه فانه يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل استيناف لتعليل النهي عن المرية اي ان حالهم في الشرك مثل حال اباءهم من غير تفاوت وقد بينا لك ما نزل باباءهم بسببه فسينزل عليهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كما وفينا اباءهم انصباءهم او من الرزق فيكون عذرا لتاخير العذاب عنهم مع قيام موجبه غير منقوص لدفع احتمال ان يكون نصيبا حال عن النصيب تقييدا منقوصا في حد نفسه عما يستحقونه وتوفيته لا يدفع هذا الاحتمال ومن لم يتنبه لهذا قال انه لتقييد التوفية فانك تقول وفيت حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا واما من قال يجوز ان يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر حقه وحقه كاملا وناقصا فلم يصب في التنوير لان اوله بمعزل عما فيه الكلام واخره ليس بتام كما لا يخفى على ذوي الاوهام ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فامن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القران ولولا كلمة سبقت من ربك اي قضاء سبق بتاخيرهم الى يوم القيمة لقضي بينهم من قوم موسى عم او بين قومك ومن بين المحق والمبطل وانهم وان كفار قومك لفي شك منه من القران مريب موقع في الريبة والقلق وهذه الاية من جملة التسلية له عليه الصلوة والسلام

انتهى ابن كمال

[هامش: القدرة لهم — كان كما يعبد]

ابو السعود افندي

فلا تك في مرية اي في شك والفاء لترتيب النهي على ما قص من القصص وبين في تضاعيفها من العواقب الدنيوية والاخروية مما يعبد هؤلاء اي من جهة عبادة هؤلاء المشركين وسوء عاقبتها او من حال ما يعبدونه من الاوثان في عدم نفعه لهم ولما كان مساق النظم الكريم قبيل الشروع في القصص لبيان غاية سوء حال الكفرة وكمال حسن حال المؤمنين وقد ضرب لهم مثل فقيل مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون وقد قص عقيب ذلك من انباء الامم السالفة مع رسلهم المبعوثة اليهم ما يتذكر به المتذكر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كونه في شك من مصير امر هؤلاء المشركين في العاجل والآجل ثم علل ذلك بطريق الاستيناف فقيل ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم الذين قصت عليك قصصهم من قبل اي هم واباؤهم سواء في الشرك ما يعبدون عبادة الا كعبادتهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان وما لعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها او مثل ما كانوا يعبدونه فحذف كان لدلالة قوله من قبل عليه ولقد بلغك ما حل باباءهم فسيحلهم مثل ذلك فان تماثل الاسباب يقتضي تماثل المسببات وانا لموفوهم اي هؤلاء الكفرة نصيبهم اي حظهم المعين لهم حسب جرائمهم وجرائرهم من العذاب عاجلا واجلا كما وفينا اباءهم انصباءهم او من الرزق المقدر لهم فيكون بيانا لوجه تاخر العذاب عنهم مع تحقق ما يوجبه غير منقوص حال مؤكدة من النصيب كقوله ثم وليتم مدبرين وفائدته دفع توهم التجوز وجعلها مقيدة له لدفع احتمال كونه منقوصا في حد نفسه مبني على الذهول عن كون العامل هو التوفية فتامل ولقد اتينا موسى الكتاب اي التورية فاختلف فيه اي في شانه وكونه من عند الله تعالى فامن به قوم وكفر به اخرون فلا تبال باختلاف قومك فيما اتيناك من القران وقولهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وزعمهم انك افتريته

انتهى ابو السعود

ابو المعين النسفي

ولما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمه وما اعد لهم من عذابه قال فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء اي فلا تشك بعدما انزل من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم لما اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل يريد ان حالهم في الشرك مثل حال اباءهم وقد بلغك ما نزل باباءهم فسينزل بهم مثله وهو استيناف معناه تعليل النهي عن المرية وما في مما وكما مصدرية او موصولة اي من عبادتهم وكعبادتهم او مما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كما وفينا اباءهم انصباءهم غير منقوص حال عن نصيبهم اي كاملا ولقد اتينا موسى الكتاب التورية فاختلف فيه اي امن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القران وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولولا كلمة سبقت من ربك انه لا يعاجلهم بالعذاب لقضي بينهم بين قوم موسى او قومك بالعذاب المستاصل وانهم لفي شك منه من القران او من العذاب مريب من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي

انتهى المدارك

ولولا كلمة سبقت من ربك وهي كلمة القضاء بانظارهم الى يوم القيمة على حسب الحكمة الداعية الى ذلك لقضي بينهم اي لاوقع القضاء بين المختلفين من قومك بانزال العذاب الذي يستحقه المبطلون ليتميزوا عن المحقين وقيل بين قوم موسى عم وليس بذاك وانهم اي وان كفار قومك اريد به بعض من رجع اليهم ضمير بينهم للامن من الالباس لفي شك عظيم منه اي من القران وان لم يجر له ذكر فان ذكر ايتاء كتاب موسى عم ووقوع الاختلاف فيه لا سيما بصدد التسلية ينادي به نداء غير خفي مريب موقع في الريبة

انتهى ابو السعود افندي

من العيون للشيخ السهروردي

فلا تك في مرية اي في شك مما يعبد هؤلاء فانهم ضلال يستحقون العذاب الوبيل ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل يعني لا يرغبون في التوحيد فيقلدون اباءهم من غير حجة في ذلك وانا لموفوهم لمتموهم نصيبهم من العذاب غير منقوص وهو نصب على الحال اي وافيا لهم ولا باتهم بلا نقص من كل واحد منهم وفيه تاكيد لتوفية نصيبهم الكامل عن ابن مسعود رضي الله عنه ليأتين على جهنم زمان ليس فيها احد وذلك بعدما يلبثون فيها احقابا وعن ابي هريرة رضي الله عنه مثله ومعناه عند اهل السنة ان لا يبقى فيها احد من اهل الايمان اما مواضع الكفار فممتلئة ابدا ولقد اتينا موسى الكتاب اي التورية فاختلف فيه كما اختلف في القران بعضهم امن به وبعضهم كفر به وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ليصبر على تكذيبهم كما صبر موسى عم ولولا كلمة سبقت من ربك اي لولا وجب قول ربك بتاخير العذاب عن امتك الى يوم القيمة لقضي بينهم اي يحكم في الحال بلا مهلة بنزول العذاب بهم ولفرغ من اهلاكهم وانهم لفي شك منه اي من القران مريب اي موقع الريبة والتهمة

انتهى العيون

هذا ابن كمال

وان كلا التنوين عوض عن المضاف اليه اى جميع المختلفين فيه المؤمنين به والكافرين • وقرئ بالتخفيف على اعمال المخففة ٦٦
اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس • وما مزيدة
بينهما للفصل • وقرئ لما بالتشديد على انه اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعن ثلث ميمات
فحذف اوليهن والمعنى لمن الذين نوفينهم ربك جزاء اعمالهم • وقرئ لما بالتنوين اى جما • وقرئ وان كل لما على
ان ان نافية ولما بمعنى الا • وقد قرئ به انه بما تعملون خبير فلا يفوته شئ منه وان خفى فاستقم كما امرت الله

ابن كمال

ابو السعود افندى

وان كلا التنوين عوض من المضاف اليه اى وان كل المختلفين فيه المؤمنين منهم والكافرين
وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اى اجزية اعمالهم
واللام الاولى موطئة للقسم والثانية جواب للقسم المحذوف • وما مركبة من من الجارة وما الموصولة او الموصوفة
اصلها لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمع ثلث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين او لمن خلق
او لمن فريق والله ليوفينهم ربك • وقرئ لما بالتخفيف على ان ما مزيدة للفصل بين اللامين والمعنى وان
جميعهم والله ليوفينهم ربك • وقرئ لما بالتنوين اى جميعا كقوله سبحانه اكلا لما • وقرأ ابى وان كل لما ليوفينهم
على ان ان نافية ولما بمعنى الا • وقد قرئ به انه بما يعملون اى بما يعمله كل فرد من المختلفين من الخير والشر خبير بحيث
لا يخفى عليه شئ من جلائله ودقائقه وهو تعليل لما سبق من توفية اجزية اعمالهم فان الاحاطة بتفاصيل اعمال
الفريقين وما يستوجبه كل عمل بمقتضى الحكمة من الجزاء المخصوص يوجب توفية كل ذى حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر انتهى

ابو المعانى الشيخ

وان كلا التنوين عوض عن المضاف اليه يعنى وان كلهم اى
وان جميع المختلفين فيه • وان مشدد ولما مخفف بصرى
وعلى • ما مزيدة جئ بها ليفصل بها بين لام ان ولام ليوفينهم
وهو جواب قسم محذوف • واللام فى لما موطئة للقسم
والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم ربك اعمالهم اى جزاء اعمالهم
من ايمان وجحود وحسن وقبيح بعكس الاول ابو بكر مخففا
مكى ونافع على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذى
هو التثقيل • ولان ان يشبه الفعل والفعل يعمل قبل الحذف
وبعده نحو لم يكن ولم يك فكذا المشبه به مشددا ان غيرهم
وهو مشكل • واحسن ما قيل فيه انه من لممت الشئ جمعته لما
ثم وقف فصار لما ثم اجرى الوصل مجرى الوقف وجاز
ان يكون مثل الدعوى والثروى • وما فيه الف التأنيث
من المصادر • وقرأ الزهرى وان كلا لما وهو يؤيد ما ذكرنا
والمعنى وان كلا ملمومين اى مجموعين كانه قيل وان كلا جميعا كقوله
فسجد الملائكة كلهم اجمعون • وقال صاحب الايجاز لما فيه معنى
الظرف وقد دخل الكلام اختصار كانه قيل وان كلا لما بعثوا ليوفينهم
ربك اعمالهم وقال الكسائى ليس لى بتشديد لما علم انه بما يعملون بصير انتهى المدارك

من العيون

وان كلا قرئ ان بالتشديد بعد التخفيف الى
واعملت فى كل والتنوين فيه عوض عن المضاف
اى كل واحد من المختلفين والخبر على كلا الوجهين
لما بالتخفيف وما نكرة بمعنى خلق واللام
فيه لام التاكيد • اى وان كلا لخلق
ولو جعلت ما زائدة للفصل بين لام ان
ولام القسم فى ليوفينهم كان خبر ان
ليوفينهم فاللام الاولى لتوطئة القسم
واللام فى ليوفينهم جواب قسم محذوف
اى وان كلا من المختلفين والله ليوفينهم
اى ليعطينهم وافيا ربك اعمالهم اى
جزاء اعمالهم من خير وشر • وقرئ لما
بالتشديد اصله لمن ما بمعنى لخلق ما
قلبت النون ميما فاجتمع ثلث ميمات
فحذف الاول تخفيفا انه بما تعملون بصير
اى عالم فيجازى بالخير خيرا وبالشر شرا
اسماعيل

قرأ ابن كثير ونافع وابو بكر وان كلا ساكنة النون على تخفيف ان الثقيلة • الباقون بتشديدها لما شددها ههنا وفى يس
والطارق وفى الزخرف بالتشديد عاصم وحمزة • الباقون بالتخفيف فمن شدد فمعناه وان كلا لما فحذف احدى الميمين ومعناه
وان كلا ليوفينهم ربك اعمالهم • ومن قرأ بالتخفيف قال ما صلة اى وان كلا ليوفينهم ربك اعمالهم • وقيل ما بمعنى من
تقديره لمن ليوفينهم اعمالهم كقوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء اى من طاب واللام فى لما لام التاكيد فى ليوفينهم لام القسم
تقديره والله ليوفينهم جزاء اعمالهم انتهى المعالم

هذا ابن كمال

فاستقم كما امرت لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة وبالغ في الوعد والوعيد امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستقامة كما امر به في العقايد والاعمال من وظايف العبادات والتبليغ كما انزل اليه وبيان الشرايع جامعا بين التنزيه والتشبيه في التوحيد محترزا عن الافراط والتفريط في الاعمال في التبليغ والتشريع • والفاء للسببية اي اذا كان جزاء الكل عليه لا عليك فاستقم انت فيما امرت به والكاف في محل النصب صفة للمصدر اي استقامة مثل الاستقامة التي امرت بها ومن تاب معك عطف على المستتر في فاستقم وحسن من غير تاكيد للفصل اي فليستقم من تاب معك من الكفر وامن في اتباعه في العقايد والاعمال سالكا سبيل الامرين دون ما هو مخصوص به صلى الله عليه وسلم ولما كان في هذه الضميمة من تبليغ ذكر الامر العسير الى غاية العسر قال النبي صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود اي خص هذه السورة بالذكر والا فالامر بالاستقامة وارد في سورة الشورى قال الله تعالى فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم الاية ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم فتعتدوا انه بما تعملون بصير فهو يجازيكم به وهو في معنى التعليل للامر والنهي • وفي الاية دليل وجوب اتباع المنصوص من غير تصرف وانحراف بمجرد الراي • واما التصرف بمقتضى الاجتهاد فيما يحوج اليه فليس بمنهي عنه بل مامور به على ما ورد به النصوص • والتصرف بالقياس والاستحسان من المجتهد من هذا القبيل ولا تركنوا الى الذين ظلموا الركون الميل اليسير اي ولا تميلوا ميلا الى من وجد منه ظلم • ولم يقل الى الظالمين للمبالغة في النهي كانه قيل لا يوجد منكم ادنى ميل الى من صدر منه وقتا ما ظلم ما فضلا عن الميل الكثير الى الذين عادتهم الظلم فكيف بالظلم ويتناول مصاحبتهم ومداهنتهم في اعمالهم والانخلاط الى هواهم والتزين بزيهم ومد العين الى زهرتهم وتعظيمهم واما قال الى الذين ظلموا دون الى الذين ظلم لان كونهم جماعة مظنة الرخصة في مداهنتهم فالنهي عن ركونهم ابلغ • والاية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه فتمسكم النار بالركون اليهم وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل وابعادهم بالنار مع سلبها الولاية والنصرة عنهم عند ادنى انحرافهم عن مادة العدل الى من وجد منه ضده مع كونه صلى الله عليه وسلم احب الخلق تعالى اليه زيادة تاكيد في المبالغة فان الميل الى احد طرفي الافراط والتفريط ظلم في نفسه سواء كان على نفس الظالم او غيره وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعونكم من عذابه حال من قوله فتمسكم النار • واما اتى بصيغة الجمع لكان لكم والا فنفي العزة ابلغ ثم لا تنصرون هو ايضا اذا سبق حكم بتعذيبكم بل لا يبقي عليكم • ومعنى ثم استبعاد نصرتهم بعد الحكم باستيجابهم العذاب انتهى ابن الكمال

من العيون

فاستقم كما امرت على دين ربك والعمل به والدعاء اليه وقيل افتقر الى الله تعالى بتصحيح العزم وهو التوقف به والتوكل عليه وربط القلب به قوله ومن تاب معك عطف على الضمير في استقم للفصل بينهما اي وليستقم من تاب من الشرك وامن معك على التوحيد والعمل بما امرتم به ولا تطغوا اي لا تخرجوا عن حدود الله تعالى ولا تزوغوا بدعاة التغلب انه بما تعملون بصير لا يخفى عليه من اعمالكم شيء قال ابن عباس رضي الله عنهما ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم اية هي اشد عليه من هذه الاية ولذلك قال شيبتني سورة هود قوله ولا تركنوا اي لا تميلوا الى الكفار والذين اي ولا تميلوا الى الذين ظلموا اي وجد منهم الظلم فتمسكم النار اي فيصيبكم عذاب النار • والركون الميل في المحبة بالقلب يعني لا تطيعوهم ولا ترضوا اعمالهم السيئة الباطلة ولا تداهنوهم وما لكم من دون الله من اولياء اي اعوان ينفعونكم ثم لا تنصرون اي لا تمنعون من عذابه حين تمسكم النار هـ

ابو البركات النسفي

فاستقم كما امرت فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي امرت بها غير عادل عنها ومن تاب معك معطوف على المستتر في استقم • وجاز للفاصل يعني فاستقم وليستقم من تاب عن الكفر ورجع الى الله مخلصا ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله تعالى انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم فاتقوه • قيل ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم اية كانت اشق عليه من هذه الاية ولهذا قال شيبتني سورة هود ولا تركنوا الى الذين ظلموا ولا تميلوا قال الشيخ رحمه الله هذا خطاب لاتباع الكفرة • اي ولا تركنوا الى القادة والكبراء في ظلمهم وفيما يدعونكم اليه فتمسكم النار وقيل الركون اليهم الرضاء بكفرهم • وقال قتادة لا تلحقوا بالمشركين • وعن الموفق انه صلى خلف الامام فلما قرا هذه الاية غشي عليه فلما افاق قيل له مالك فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم • وعن الحسن جعل الله تعالى الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا وقال سفيان رحمه الله في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك • وعن الاوزاعي رحمه الله ما من شيء ابغض الى الله تعالى من عالم يزور عاملا • وقال صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه • وقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل يموت فقال دعه يموت وما لكم من دون الله من اولياء حال من قوله فتمسكم النار اي فتمسكم النار وانتم على هذه الحالة ومعناه وما لكم من دون الله من اولياء يقدرون على منعكم من عذابه لا يقدرون على منعكم منه غيره ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لانه حكم بتعذيبكم • ومعنى ثم الاستبعاد اي النصرة من الله مستبعدة هـ • انتهى المدارك

وثم فيه لاستبعاد نصرهم قيل من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصي الله تعالى في ارضه انتهى العيون • قال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزايرون للملوك

ابو السعود افندي

فاستقم كما امرت لما بين في تضاعيف القصص الحكمية عن الامم الماضية سوء عاقبة الكفر وعصيان الرسل واشير الى ان حال هولاء الكفرة في الكفر والضلال واستحقاق العذاب مثل اولئك المعذبين وان نصيبهم من العذاب واصل اليهم من غير نقص وان تكذيبهم للقران مثل تكذيب قوم موسى عليه السلام للتورية وانه لولا سبق كلمة القضاء بتاخير عقوبتهم العامة ومؤاخذتهم التامة الى يوم القيمة لفعل بهم ما فعل باباءهم من قبل وانهم لموفوه نصيبهم غير منقوص وان كل واحد من المؤمنين والكافرين لموفى جزاء عمله امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة كما امر به في العقايد والاعمال المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين ولا سيما الاعمال الخاصة به من تبليغ الاحكام الشرعية والقيام بوظايف النبوة وتحمل اعباء الرسالة بحيث يدخل تحته ما امر به فيما سبق من قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك الاية • وبالجملة فهذا الامر منتظم لجميع محاسن الاحكام الاصلية والفرعية والكمالات النظرية والعملية والخروج عن عهدته في غاية ما يكون من الصعوبة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي تاب من الشرك والكفر وشاركك في الايمان • وهو المعنى بالمعية • وهو المعطوف على المستكن في قوله فاستقم • وحسن من غير تاكيد لمكان الفاصل القايم مقامه وفي الحقيقة هو من عطف الجملة على الجملة اذ المعنى وليستقم مصاحبا لمن تاب معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم بافراط او تفريط فان كلا طرفي قصد الامور ذميم • واما سمي ذلك طغيانا وهو تجاوز الحد تغليظا او تغليبا لحال ساير المؤمنين على حاله عليه السلام انه بما تعملون بصير فيجازيكم على ذلك وهو تعليل للامر والنهي • وفي الاية دلالة على وجوب اتباع المنصوص عليه من غير انحراف بمجرد الراي فانه طغيان وضلال واما العمل بمقتضى الاجتهاد التابع لعلل النصوص فذلك من باب الاستقامة كما امر على موجب النصوص الامرة بالاجتهاد ولا تركنوا اي لا تميلوا ادنى ميل الى الذين ظلموا اي الى الذين وجد منهم الظلم في الجملة • ومدار النهي هو الظلم والجمع باعتبار جمعية المخاطبين • وما قيل من ان ذلك للمبالغة في النهي من حيث ان كونهم جماعة مظنة الرخصة في مداهنتهم انما يتم ان لو كان المراد النهي عن الركون اليهم من حيث انهم جماعة وليس كذلك فتمسكم بسبب ذلك النار واذا كان حال الميل في الجملة الى من وجد منه ظلم ما في الافضاء الى مساس النار هكذا فما ظنك بمن يميل الى الراسخين في الظلم والعدوان ميلا عظيما ويتهالك على مصاحبتهم ومنادمتهم ويلقي شراشره على مؤانستهم ويتبهج بالتزيي بزيهم ويمد عينيه الى زهرتهم الفانية ويغبطهم بما اوتوا من القطوف الدانية وهو في الحقيقة من الحبة طفيف ومن جناح البعوض خفيف بمعزل من ان يميل اليه القلوب ضعف الطالب والمطلوب • والاية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطابا لرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الميل الى احد طرفي الافراط والتفريط ظلم على نفسه او على غيره • وقرئ تركنوا على لغة تميم وتركنوا على صيغة البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء اي من انصار ينقذونكم من النار • والجملة نصب على الحالية من قوله تعالى فتمسكم النار ونفي الاولياء ليس بطريق نفي ان يكون لكل واحد منهم اولياء حتى يصدق مع ان يكون له ولي بل لكان لكم بطريق انقسام الاحاد على الاحاد لكن لا على معنى نفي استقلال كل منهم بنصير بل على معنى نفي ان يكون لواحد منهم نصير بقرينة المقام ثم لا تنصرون من جهة الله سبحانه اذ قد سبق في حكمه ان يعذبكم بركونكم اليهم ولا يبقي عليكم • وثم لتراخي رتبة كونهم غير منصورين من جهته تعالى بعدما اوعدهم بالعذاب واوجبه عليهم • ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله تعالى معذبهم وان غيره لا ينقذهم انتج انهم لا ينصرون اصلا

انتهى ابو السعود

واقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرفية لاضافته الى الوقت وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة عطف على طرفي النهار وان فسر بوما فالوجه ان يعطف على الصلوة اي واقم صلوات يتقرب بها الى الله تعالى في بعض الليل • وصلوة الغدوة الفجر وصلوة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء • وقرئ زلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر • او يمنعن السيئات بمعنى يمنعن استعداد ارتكابها كقوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ذلك اشارة الى قوله فاستقم وما بعده ذكرى للذاكرين عظة للمتقين واصبر كر الى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة للتذكير للدلالة على فضيلة الصبر ومرتبته والتنبيه على علو شانه ومكانته كانه قال وعليك بما هو اهم مما ذكرت به واخص بالتوصية في بابه وهو الصبر على ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين تعميم كالتعليل بالبرهان للاوامر والنواهي المذكورة من قوله واصبر • وايما عدل عن الضمير ايماء الى ان الصلوة والصبر احسان الا انه لا يعتد بهما دون الاخلاص انتهى ابن كمال

ابو السعود

واقم الصلوة طرفي النهار اي غدوة وعشية • وانتصابه على الظرفية لكونه مضافا الى الوقت وزلفا من الليل اي ساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه جمع زلفة عطف على طرفي النهار • والمراد بصلوتها صلوة الغداة والعصر • وقيل الظهر موضع العصر لان ما بعد الزوال عشي • وبصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات التي من جملتها بل عمدتها ما امرت به من الصلوات يذهبن السيئات التي قلما يخلو عنها البشر اي يكفرنها • وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر • وقيل نزلت في ابي اليسر الانصاري اذ قبل امرأة ثم ندم فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر قال صلى الله عليه وسلم نعم اذهب فانها كفارة لما عملت • او يمنعن من اقترافها كقوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ذلك اشارة الى قوله تعالى فاستقم فما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين اي عظة للمتقين واصبر على مشاق ما امرت به في تضاعيف الاوامر السابقة • واما ما نهي عنه من الطغيان والركون الى الذين ظلموا فليس في الانتهاء عنه مشقة فلا وجه لتعميم الصبر له اللهم الا ان يراد به ما لا يمكن عادة خلو البشر عنه من ادنى ميل بحكم الطبيعة من الاستقامة المامور بها ومن يسير ميل بحكم البشرية الى من وجد منه ظلم ما فان في الاحتراز عن امثاله من المشقة ما لا يخفى فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي يوفيهم اجور اعمالهم من غير بخس اصلا • وانما عبر عن ذلك بنفي الاضاعة مع ان عدم اعطاء الاجر ليس باضاعة حقيقة كيف لا و الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته عن ذلك بتصويره بصورة ما يمتنع صدوره عنه سبحانه من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه

نون اشارة الى تغير الكرماني

ابو المعين النسفي

واقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وزلفا من الليل وساعات من الليل • جمع زلفة وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من ازلفه اذا قربه • وصلوة الغدوة الفجر • وصلوة العشية الظهر والعصر • لان ما بعد الزوال عشي • وصلوة الزلف المغرب والعشاء • وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك اقمت عندك جميع النهار واتيته نصف النهار واوله وآخره • تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ان الحسنات يذهبن السيئات ان الصلوات الخمس يذهبن الذنوب • في الحديث ان الصلوات الخمس يكفرن ما بينها من الذنوب او الطاعات • قال صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها او سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله ذلك اشارة الى فاستقم فما بعده • او القرآن ذكرى للذاكرين عظة للمتقين • نزلت في عمرو بن غزية بائع التمر لامرأة في البيت تمر اجود فدخلت فقبلها فندم فجاء حاكيا باكيا فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم هل شهدت معنا العصر قال نعم قال هي كفارة لك فقيل اله خاص قال بل للناس عامة واصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين جاء بما هو مشتمل على جميع الاوامر والنواهي من قوله فاستقم الى فاصبر وغير ذلك من الحسنات انتهى المدارك قال المناوي رحمه الله والاستقامة من اصعب المقامات وهي لمقام الشكر اذ هو صرف العبد في كل ذرة ونفس جميع ما انعم الله به عليه من حواسه الظاهرة والباطنة الى ما خلق لاجله من عبادة ربه بما يليق بكل جوارحه على الوجه الاكمل ولهذا قيل للمصطفى صلى الله عليه وسلم وقد اجهد نفسه بكثرة البكاء والخوف اتفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا • ومن العجب ان قوله واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ربما فهم منه من لم يتأمل فيه رجاء عظيما وفيهات فقد شرط تعالى للمبالغة في رحمته اربعة شروط • التوبة • والايمان الكامل • والعمل الصالح • ثم السلوك الى سبيل الهدى من مراقبة الله تعالى في وجوده وادامة الذكر والاقبال على الله تعالى بقاله وحاله ودعائه واخلاصه انتهى

واقم بمعنى تم الصلوة • صلوة الغداة والظهر • او زلفا من الليل وخول صلوة المغرب والعشاء • ان الحسنات الصلوات الخمس • يذهبن السيئات يكفرن السيئات دون الكبائر • ذلك ذكرى للذاكرين اي توبة للتائبين • كفارات الذنوب التائبين

من العيون

واقم الصلوة عطف على فاستقم كما امرت في معنى النهي عن اداء الصلوة قبل وقتها اي ادّ الصلوة طرفي النهار اي اوله وآخره وهو نصب على الظرفية لاضافته الى الظرف • وطرفاه الغداة والعشي والمراد الفجر والظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وزلفا جمع زلفة وهي قطعة من الليل او ساعة منه • نصب على الظرف والمراد المغرب والعشاء • يعني اتم الصلوة في هذه الاوقات الخمسة ان الحسنات اي الصلوات الخمس في اوقاتها يذهبن السيئات اي الخطيئات قيل نزلت الآية في شان ابي اليسر وقد جاءته امرأة لتبتاع منه تمرا فقال لها ان في البيت تمرا اطيب منه فدخلت معه في البيت فقبلها فندم عليه فاتى ابا بكر رضي الله عنه فذكر له ذلك فقال استر على نفسك وتب فاتى عمر رضي الله عنه فقال كذلك ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك فاطرق عليه حتى اوحي اليه الآية فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الهذا خاصة ام للناس عامة قال بل للناس عامة وقال صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان كفارات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر وقيل الحسنات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر • او جميع الخيرات ذلك اي المذكور من قوله فاستقم وما بعده من المواعظ ذكرى اي موعظة للذاكرين اي للتائبين المتعظين واصبر يا محمد على الشدائد وعلى ما تلقى من اذى قومك والصلوات الخمس فان الله لا يضيع اجر المحسنين في اعمالهم من الصلوة وغيرها انتهى العيون

فلولا كان لولا هنا للتحضيض صحبا بمعنى التفجيع والتأسف الذي ينبغي ان تقع من الكل على هذه الامم الذي لم يهتد من القرون من قبلكم اولو بقية اولو فضل وخير وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل • ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا وقوله صلى الله عليه وسلم في العباس رضي الله عنه هذا بقية آبائي • ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اي ذو وابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم اي ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد واكثرهم تاركون للنهي على ان من للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هي للناهين وحدهم لقوله تعالى وانجينا الذين ينهون عن السوء • ولا يجوز ان يكون الاستثناء متصلا على الفساد الا للقليل من الناجين منهم ولكن ان استثني من النفي اللازم للتحضيص جاز كونه متصلا كانه قيل ما كان من القرون اولو بقية ينهون عن الفساد الا قليلا وان كان الافصح ان يرفع على البدل واتبع الذين ظلموا تركوا النهي عن المنكرات ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين ما كانوا لسبب الاستيصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم الهوى مع الكفر • واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اترفوا اي اتبعوا ما اترفوا فيه وعادتهم الشمادي في الاجرام • او على اتبع • او اعتراض • وقرئ واتبع اي اتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال • ويجوز ان يعتبر به المشهورة ويعضده تقديم الانجاء انتهى ابن الكمال

ابو السعود

فلولا كان فهلا كان من القرون الكائنة من قبلكم على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته • او كائنة من قبلكم اولو بقية من الرأي والعقل او اولو فضل وخير وسميا بها

ابو المعالي النسفي

فلولا كان من القرون من قبلكم فهلا كان • وهو موضوع للتحضيض ومخصوص بالفعل اولو بقية اولو فضل وخير وسمي الفضل والجود بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل • ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم • ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ينهون عن الفساد في الارض عجب محمدا صلى الله عليه وسلم وامته انه لم يكن في الامم التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة اهلكهم في هذه السورة جماعة من اولي العقل والدين ينهون غيرهم عن الكفر والمعاصي الا قليلا ممن انجينا منهم استثناء منقطع اي ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي • ومن في ممن انجينا للبيان لا للتبعيض لان النجاة للناهين وحدهم بدليل قوله انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا واتبع الذين ظلموا اي التاركون للنهي عن المنكر فهو عطف على نهوا ما اترفوا فيه اي اتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترفه من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش الهني ورفضوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونبذوه وراء ظهورهم وكانوا مجرمين اعتراض وحكم عليهم بانهم قوم مجرمون انتهى المدارك

لان الرجل انما يستبقي مما يخرجه عادة اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل • ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم • ومنه ما قيل في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا • ويجوز ان يكون البقية بمعنى البقوى كالتقية من التقوى اي فهلا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله تعالى وعقابه • ويؤيده انه قرئ اولو بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره اي اولو مراقبة وخشية من عذاب الله تعالى كانهم ينتظرون نزوله لاشفاقهم ينهون عن الفساد في الارض الواقع منهم حسبما حكي عنهم الا قليلا ممن انجينا منهم استثناء منقطع اي لكن قليلا منهم انجيناهم لكونهم على تلك الصفة على ان من للبيان لا للتبعيض لان جميع الناجين ناهون • ولا صحة للاتصال على ظاهر الكلام لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي المذكور الا للقليل من الناجين منهم كما اذا قلت هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم مريدا لاستثناء الصلحاء من المحضضين على القراءة

ما اترفوا فيه نعموا فيه والترف التنعم • وقال مقاتل بن حيان خولوا قال الفراء عودوا من النعيم واللذات وايثار الدنيا • اي واتبع الذين ظلموا ما عودوا من النعيم وايثار اللذات على الاخرة معالم

ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك قاضي

قوله اولو بقية اولو تمييز • وقيل اولو طاعة يقال فلان ذو بقية اذا كان فيه خير معنا قوله تعالى فلولا فهلا كان من القرون من قبلكم من فيه خير ينهى عن الفساد • وقيل معناه اولو بقية من خير يقال فلان على بقية من الخير اذا كان على خصلة محمودة انتهى المعالم

نعم يصح ذلك ان جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض فكانه قيل ما كان من القرون اولو بقية الا قليلا منهم لكن الرفع هو الافصح على البدلية واتبع الذين ظلموا بمباشرة الفساد وترك النهي ما اترفوا فيه اي انعموا من الشهوات واهتموا بتحصيلها اما المباشرون فظاهر واما المساهلون فلما لهم في ذلك من نيل حظوظهم الفاسدة • وقيل المراد بهم تاركوا النهي وانت خبير بانه يلزم منه عدم دخول مباشري الفساد في الظلم والاجرام وكانوا مجرمين اي كافرين فهو بيان لسبب استيصال الامم المهلكة وهو فشو الظلم واتباع الهوى فيهم وشيوع ترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اي لم ينهوا واتبع الخ فيكون العدول الى المظهر لادراج المباشرين معهم في الحكم والتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بعلية ذلك لما حاق بهم من العذاب • او على استيناف يترتب على قوله الا قليلا اي الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا من مباشري الفساد وتاركي النهي عنه فيكون الاظهار مقتضى الظاهر • وقوله وكانوا مجرمين عطف على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام • او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر • او على اتبع اي اتبعوا شهواتهم وكانوا بذلك الاتباع مجرمين • ويجوز ان يكون اعتراضا وتسجيلا عليهم بانهم قوم مجرمون • وقرئ واتبع اي اتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال • ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء • انتهى ابو السعود

من العيون

قوله فلولا هي من حروف التحضيض والمراد منه النهي اذا لم يكن له جواب اي فما كان من القرون المهلكة من قبلكم اولو بقية اي اهل خير واصحاب فضل • يقال فلان على بقية من الخير اذا كان على خصلة محمودة ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا منهم اي لكن قليلا منهم نهوا عن الفساد وهم اتباع الانبياء • ومن في ممن انجينا للتبعيض والاستثناء منقطع • ولا يجوز ان يكون الاستثناء متصلا على ما عليه الظاهر من الكلام لانه يلزم ان يكون معنى الآية تحضيضا لاولي البقية على النهي عن الفساد دون القليل من الناجين منهم وهو فاسد • وعطف على نهوا المقدر معنى قوله واتبع الذين ظلموا انفسهم بتركهم النهي اي استعملوا ما اترفوا فيه اي الذي انعموا به في الدنيا من المال والرياسة واسباب التنعم واللذات النفسانية من الحلال والحرام ورفضوا ما وراء ذلك من اركان الدين وشرائع الاسلام فنبذوه وراء ظهورهم ولم يهتموا بما هو خير لهم في الدنيا والآخرة وكانوا مجرمين عطف على اترفوا اي صاروا متنعمين بذلك التنعم مستحقين للعقاب. انتهى العيون

قوله فلولا كان معناه لم يكن في الامم التي ذكر الله سبحانه وتعالى اهلاكهم في هذه السورة جماعة من اولي العقل والدين ينهون غيرهم عن الكفر والمعاصي الا قليلا ممن انجينا منهم وهذا استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركوا النهي واتبع الذين ظلموا اي التاركوا النهي ما اترفوا اي ما انعموا في الدنيا من المال ورفضوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونبذوه وراء ظهورهم وكانوا مجرمين انتهى الكرماني من تغيير

معناه ما كان من القرون المهلكة من قبلكم اولوا فضل وخير ينهى غيرهم عن الكفر والمعاصي الا قليلا ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركوا النهي • ومن في ممن للبيان لا للتبعيض لان النجاة للناهين وحدهم بدليل قوله انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا انتهى

هذا انی کمال

وماکان ربک لیهلک القری اللام لتاکید النفی بظلم حال من الفاعل والتنکیر للتعظیم والاشارة الی ان اهلاک المصلحین ظلم عظیم ولذلک ٦٨
اکد النفی باللام وکذا ان فسر الظلم بالشرک • والبا للسببیة ای لا یهلکهم بسبب ظلم لا ظلم اعظم منه واهلها مصلحون حال کونهم
مصلحین فیما بینهم بالعدالة لکمال رحمته ورأفته بالعباد ومساهلته فی حقه ومن ثمة قدم الفقها عند تزاحم الحقوق
حقوق العباد ای وما صح ان یهلک ربک القری ظالما لها تنزیها لذاته من الظلم او بسبب شرک اهلها ما لم یضموا الی
الشرک فسادا فیما بینهم ولذلک قیل الملک یبقی مع الکفر ولا یبقی مع الظلم ولو شاء ربک لجعل الناس امة واحدة علی ملة
الاسلام کلهم وهو دلیل علی ان الامر لا یستلزم الارادة وانه تعالی قادر علی ایقاع ما اراده فی الخصوص المذکور
واما ان کل ما اراده یجب وقوعه فلا دلالة فیما ذکر علیه ولا یزالون مختلفین بعضهم علی الحق وبعضهم علی الباطل
کما تری الا من رحم ربک الا قوما هداهم الله تعالی من فضله فاتفقوا علی دین الحق وملة التوحید ولذلک خلقهم الضمیر للقوم
والاشارة الی الاختلاف واللام للعاقبة ای ولما لهم علیه من الاختلاف خلقهم لیتمیز المحق من المبطل ویترتب
الثواب والعقاب علی العقاید والاعمال وتمت کلمة ربک وعیده او قوله للملائکة لاملان جهنم من الجنة والناس
ای من عصاتهما اجمعین لا من احدهما ففیه دفع احتمال ان یکون الایلاء من احدهما ویضاف الیهما کما فی قوله تعالی
یخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمراد استیعاب الصنفین لا استیعاب افرادهما اسمعیل کمال

ابو السعود

وماکان ربک لیهلک القری ای ما صح وما استقام بل استحال فی الحکمة ان یهلک القری التی اهلکها حسبما
بلغک انباؤها ویعلم منه ذلک حال باقی من القری الظالمة واللام لتاکید النفی وقوله بظلم ای ملتبسا به قیل هو حال من الفاعل
ای ظالما لها • ما لتنکیر للتفخیم والایذان بان اهلاک المصلحین ظلم عظیم
والمراد تنزیه الله تعالی عن ذلک بالکلیة بتصویره بصورة ما یستحیل
صدوره عنه تعالی والا فلا ظلم فیما فعله الله تعالی
بعباده کائنا ما کان لما تقرر من قاعدة
اهل السنة وقد مر تفصیله فی سورة ال عمران
عند قوله تعالی وان الله لیس بظلام للعبید
وقوله تعالی واهلها مصلحون حال من المفعول
والعامل عامله ولکن لا باعتبار تقیده
بما وقع حالا من فاعله اعنی بظلم لدلالته
علی تقیید نفی الاهلاک ظلما بحال کون
اهلها مصلحین ولا ریب فی فساده بل
مطلقا عن ذلک • وقیل المراد بالظلم الشرک
والبا للسببیة ای لا یهلک القری بسبب
اشراک اهلها وهم مصلحون یتعاطون
الحق فیما بینهم ولا یضمون الی شرکهم
فسادا آخر • وذلک لفرط رحمته ومسامحته
فی حقوقه تعالی ومن ذلک قدم الفقهاء
عند تزاحم الحقوق حقوق العباد الفقراء
علی حقوق الله الغنی الحمید • وقیل الملک
یبقی مع الشرک ولا یبقی مع الظلم وانت
تعلم ان مقام النهی عن المنکرات التی اقبحها الاشراک
بالله تعالی لا یلایمه فان الشرک داخل فی
الفساد فی الارض دخولا اولیا ولذلک
کان ینهی کل من الرسل الذین قصت انباؤهم
امته اولا عن الاشراک ثم عن سایر المعاصی
التی کانوا یتعاطونها فالوجه حمل الظلم
علی مطلق الفساد الشامل للشرک وغیره
من اصناف المعاصی وحمل الاصلاح علی
اصلاحه والاقلاع عنه

ابو المعین النسفی

وماکان ربک لیهلک القری اللام لتاکید النفی بظلم حال من الفاعل
ای لا یصح ان یهلک الله القری ظالما لها واهلها قوم مصلحون
تنزیها لذاته عن الظلم • وقیل الظلم الشرک ای لا یهلک القری
بسبب شرک اهلها وهم مصلحون فی المعاملات فیما بینهم لا یضمون
الی شرکهم فسادا آخر ولو شاء ربک لجعل الناس امة واحدة
ای متفقین علی الایمان والطاعات عن اختیار ولکن لم یشاء ذلک •
وقالت المعتزلة هی مشیئة قسر وذلک رافع للابتلاء فلا یجوز •
ولا یزالون مختلفین فی الکفر والایمان ولکن شاء ان یکونوا مختلفین
لما علم منهم اختیار ذلک الا من رحم ربک الا ناسا عصمهم عن
الاختلاف فاتفقوا علی دین الحق غیر مختلفین فیه ولذلک خلقهم
ای ولما هم علیه من الاختلاف • فعندنا خلقهم للذی علم انهم
یصیرون الیه کذا فی شرح التأویلات وتمت کلمة ربک وهی قوله
للملائکة لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعین لعلمه بکثرة من
یختار الباطل اسمعیل المدارک • وفی معالم التنزیل واهلها مصلحون
فیما بینهم لا یضمون الی شرکهم فسادا وتباغیا وذلک لفرط رحمته ومسامحته
فی حقوقه ومن ذلک قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق وحقوق العباد
وقیل الملک یبقی مع الکفر ولا یبقی مع الظلم • ای مصلحون فیما بینهم
یتعاطون الانصاف ولا یظلم بعضهم بعضا وانما یهلکهم اذا تظالموا • وقیل
لا یهلکهم بظلم منه وهم مصلحون فی اعمالهم لکن یهلکهم بکفرهم ورکوبهم السیئات اسمعیل •

قوله تعالی ولذلک خلقهم ای وللاختلاف خلقهم • وسئل عن هذه الایة فقال خلقهم لیکون فریق فی الجنة وفریق فی السعیر •
قال ابو عبید الذی اختار قول من قال خلق فریقا لرحمته وفریقا لعذابه • وقال ابن عباس وللرحمة خلقهم یعنی الذین رحمهم
قال الفراء خلق اهل الرحمة للرحمة واهل الاختلاف للاختلاف • ومحصول الایة ان اهل الباطل مختلفون واهل الحق متفقون
فخلق اهل الحق للاتفاق واهل الباطل للاختلاف کذا فی معالم التنزیل للامام المرحوم •

والاقلاع عنه بکون بعضهم متصدین للنهی عنه وبعضهم متوجهین الی الاتعاظ غیر مصرین علی ما هم علیه
من الشرک وغیره من انواع الفساد ولو شاء ربک لجعل الناس امة واحدة مجتمعة علی الحق ودین الاسلام
بحیث لا یکاد یختلف فیه احد ولکن لم یشاء ذلک فلم یکونوا متفقة علی الحق ولا یزالون مختلفین
فی الحق ای مخالفین له کقوله تعالی وما اختلف فیه الا الذین اوتوه من بعد ما جاءتهم البینات بغیا
بینهم الا من رحم ربک الا قوما قد هداهم الله تعالی بفضله الی الحق فاتفقوا علیه ولم یختلفوا فیه
ای لم یخالفوه وحمله علی مطلق الاختلاف الشامل لما یصدر من المحق والمبطل یأباه الاستثناء
المذکور ولذلک ای لما ذکر من الاختلاف خلقهم ای الذین بقوا بعد الثنیا وهم المختلفون
فاللام للعاقبة • او للرحمة فالضمیر لمن والکلام فی معناها • او لهما معا فالضمیر للناس کافة واللام بمعنی مجازی
عام لکلا المعنیین وتمت کلمة ربک ای وعیده او قوله للملائکة لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعین
ای من عصاتهما اجمعین او منهما اجمعین لا من احدهما اسمعیل ابو السعود

من العیون

وماکان ربک ای ما صح وما استقام لیهلک القری ای یعذب اهلها بظلم ای بغیر جرم وهو حال من الفاعل
واهلها مصلحون ای موحدون مطیعون والجملة فی محل النصب علی الحال من المفعول واللام فی لیهلک
لتاکید النفی الداخل علی کان یعنی استحال فی الحکمة ان یهلک الله القری ظالما لها وهم مصلحون فی اعمالهم ولکنه
یهلکهم بکفرهم ورکوبهم السیئات • وقیل معناه انه لا یهلکهم بکفرهم واهلها عادلون فیما بینهم ولا یظلم بعضهم
بعضا وانما یهلکهم اذا تظالموا ولو شاء ربک مشیئة قهر والجاء لجعل الناس امة واحدة ای لخلق کلهم
مکرمین بدین واحد وهو دین الاسلام بالاضطرار ولکنه علم ان بعضهم لیسوا باهل لذلک فلم یضطرهم
الی الاتفاق علی دین الحق ولا یزالون مختلفین علی ادیان شتی من نصرانی ویهودی ومجوسی ومشرک
ومسلم لما اعطاهم الله تعالی مکنتهم من الاختیار الذی هو اساس التکلیف فاختار بعضهم الباطل وبعضهم الحق
فاختلفوا الا من رحم ربک ای الا ناسا هداهم الله ولطفهم بتایید فاتفقوا علی دین الحق غیر مختلفین
ولذلک ای وللاختلاف الذی نشأ من تمکین الاختیار خلقهم لیثیب مختار الحق ویعاقب مختار الباطل
فیکون فریق فی الجنة وفریق فی السعیر وقیل معناه وللرحمة خلقهم یعنی للاسلام والعبادة التی هی سبب الرحمة
قال سبحانه وتعالی وما خلقت الجن والانس الا لیعبدون وتمت کلمة ربک ای سبق حکمه فی علمه ووجب للمختلفین
فی دینه بکفرهم وهو لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعین لعلمه بکثرة من یختار الباطل ویترک الحق
اسمعیل العیون

هذا ابن الكمال

وكلا مفعول نقص في نقص عليك والتنوين بدل من المضاف اليه اي نبأ. وقوله من انباء الرسل بيان كلا اي نخبرك به ما
نثبت به فؤادك بدل منه او كلا مصدر اي وكل اقتصاص نقص عليك ● وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت
فؤاده طمانينة قلبه المبارك وزيادة يقينه على نعيم والتاسي بهم في الثبات والصبر على تبليغ الرسالة وتحمل
الاذى كقوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وذلك لان المشاركة في الامور الصعبة تهون ما يلقى
الانسان من الاذى والاعلام بما جرى على المكذبين من العقوبات المستاصلة بانواع من العذاب من غرق وريح
ورجفة وخسف فيه طمانينة النفس وتاسيس وجاءك في هذه السورة او الانباء المقتصة عليك الحق
ما هو حق وموعظة وذكرى اشارة الى سائر فوائد العامة وانما قال للمؤمنين اذ لا ينتفع بها الا المؤمنون وقل للذين
لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون تدبيق تفسيره في سورة الانعام وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل
بكم ما نزل بمثلهم

ابو السعود افندي

وكلا اي كل نبأ. فالتنوين عوض من المضاف اليه نقص عليك نخبرك به وقوله من انباء الرسل
بيان لكلا وقوله تعالى ما نثبت به فؤادك
بدل منه والاظهر ان يكون المضاف اليه المحذوف
في كلا المفعول المطلق لنقص اي كل اقتصاص
اي كل اسلوب من اساليبه نقص عليك
من انباء الرسل وقوله سبحانه ما نثبت به
فؤادك مفعول نقص وفائدته التنبيه على
ان المقصود بالاقتصاص زيادة يقينه عم
وطمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة
واحتمال اذية الكفار بالوقوف على تفاصيل
احوال الامم السالفة في تماديهم في الضلال
وما لقي الرسل من جهتهم من مكابدة المشاق
وجاءك في هذه السورة او الانباء المقصوصة
عليك الحق الذي لا محيد عنه وموعظة
وذكرى للمؤمنين اي الجامع بين كونه حقا
في نفسه وكونه موعظة وذكرى للمؤمنين ●
ولكون الوصف الاول حالا له في نفسه ●
حلي باللام دون ما هو وصف له بالقياس
الى غيره ● وتقديم الظرف اعني في هذه على
الفاعل لان المقصود بيان منافع السورة
او الانباء المقصوصة فيها واشتمالها على ما ذكر
من المنافع المفصلة لا بيان كون ذلك فيها
لا في غيرها ولان عند تاخيرها حقه التقديم
تبقى النفس مترقبة اليه فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن ولان في المؤخر نوع طول يخل تقديمه
بتجاوب اطراف النظم الكريم وقل للذين لا يؤمنون بهذا الحق ولا يتعظون به ولا يتذكرون اعملوا على مكانتكم
على حالكم وجهتكم التي هي عدم الايمان انا عاملون على حالنا وهو الايمان به والاتعاظ والتذكر به وانتظروا بنا الدوائر
انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل بامثالكم من الكفرة ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرك وامرهم اليه
[illegible] للفاعل من رجع رجوعا فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك والفاء لترتيب الامر بالعبادة والتوكل على كون مرجع الامور
[illegible] وفي تاخير الامر بالتوكل عن الامر بالعبادة اشعار بانه لا ينفع دونها وما ربك بغافل عما تعملون فيجازيهم بموجبه
[illegible] على تغليب الخاطب اي انت وهم فيجازي كلا منك ومنهم بموجب الاستحقاق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة هود اعطي عشر حسنات بعدد من صدق بكل واحد من الانبيا المذكورين فيها عليهم السلام
وبعدد من كذبهم وكان يوم القيمة من السعداء بفضل الله سبحانه وتعالى انتهى ابو السعود

آمنا وصدقنا

وكلا التنوين فيه عوض عن المضاف اليه كانه قيل وكل نبأ ● وهو
منصوب بقوله نقص عليك وقوله من انباء الرسل بيان لكل وقوله
ما نثبت به فؤادك بدل من كلا وجاءك في هذه الحق اي وفي هذه
السورة او في هذه الانباء المقتصة ما هو حق وموعظة وذكرى
للمؤمنين ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه لان تكاثر الادلة
اثبت للقلب وقل للذين لا يؤمنون من اهل مكة وغيرهم
اعملوا على مكانتكم وجهتكم التي انتم عليها انا عاملون على
مكانتنا وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم
نحو ما اقتص الله تعالى من النقم النازلة باشباهكم ولله غيب
السموات والارض لا يخفى عليه خافية مما يجري فيهما فلا يخفى عليه
اعمالكم واليه يرجع الامر كله فلا بد ان يرجع اليه امرهم و
امرك فينتقم لك منهم ● يرجع نافع وحفص فاعبده وتوكل
عليه فانه كافيك وكافلك وما ربك بغافل عما تعملون ●
وبالتاء مدني وشامي وحفص اي انت وهم على تغليب المخاطب
قيل خاتمة التورية هذه الاية وفي الحديث من احب ان يكون اقوى
الناس فليتوكل على الله تعالى ● انتهى سورة هود بعون الملك المعبود في اليوم التاسع
العشرين من شهر
رمضان المبارك
١١٢٠

كلا نبأ من انباء الرسل نقص عليك [illegible] معناه وكل نبأ الذي تحتاج اليه من انباء الرسل اي من اخبارهم واخبار اممهم نقص عليك [illegible]

من العيون للشيخ السهروردي

وكلا اي نبأ. فالتنوين عوض من المضاف اليه نقص عليك اي ننبئك من انباء الرسل اي من اخبارهم واخبار اممهم
وهو بيان لكل ما نثبت به فؤادك اي الذي نقوي به قلبك من الاضطراب وهو بدل من كلا يعني نحن نقص
عليك كل ما تحتاج اليه من اخبار الانبياء واممهم مما نثبت قلبك ليزيد يقينا وطمانينة لان تكاثر الشواهد
والادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم ولو ذكرت مكررة لان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمعها كان في ذلك تقوية
لقلبه على الصبر على اذى قومه وجاءك في هذه اي في سورة هود او في هذه الانباء المقتصة عليك الحق
اي ما هو الحق من الاحكام والعلوم المتعلقة بالنبوة فاعمل به ومن تاب معك وانما خص هذه السورة
تشريفا لها وان كان قد جاءه الحق في جميع السور وموعظة اي جاءك تاديبه وذكرى اي وتذكرة وعبرة
للمؤمنين اي للموحدين المطيعين لله ورسوله ثم قال تهديدا لكفار مكة وقل للذين لا يؤمنون بالله ورسوله
اعملوا على مكانتكم اي على جهتكم وقوتكم التي انتم عليها في امرنا انا عاملون في امركم وانتظروا بنا الدوائر
انا منتظرون اي ان يحل بكم العذاب كما حل باشياعكم ولله غيب السموات والارض اي له علم ما غاب فيهما
عن العباد فلا يخفى عليه اعمالكم واليه يرجع الامر كله في المعاد فلا بد ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم
فاعبده وتوكل عليه اي ثق به في جميع امورك فانه كافلك وكافيك وما ربك بغافل عما تعملون بالياء والتاء تغليبا
للمخاطب ● عن كعب الاحبار انه قال خاتمة التورية هذه الاية ولله غيب السموات والارض الى اخره ● وعن ابن عباس رض
قال قال ابو بكر رض يا رسول الله قد شبت قال صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود واخواتها يعني الواقعة
والمرسلات وعم يتساءلون
واذا الشمس كورت انتهى العيون

في ليلة العيد الاضحى
يوم اربعا ١١٢٠

ويليه الجزء الذي يليه
سورة يوسف عم

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب